تحفة العروسين

الزواج الإسلامي السعيد

الزواج - الأسرة - تربية الأبناء

إعداد
صالح المصري

دار اليقين
للنشر والتوزيع

١٥٤١
م م ت

تحفة العروسين

الزواج الإسلامي السعيد

الأسرة - الزواج - تربية الأبناء

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع : ٩١٥٠ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي : x - ٢٧١ - ٣٣٦ - ٩٧٧

دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

المنصورة : شارع عبد السلام عارف الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف ص . ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ جوال : ٠١٠١٥٧٥٨٥٢ البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

المكتبة : مساكن الشناوي - سور مسجد التوحيد - هاتف ٠٥٠٢٢١١٠٠٢

تحفة العروسين

الزواج الإسلامي السعيد

الأسرة - الزواج - تربية الأبناء

أحكام وآداب، فتاوى ومقالات، نصائح وتوجيهات
لكبار أهل العلم قديمًا وحديثًا

جمع وترتيب
أبي عبد الله: صالح بن عبد اللطيف المصري

دار اليقين
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ٢١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن البيت المسلم السعيد الذي قام على قواعد صحيحة سليمة مستمدة من الكتاب والسنة وحياة الصحابة والتابعين، ذلك البيت هو أساس صلاح المجتمع، فإن للأسرة أهمية بالغة في التربية في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء، إذ أنها هي أول منشأ ينشأ فيه الطفل ويتأثر بأفراده وذلك في أهم وأخطر مرحلة في تربية الطفل وهي السنوات الأولى من حياته (سنوات ما قبل المدرسة) إذ في هذه السنوات يكون ما يغرس في نفس الطفل عميقًا جدًّا فلا تسهل إزالته أو تغييره بعد ذلك.

ومن هنا كان للأسرة تلك الأهمية الكبيرة في بناء المجتمع، فهي اللبنة الأساسية لبنائه وهي المحضن الأول لتخريج وإعداد أفراده.

والأسرة فرع عن الزواج، فالزواج في الإسلام له معان عظيمة وحِكم بالغة، وقد حاولنا في هذا الكتاب تنبيه المسلمين وإرشادهم إلى طرف من ذلك.

والأبناء هم ثمرة هذا الزواج وهم دعامة الأسرة، وفي هذا الكتاب نحاول إرشاد

المسلمين إلى العودة إلى معين التربية الإسلامية وعودة الأبوين والأسرة لتولي مسؤوليتهما تجاه أبنائهم وعودة المربين المسلمين للأخذ بأساليب التربية الإسلامية الصحيحة التي تعني بتربية النفوس عنايتها بتربية العقول والأجسام ، فذلك هو الطريق الصحيح الذي يصنع الجيل الصاعد والمجتمع الفاضل والأمة الخيرة.

«كيف نربي أبناءنا تربية صالحة؟!» سؤال يهم كل الآباء والمربين ولابد من الإجابة عليه مسترشدين بتوجيهات الإسلام وهديه وما كتبه العلماء وذكره أهل الاختصاص في التربية والتعليم كيف نربي أبناءنا تربية صالحة؟ سؤال يضع الآباء والمربين عند مسؤوليتهم الكبرى التي ألزمهم الإسلام بها في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾

أهمية الأسرة في الإسلام

إن للأسرة أهمية بالغة في التربية في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء، إذ أنها هي أول منشأ ينشأ فيه الطفل ويتأثر بأفراده وذلك في أهم وأخطر مرحلة في تربية الطفل وهي السنوات الأولى من حياته (سنوات ما قبل المدرسة) إذ في هذه السنوات يكون ما يغرس في نفس الطفل عميقًا جدًّا فلا تسهل إزالته أو تغييره بعد ذلك.

ومن هنا كان للأسرة تلك الأهمية الكبيرة في بناء المجتمع فهي اللبنة الأساسية لبنائه وهي المحضن الأول لتخريج وإعداد أفراده.

وقد فطن لأهمية دور الأسرة هذا أعداء الإسلام فلم يألوا جهدًا في سبيل تدميرها والقضاء عليها فبذلوا في سبيل ذلك كل محاولة، ومن وسائلهم لتحقيق ذلك ما يلي:

١- إفساد المرأة المسلمة ودعوتها إلى التخلي عن مهمتها الأساسية في رعاية الأسرة وإعداد الجيل.

٢- إفساد النشء بمحاولة تربيتهم في محاضن بعيدة عن الأسرة ليسهل إفسادهم فيما بعد.

٣- إفساد المجتمعات بنشر الفساد والانحلال فيها مما يضمن تدمير الأسر والأفراد والمجتمع بأكمله.

وقبل هذا فقد فطن لأهمية التربية من خلال الأسرة علماء المسلمين، فهذا الشيخ أبو حامد الغزالي يتحدث عن دور الوالدين في التربية فيقول: اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه أسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر .

* * *

دعائم بناء الأسرة المسلمة

أيها القارئ الكريم:

هناك أمور كثيرة يقوم عليها بناء الأسرة المسلمة وتتوطّد فيها العلاقة الزوجية، وتبتعد فيها عن رياح التفكك، وأعاصير الانفصام والتصرم:

(١) الإيمان بالله وتقواه:

وأول هذه الأمور وأهمها: التمسك بعروة الإيمان الوثقى.. الإيمان بالله واليوم الآخر، والخوف من المطّلع على ما تكنُّه الضمائر، ولزوم التقوى والمراقبة، والبعد عن الظلم والتعسُّف في طلب الحق. ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

ويقوّي هذا الإيمان: الاجتهاد في الطاعة والعبادة والحرص عليها والتواصي بها بين الزوجين، تأمّلوا قوله ﷺ: **«رحم اله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء - يعني: رشّ عليها الماء رشًا رفيقًا - ورحم الله امرأةً قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»** (١).

إن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة دنيوية مادية، ولا شهوانية بهيمية، إنها علاقة روحية كريمة، وحينما تَصِحُّ هذه العلاقة وتَصْدُق هذه الصفة، فإنها تمتد إلى الحياة الآخرة بعد الممات: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

(٢) المعاشرة بالمعروف:

---

(١) حديث صحيح: رواه أحمد في المسند ٢٢٥٠، ٤٣٦ وأبو داود (١٣٠٨) والنسائي ٣٢٠٥ وابن ماجه (١٣٣٦) وصححه ابن خزيمة (١١٤٨) والحاكم ١٣٠٩ ووافقه الذهبي.

إن مما يحفظ هذه العلاقة ويحافظ عليها.. المعاشرة بالمعروف، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة كل طرف ما له وما عليه. وإنَّ نُشْدَان الكمال في البيت وأهل البيت أمر متعذر، والأمل في استكمال كل الصفات فيهم أو في غيرهم شيء بعيد المنال في الطبع البشري.

دور الزوج في الحفاظ على بيت الزوجية والمعاشرة بالمعروف:

ومن رجاحة العقل ونضج التفكير توطين النفس على قبول بعض المضايقات، والغض عن بعض المنغصات، والرجل - وهو رب الأسرة - مطالب بتصبير نفسه أكثر من المرأة، وقد علم أنها ضعيفة في خَلْقها وخُلُقها، إذا حوسبت على كل شيء عجزت عن كل شيء، والمبالغة في تقويمها يقود إلى كسرها وكسرها طلاقُها، يقول المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: **«واستوصُوا بالنساء خيرًا فإنهن خُلِقْنَ من ضلع، وإنَّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا»**(١) (٢) فالاعوجاج في المرأة من أصل الخلْقة فلا بد من مسايرته والصبر عليه.

فعلى الرجل ألا يسترسل مع ما قد يظهر من مشاعر الضيق من أهله وليصرف النظر عن بعض جوانب النقص فيهم، وعليه أن يتذكَّر جوانب الخير فيهم وإنه لواجد في ذلك شيئًا كثيرًا.

وفي مثل هذا يقول الرسول، ﷺ: **«لا يفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً - أي: لا يُبغض ولا يكْره - إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»** (٣) وليتأنَّ في ذلك كثيرًا فلَئِن رأى بعض ما يكره فهو لا يدري أين أسباب الخير وموارد الصلاح.

---

(١) البخاري النكاح (٤٨٩٠)، مسلم الرضاع (١٤٦٨).

(٢) رواه البخاري (٥١٨٦) ومسلم (١٤٦٨) [٥٩]، [٦٠] في صحيحيهما.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٤٦٩). (فائدة): قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ما حاصله: في هذا إيماء إلى التقويم برفق بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه، وضابط هذا: أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدَّت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أو ترك واجب، ويتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة. انظر: فتح الباري (٩٢٥٤).

يقول عزَّ من قائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وكيف تكون الراحة؟ وأين السَّكَن والمودة؟ إذا كان رَبُّ البيت ثقيل الطبع، سيئ العشرة ضيّق الأفق، يغلبه حمق، ويعميه تعجُّل، بطيء في الرضى، سريع في الغضب، إذا دخل فكثير المنّ، وإذا خرج فسيئ الظن. وقد عُلم أنَّ حسن العشرة وأسباب السعادة لا تكون إلا في اللين والبعد عن الظنون والأوهام التي لا أساس لها، إن الغيرة قد تذهب ببعض الناس إلى سوء ظنّ.. يحمله على تأويل الكلام والشك في التصرفات، مما ينغص العيش ويقلق البال من غير مستند صحيح.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٦]. كيف وقد قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[(١)]

دور الزوجة في الحفاظ على بيت الزوجية والمعاشرة بالمعروف:

أما المرأة المسلمة: فلتعلم أن السعادة والمودة والرحمة لا تتم إلا حين تكون ذاتَ عفةٍ ودين، تعرف ما لها فلا تتجاوزه ولا تتعداه، تستجيب لزوجها؛ فهو الذي له القوامة عليها يصونها ويحفظها وينفق عليها فتجب طاعته وحفظه في نفسها وماله، تتقن عملها وتقوم به وتعتني بنفسها وبيتها، فهي زوجة صالحة وأم شفيقة، راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، تعترف بجميل زوجها ولا تتنكر للفضل والعشرة الحسنة. يحذِّرُ النبي ﷺ من هذا التنكر ويقول: «أريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال:«لا. يكفرن العشير؛ لو أحسنتَ لإحداهنَّ الدهرَ ثم رأت منكَ شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط» فلا بد من دَمح[(٢)] الزلَات والغض عن الهَفَوات.. لا تسيء إليه إذا حضر ولا تخونه إذا غاب.

---

(١) حديث صحيح: رواه الترمذي (٣٨٩٢) وابن ماجه (١٩٧٧) وابن حبان في صحيحه (١٣١٢).

(٢) غفران.

بهذا يحصل التراضي وتدوم العشرة ويسود الإلف والمودة والرحمة. و«أيما امرأةٍ ماتتْ زوجُها عنها راضٍ دَخَلت الجنة»(١).

فاتَّقوا الله يا أمّة الإسلام - واعلموا أنه بحصول الوئام تتوفَّر السعادة، ويتهيأ الجو الصالح للتربية، وتنشأ الناشئة في بيتٍ كريمٍ مليء بالمودة عامر بالتفاهم.. بين حنان الأمومة وحدب الأبوة.. بعيدًا عن صخب المنازعات والاختلاف، وتطاول كل واحد على الآخر، فلا شقاق ولا نزاع ولا إساءة إلى قريب أو بعيد. ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٧٤].

* * *

(١) رواه الترمذي (١١٦١) وحسنه، وابن ماجه (١٨٥٤)، والحاكم ٤١٧٣، وقال صحيح الإسناد.

مقدمة عن

السعادة وأنها هدف منشود

الدين جاء لسعادة البشر، ونظّم لهم الحياة بما يكفل لهم السعادة، ومن ذلك سعادة الأسرة.

لماذا الحديث عن الأسرة؟

مظاهر عناية الإسلام بالأسرة :

١) أنه جعل قوام الزواج على الدين والأخلاق.

٢) أنه أمر بالمعاشرة بالمعروف.

٣) أنه نهى عن الظلم (ظلم الزوج لزوجته أو أولاده، ظلم الزوجة لزوجها أو ظلم الأولاد لوالديهم).

٤) أنه أعلى شأن الوالدين وجعل برّهما من آكد الحقوق.

٥) أنه أمر بالتربية الحسنة.

- أهم أسباب التفكك الأسري :

١) عدم مراعاة أوامر الله في الحياة الزوجية.

٢) عدم تربية الأولاد التربية الصالحة.

٣) إقرار المنكرات في البيوت.

٤) القسوة والشدة المفرطة في التربية.

٥) اللين الزائد عن الحد في التربية.

٦) بناء العلاقة على أساس الاتهام والشك والريبة.

- الطريق إلى السعادة الأسرية:

١) الحرص على التربية بالقدوة والموعظة.

٢) إيجاد البدائل للمخالفات الشرعية.

٣) إيجاد جو أسري تسوده المحبة والألفة بل والمرح أحياناً.

٤) فتح قنوات المصارحة والحوار الهادئ بعيدًا عن التعنيف والاتهام.

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل البشر ؛ ولكن السؤال الذي حيّر الناس من قديم : أين السعادة؟؟

لقد طلبها الأكثرون في غير موضعها فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ في الصحراء صفر اليدين كسير القلب خائب الرجاء.

نعم ؛ لقد جرب الناس في شتى العصور ألوان المتع المادية، وصنوف الشهوات الحسية فما وجودها تحقق السعادة.

لقد بحث عنها قوم في المال الوفير والعيش الرغيد فما وجدوها، وآخرون بحثوا عنها في المناصب العالية فما حصلوها، وآخرون بحثوا عنها في الشهرة والجاه العريض فما ظفروا بها... لماذا؟؟؟

لأن السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان يشعر به بين جوانبه فهو أمر معنوي لا يُقاس بالكم، ولا يشترى بالدينار والريال، بل هي صفاء نفس وطمأنينة قلب وراحة ضمير وانشراح صدر.

ويذكر أن زوجاً قال لزوجته بغضب : لأشقينّك. فقالت الزوجة في هدوء : لا تستطيع أن تشقيني كما لا تستطيع أن تسعدني.

فقال الزوج في حنق : وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة في ثقة : لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني أو زينة من الحلي لحرمتني منها، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون !

فقال الزوج في دهشة : وما هو؟ فقالت الزوجة في يقين : إني أجد سعادتي في إيماني، وإيماني في قلبي، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي.

ومثل ذلك ما دوى به البحر الخضم والجبل الأشم علم الأعلام وشامخ الشام وشيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه ونوّر ضريحه لما سجن ظلماً وعدواناً في سجن القلعة قال رحمه الله : ما يفعل أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري حيثما ذهبت فهي معي.

ويقول أحد السلف واصفاً حاله وهو في غمرة السعادة الحقيقية: إنه لتمر عليّ ساعات

أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش رغيد.

قال ابن القيم رحمه الله كما في «مدارج السالكين»:

في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدًا.

إذًا أيها الأحبة السعادة لا يمكن أن تحصل إلا بالإيمان واليقين في المقام الأول.

وديننا قد جاء بما يكفل السعادة للمسلم بل ونهى عن الحزن قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»[١].

فالدين جاء لسعادة البشر ولانتفاء الشر عنهم والضرر، وذلك في كل مناحي الحياة، ومن تلك المناحي سعادة الأسرة فقد بناها على مقومات السعادة وهو المودة والرحمة والسكن فلا سعادة بلا مودة وسكينة وتراحم قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ....﴾ الآية.

ثم إنه قد جاء بما يكون من روافد هذه السعادة وهي المرأة الصالحة فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»[٢].

وقال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[٣] وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) صحيح: البخاري (٢٨٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (١٢٣٢).

(٣) صحيح: مسلم (١٤٦٧).

أيها الإخوة.. وإنما كان الحديث عن سعادة الأسرة لأنها نواة المجتمع فصلاحها يكون لبنة في صلاح المجتمع كما أن فسادها يكون معول هدم في صرح المجتمع.

والإسلام قد اعتنى بالأسرة غاية العناية ولعلنا نجمل بعض مظاهر هذه العناية في الأمور التالية:

١) أنه جعل قوام الزواج على الدين والأخلاق، وهذا من أهم المظاهر للعناية بالأسرة ويعتبر إجراءً وقائياً – إن صح التعبير – لتفادي صور الانحلال والفساد الأسري. قال ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»**(١).

ليس الفتاة بمالها وجمالها ... كلا ولا بمفاخر الآباء
لكنها بعفافها وبطهرها ... وصلاحها للزوج والأبناء
وقيامها بشئون منزلها وأن ... ترعاك في السراء والضراء
ياليت شعري أين توجد هذه الـ ... ـفتيات تحت القبة الزرقاء

ويقول المصطفى المختار ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**(٢).

٢) ومن مظاهر عناية الإسلام بالأسرة أنه أمر بالمعاشرة بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية كالكلام الطيب والصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، والصفح عن الزلات.

فما أحوج بيوتنا إلى تطبيق هذه المعاشرة، وما أجدرنا أن نعوّد ألسنتنا على الكلام الطيب في حياتنا الأسرية، ومما يصل بالكلمة طريقة إلقائها فقد تزيد هذه الطريقة إن كانت حلوة عذبة من تأثيرها وما أجدرنا أن نعوّد عضلات وجوهنا الابتسامة التي تبسط أكثر المسائل تعقيداً، وتمنحنا قوة في التغلب على كثير من المصاعب.

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

(٢) رواه الترمذي وهو حديث صحيح.

وإليكم أيها الإخوة موقفاً من بيت النبوة لأسوتكم عليه الصلاة والسلام وما كان عليه من معاشرة حسنة لأهله، فقد روى مسلم في «صحيحه» والحاكم في «مستدركه» واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي النبي ﷺ ذات يوم فقال : «هل عندكم شيء؟» قلت : لا. قال: «فإني إذًا صائم»، ثم أتانا يومًا آخر فقلنا: يا رسول الله أهدي لنا حيساً فقال : «أدنيه فلقد أصبحت صائمًا» فأكل(١).

ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : والله لقد كان ضحوكًا إذا ولج سكوتًا إذا خرج آكلاً ما وجد غير سائل عما فقد.

٣) ومن المظاهر أيضًا أنه نهى عن الظلم بشتى أنواعه إلا أن ظلم الأهل أشد نهيًا لما بين الأهل من العلاقة الموجبة للإحسان وبذل المعروف كما تقدم.

وظلم ذوي القربى أشد مرارة   على النفس من وقع الحسام المهند

قال ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» (٢)متفق عليه.

ومن ذلك ظلم الأولاد بتفضيل بعضهم على بعض فقد جاء في «الصحيحين» عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي فقال رسول الله ﷺ: «أكُل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال : لا قال : «فأرجعه»(٣).

وفي لفظ : «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال : لا قال : «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»(٤).

وفي لفظ : «فأشهد على هذا غيري». ثم قال : «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء» قال : نعم قال: «فلا إذن»(٥).

٤) ومن مظاهر عناية الإسلام بالأسرة أنه أعلى شأن الوالدين وجعل برّهما من آكد الحقوق، والكلام على برّ الوالدين من الصعوبة بمكان أن يختصر في مثل هذه العجالة لما

---

(١) صحيح: مسلم (١١٥٤)

(٢) صحيح: البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٨)..

(٣) صحيح:البخاري (٢٥٨٦) ومسلم (١٦٢٢).

(٤) صحيح: البخاري (٢٥٨٣) ومسلم (١٦٢٢).

(٥) صحيح: مسلم (١٦٢٢).

في القرآن والسنة من النصوص الكثيرة المتظافرة في شأن بر الوالدين أضف إلى ما في الواقع من إخلال بهذا الواجب العظيم، وما من حقٍ قرنه الله بحقه بحرف العطف الواو إلا حق الوالدين بل قد جاء في المرتبة الثانية بعد الأمر بالعبادة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ... ﴾ الآية.

٥) ومن المظاهر كذلك أنه أمر بالتربية الحسنة، والأصل في التربية الحسنة من القرآن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ...﴾ قال علي رضي الله عنه : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم.

وقال قتادة : أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته وأن يقوم عليهم بأمر الله تعالى يأمرهم به ويساعدهم عليه فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها.

والأصل في التربية الحسنة من السنة قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»(١).

- أهم أسباب التفكك الأسري :

ونعني بالتفكك انحلال روابط الأسرة واضمحلال المحبة والمودة بين أفراد البيت الواحد فلا يكون للبيت دوره الرئيس في توجيه وضبط سلوك الأولاد وإنما هو عبارة عن مأوى للنوم والأكل وما شابه ذلك فحسب، ولا شك أن هذا أمر خطير لا بد من وضع الحلول المناسبة له ليعود البيت إلى وضعه الطبيعي.

ولكن قبل ذلك لا بد أن نعرف بعض الأسباب التي قد تؤدي إلى التفكك الأسري فمن ذلك :

١) عدم مراعاة أوامر الله في الحياة الأسرية.

فالمسلم ينبغي أن يسير في حياته وفق المنهج الرباني الذي أمر باتباعه قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ ومن أعظم أوامر الله التي يجب العناية الأكيدة بها

---

(١) صحيح: البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

الصلاة، ولذا فقد نص الله على متابعة الأهل عليها في القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله تعالى أن يصلي حتى إذا كان آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ويقول لهم : الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ رواه مالك في«الموطأ»[1].

وقد أثنى الله على نبيه إسماعيل عليه السلام فيما أثنى عليه بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

هذا هو حال القوم فما هو حالنا؟؟!! أحوال كثير منا مزرية ولا حول ولا قوة إلا بالله فهمُّ كثير منا مع أسرته: هل أكلوا هل شربوا هل لبسوا هل درسوا؟!!! أما هل صلوا هل أدوا ما أوجب الله عليهم؟؟ فلا رقيب ولا حسيب بل والله أعجب من ذلك !!! ابنه يريد الصلاة في المسجد فيمنعه !! وابنه يريد الصيام في رمضان فينهاه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول تعالى كما في الآية المتقدمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ....﴾ ووقاية الأهل من النار لا تكون إلا إذا راعى المسلم أوامر ربه في نفسه وفي من تحت يده.

قال الإمام الغزالي رحمه الله عند آداب الزوج : فإنه أمر أن يقيها (أي الزوجة) النار فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها، ويخوفها بالله إن تساهلت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه.أ.هـ

أقول : وهكذا على الرجل تجاه أولاده عليه أن يراعي أوامر الله فيهم وأن يتفقد أحوالهم الدينية كما يتفقد أحوالهم الدنيوية وهذا ما يجرنا إلى العنصر الثاني من عناصر التفكك الأسري وهو :

٢) عدم تربية الأولاد التربية الصالحة

فبعض الناس يظن أن أمر التربية أمر مستحب وطيب ولا حرج على الإنسان لو فرط

---

(١)(٢٤١)

فيه، وهو والله ظن خاطئ فأمر التربية واجب والإنسان محاسب على تفريطه ومسئول عن تساهله قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[١] فالأمر خطير والحساب عسير.

كما أن بعض الناس يظن أن التربية الصالحة فقط هي أن تحض الولد على الصلاة فقط وتسأله عن أدائها - مع أنها من أهم الأمور وهي رأس الأعمال الصالحة – لكن أن تتساهل في جوانب التربية الأخرى فهذا قد يقدم الصلاة نفسها للخطر فيتركها الولد إذا لم يكن هناك تكامل في جوانب التربية المختلفة.

وقد ذكر علماء التربية أن التربية الصالحة لها جوانب متعددة لعلنا نذكر ها باختصار وإيجاز:

التربية الإيمانية : وهي ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وتعويده منذ إدراكه أركان الإسلام وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء ويدخل في ذلك الصلاة قال ﷺ «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[٢]

التربية الخُلقية وهي الفضائل والسلوك التي يتلقنها الطفل ويعتاد عليها منذ تمييزه إلى أن يصبح مكلفاً فبين الإيمان والأخلاق صلة وثيقة.

روى الترمذي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال «ما نحل والد ولدًا من نُحلٍ أفضل من أدب حسن»[٣] والنُحل هو العطية.

فلا بد من تربية الأولاد على مكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والاستقامة واحترام الكبير وإكرام الضيف والمحبة للآخرين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما يمنعه عن الأخلاق الرذيلة كالكذب والسباب ونحوها

التربية الجسمية: وهذه أمرها معروف.يقول النبي ﷺ «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من

---

(١) صحيح: البخاري (٧١٥١) ومسلم (١٤٢).

(٢) حسن صحيح: أبو داود (٤٩٥).

(٣) ضعيف: الترمذي (١٩٥٢).

المؤمن الضعيف»[(١)] . ويقول ﷺ «كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يقوت»[(٢)] .

التربية العقلية : والمقصود بها تكوين فكر الأولاد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافية والتوعية الفكرية، فنحن في زمن قد صارت فيه الحرب حرب أفكار وقيم حتى أصبح كثير من الأعداء يحاول زعزعة ثوابت المسلمين بحجة الحوار والنقاش وهذا مرفوض رفضًا قاطعاً قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ...﴾ وللأسف فإن كثيرًا من المسلمين يزعزع هذه الثوابت عند أهله وهو لا يشعر وذلك ببثها في عقر بيته عن طريق القنوات الفاسدة المفسدة كما سيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

التربية الاجتماعية: وهي تربية الأولاد منذ نعومة أظفارهم على التزام الآداب الاجتماعية الفاضلة لأننا لا نعيش بمعزل عن الناس فلا بد من الاختلاط بهم فنحيي فيهم الشعور برابطة الإخوة الإسلامية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[(٣)] . وكذلك يحيي المربي لدى الأولاد شعور الإيثار وهو خلق رائع متقدم لا يتصف به إلا الكمّل من الناس وهو تفضيل الإنسان غيره على نفسه في بعض المصالح الدنيوية قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ وكذلك ينمي فيهم خلق العفو عن الآخرين ومراعاة حقوقهم وما إلى ذلك من الآداب الاجتماعية.

فإذا فقدت هذه الأنواع من أنواع التربية فلا شك أن هذا سيؤدي إلى تفكك بين الأسرة وإلى نفرة بين الأولاد ووالديهم وعلى حسب تكميل هذه الأنواع يكون ارتباط الأسرة وثيقاً.

---

(١) صحيح: مسلم (٢٦٦٤).

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه مسلم

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه
وما دان الفتى بحجيً ولكن يعوّده التدين أقربوه

ولعلنا نختم هذا العنصر بهذه القصة : فقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال : بلى. قال: فما هي؟ قال عمر : أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن.

قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك ؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً (أي خنفساء) ولم يعلمني من القرآن حرفًا واحدًا!! فالتفت عمر إلى الرجل وقال : جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك.

٣) من مظاهر التفكك الأسري إقرار المنكرات في البيوت.

ولعل هذا العنصر له ارتباط وثيق بالعنصر الأول وهو مراعاة أوامر الله في الحياة الأسرية فإذا راعى الوالدان أوامر الله تلاشت المنكرات أما إذا لم يراعيا أوامر الله وقصروا في ذلك فستشيع المنكرات في البيت وتضرب أطنابها فيه، وينبغي أيها الإخوة أن نعلم أن للذنوب والمعاصي شؤماً على الرجل وأهل بيته، يقول أحد السلف: إني لأعصي الله فأرى أثر ذلك في خُلق زوجتي ودابتي، وينبغي أن نعلم أن للمعاصي عقابًا من الله ما لم يتب العبد منها ويستغفر وأنها سبب البلاء والشر قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ ويقول جل في علاه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ويقول النبي ﷺ: «إن الله يغار وغيرة الله أن تنتهك محارمه» فكم من بيوت قد هدمها الله بسبب مبارزتهم له بالمعاصي صباح مساء، بل وكم من حياة أسرية قد قوضت خيامها من أول أيام الزواج بسبب إغضابهم للجبار في حفلات الأعراس، وإن من المتقرر في ديننا أنه لا يجوز السكوت عن المنكرات أيًا كانت قال ﷺ «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1] .

---

(١) صحيح: مسلم (٤٩).

ولا شك أن الوالدين في البيت لهما سلطة التغيير باليد ولا يجوز السكوت لأن القاعدة الراضي بالمنكر كالفاعل له قال تعالى عن قاتل ناقة صالح عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ مع أن الذي عقرها شخص واحد لكن البقية كانوا مقرين له فكانوا سواء.

وينبغي أن نعلم أن من أنواع الغضب المحمود الغضب إذا انتهكت حرمات الله فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نُمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل قالت: فعرفت في وجهه الكراهية فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ قال: «ما بال هذه النمرقة؟» فقالت اشتريتها لتقعد عليها وتتوسدها فقال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[1]. وقال: «إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»[2].

وفي زماننا هذا قد طمت منكرات البيوت وعمت وذلك بتخطيط مدروس من أعداء الملة والدين يصاحبه غفلة مطبقة من أهل الإسلام فانتشرت البلايا في البيوت في القنوات الفضائية التي لا تعرف الكلل ولا الملل في بث كل سم زعاف لأبناء المسلمين من فتن الشهوات والشبهات واستنزاف طاقاتهم بل وحتى أموالهم من خلال الشاشات أو شبكة المعلومات (الإنترنت) ومن المنكرات أيضًا تساهل كثير من الفتيات بالحجاب الشرعي ومحاكاتها للأزياء الغربية والشرقية فأصبحت تتلقف كل جديد في عالم الموضة كما يسمونها حتى أصبحت الفتاة التي ترتدي الحجاب الشرعي المنضبط بالضوابط الشرعية كأنها غريبة وما ذاك إلا بتساهل الوالدين عن منكرات بناتهم حتى لقد سمعت أحد الوالدين يقول عن ابنته المتبذلة التي تلبس ما لا يرضي الله: ما أستطيع أن أفعل لها شيئاً !!!! سبحان الله لو كانت هذه البنت مريضة بأبسط الأمراض فهل يا ترى يقول ذلك لها !!!! إذًا فما باله يسعى في علاجها من مرض الأبدان ولا يسعى في علاجها من مرض القلوب وهو أخطر وأشد.

(١) صحيح: البخاري (٢١٠٥) ومسلم (٢١٠٧).
(٢) صحيح: البخاري (٢١٠٥).

إن تهيئة الجو للمعصية في البيت لهو من أعظم أسباب التفكك الأسري الذي لا يرجى معه صلاح للأولاد لأن الأب لم يسلك سبيل الإصلاح فكما تدين تدان وما تزرعه اليوم تحصده غدًا.

ترجـــو النجــــاة ولم تـــسلك مـــسالكها   إن الـــسفينة لا تمـــشي علـــى اليـــبس

٤) ومن أسباب التفكك في الأسر أيضًا القسوة والشدة المفرطة في التربية أو اللين الزائد عن الحد.

روى مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «ما يكون الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»(١) فالأصل في معاملة الإنسان الرفق واللين إلا إن كان ما يستحق الشدة فلا بأس حينئذ وتكون محمودة.

فقـــسى ليزدجـــروا ومـــن يـــك حازمـــا   فلـــيقس أحيانـــا علـــى مـــن يـــرحم

فالقسوة الدائمة تنفر الناس من حولك ولو كنت أقرب قريب قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

أيها الأحبة وكما أن القسوة تكون بالفعل بالضرب ونحوه فإنها أيضًا تكون بالقول وذلك بالتوبيخ القارع والتحقير والسخرية والازدراء فكم والله فيها من تحطيم للأولاد وقتل الروح المعنوية في قلوبهم وشعورُهم أنهم لا يصلحون لشيء وهذا من أخطر الأمور في التربية لأن الأولاد في مثل هذه الحالة سيكونون عرضة لكل من يتلقفهم من شياطين الإنس والعوية لكل من يجرهم من السفهاء وهذا لا يرضى به الأبوان مع أنهم قد يكونون السبب في ذلك.

ومما يذكر في كتب السير أن معاوية رضي الله عنه أرسل إلى الأحنف بن قيس يسأله عن البنين فقال : هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم فإنهم يمنحونك ودهم ويحبونك جهدهم، ولا تكن ثقيلاً عليهم فيملوا

---

(١) صحيح: مسلم (٢٥٩٤).

حياتك ويتمنوا وفاتك.

وعلى العكس من ذلك اللين الزائد والتهاون يضر أكثر مما ينفع ويفسد أكثر مما يصلح فإن الأولاد سيتجرؤون على آبائهم وسيصلون إلى ما يعرف بالتدليل فكل ما يقوله الولد صحيح وكل ما يفعله حسن وكل ما يطلب يجاب إليه والخطأ منه صواب ويعيش مخدوماً آمرًا وناهيًا.

٥) بناء العلاقة على أساس الإتهام والشك والريبة.

الشك إذا تسلل إلى الحياة الزوجيّة أفسدها وهدّم بنيانها وصدّع فيها أركان الحب والألفة والودّ و الرحمة

فإن توجيهات الإسلام جاءت لتبني حصناً منيعاً أمام هذه العاصفة الهوجاء فمن ذلك نهيه ﷺ عن (ابتغاء الريبة) وتتبع الناس بالشك، حيث جاء في حديث أَبي أُمَامَةَ ﵁ عن النَّبِيّ ﷺ قال: «إِنَّ الأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ»(١).

وفي الحديث نهى رسول الله ﷺ إذا أطال الرجل الغيبة أن يأتي أهله طروقاً.(٢). وفي الرواية الأخرى: نهى أن يطرق أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم(٣).

وهكذا الأولاد لا ينبغي أن يشعروا أن أباهم يتخونهم ويشك فيهم دائمًا فهذا موجب للنفرة وللهروب من هذا الواقع المر في نظر الأبناء بل عليه أن يشعرهم أنهم محل ثقته وهذا لا يأتي من فراغ وإنما يكون بعد بذل الجهد فيما تقدم من أنواع التربية.

الطريق إلى السعادة الأسرية :

أيها الإخوة إن السعادة الأسرية مطمح لكل زوجين لكنها لا تكون إلا بأسباب يمكن من خلالها أن تكون الأسرة سعيدة ومن ذلك تجنب أسباب التفكك الأسري التي تقدم ذكرها، ومن ذلك أيضًا.

١) الحرص على التربية بالقدوة والموعظة.

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٨٨٩).

(٢) صحيح: البخاري (٥٢٤٣) ومسلم (٧١٥).

(٣) صحيح: مسلم (٧١٥).

فالقدوة هي من أنجع الوسائل المؤثرة في التربية وفي صلاح الأولاد وبالتالي صلاحِ الأسرة فإذا كان المربي صادقًا أمينًا كريمًا عفيفًا نشأ الولد على الصدق والأمانة والكرم والعفة، والعكس بالعكس وقد جاءني أب وقال : لقد نصحت أبنائي بالإقلاع عن التدخين فلم يستجيبوا !! فقلت له: وأنت هل تدخن؟ قال : نعم. قلت : فكيف تريد أن يقبلوا نصيحتك بلسانك، وأنت تحثهم على التدخين بفعلك !!!

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم

فإذا استقام حال المربي وأصبح قدوة صالحة لولده ثم رأى من ذلك الولد خللاً وسلوكاً غير صحيح فإن عليه بالموعظة والنصيحة والتوجيه وهي من أهم الوسائل للمربي ولذلك فقد جاءت الموعظة في القرآن الكريم كثيراً فمن ذلك على سبيل المثال :

وعظ لقمان لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ..﴾ وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا..﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..﴾ وقوله تعالى ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾

والموعظة كما يقول ابن منظور : النصح والتذكير بالعواقب.

٢) ومما يكون طريقاً إلى السعادة الأسرية إيجاد البدائل للمخالفات الشرعية.

بمعنى أن المربي عندما ينهى أولاده عن المخالفات فإنه يُوجِد لهم البديل من ما أباحه الله وأحله، وفي الحلال غنية عن الحرام وأن ما أحله الله لنا بنعمته وفضله أضعاف أضعاف ما حرمه علينا.

وإيجاد البديل الشرعي قد جاءت به النصوص فمن ذلك أن النبي ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال رسول ﷺ : أكل تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال رسول الله ﷺ: «لا تفعل، بع

الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيباً»[1].

وهكذا بالنسبة للأسرة فقد يكون بعض الأولاد قد اتخذ صحبة لا خير عندهم فيوجه الأب الولد إلى اتخاذ الرفقاء الطيبين الصالحين الذين يدلونه على الخير ويعينونه عليه وهكذا البنت، وقد يعج البيت بآلات المعازف والغناء فيُستبدل بالقرآن الكريم والمحاضرات المفيدة والخطب النافعة وبعض الأناشيد الطيبة التي لا تحوي على مخالفات شرعية، وكذلك توجد في البيت قنوات فضائية هابطة تدعو للرذيلة وتشجع عليها ولسنا بحاجة إلى أن نبرهن ذلك فيستبعد الأب ذلك الشر ويستبدله بما فيه الخير والنفع ومن أفضل القنوات المشهود لها بالخير والدعوة إليه والمحافظة على الآداب الشرعية إلى حد كبير – والكمال لله وحده – قناة المجد الفضائية فهي رائدة في عالم الإعلام الإسلامي الهادف.

كذلك يستبدل المجلات الهابطة التي لا نفع فيها ولا فائدة إلا إثارة الغرائز بالمجلات النافعة المفيدة كمجلة الأسرة ومجلة البيان والمجتمع والشقائق والتوحيد وغيرها من الإسلامية، وهكذا يوجه ما كان سلاحاً ذا حدين إلى ما هو نافع ومفيد كجهاز الحاسب الآلي وشبكة المعلومات الإنترنت فإن فيها من الخير الشيء الكثير كما لا يخفى لكن يحتاج الأمر إلى متابعة وسؤال أهل الخبرة عن طريقة استبعاد مواقع الشر والإباحية وكذلك بالإمكان وضع مكتبة ولو صغيرة في البيت تكون مرجعاً للأسرة تحتوي على أنواع من العلوم في التفسير والحديث والفقه والعقيدة والزهد والرقائق وغيرها من العلوم النافعة الأخرى وفي كل من هذه العلوم ولله الحمد كتب مختصرة يحصل بها تبسيط العلوم.

٣) ومن طرق السعادة الأسرية إيجاد جو أسري تسوده المحبة والألفة بل والمرح أحياناً.

وهنا نطرح سؤالاً: لماذا إذا دخل كثير من الأولاد إلى بيوتهم علتهم موجة من الكآبة والضيق فأصبحوا يصرخون على إخوتهم بغلظة وفظاظة وإذا خرجوا خارج البيت هشوا وبشوا وكأنهم كانوا في سجن؟!!

---

(١) صحيح: البخاري (٢٣٠١).

لا شك أن مثل هؤلاء قد فقد الجو الأسري الممتع الذي تسوده المحبة والألفة والدعابة أحياناً وهذا منهج نبوي كريم فقد روي أن النبي ﷺ كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما ويقول: نعم الجمل جملكما ونعم العِدلان أنتما»[1].

بل أحيانًا يكون ﷺ يخطب فيقبل الحسن والحسين في المسجد يمشيان ويتعثران فيقطع حديثه ويحملهما، وهكذا بالنسبة للأولاد الكبار فإنه يداعبهم بما يناسبهم من القصص والمناقشة والأسئلة والألغاز المفيدة وتخصيص بعض الأيام للاجتماع الأسري الذي تطرح فيه القضايا التي تهم الجميع وما إلى ذلك أو قراءة كتب نافعة ومفيدة، فيتناقشون فيما بينهم وهذا من أفضل الأساليب وهو ما يجرنا إلى العنصر الرابع وهو:

٤) فتح قنوات المصارحة والحوار الهادئ بعيدًا عن التعنيف والاتهام.

إن قضية المصارحة بين الأولاد ووالديهم لا تحدث إلا بعد سلسلة من الثقة المتبادلة والاحترام المتبادل وبناء جسور المودة والمحبة وإذا وصل الأبوان إلى مرحلة المصارحة فقد فُتح لهما فتحٌ مبينٌ فبالمصارحة يعرف الأبوان ما الذي يهم الأبناء ويتشاركون معهم في وضع الحلول المناسبة، وهذا لا يمكن أن يتأتى لأب قد اتخذ من أسلوب الإهانة والسخرية بالأولاد شعارًا له.

وأما الحوار الهادئ فهو أنجع سبيل لحل المشاكل فقد تفزع الأولاد من الصراخ ورفع الأصوات اعتراضًا عليهم من الأبوين، فهلا استبدلوه بالحوار الهادئ؟! وهذا له فوائد معنوية وصحية أيضًا:

١) فهم الموضوع على وجهه الصحيح.

٢) وضع الحل المناسب للمشكلة.

٣) تعزيز روح الثقة بالنفس وإبداء الرأي عند الأولاد.

٤) الأمن من التصرفات غير المحمودة كالضرب للأولاد وطردهم من البيت وربما

---

(١) «الضعيفة» (٢٦٦١) المختصر.

يكون الأمر أهون من ذلك.

٥) البعد عن المشاكل الصحية كارتفاع ضغط الدم والتهاب القولون وغير ذلك من الأمراض.

أهمية بناء الأسرة والألفة في بيت الزوجية

وإن من أعظم ما يؤثر في ذلك على الفرد وعلى الجماعة: بناء الأسرة واستقامتها على الحق؛ فالله سبحانه بحكمته جعلها المأوى الكريم الذي هيأه للبشر من ذكر وأنثى.. يستقر فيه ويسكن إليه، يقول - جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه - ممتنًا على عباده: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

نعم، ليسكن إليها، ولم يقل ليسكن معها، مما يؤكد معنى الاستقرار في السلوك والهدوء في الشعور، ويحقق الراحة والطمأنينة بأسمى معانيها؛ فكلّ من الزوجين يجد في صاحبه الهدوء عند القلق، والبشاشة عند الضيق.

إن أساس العلاقة الزوجية: الصحبة والاقتران القائمان على الودّ والأنس والتآلف. إنَّ هذه العلاقة عميقة الجذور بعيدة الأَماد، إنها أشبه ما تكون صلة للمرء بنفسه، بينها كتاب ربنّا بقوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧].

فضلًا عما تُهَيّئه هذه العلاقة من تربية البنين والبنات وكفالة النشء.. التي لا تكون إلا في ظلِّ أمومة حانية وأبوَّةٍ كادحة.. وأيُّ بيئةٍ أزكى من هذا الجو الأسري الكريم؟

معالم البيت السعيد

هناك ثلاثة معالم ينبغي أن تتوفر في البيت المسلم هي: السكينة، والمودة، والتراحم:

وأعني بالسكينة: الاستقرار النفسي؛ فتكون الزوجة قرة عين لزوجها، لا يعدوها إلى أخرى، كما يكون الزوج قرة عين لامرأته لا تفكر في غيره.

أما المودة: فهي شعور متبادل بالحب يجعل العلاقة قائمة على الرضا والسعادة

ويجيء دور الرحمة: لنعلم أن هذه الصفة أساس الأخلاق العظيمة في الرجال والنساء على حد سواء، فالله سبحانه يقول لنبيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وليست الرحمة لونًا من الشفقة العارضة، وإنما هي نبع للرقة الدائمة ودماثة الخلق وشرف السيرة.

وعندما تقوم البيوت على السكن المستقر، والود المتصل، والتراحم الحاني فإن الزواج يكون أشرف النعم، وأبركها أثرًا.

إذًا فمعادلة استقرار البيوت واستمرارها راسخة لا تتأثر بريح عاتية ولا تتزعزع لظروف مفاجئة تهز البنيان وتعود الأركان مبناها على أمرين اثنين هما :التفاهم والحب؛ والحب هو سبيل التفاهم.

إذًا: تفاهم + حب = بيت سعيد مستقر.

والتفاهم ينشأ من حسن الاختيار والتجاوب النفسي والتوافق بين الرجل والمرأة في الطباع والاتفاق بشأن الأولاد والانفاق والتجاوب في العلاقة الجنسية.

أما الحب فهو ذلك الميل القلبي نحو الزوج أو الزوجة، حيث إن الله فطر الرجل والمرأة على ميل كل منهما إلى الآخر وعلى الأنس به والاطمئنان إليه، ولذا منّ الله على عباده بذلك فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

وهذا الميل الفطري والأنس الطبعي مجراه الطبيعي هو الزواج، وهذه هي العلاقة الصحيحة التي شرعها الله بين الرجل والمرأة؛ فمن أحب زوجته وعاشرها بالمعروف سيرجى أن تكون لها ذرية صالحة تنشأ في دفء العلاقة الحميمة بين أبوين متحابين متراحمين، وهكذا يفرز لنا الحب أسرًا قوية البنيان لتفرزها لنا هي الأخرى مجتمعًا متين

الأركان.

وهذا هو الحب في الإسلام بين الرجل والمرأة إنه حب عفيف لا ريبة فيه ولا دغل، حب يخدم الأسرة والمجتمع والأمة.

وإذا كانت البيوت تبنى على الحب فإن دمارها يبدأ من جفاف المشاعر، ومع أن الأسرة في عصرنا الحاضر قد تعيش في بحبوحة من العيش، تملك الكثير من متاع الدنيا، لكنها تبحث عن السعادة فلا تجدها، والسبب في ذلك أن المشاعر قد جفت وانحصرت، وأصبحت هشيمًا، وهذه العلاقة أصبحت كجسد لا روح فيه توشك أن تنقضي وتقع وتنهار، والجميع يعرف حقوقه ولكنه دائمًا ما ينسى تمامًا واجباته.

ومع زحمة الحياة وتصارع وتيرة الهموم والأهداف والطموح قد ينسى الزوج أو تنسى الزوجة أهمية رعاية شجرة الحب بينهما وقد يظنا أن العلاقة بينهما قوية ومتينة وأن الحب راسخ، ومع مرور الأيام تضعف الشجرة وتصبح عرضة لأي ريح عاصفة تسقطها، وتدمرها وينهار البيت والسبب هو جفاف المشاعر.

والحفاظ على المشاعر والعلاقة العاطفية غضة طرية ندية، ليس معناه أن لا يختلف الرجل مع زوجه أبدًا، ومن هو الذي خلا من الأخطاء والعيوب، ولكن هناك فرقًا بين العتاب وتصحيح الخطأ، وبين القسوة وجفاف المشاعر، وكلنا ذوو خطأ ولكن يبقى الحب وتبقى المشاعر.

ويجب أن نفرق بين الخطأ وبين الشخص الذي أخطأ وهناك قاعدة تقول: فرق بين الفعل والفاعل فالفاعل زوجي وحبيبي، والفعل تصرف خاطئ، وهذه القاعدة الجليلة هي إحدى طرق السعادة والتغيير الفعال وحسن الاتصال.

ويجب على كل من الزوجين التغاضي عن بعض ما لا يحب أن يراه في الآخر، ويضع كلاهما في حسبانه أنه إذا كره في الآخر صفة فلا بد أن تكون فيه صفة أخرى تشفع له. وهذا هو بعينه ما أشار إليه الرسول ﷺ حين قال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقًا رضي**

منها آخر»[١]

ضمانات لاستقرار الأسرة

أولاً: موافقة الفطرة:

كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل السعادة في الأسرة والاستقرار لها منوط بالقيام بالوظائف والتكاليف التي وزعها على أفرادها.

فإذا كان الرجل رجلاً وفي مكانه الصحيح قائماً بما عليه من واجبات والمرأة امرأة وفي مكانها السليم من حيث الخلق والتشريع وقائمة بما أوجب الله عليها، وكذلك الأبناء أبناء حقيقيون قائمون بما أوجب الله عليهم من طاعة لوالديهم وحب وتقدير لهم.

أقول: إذا كان كل واحد من هؤلاء في مكانه الصحيح استقامت أحوال الأسرة فإذا اختل شيء منها اختل الآخر.

فلو تأبت المرأة مثلاً أن تنجب أولاداً بدعوى أن في هذا تعطيلاً لملاذها وشهوتها فإنها أول من تشقى بذلك نفسياً وروحياً.

وإذا قامت الزوجة بهذا الذي خلقها الله سبحانه من أجله فإنها مع شقائها وتعبها ووهنها تسعد أيما سعادة، وليس هناك سعادة عند المرأة تعادل إحساسها بتحرك الجنين في أحشائها، وبصراخ الطفل نحوها، وبسهرها ليلة في جوار سريره.

مع تعبها العظيم من كل ذلك.

ولكن الرب الرحيم جعل في هذه المشقات التي كتبها عليها كتابة كونية قدرية سعادة نفسية هائلة وهذا الأمر نفسه متحقق في طاعة الزوجة للواجبات الشرعية التي كلفها الله بها.

فسعادة المرأة في طاعة زوجها، وترك رأيها لرأيه وإذعانها أحياناً لرغباته وإرضائها له فليس

---

(١) أخرجه: مسلم وغيره.

هناك أسعد من زوجة وفية مخلصة في كنف زوج بار مخلص عفيف - واليوم الذي تظن فيه المرأة أنها أصبحت نداً للرجل وأن رأيها يجب أن يكون قبل رأيه، وأن رأسها يجب أن تكون معادلة لرأسه أقول هذا الوقت تبدأ شقاوتها وتعاستها.

نخرج من كل هذا بفائدة هامة وهي أن نعلم جميعاً أن سعادتنا رجالاً ونساءً منوطة بأن نكون عند الأوامر الشرعية التي وزعها الله علينا فالرجل السعيد في حياته الزوجية هو الرجل القائم بالواجبات التي كلفه الله بها والمطالب بالحقوق التي أعطاها الله له، والمرأة السعيدة هي المرأة القائمة بالواجبات التي كلفها الله بها والمطالبة بالحقوق التي منحها الرب إياها. وأي إخلال أو اختلال بهذه الحقوق والواجبات الشرعية معناه الهدم للنظام الأسري وبالتالي الهدم للسعادة والاستقرار.

ثانياً: الحكمان عند الخلاف:

الزوج والزوجة قد يختلفان ويصل الخلاف إلى نقطة لا يستطيعان علاجها بمفردهما. وهنا أمر الله سبحانه وتعالى برد هذا الخلاف إلى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

وذلك أن الفرد قد يملك القدرة أحياناً على حل مشاكل الآخرين ولكنه يعمى عن مشكلة نفسه. فمهما كان الرجل حكيماً عالماً فإنه في مشاكله الخاصة يكون أقل قدرة على الحل ولذلك نجد أن كثيراً من النساء ينجحون كثيراً في الصلح والتوفيق بين الناس، ولكنهم قد يفشلون أحياناً في حل مشاكلهم أنفسهم، ولذلك كان واجب الاستعانة بالآخرين وخاصة المرأة يساعدها كثيراً أن ينوب عنها في حل بعض مشاكلها المعقدة مع زوجها أن تلجأ إلى أب أو عم أو أخ يملك القدرة على فهم أمورها والوصول إلى حلول لمشاكلها مع زوجها. فإذا عجز الزوج أن يصل مع زوجته إلى حل لمشكلة ما. فإن الواجب أن يرد هذه المشكلة إلى حكم من أهله وحكم من أهلها.

والحكمة في اختياره من الأهل ألا تنتشر أسرار البيوت، وأن لا يعير الأبناء بما كان من أخلاق في الآباء، فاللجوء إلى المحاكم والقضاة في كل مشاكل الزواج أمر في غاية

الخطورة لأن علاقة الزوج بزوجته علاقة خاصة جداً، وتنشأ المشاكل كثيراً في هذه العلاقات الخاصة.

ونشر هذه العيوب في المحاكم وأمام القضاة والشهود إنما هو فضح للأسرار، وكسر للقلوب فحتى لو تم الصلح أمام القاضي فإن المشكلة ستبقى لأنه ولا بد أن يخرج إلى الناس أسراراً كان يحب كل من الزوج والزوجة أن تظلا مخفية ولذلك كان من رحمته وإرشاده سبحانه وتعالى أمرنا بدعوة الحكمين عند الخلاف المستعصي.

والأمر في بعث الحكمين قال بعض العلماء: هو خطاب للزوجين، وقال آخرون: بل خطاب لولي الأمر، قول ثالث: إنه خطاب للمؤمنين الذي يطلعون على ما حدث بين الزوجين من خلاف، والصحيح أنه خطاب عام وذلك أن استقرار الزواج لا يهم الزوجين فقط وإنما يهم ولي الأمر، لأن هذا من شئون الرعية التي استرعاه الله إياها، ويهم كل مسلم لأن المؤمنين كالجسد الواحد ولا بد أن تفزع إذا اشتكى عضو، وشقاق الأزواج من أعظم الآلام والمشاكل ولذلك كان لا بد من الاهتمام به ولا شك أن مشاكل الزوجين تهمهما أولاً ولذلك وجب عليهما في المقام الأول أن يلجأ إلى الحكمين إذا تعذر عليهما الحل وبهذه الضمانة تبقى الأسرة الإسلامية في إطارها الصحيح من الاستقرار والثبوت ونستطيع أن نلخص هذه القواعد فيما يأتي:

(أ) أن يؤدى عقد الزواج بشروطه كما أمر الله سبحانه وتعالى من رضا وشهود، وولي، ومهر، وكفاءة وغير ذلك من شروط.

(ب) أن نمتنع عن كل ما يبطل هذا العقد كفقد شرط من الشروط السابقة أو نلجأ إلى نكاح محرم كنكاح الشغار والتحليل والنكاح المؤقت.

(ج) أن نحذر من أن نضع في عقد النكاح شرطاً ليس في كتاب الله كاشتراط العصمة وغير ذلك من الشروط الفاسدة التي تفسد العقد أو تمنع نفاذه وأن نوفي بالشروط التي التزمنا بها كما قال ﷺ: «إن أحق الشروط بالوفاء ما استحللتم من الفروج».

(د) أن يقوم كل من الرجل والمرأة بالحقوق والواجبات التي كلفهم الله بها وأن يعلم كل منهما أن تعديه على حق الآخر إنما هو هدم لنظام رباني وهو تماماً كهدم الفطرة والخلق

لأن الحكم من عند الله والخلق من عنده فكما خلق فهو يحكم سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فكما أن الخلق له فالأمر له سبحانه وتعالى، وكل من عارض الخلق شقي وكذلك كل من عارض أمره سبحانه وتعالى شقي ولا بد.

(هـ) أن يعلم كل من الرجل والمرأة الفطرة التي فطرهما الله سبحانه وتعالى عليها، فإذا عرف المرء نفسه عرف كيف يعالجها ويقومها وإذا جهلها جهل سبل التقويم والعلاج بل والصلاح أيضاً، فكيف يسعد نفسه من يجهلها؟ وكذلك أن يعرف الرجل شيئاً عن طبيعة المرأة ونفسيتها، وأن تعرف المرأة شيئاً عن طبيعة الرجل الخاصة ونفسيته وكيف يحب وكيف يكره وهذا العلم ضروري لإحسان التعامل بين كل من المرأة والرجل.

(و) أن يلجأ الزوج والزوجة إذا استشرى بينهما خلاف إلى أقرب حكم ناصح من أهله ليساعدهما على الخروج من خلافهما وبذلك يضمنان سعادة وحلاوة لزواج إسلامي نظيف طاهر.

نصائح لإصلاح البيوت[1]

النصيحة الأولى: حسن اختيار الزوجة:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].

ينبغي على صاحب البيت انتقاء الزوجة الصالحة بالشروط التالية:

«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

---

(١) من كتاب (أربعون نصيحة لإصلاح البيوت) بتصرف.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

«الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(١).

«ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة»(٢).

وفي رواية «وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس»(٣).

«تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»(٤).

«عليكم بالأبكار فإنهن أنتق رحمًا، وأعذب أفواهًا، وأرضى باليسير»(٥). وفي رواية «وأقل خبًا»(٦) أي: خداعًا.

وكما أن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء، كما جاء في الحديث الصحيح و فيه قوله: «فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، ومن الشقاء: المرأة التي تراها فتسوؤك،وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك»(٧).

وفي المقابل لابد من التبصر في حال الخاطب الذي يتقدم للمرأة المسلمة، والموافقة عليه حسب الشروط التالية:

«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(٨).

ولابد في كل ما سبق من حسن السؤال وتدقيق البحث وجمع المعلومات والتوثق من المصادر والأخبار حتى لا يفسد البيت أو ينهدم.

والرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتًا صالحًا لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٨٥٦).

(٣) صحيح: «صحيح الجامع» (٤٤٠٩).

(٤) حسن صحيح:أبو داود (٢٠٥٠).

(٥) حسن: ابن ماجه (١٨٦١).

(٦) حسن: «صحيح الجامع» (٤٠٥٣).

(٧) حسن: «صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(٨) حسن: الترمذي (١٠٨٤).

النصيحة الثانية: السعي في إصلاح الزوجة . . .

إذا كانت الزوجة صالحة فبها ونعمت وهذا من فضل الله، وإن لم تكن بذاك الصلاح، فإن من واجبات رب البيت السعي في إصلاحها. وقد يحدث هذا في حالات منها:

أن يتزوج الرجل امرأة غير متدينة أصلًا ؛ لكونه لم يكن مهتمًا بموضوع التدين هو نفسه في مبدأ أمره، أو أنه تزوجها على أمل أن يصلحها، أو تحت ضغط أقربائه مثلًا، فهنا لابد من التشمير في عملية الإصلاح.

ولابد أن يعلم الرجل أولًا أن الهداية من الله، والله هو الذي يصلح، ومن منه على عبده زكريا قوله فيه: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠].

سواء كان إصلاحًا بدنيًا أو دينيًا، قال ابن عباس: كانت عاقرًا لا تلد فولدت، وقال عطاء: كان في لسانها طول فأصلحها الله ولاستصلاح الزوجة وسائل منها:

١- الاعتناء بتصحيح عبادتها لله بأنواعها على ما سيأتي تفصيله.

٢- السعي لرفع إيمانها في مثل:

٣- حضها على قيام الليل.

٤- وتلاوة الكتاب العزيز.

٥- وحفظ الأذكار والتذكير بأوقاتها ومناسباتها.

٦- وحثها على الصدقة.

٧- قراءة الكتب الإسلامية النافعة.

٨- سماع الأشرطة الإسلامية المفيدة ؛ العلمية منها والإيمانية ومتابعة إمدادها بها.

٩- اختيار صاحبات لها من أهل الدين تعقد معهن أواصر الأخوة، وتتبادل معهن الأحاديث الطيبة والزيارات الهادفة.

درء الشر عنها وسد منافذه عليها، بإبعادها عن قرينات السوء وأماكن السوء.

النصيحة الثالثة: اجعل البيت مكانا لذكر الله:

قال ﷺ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»[١].

فلابد من جعل البيت مكانًا للذكر بأنواعه ؛ سواء ذكر القلب، وذكر اللسان، أو الصلوات وقراءة القرآن، أو مذاكرة العلم الشرعي وقراءة كتبه المتنوعة.

وكم من بيوت المسلمين اليوم هي ميتة بعدم ذكر الله فيها، كما جاء في الحديث،بل ما هو حالها إذا كان ما يذكر فيها هو ألحان الشيطان من المزامير والغناء، والغيبة والبهتان والنميمة؟!

وكيف حالها وهي مليئة بالمعاصي والمنكرات، كالاختلاط المحرم والتبرج بين الأقارب من غير المحارم، أو الجيران الذين يدخلون البيت؟!

كيف تدخل الملائكة بيتًا هذا حاله؟! فأحيوا بيوتكم رحمكم الله بأنواع الذكر.

النصيحة الرابعة: اجعلوا بيوتكم قبلة:

والمقصود اتخاذ البيت مكانًا للعبادة.

قال الله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة يونس الآية ٨٧.

قال ابن عباس: أمروا أن يتخذوها مساجد.

قال ابن كثير: وكان هذا - والله أعلم – لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة:١٥٣]. وفي الحديث: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى»[٢].

وهذا يبين أهمية العبادة في البيوت وخصوصًا في أوقات الاستضعاف، وكذلك ما يحصل في بعض الأوضاع عندما لا يستطيع المسلمون إظهار صلاتهم أمام الكفار. ونتذكر في هذا المقام أيضًا محراب مريم وهو مكان عبادتها الذي قال الله فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[آل عمران:٣٧].

---

(١)صحيح: مسلم (٧٧٩).

(٢)حسن: أبو داود (١٣١٩).

وكان الصحابة يحرصون على الصلاة في البيوت – في غير الفريضة – وهذه قصة معبرة في ذلك:

عن محمود بن الربيع الأنصاري، أن عتبان بن مالك – وهو من أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم، وهو ممن شهدوا بدرًا من الأنصار- أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ! قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله».

قال عتبان:فغدا رسول الله ﷺ، وأبو بكر حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي في بيتك؟» قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم(١).

النصيحة الخامسة: التربية الإيمانية لأهل البيت:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، يصلي من الليل فإذا أوتر قال:«قومي فأوتري يا عائشة»(٢).

وقال ﷺ: «رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء».

وترغيب النساء في البيت بالصدقة مما يزيد الإيمان، وهو أمر عظيم حث عليه النبي ﷺ،بقوله: «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار».

ومن الأفكار المبتكرة وضع صندوق للتبرعات في البيت للفقراء والمساكين، فيكون كل ما دخل فيه ملكًا للمحتاجين ؛ لأنه وعاؤهم في بيت المسلم. وإذا رأى أهل البيت قدوة بينهم يصوم أيام البيض، والاثنين والخميس، وتاسوعاء، وعاشوراء، وعرفة، وكثيرًا من المحرم وشعبان، فسيكون دافعًا لهم على الاقتداء به.

النصيحة السادسة: الاهتمام بالأذكار الشرعية والسنن المتعلقة بالبيوت:

---

(١) صحيح: مسلم (٧٠٤٤).

(٢) حسن صحيح: أبو داود (١٣٠٨).

ومن أمثلة ذلك:

أذكار دخول المنزل:

روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال:«إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعم، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإن دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال:أدركتم المبيت،وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[(١)].

أذكار الخروج من المنزل:

روى أبو داود في «سننه» أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك قد هديت، وكفيت ووقيت، فيتنحى له الشيطان فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟»[(٢)].

السواك:

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ف، إذا دخل بيته بدأ بالسواك» .[(٣)]

النصيحة السابعة: مواصلة قراءة سورة البقرة في البيت لطرد الشيطان منه:

وفي هذا عدة أحاديث ومنها:

قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[(٤)]. وقال رسول الله ﷺ:«اقرؤا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة»[(٥)].

وعن فضل الآيتين الأخيرتين منها، وأثر تلاوتهما في البيت قال ﷺ: «إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وهو عند العرش، وأنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة

---

(١) صحيح: مسلم (٢٠١٨).

(٢) صحيح: أبو داود (٥٠٩٥).

(٣) صحيح: مسلم (٢٥٣).

(٤) صحيح: مسلم (٧٨٠).

(٥) صحيح: «صحيح الجامع» (١١٧٠).

البقرة، ولا يقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان»[١].

النصيحة الثامنة: تعليم أهل البيت:

فريضة شرعية لابد أن يقوم بها رب الأسرة إنفاذًا لأمره تعالى في الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

وهذه الآية أصل في تعليم أهل البيت وتربيتهم، وأمرهم بالمعروف،ونهيهم عن المنكر،وإليك أيها القارئ الكريم بعضا مما قاله المفسرون في هذه الآية، بشأن ما يجب على رب الأسرة:

قال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به، ويساعدهم عليه.

وقال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه.

وقال علي رضي الله عنه: علموهم وأدبوهم.

وقال الطبري: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب.

وإذا كان رسول الله ﷺ حث على تعليم الإماء وهن أرقاء فما بالك بأولادك وأهلك الأحرار.

قال البخاري: في «صحيحه»: باب تعليم الرجل أمته وأهله. ثم ساق حديثه ﷺ: **«ثلاثة لهم أجران.... ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»**[٢].

قال ابن حجر: في شرح الحديث: مطابقة الحديث للترجمة – أي عنوان الباب – في الأمة بالنص، وفي الأهل بالقياس، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء.

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٨٨٢).

(٢) (٩٧).

وفي غمرة مشاغل الرجل ووظيفته وارتباطاته قد يغفل عن تفريغ نفسه لتعليم أهله، فمن الحلول لهذا أن يخصص يومًا يجعله موعدًا عامًا لأهل البيت، وحتى غيرهم من الأقرباء لعقد مجلس علم في البيت، ويعلم الجميع بهذا الموعد، فينضبط حضورهم فيه، ويتشجعوا لإتيانه، ويصبح ملزمًا أمامهم، وعند نفسه بالحضور، وإليك ما حصل منه ﷺ في هذا الشأن.

قال البخاري: باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم، وساق حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قالت النساء للنبي ﷺ: **«غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»**[1]

قال ابن حجر: ووقع في رواية سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة بنحو هذه القصة فقال: **«موعدكن بيت فلانة، فأتاهن فحدثهن»**[2].

ويؤخذ من الحديث تعليم النساء في البيوت، وحرص نساء الصحابة على التعلم، وأن توجيه الجهود إلى الرجال فقط دون النساء تقصير كبير من الدعاة وأرباب البيوت.

النصيحة التاسعة: اصنع نواة لمكتبة إسلامية في بيتك:

مما يساعد في تعليم أهل البيت، وإتاحة المجال لتفقههم في الدين وإعانتهم على الالتزام بأحكام الشريعة؛ عمل مكتبة إسلامية في البيت. وليس بالضرورة أن تكون كبيرة، ولكن العبرة بانتقاء الكتب المهمة، ووضعها في مكان يسهل تناولها وحث أهل البيت على قراءتها. فركن في مجلس البيت الداخلي نظيف ومرتب، ومكان مناسب لشيء من الكتب، في غرفة نوم، وفي مجلس الضيوف، يتيح المجال للفرد في البيت كي يقرأ باستمرار.

ومن إتقان المكتبة - والله يحب الإتقان - أن تحتوي على مراجع تصلح لبحث المسائل المختلفة، وتنفع الأولاد في المدارس، وأن تحتوي على كتب ذات مستويات مختلفة، تصلح للكبار والصغار، والرجال والنساء، وكتب من أجل الإهداء للضيوف وأصدقاء

---

(١) (١٠١).

(٢) «الصحيحة» (٢٦٨٠).

الأولاد، وزوار العائلة مع الحرص على الطبعات الجذابة المحققة والمخرجة الأحاديث، ويمكن الاستفادة من معارض الكتاب لإنشاء مكتبة البيت بعد استشارة أهل الخبرة بالكتب.

ومما يساعد في العثور على الكتاب ترتيب المكتبة حسب الموضوعات، فكتب التفسير على رف، والحديث على آخر.. والفقه على ثالث..وهكذا، ويقوم أحد أفراد العائلة بعمل فهرس ألف بائي وموضوعي، لتسهيل البحث عن الكتب. وقد يتساءل كثير من الحريصين عن أسماء كتب إسلامية لمكتبة البيت.

وهاك أخي القارئ اقتراحات بهذا الشأن:

التفسير: تفسير ابن كثير، تفسير ابن سعدي، زبدة التفسير للأشقر، بدائع التفسير لابن القيم، أصول التفسير لابن عثيمين، لمحات في علوم القرآن لمحمد الصباغ.

الحديث: صحيح الكلم الطيب، عمل المسلم في اليوم والليلة أو الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة ، رياض الصالحين وشرحه نزهة المتقين، مختصر صحيح البخاري للزبيدي، مختصر صحيح مسلم للمنذري، وللألباني» صحيح الجامع الصغير، وضعيف الجامع الصغير، صحيح الترغيب والترهيب، السنة ومكانتها في التشريع، وقواعد وفوائد من الأربعين النووية لناظم سلطان.

العقيدة: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تحقيق الأرناؤوط ، أعلام السنة المنشورة للحكمي محقق ، شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الألباني، سلسلة العقيدة لعمر سليمان الأشقر ٨ أجزاء، أشراط الساعة د. يوسف الوابل.

الفقه: منار السبيل لابن ضويان مع إرواء الغليل للألباني، زاد المعاد، المغني لابن قدامة، فقه السنة، الملخص الفقهي لصالح الفوزان، مجموعة فتاوى العلماء عبد العزيز بن باز، محمد صالح العثيمين، عبد الله بن جبرين ، صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ الألباني والشيخ عبد العزيز بن باز، ومختصر أحكام الجنائز للألباني.

الأخلاق وتزكية النفوس: تهذيب مدارج السالكين، الفوائد، الجواب الكافي، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لابن القيم، لطائف المعارف لابن رجب، تهذيب موعظة المؤمنين، غذاء الألباب.

السير والتراجم: البداية و النهاية لابن كثير، مختصر الشمائل المحمدية للترمذي اختصار الألباني، الرحيق المختوم للمباركفوري، العواصم من القواصم لابن العربي تحقيق الخطيب والاستانبولي، المجتمع المدني ١-٢ للشيخ أكرم العمري، سير أعلام النبلاء، منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل السلمي.

كما أن هناك عددًا من الكتب الجيدة في المجالات المختلفة، فمنها:

كتب الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتب العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وكتب الشيخ عمر بن سليمان الأشقر، وكتب الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، وكتب الأستاذ محمد محمد حسين، وكتب الشيخ محمد جميل زينو،وكتب الأستاذ حسين العوايشة في الرقائق، وكتاب الإيمان لمحمد نعيم ياسين، والولاء والبراء للشيخ محمد سعيد القحطاني، والانحرافات العقدية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لعلي بن بخيت الزهراني، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية لعبد الله الشبانة، المرأة بين الفقه والقانون لمصطفى السباعي، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون لمروان كجك، المرأة المسلمة إعداداتها ومسئولياتها لأحمد أبا بطين، مسئولية الأب المسلم في تربية ولده لعدنان باحارث، وحجاب المسلمة لأحمد البرازي، وكتاب وجاء دور المجوس لعبد الله محمد الغريب، وكتب الشيخ بكر أبو زيد، وأبحاث الشيخ مشهور حسن سلمان.

وغير هذا كثير من النافع الطيب، وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر، وهناك في عالم الكتيبات أشياء كثيرة نافعة، سيطول بنا المقام إذا أردنا السرد، فعلى المسلم الاستشارة والتمعن للانتقاء. ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

النصيحة العاشرة: المكتبات الصوتية في البيت:

المسجل في كل بيت ممكن أن يعمل في الخير أو في الشر، فكيف نؤثر في استخدامه ليكون مرضيًا لله؟

من الوسائل لتحقيق ذلك: عمل مكتبة صوتية في البيت تحوي طائفة من الأشرطة الإسلامية الجيدة، للعلماء والقراء والمحاضرين، والخطباء والوعّاظ.

إن سماع أشرطة التلاوة الخاشعة من أصوات بعض أئمة صلاة التراويح مثلا، له تأثير

عظيم على الأهل في البيت، من جهة تأثرهم بمعاني التنزيل، أو حفظهم من جراء تكرار ما يسمعون، وكذلك من جهة حمايتهم بالسماع القرآني عن السماع الشيطاني من الألحان والأغاني، لأن الآذان والصدور لا يصلح أن يختلط فيها كلام الرحمن بمزمار الشيطان.

وكم لأشرطة الفتاوى من أثر في تفقيه أهل البيت بالأحكام المختلفة، التي يتعرضون لها يوميًا في حياتهم، ومما يقترح في هذا الجانب سماع الفتاوى المسجلة للعلماء أمثال الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ محمد العثيمين والشيخ صالح الفوزان، وغيرهم من الثقات في العلم والدين.

ولابد أن يعتني المسلمون بالجهة التي يأخذون عنها الفتوى، لأن هذا دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فالأخذ عمن عُلم بصلاحه وتقواه، وورعه واعتماده على الأحاديث الصحيحة، وعدم تعصّبه المذهبي، وسيره مع الدليل، والتزامه بالمذهب الوسط فلا تشدد ولا تساهل، هو الخبير الذي نسأله ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [سورة الفرقان الآية: ٥٩].

والسماع للمحاضرين الذين يعملون على توعية الأمة، وإقامة الحجة، وإنكار المنكر، أمر مهم في بناء شخصية الفرد في البيت المسلم.

والأشرطة كثيرة والمحاضرين كثر والمهم أن يعرف المسلم سمات المنهج الصحيح للمحاضر حتى يحرص على أشرطته ويطمئن لسماعها.

ومن تلك السمات:

* أن يكون على عقيدة الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، ملتزمًا بالسنة مفارقًا للبدعة، وسطًا في منهجه لا من الغالين ولا من المفرطين المتساهلين.

* أن يعتمد الأحاديث الصحيحة ويحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

* أن يكون على بصيرة بحال الناس وواقع الأمّة، يضع الدواء على موضع الداء، ويقدّم للناس ما يحتاجون إليه.

* أن يكون قوّالًا للحق ما أمكنه، لا يتكلم بالباطل ولا يرضي الناس بسخط الله.

وكم وجدنا في أشرطة الأطفال من تأثير كبير عليهم، سواء في حفظهم لسور متعددة من قارئ صغير يتلو، أو أذكار اليوم والليلة وآداب إسلامية، وأناشيد هادفة، ونحو ذلك.

إن وضع الأشرطة في أدراج بطريقة مرتبة تُسهّل الوصول إليها من ناحية، وتحافظ على الأشرطة من التلف وعبث الأطفال من ناحية أخرى، ولابد أن نسعى في نشر الشريط الجيد إهدائه أو إعارته للغير بعد سماعه. ووجود مسجل في المطبخ يفيد ربة البيت كثيرًا، وكذا في غرفة النوم يساعد على الاستفادة من الوقت لآخر لحظة.

النصيحة الحادية عشرة: دعوة الصالحين والأخيار وطلبة العلم للزيارة في البيت:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

إن دخول أهل الإيمان بيتك يزيده نورًا، ويحصل بسبب أحاديثهم وسؤالهم والنقاش معهم من الفائدة أمور كثيرة، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، وجلوس الأولاد والإخوان والآباء وسماع النساء من وراء حجاب لما يُقال فيه تربية للجميع، وإذا أدخلت خيّرًا منعت سيّئًا من الدخول والتخريب.

النصيحة الثانية عشرة: تعلم الأحكام الشرعية للبيوت:

ومن ذلك:

الصلاة في البيت:

أما الرجل فيقول ﷺ في شأنه: «**أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»(١).

فالواجب أن تصلي في المسجد إلا من عذر، وقال رسول الله ﷺ أيضًا: «**تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده**»(٢).

وأما المرأة كلما كان مكان صلاتها أعمق كان أفضل، لقوله ﷺ: «**خير صلاة النساء في قعر بيوتهن**»(٣).

أن لا يؤم غيره في بيته، ولا يقعد في مكان صاحب البيت إلا بإذن: قال رسول الله ﷺ «**لا يُؤَمُّ الرجل في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه**».

---

(١) صحيح: البخاري (٧٣١).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (٢٩٥٣).

(٣) صحيح: «صحيح الجامع» (٣٣١١).

أي لا يتقدم عليه بالإمامة ولو كان غيره أقرأ منه في مكان يملكه، أو له فيه سلطة كصاحب البيت في بيته أو إمام المسجد، وكذلك لا يجوز لأحد أن يجلس في الموضع الخاص بصاحب البيت من فراش أو سرير إلا بإذنه.

الاستئذان:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [النور:٢٨،٢٧].

﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

* جواز دخول البيوت التي ليس فيها أحد بغير استئذان إذا كان للداخل فيها متاع كالبيت المعد للضيف: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾ [النور:٢٩].

* عدم التحرج في الأكل من بيوت الأقرباء والأصدقاء، وما ملك المرء مفتاحه من بيوت الأقرباء والأصدقاء من بيوت الآخرين إذا كانوا لا يكرهون ذلك:

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗا﴾

[النور:٦١].

* أمر الأطفال والخدم بعدم اقتحام غرفة نوم الأبوين بغير استئذان في أوقات النوم المعتادة: قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، خشية أن تقع أعينهم على ما لا يناسب، ولو رأوا شيئًا عرضًا في غير هذه الأوقات فيغتفر، لأنهم من الطوافين الذين يشق منعهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٨].

* تحريم الاطلاع في بيوت الآخرين بغير إذنهم: قال رسول الله ﷺ: «من اطلع في بيت قوم بغير إذن ففقأوا عينه فلا دية له ولا قصاص».

* عدم خروج ولا إخراج المطلقة الرجعية من بيتها طيلة وقت العدة مع الإنفاق عليها: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١].

* جواز هجر الرجل لامرأته الناشز في البيت أو في خارج البيت حسب المصلحة الشرعية: فأما هجرها في البيت فدليله قول الله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٣٤].

وأما هجرها خارج البيت فكما وقع لرسول الله ﷺ حينما هجر نسائه في حُجرهن، واعتزل في مشربة خارج بيوت نسائه.

* ولا يبيت وحيدًا في البيت: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن الوحدة، أن يبيت الرجل وحده أو أن يسافر وحده.

وهذا النهي لما في الوحدة من الوحشة ونحوها، كهجوم عدو أو لص أو مرض، فوجود الرفيق معه يدفع عنه طمع العدو واللص ويسعفه عند المرض.

* لا ينام على ظهر بيت ليس له سور حتى لا يسقط: قال رسول الله ﷺ: «من بات على ظهر بيت ليس له حجار، فقد برئت منه الذمة»(١).

وذلك أن النائم قد يتقلب في نومه فإذا كان على سطح ليس له حجار أو حجاب يحجب الإنسان عن الوقوع ويمنعه من التردي والسقوط، فقد يسقط فيموت، فعند ذلك لا يؤاخذ أحد بموته فتبرأ منه الذمة، أو أنه قد تسبب بإهماله في عدم كلاءة الله له وحفظه إياه، لأنه لم يأخذ بالأسباب.

(١) حسن: «صحيح الترغيب» (٣٠٧٨).

* قطط البيوت لا تنجس الإناء إذا شربت منه ولا الطعام إذا أكلت منه: عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه وُضع له وضوءه فولغ فيه السنور «الهر»، فأخذ يتوضأ، فقالوا: يا أبا قتادة ! قد ولغ فيه السنور، فقال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «السنور من أهل البيت، وإنه من الطوافين،والطوافات عليكم»[1].

وفي رواية: «إنها ليست بنجس إنها من الطوافين والطوافات عليكم»[2].

النصيحة الثالثة عشرة: إتاحة الفرصة لاجتماعات تناقش أمور العائلة:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى الآية: ٣٨].

عندما تتاح الفرصة لأفراد العائلة بالجلوس سويًا في وضع مناسب لمناقشة أمور داخلية أو خارجية تتعلق بالعائلة، فإن ذلك يعد علامة على تماسك الأسرة وتفاعلها وتعاونها، ولا شك أن الرجل الذي ولاه الله أمور رعيته في بيته هو المسئول الأول، وصاحب القرار ولكن إتاحة المجال للآخرين - وخصوصًا عندما يكبر الأولاد - يكون فيه تربية لهم على تحمل المسئولية بالإضافة إلى ارتياح الجميع لإحساسهم بأن آراءهم ذات قيمة عندما يُسألون إبداءها.

ومن الأمثلة على ذلك مناقشة الأمور التي تتعلق بالحج أو عمرة رمضان وغير ذلك من الإجازات، والسفر لصلة رحم، أو ترويح مباح، وتنظيم الأعراس ووليمة الزفاف، أو عقيقة المولود، أو الانتقال من بيت لآخر، ومشروعات خيرية، كإحصاء فقراء الحي، وتقديم المساعدات، أو إرسال الطعام لهم، وكذلك مناقشة أوضاع العائلة ومشكلات الأقارب وكيفية الإسهام في حلها وهكذا.

تجدر الإشارة هنا إلى نوع آخر مهم من أنواع الاجتماعات، وهو جلسات المصارحة بين الأبوين وأولادهما، فإن بعض المشكلات التي تعرض لبعض البالغين لا يمكن حلها إلا بجلسات انفرادية، يخلو الأب بابنه يناجيه في مسائل تتعلق بمشكلات الشباب، وسن

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٣٦٩٤).
(٢) حسن صحيح: أبو داود (٧٥).

المراهقة، وأحكام البلوغ، وكذلك تخلو الأم بابنتها لتلقنها ما تحتاج إليه من الأحكام الشرعية، وتساعدها في حل المشكلات التي تعرض في مثل هذه السن، واستهلال الأب والأم الكلام بمثل عبارة «عندما كنت في مثل سنك..» له أثر كبير في التقبل، وانعدام مثل هذه المصارحات هو الذي يقود هؤلاء لمفاتحة قرناء السوء وقرينات السوء، فينتج عن ذلك شر عظيم.

النصيحة الرابعة عشرة: عدم إظهار الخلافات العائلية أمام الأولاد:

يندر أن يعيش جماعة في بيت دون نوع من الخصومات، والصلح خير والرجوع إلى الحق فضيلة. ولكن مما يزعزع تماسك البيت، ويضر بسلامة البناء الداخلي هو ظهور الصراعات أمام أهل البيت، فينقسمون إلى معسكرين أو أكثر، ويتشتت الشمل، بالإضافة إلى الأضرار النفسية على الأولاد وعلى الصغار بالذات، فتأمل حال بيت يقول الأب فيه للولد:لا تكلم أمك، وتقول الأم له: لا تكلم أباك، والولد في دوامة وتمزق نفسي، والجميع يعيشون في نكد.

فلنحرص على عدم وقوع الخلافات، ولنحاول إخفاءها إذا حصلت، ونسأل الله أن يؤلف بين القلوب.

النصيحة الخامسة عشرة: عدم إدخال من لا يُرضى دينه إلى البيت:

قال رسول الله ﷺ: «ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير»[1].

وفي رواية البخاري: «وكير الحداد يُحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة» أي والله يحرق بيتك بأنواع الفساد والإفساد، كم كان دخول المفسدين والمشبوهين سببًا لعداوات بين أهل البيت، وتفريق بين الرجل وزوجته، ولعن الله من خبّب امرأة على زوجها، أو زوجًا على امرأته، وسبب عداوة بين الأب وأولاده، وما أسباب وضع السحر في البيوت أو حدوث السرقات أحيانًا وفساد الخلق كثيرًا إلا بعد إدخال من لا يُرضى دينه، فيجب عدم الإذن بدخوله، ولو كان من الجيران، رجالًا ونساءً، أو من المتظاهرين بالمصادقة رجالًا ونساءً،

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٨٢٩).

وبعض الناس يسكتون تحت وطأة الإحراج، فإذا رآه على الباب أذن له، وهو يعلم أنه من المفسدين.

وتتحمل المرأة في البيت جزءًا عظيمًا من هذه المسئولية، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟؟»، قالوا: يوم الحج الأكبر، ثم قال ﷺ، في ثنايا خطبته الجامعة في ذلك اليوم: «فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون»(١).

فلا تجدي في نفسك أيتها المرأة المسلمة إذا منع زوجك أو أبوك دخول إحدى الجارات إلى البيت، لما يرى من أثرها في الإفساد، وكوني لبيبة حازمة إذا عقدت لك مقارنات بين زوجها وزوجك، تنتهي بدفعك لمطالبة زوجك بأمور لا يطيقها. والنصح عليك واجب لزوجك إذا لاحظت أن من ندمائه في بيته أناسًا يزينون له المنكر.

هدية: حاول أن تكون موجودًا في البيت كلما استطعت، فوجود ولي الأمر في بيته يضبط الأمور، ويمكنه من الإشراف على التربية وإصلاح الأحوال بالمراقبة والمتابعة، وعند بعض الناس أن الأصل هو الخروج من البيت، فإذا لم يجد مكانًا يذهب إليه رجع إلى البيت، وهذا مبدأ خاطئ، فإذا كان خروج المرء من بيته لأجل طاعات، فعليه الموازنة، وإذا كان خروجه للمعاصي وضياع الأوقات أو الانشغال الزائد بالدنيا، فعليه أن يخفف من المشاغل والتجارات، ويحسم اللقاءات الفارغة. بئس القوم يضيعون أهليهم، ويسهرون في الملاهي...، ونحن لا نريد الانسياق وراء مخططات أعداء الله.

وهذه فقرة فيها عبرة:

جاء في نشرة المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي المنعقدة عام ١٩٢٣م ما يلي: وبغية التفريق بين الفرد وأسرته، عليكم أن تنتزعوا الأخلاق من أسسها، لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة، لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة.

---

(١) صحيح: مسلم (١٢١٨).

النصيحة السادسة عشرة: الدقة في ملاحظة أحوال أهل البيت:

من هم أصدقاء أولادك؟ هل سبق أن قابلتهم أو تعرفت عليهم؟ ماذا يجلب أولادك معهم من خارج البيت؟ إلى أين تذهب ابنتك ومع من؟

بعض الآباء لا يدري أن في حوزة أولاده صورًا سيئة، وأفلامًا خالعة، وربما مخدرات، وبعضهم لا يدري أن ابنته تذهب مع الخادمة إلى السوق، وتطلب منها أن تنتظر مع السائق ثم تذهب لموعدها مع أحد الشياطين، والأخرى تذهب لتشرب الدخان عند قرينة سوء تعبث معها، وهؤلاء الذين يفلتون أولادهم لن يفلتوا من مشهد يوم عظيم، ولن يستطيعوا الهرب من أهوال يوم الدين: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»[1].

وهنا نقاط مهمة:

- يجب أن تكون المراقبة خفية.
- لا لأجواء الإرهاب.
- يجب أن لا يحس الأولاد بفقدان الثقة.
- ينبغي أن يراعى في النصح أو العقاب أعمار الأولاد ومداركهم ودرجة الخطأ.
- حذار من التدقيق السلبي وإحصاء الأنفاس، روى لي شخص أن أحد الآباء عنده كمبيوتر يخزن فيه أخطاء أولاده بالتفصيل، فإذا حصل خطأ أرسل إليه استدعاء وفتح الخانة الخاصة بالولد في الجهاز، وسرد عليه أخطاء الماضي مع الحاضر.

التعليق: لسنا في شركة، وليس الأب هو الملك الموكل بكتابة السيئات، وليقرأ هذا الأب المزيد في أصول التربية الإسلامية.

وأعرف في المقابل أناسًا يرفضون التدخل في شئون أولادهم بتاتًا بحجة أن الولد لن يقتنع بأن الخطأ خطأ والذنب ذنب إلا بأن يقع فيه، ثم يكتشف خطأه بنفسه، وهذا الاعتقاد المنحرف ناتج عن رضاع من لبن الفلسفة الغربية، وفطام على مبدأ إطلاق الحريات

---

(١) حسن: «صحيح الجامع» (١٧٧٤).

المذموم فتعست المرضعة، وبئست الفاطمة، ومنهم من يفلت الزمام لولده خشية أن يكرهه بزعمه، ويقول: أكسب حبه مهما فعل، وبعضهم يطلق العنان لولده كردة فعل عما حصل له مع أبيه في السابق من نوع شدة خاطئة، فيظن أنه يجب أن يعمل العكس تمامًا مع ولده، وبعضهم يبلغ به السفول لدرجة أن يقول: دع الابن والبنت يتمتعان بشبابهما كما يريدان، فهل يفكر مثل هؤلاء بأن أبناءهم قد يأخذون بتلابيبهم يوم القيامة فيقول الولد: لِمَ تركتني يا أبي على المعصية؟!

النصيحة السابعة عشرة: الاهتمام بالأطفال في البيت:

ولهذا جوانب عديدة منها:

تحفيظ القرآن والقصص الإسلامية: لا أجمل من جمع الأب أولاده ليقرئهم القرآن مع شرح مبسط، ويقدم المكافآت لحفظه، وقد حفظ صغار سورة الكهف من تكرار تلاوة الأب لها كل جمعة، وتعليم الولد من أصول العقيدة الإسلامية كمثل التي وردت في حديث: «احفظ الله يحفظك»[1]، وتعليمه الآداب والأذكار الشرعية، كأذكار الأكل والنوم، والعطاس والسلام، والاستئذان.

ولا أشد تنبيهًا وأقوى تأثيرًا في الطفل من سرد القصص الإسلامية على مسامعه.

ومن هذه القصص: قصة نوح عليه السلام، والطوفان، وقصة إبراهيم عليه السلام، في تكسير الأصنام وإلقائه في النار، وقصة موسى عليه السلام في نجاته من فرعون وإغراقه، وقصة يونس عليه السلام في بطن الحوت، ومختصر قصة يوسف عليه السلام، وسيرة محمد ﷺ مثل البعثة والهجرة، وشيء من الغزوات كبدر والخندق، وغيرها كقصته ﷺ مع الرجل والجمل الذي كان يُجيعه ويُجهده، وقصص الصالحين، كقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع المرأة وأولادها الجياع في الخيمة، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الجنة في سورة «ن»، والثلاثة أصحاب الغار، وغيرها كثير طيب، يلخص ويبسط مع تعليقات ووقفات خفيفة، يغنينا عن كثير من القصص المخالفة للعقيدة والخرافية أو المخيفة

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٥١٦).

التي تفسد واقعية الطفل، وتورث فيه الجبن والخوف.

حذار من خروج الأولاد مع من هب ودب: فيرجعون إلى البيت بالألفاظ والأخلاق السيئة، بل يُنتقى ويُدعى من أولاد الأقرباء والجيران من يلعب معهم في المنزل.

الاهتمام بلعب الأولاد المسلية والهادفة: وعمل غرفة ألعاب أو خزانة خاصة،يرتب فيها الأولاد ألعابهم، وتجنب الألعاب المخالفة للشريعة: كالأدوات الموسيقية وما فيه صلبان أو نرد.

ومن الجيد توفير ركن هوايات للفتيان كالنجارة والإلكترونيات، والميكانيكا، وبعض ألعاب الكمبيوتر المباحة، وبهذه المناسبة ننبه إلى خطورة بعض أشرطة الكمبيوتر المصممة لتعرض صور النساء في غاية السوء على شاشة الجهاز، أو ألعاب فيها صلبان، حتى ذكر أحدهم أن إحدى الألعاب هي لعبة قمار مع الكمبيوتر، وينتقي اللاعب صورة فتاة من أربع فتيات يظهرن على الشاشة تمثل الطرف الآخر، فإذا فاز في اللعبة خرجت له صورة الفتاة في أسوأ منظر جائزة الفوز.

التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع: وهذا من الفروق في ترتيب بيوت أهل الدين وغيرهم ممن لا يهتمون بهذا.

المازحة والملاطفة: كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال يمسح رؤوسهم، ويتلطف في مناداتهم، ويعطي أصغرهم أول الثمرة، وربما ارتحله بعضهم.

وفيما يلي مثالان على مداعبته ﷺ للحسن والحسين، عن أبي هريرة س قال: كان رسول الله ﷺ ليدلع لسانه لحسن بن علي، فيرى الصبي حُمرة لسانه فيبهش له أي أعجبه وجذبه فأسرع إليه.

وعن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه فقبله.

النصيحة الثامنة عشرة: الحزم في تنظيم أوقات النوم والوجبات:

بعض البيوت حالها كالفنادق لا يكاد قاطنوها يعرف بعضهم بعضًا، وقلما يلتقون.

بعض الأولاد يأكل متى شاء وينام متى شاء، ويتسبب في السهر ومضيعة الوقت، وإدخال الطعام على الطعام، وهذه الفوضوية تتسبب في تفكك الروابط، واستهلاك الجهود والأوقات، وتنمي عدم الانضباط في النفوس، قد تعذر أصحاب الأعذار، فالطلاب يتفاوتون في مواعيد الخروج من المدارس والجامعات، ذكورًا وإناثًا، والموظفون والعمال وأصحاب المحلات ليسوا سواء، ولكن ليست هذه الحالة عند الجميع، ولا أحلى من اجتماع العائلة الواحدة على الطعام، واستغلال الفرصة لمعرفة الأحوال والنقاشات المفيدة، وعلى رب الأسرة الحزم في ضبط مواعيد الرجوع إلى المنزل، والاستئذان عند الخروج، خصوصًا للصغار - صغار السن أو صغار العقل - الذين يُخشى عليهم.

النصيحة التاسعة عشرة: تقويم عمل المرأة خارج البيت:

شرائع الإسلام يكمل بعضها بعضًا،وعندما أمر الله النساء بقوله: «وقرن في بيوتكن» [الأحزاب /٣٣]، جعل لهن من ينفق عليهن وجوبًا كالأب والزوج.

والأصل أن المرأة لا تعمل خارج البيت إلا لحاجة، كما رأى موسى عليه السلام ابنتي الرجل الصالح على الماء تذودان غنمهما تنتظران، فسألهما:﴿ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ [القصص الآية ٢٣].

فاعتذرتا حالًا عن خروجهما لسقي الغنم،لأن الولي لا يستطيع العمل لكبر سنه لذا صار الحرص على التخلص من العمل خارج البيت حالما تسنح الفرصة ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص الآية ٢٦].

فبينت هذه المرأة بعبارتها رغبتها في الرجوع إلى بيتها لحماية نفسها، من التبذل والذي قد تتعرض له بالعمل خارج البيت.

وعندما احتاج الكفار في العصر الحديث لعمل النساء بعد الحربين العالميتين، لتعويض النقص الحاصل في الرجال، وصار الوضع حرجًا من أجل إعادة إعمار ما خربته الحرب، وواكب ذلك المخطط اليهودي في تحرير المرأة، والمناداة بحقوقها بقصد إفساد المرأة، وبالتالي إفساد المجتمع تسربت مسألة خروج المرأة للعمل.

وعلى الرغم من أن الدوافع عندنا ليست كما هي عندهم، والفرد المسلم يحمي حريمه

وينفق عليهن، إلا أن حركة تحرير المرأة نشطت، ووصل الأمر إلى المطالبة بابتعاثها إلى الخارج، ومن ثم المطالبة بعملها حتى لا تذهب هذه الشهادات هدرًا وهكذا، و إلا فالمجتمعات الإسلامية ليست بحاجة لهذا الأمر على هذا النطاق الواسع الحاصل، ومن الأدلة على ذلك وجود رجال بغير وظائف مع استمرار فتح مجالات العمل للنساء.

وعندما نقول: «على هذا النطاق الواسع»، فإننا نعني ذلك لأن الحاجة إلى عمل المرأة في بعض القطاعات كالتعليم والتمريض والتطبيب بالشروط الشرعية حاجة قائمة، وإنما قدمنا تلك المقدمة لأننا لاحظنا أن بعض النساء يخرجن للعمل دون حاجة، وأحيانًا براتب زهيد جدًّا، لأنها تحس أنها لا بد أن تخرج لتعمل حتى ولو كانت غير محتاجة، ولو في مكان غير لائق بها، فوقعت فتن عظيمة.

ومن الفروق الرئيسية بين المنهج الإسلامي لقضية عمل المرأة، والنهج العلماني أن التصور الإسلامي للقضية يعتبر أن الأصل هو: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، والخروج للحاجة، «أُذن لكن أن تخرجن في حوائجكن».

والنهج العلماني يقوم على أن الخروج هو الأصل في جميع الحالات.

ولأجل العدل في القول نقول:إن عمل المرأة قد يكون حاجة فعلًا، كأن تكون المرأة هي المعيل للأسرة بعد زوج ميت، أو أب عاجز، ونحو ذلك، بل إنه في بعض البلدان نتيجة لعدم قيام المجتمع على أسس إسلامية تضطر الزوجة إلى العمل لتغطي مصروف البيت مع زوجها، ولا يخطب الرجل إلا موظفة، بل اشترط بعضهم على زوجته في العقد أن تعمل !!

والخلاصة: فقد يكون عمل المرأة للحاجة أو لأجل هدف إسلامي، كالدعوة إلى الله في مجال التعليم، أو تسلية كما يقع لبعض من ليس لها أولاد.

وأما سلبيات عمل المرأة خارج البيت فمنها:

* ما يقع كثيرًا من أنواع المنكرات الشرعية، كالاختلاط بالرجال، والتعرف بهم والخلوة المحرمة، والتعطر لهم، وإبداء الزينة للأجانب، وقد تكون النهاية هي الفاحشة.

* عدم إعطاء الزوج حقه،وإهمال أمر البيت، والتقصير في حق الأولاد.

* نقصان المعنى الحقيقي للشعور بقوامة الرجل في نفوس بعض النساء فلنتصور امرأة

تحمل شهادة مثل شهادة زوجها، أو أعلى «وهذا ليس عيبًا في ذاته»، وتعمل براتب قد يفوق راتب زوجها، فهل ستشعر هذه المرأة بشكل كاف بحاجتها إلى زوجها وتتكامل لديها طاعة الزوج، أم أن الإحساس بالاستغناء قد يسبب مشكلات تزلزل كيان البيت من أساسه، إلا من أراد الله بها خيرًا، وهذه مشكلات النفقة على الزوجة الموظفة والإنفاق على البيت لا تنتهي.

* الإرهاق الجسدي والضغط النفسي والعصبي الذي لا يناسب طبيعة المرأة.

وبعد هذا العرض السريع لمصالح ومفاسد عمل المرأة نقول: لا بد من تقوى الله، ووزن المسألة بميزان الشريعة، ومعرفة الحالات التي يجوز فيها للمرأة أن تخرج للعمل، من التي لا تجوز، وأن لا تعمينا المكاسب الدنيوية عن سلوك سبيل الحق، والوصية للمرأة لأجل مصلحتها، ومصلحة البيت، وعلى الزوج ترك الإجراءات الانتقامية وألا يأكل مال زوجته بغير حق.

النصيحة العشرون: حفظ أسرار البيوت:

وهذا يشمل أمورًا منها:

* عدم نشر أسرار الاستمتاع.
* عدم تسريب الخلافات الزوجية.
* عدم البوح بأي خصوصية يكون إظهارها ضرر بالبيت أو أحد أفراده.

فأما المسألة الأولى فدليل تحريمها: قوله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[(١)].

ومعنى يفضي: أي يصل إليها بالمباشرة والمجامعة كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة النساء الآية ٢١].

ومن أدلة التحريم أيضًا حديث أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: «لعل رجلًا يقول ما يفعله بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها» فأرم القوم «أي سكتوا» فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن ! وإنهم ليفعلون !! قال: «فلا تفعلوا

---

(١) صحيح: مسلم (١٤٣٧).

فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون»[(١)].

وفي رواية لأبي داود: «هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه، وألقى عليه ستره، واستتر بستر الله؟» قالوا: نعم، قال: «ثم يجلس بعد ذلك فيقول فعلت كذا، فعلت كذا» فسكتوا، ثم أقبل على النساء، فقال: «هل منكن من تحدث؟» فسكتن، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتها، وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله إنهم ليحدثون، وإنهن ليحدثن، فقال: «هل تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانًا في السكة، فقضى حاجته والناس ينظرون إليه».

وأما الأمر الثاني وهو تسريب الخلافات الزوجية خارج محيط البيت، فإنه في كثير من الأحيان يزيد المشكلة تعقيدًا، وتدخل الأطراف الخارجية في الخلافات الزوجية يؤدي إلى مزيد من الجفاء في الغالب، ويُصبح الحل بالمراسلة بين اثنين هما أقرب الناس لبعضهما، فلا يلجأ إليه إلا عند تعذر الإصلاح المباشر المشترك وعند ذلك نفعل كما أمر الله: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [سورة النساء الآية ٣٥].

والأمر الثالث: وهو الإضرار بالبيت أو أحد أفراده - بنشر خصوصياته - وهذا لا يجوز لأنه داخل في قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١].

فقد نقل ابن كثير: في تفسير هذه الآية ما يلي: «فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت أهل المدينة ممن يعمل السوء».

النصيحة الحادية والعشرون: إشاعة خلق الرفق في البيت:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله -عز وجل- بأهل بيت خيرًا أدخل

(١) حسن: «صحيح الجامع» (٤٠٠٨).

عليهم الرفق»(١).

وفي رواية أخرى: **«إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق»**(٢).

أي صار بعضهم يرفق ببعض، وهذا من أسباب السعادة في البيت، فالرفق نافع جدًا بين الزوجين، ومع الأولاد، ويأتي بنتائج لا يأتي بها العنف كما قال ﷺ: **«إن الله يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»**(٣).

النصيحة الثانية والعشرون: معاونة أهل البيت في عمل البيت:

كثير من الرجال يأنفون من العمل البيتي، وبعضهم يعتقد أن مما ينقص من قدره ومنزلته أن يخوض مع أهل البيت في مهنتهم.

فأما رسول الله ﷺ فقد كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم.

قالت ذلك زوجته عائشة ﵂ لما سُئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته فأجابت بما شاهدته بنفسها، وفي رواية: كان بشرًا من البشر يفلي «يُنقي» ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه.

وسُئلت ﵂ أيضًا ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته،قالت:كان يكون في مهنة أهله-تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

فإذا فعلنا ذلك نحن اليوم نكون قد حققنا عدة مصالح:

اقتدينا برسول الله ﷺ. ساعدنا أهلينا. شعرنا بالتواضع وعدم الكبر. وبعض الرجال يطالب زوجته بالطعام فورًا، والقدر فوق النار، والولد يصرخ يريد الرضاع، فلا هو يمسك الولد، ولا هو ينتظر الطعام قليلًا، فلتكن هذه الأحاديث تذكرة وعبرة.

النصيحة الثالثة والعشرون: الملاطفة والممازحة لأهل البيت:

ملاطفة الزوجة والأولاد من الأسباب المؤدية إلى إشاعة أجواء السعادة والألفة في

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٣٠٣).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (١٧٠٤).

(٣) صحيح: مسلم (٢٥٩٣).

البيت، ولذلك نصح رسول الله ﷺ جابرًا أن يتزوج بكرًا، وحثه بقوله: «فهلا بكرًا تُلاعبها وتُلاعبك وتضاحكها وتضاحكك»(١). وقال ﷺ: «كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لهو ولعب إلا أربع، ملاعبة الرجل امرأته..»(٢). وكان ﷺ يلاطف زوجته عائشة وهو يغتسل معها، كما قالت ﵂: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد، فيبادرني حتى أقول: دع لي دع لي، قالت: وهما جنبان».

وأما ملاطفته ﷺ للصبيان فأشهر أن تذكر، وكان كثيرًا ما يلاطف الحسن والحسين كما تقدم، ولعل هذا من الأسباب التي تجعل الصبيان يفرحون بمقدمه ﷺ من السفر فيُهرعون لاستقباله كما جاء في الحديث الصحيح: «كان إذا قدم من سفر تُلقي بصبيان أهل بيته»(٣) وكان ﷺ يضمهم إليه كما قال عبد الله بن جعفر: «كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلقي بنا، فتُلقي بي وبالحسن أو بالحسين، قال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه حتى دخلنا المدينة»(٤).

قارن بين هذا وبين حال بعض البيوت الكئيبة لا فيها مزاح بالحق، وملاطفة ولا رحمة. ومن ظن أن تقبيل الأولاد يتنافى مع هيبة الأب فليقرأ هذا الحديث.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم».

النصيحة الرابعة والعشرون: مقاومة الأخلاق الرديئة في البيت:

لا يخلو فرد من الأفراد في البيت من خلق غير سوي كالكذب أو الغيبة والنميمة ونحوها، ولابد من مقاومة هذه الأخلاق الرديئة.

وبعض الناس يظن أن العقوبة البدنية هي العلاج الوحيد في مثل هذه الحالات، وفيما يلي حديث صحيح تربوي في هذا الموضوع، عن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله: إذا اطّلع

---

(١) صحيح: البخاري (٢٩٦٧) ومسلم (٧١٥).
(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (٤٥٣٤).
(٣) صحيح: مسلم (٢٤٢٨).
(٤) صحيح: مسلم (٢٤٢٨).

على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضًا عنه حتى يحدث توبة»..

ويتبين من الحديث أن الأعراض والهجر بترك الكلام والالتفات من العقوبات البليغة في مثل هذا الحال، وربما كان أبلغ أثرًا من العقاب البدني، فليتأمله المربون في البيوت.

النصيحة الخامسة والعشرون: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت»

التلويح بالعقوبة من وسائل التأديب الراقية، ولذلك جاء بيان السبب من تعليق السوط أو العصا في البيت، وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه آدب لهم» (١).

ورؤية أداة العقاب معلقة يجعل أصحاب النوايا السيئة يرتدعون عن ملابسة الرذائل خوفًا أن ينالهم منه نائل، ويكون باعثًا لهم على التأدب والتخلق بالأخلاق الفاضلة، قال ابن الأنباري: لم يرد به الضرب به لأنه لم يأمر بذلك أحدًا، وإنما أراد لا ترفع أدبك عنهم.

والضرب ليس هو الأصل أبدًا، ولا يلجأ إليه إلا عند استنفاد الوسائل الأخرى للتأديب، أو الحمل على الطاعات الواجبة، كما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾ [النساء الآية ٣٤]. على الترتيب ومثل حديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر» (٢).

أما استعمال الضرب دون الحاجة فإنه اعتداء ورسول الله ﷺ نصح امرأة أن لا تتزوج من رجل لأنه لا يضع العصا عن عاتقه أي ضراب للنساء، أما من يرى عدم استخدام الضرب مطلقًا تقليدًا لبعض نظريات الكفار في التربية، فرأيه خاطئ يخالف النصوص الشرعية.

النصيحة السادسة والعشرون: الحذر من دخول الأقارب غير المحارم على المرأة في البيت عند غياب زوجها.

النصيحة السابعة والعشرون: فصل النساء عن الرجال في الزيارات العائلية.

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٤٠٢١).

(٢) حسن صحيح: أبو داود (٤٩٥).

النصيحة الثامنة والعشرون: الانتباه لخطورة السائقين والخادمات في البيوت.

النصيحة التاسعة والعشرون: أخرجوا المخنثين من بيوتكم.

النصيحة الثلاثون: احذر أخطار الشاشة.

النصيحة الحادية والثلاثون: الحذر من شر الهاتف.

النصيحة الثانية والثلاثون: يجب إزالة كل ما فيه رمز لأديان الكفار الباطلة أو معبوداتهم وآلهتهم.

النصيحة الثالثة والثلاثون: إزالة صور ذوات الأرواح.

النصيحة الرابعة والثلاثون: امنعوا التدخين في بيوتكم.

النصيحة الخامسة والثلاثون: إياك واقتناء الكلاب في البيوت.

النصيحة السادسة والثلاثون: الابتعاد عن تزويق البيوت، (البيت من الداخل والخارج).

النصيحة السابعة والثلاثون: حسن اختيار موقع البيت وتصميمه: لا شك أن المسلم الحق يراعي في اختيار بيته وتصميمه أمرًا لا يراعيها غيره.

فمن جهة الموقع مثلا:

أن يكون البيت قريبًا من مسجد وفي هذا فوائد عظيمة لا تخفى، فالنداء يذكر ويوقظ للصلاة، والقرب يمكن الرجل من إدراك الجماعة، والنساء من سماع التلاوة والذكر من مكبر المسجد، والصغار من إتيان حلقة تحفيظ القرآن وهكذا..

أن لا يكون في عمارة فيها فساق أو مجمعات سكنية فيها كفار يتوسطها مسبح مختلط ونحو ذلك.

أن لا يكشف ولا يُكشف، ولو حصل يستعان بالسواتر وتعلية الجدر.

ومن جهة التصميم مثلًا:

أن يراعى فيه فصل الرجال عن النساء من الزوار الأجانب من ناحية المدخل، وصالات الجلوس، وإن لم يحصل فيستعين بالستائر والحواجز.

ستر الشبابيك: بحيث لا يظهر من في الغرف للجار، أو لرجل الشارع، وخصوصًا في الليل عندما تضاء الأنوار.

أن لا تكون المراحيض باتجاه القبلة عند استخدامها.

أن يختار المسكن الواسع والدار كثيرة المرافق، وذلك لأمور منها:

ما رواه الترمذي أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

وحديث: «ثلاثة من السعادة وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها فتعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوف، فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار قليلة المرافق» (١).

الحرص على الأمور الصحية كالتهوية ودخول الشمس وهذه وغيرها مقيدة بالقدرة المادية والإمكانات المتاحة.

النصيحة الثامنة والثلاثون: اختيار الجار قبل الدار.

وهذه مسألة تحتاج إلى إفراد لأهميتها.

فالجار في عصرنا له مزيد من التأثير على جاره، بفعل تقارب المساكن، وتجمع الناس في البنايات والشقق، والمجمعات السكنية.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن أربع من السعادة وذكر منها: «الجار الصالح»، وأخبر عن أربع من الشقاء وذكر منها: «الجار السوء» (٢).

ولخطر هذا الأخير كان ﷺ يتعوذ منه في دعائه فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة» (٣) أي الذي يجاورك في مكان ثابت «فإن جار البادية يتحول».

وأمر المسلمين أن يتعوذوا من ذلك فقال: «تعوّذوا بالله من جار السوء في دار المقام، فإن الجار البادي يتحول عنك» (٤).

ويضيق المجال للحديث عن أثر جار السوء على الزوجين والأولاد، وأنواع الإيذاء التي

---

(١) حسن: «صحيح الجامع» (٣٠٥٦).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (٨٨٧).

(٣) حسن: «صحيح الجامع» (١٢٩٠).

(٤) صحيح: «صحيح الجامع» (٢٩٦٧).

تصدر عنه، ومنغصات العيش بجانبه، ولكن في تطبيق الأحاديث السابقة على الواقع كفاية للمعتبر، ولعل من الحلول العلمية ما ينفذه بعض الطيبين من استئجار السكن المتجاور لعائلاتهم، لحل مشكلة الجيرة ولو على حساب بعض الماديات، فإن الجيرة الصالحة لا تقدر بمال.

النصيحة التاسعة والثلاثون: الاهتمام بالإصلاحات اللازمة وتوفير وسائل الراحة:

من نعم الله علينا في هذا الزمان ما وهبنا من وسائل الراحة التي تسهل أمور المعيشة في هذه الدنيا، وتوفر الأوقات كالمكيف والثلاجة والغسالة.. إلخ، فيكون من الحكمة توفيرها في البيت بالجودة التي يستطيعها صاحب البيت من غير إسراف ولا مشقة، ولابد من التفريق بين الأمور التحسينية المفيدة والكماليات الزائفة التي لا قيمة لها.

ومن الاهتمام بالبيت إصلاح ما فسد من مرافقه وأجهزته، وبعض الناس يهملون، وتشتكي زوجاتهم من بيوت تعج فيها الحشرات، وتفيض فيها البلاعات، وتفوح القمامة بالروائح الكريهة، وتتناثر فيه قطع الأثاث المكسور والتالف. ولا شك أن هذا مما يمنع حصول السعادة في البيت، ويسبب مشكلات زوجية وصحية، فالعاقل من عالج ذلك.

النصيحة الأربعون: الاعتناء بصحة أهل البيت وإجراءات السلامة:

كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات.

وعن بعض إجراءات الوقاية والسلامة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، فغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا - مثل العود ونحوها - وأطفئوا مصابيحكم»(١) وفي رواية لمسلم: «أغلقوا أبوابكم، وخمروا آنيتكم، وأطفئوها سرجكم، وأوكئوا أسقيتكم - شدوا رباطها على أفواها - فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، ولا يكشف غطاء، ولا يحل وكاء، وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله» أي تسحب فتيل

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٨٠) ومسلم (٢٠١٢).

السراج فيشتعل البيت . وقال ﷺ: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون»[١].

---

(١)صحيح: مسلم (٢٠١٢).

التكنولوجيا العصرية حطمت السعادة الأسرية

الفراغ العاطفي وضعف الإيمان وراء السقوط في الخيانة الإلكترونية:

قد تجلس الزوجة لساعات طويلة أمام شاشة الإنترنت تاركة أطفالها وأسرتها للخادمة، فيمرض الأطفال، أو تهدم أركان الأسرة أو كافة الأسرة وتبحث الزوجة عما يشبع نهم عاطفتها أو غريزتها بالعلاقات المحرمة بسبب غياب الزوج، أو سفره، أو هواياته (الناجي، الديوانية).

وتدفع الأسرة غالبًا فاتورة الخيانة الإلكترونية بالانفصال أو الطلاق، فلقد غزت شاشة الإنترنت البيوت، بما توفره من فرص الخيانة الزوجية عبر المشاهدة، أو المحادثة أو الإستماع، لإشباع عاطفة محرومة والخيانة الزوجية ليست مقتصرة فقط على الخيانة الجسدية، فهناك الخيانة البصرية، بواسطة المشاهدة لمناظر الإباحية أو اللقطات المثيرة، وهناك الخيانة السمعية بواسطة المحادثة الهاتفية، وهناك الخيانة العقلية عبر الخيال والكلام، والتعبير عن الشهوات باللفظ والكلمة والآهات ويحذرنا القرآن الكريم من مغبة الخيانة الجنسية في أي من صورها فيقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وللأسف فلقد وفرت شبكة الإنترنت المجال للزوج والزوجة الضعيفة الإيمان للخيانة العاطفية الهاتفية، أو عبر المحادثة المراسلة لإشباع خيال مريض وقلب محروم من الإشباع الزوجي الطبيعي، فالأفلام الجنسية = خيانة زوجية + أمراض تناسلية، ولقد شاعت موجة الأفلام الإباحية وقنوات الستلايت الأوروبية، مما يشبع لهم الرجال والنساء بالمناظر المثيرة للعلاقات الجنسية والمثيرة للشهوة البهيمية، وهو نوع من الاستعمار الأوروبي الحديث بالصورة والكلمات والفكرة المحرضة للخيانة الزوجية.

الآثار المدمرة للأفلام الجنسية الخلاعية:

لأن هذه الأفلام مصنوعة بصورة جذابة ومغرية ومثيرة للشهوات الكامنة فإن من نتائجها المباشرة ما يلي:

١- انتشار معدلات الخيانة الزوجية، بسبب مقارنة الأزواج للنساء الشقراوات المغريات بزوجاتهم غير المثيرات البدينات.

٢- انتشار معدلات الأمراض التناسلية بسبب ارتكاب الزوج للعلاقات الشهوانية المحرمة وليس غريبًا زيادة معدل الإصابة بالسيلان والزهري والهربس والكلاميديا والفطريات والطفيليات.

٣- زيادة شكاوي الرجال من الضعف الزوجي بسبب احتقان البروستاتا والغدد المنوية كذلك شكواهم الشائعة من سرعة القذف.

٤- شكوى النساء من البرودة الزوجية بسبب معاناة أزواجهن من سرعة القذف وهجرهن لفراش الزوجة بحثًا عن مناظر جنسية ساخنة ليلًا.

٥- انتشار معدلات ممارسة العادة السرية بين الشباب والفتيات مما أدى إلى زيادة معدلات الأمراض النفسية من قلق - خوف - واحتقان البروستاتا - سرعة القذف، وإصابة الفتيات بالالتهابات والإفرازات وفقدان العذرية، والبرودة الجنسية بعد الزواج والعقم.

٦- زيادة ظاهرة الزواج السري والزواج العرفي بحثًا عن إشباع جنسي للشهوات المسعورة بسبب الإثارة الجنسية الصناعية.

٧- زيادة معدلات الطلاق والانفصال العاطفي النفسي بسبب إحباط الأزواج والزوجات من علاقة الزواج وعدم الشعور بالرضا، بسبب مقارنتهم أنفسهم بما يحدث على الشاشة الغشاشة.

الوصفة المثالية ضد فيروس العلاقات الإلكترونية:

أولاً: يجب الرجوع إلى الله والفضيلة والإيمان للوقاية من غول الشهوة الجنسية المدمرة، لأن ضياع الإيمان وضعف العقيدة وراء سقوط البشر في مستنقع الشهوة الجنسية المحرمة، والصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر.

ثانيًا: يجب إعادة الحرارة للعلاقة الزوجية الأسرية بإعادة خطوط الاتصال القلبية والوجدانية بين الزوج وزوجته والأب وعائلته، وعدم الانسياق في هاوية الأنانية على حساب وقت الأسرة والأبناء.

ثالثًا: يجب الاستفادة من التكنولوجيا العصرية (التلفاز - النقال - الكمبيوتر - الإنترنت) بالحصول على الأخبار والمعلومات المفيدة، لا لاستغلاله في الحصول على الشهوة الرخيصة.

رابعًا: هذه الوسائل التكنولوجية لها جانبان مثلها مثل أي شيء في العالم، جانب خير وجانب شرير لهذا يلزم الاستفادة من الأول وتجنب الثاني، ويلزم عدم الاستماع إلى كلام الصحبة الفاسدة التي تزوج للمواقع الإباحية والأفلام الخلاعية، المواقع الجنسية - فالصاحب إما للفضيلة وإما للرذيلة.

خامسًا: يجب تخصيص وقت للأسرة، ووقت للزوجة للحوار ووقت للأبناء من الزوج والزوجة، وعدم الإفراط في الحديث الهاتفي، أو المشاهدة للأفلام، أو الجلوس أمام شبكة الإنترنت بالساعات ليلًا.

سادسًا: يجب على الفتيات الحذر من الكلام المعسول عبر الهاتف والإنترنت، ويجب على الفتاة ألا تصدق أن الشاب الذي تراسله أو تحادثه سوف يتزوجها، لأن الشباب يبحث عن تسلية وتضييع الوقت والحصول على أقصى متعة بأقل الخسائر.

سابعًا: يجب على أولياء الأمر مراقبة أبنائهم، وعدم تركهم للجلوس أمام هذا الغول المدمر وحدهم أعني (التلفاز - الإنترنت - النقال) ليلًا.

* * *

نصائح للزوجة

الحمد لله الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

※ أختاه !

يا صاحبة الهمة العالية، والعزيمة المتوقدة..

يا من تعيشين لغاية، وتحيين لهدف..

يا من استشعرت لماذا وجدت في هذه الحياة..

إليك هذه الرسالة ممن يحب لك الخير وأسبابه، ويخشى عليك من الشر وأربابه.. نفعك الله بها، وشرح صدرك لقبولها..

أختاه ! لا تكوني مثلها !

فإنها امرأة تعيش سبهللًا في تيه وفراغ، وغفلة وضياع.

فهي مشغولة بغير مُهِمَّة، متحركة في غير نفع، مهمومة بالتوافه، مشغولة بالمحقرات.. همتها باردة وعزيمتها خائرة، ترضى من العظائم بأقلها، ومن المكارم بأدناها.

غدت الدنيا أكبر همِّها، ومبلغ علمها، ومنتهى أحلامها، وغاية رغبتها، ونسيت أنها عرضٌ زائل، ومتاعٌ راحل، وأمنية منقطعة.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

ترتكب المحرمات.. ولا تحزن !

تُحرم من الحسنات.. ولا تأسف !

يقسو قلبها، وتجف عينها، ولا تشعر !

وإنما جعلت النار الحامية لإذابة القلوب القاسية !

ولكن.. من يتذكَّر؟!

من يتأمل.. من يتدبَّر؟!

قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

لم تحزن يومًا على ما أمامها من هول المطلع في يوم المفزع، ولا على ما بين يديها من كرباتٍ جسيمة ومصاعب عظيمة لا يعلم مداها ولا منتهاها إلا خالقها ومولاها.

لم ترهب يومَ وقوفها بين يدي ربها، يوم الرجوع إليه، والعرض عليه، والوقوف بين يديه.

تبكي على فوات شيء من الدنيا، ولا تبكي على ذهاب الدين !

قال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧].

* مهتمة - غاية الاهتمام بجسدها: ماذا تغذيه؟ وماذا تلبسه؟ وأين تسكنه؟ وكيف تنعمه؟ وما السبيل إلى تجميله وتحسينه؟

ليس لها همٌّ غيره ! ولا شغل سواه !

يا خادم الجسم كم تسعى لراحته ... أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

* لو أعطبَ الخياط فستانها، لبكت ثم بكت، وملأت الدنيا بكاءً وعويلًا، حتى يكاد قلبها يتفطَّر كمدًا ونكدًا.

يا للعجب !

لم تبكِ يومًا من ذنوبها، وتفريطها في جنب ربِّها، ولم تحزن على تضييعها لفرائض الله، وانتهاكها لمحارمه.

وعلى هذا فلتسكب العبرات ولتمسح الدموع !

* همها الأكبر وحرصها الأكثر أن تكون أجمل وأكمل من صويحباتها، وأن تلبس أحلى وأغلى منهنَّ.. تتباهى بذلك عليهنَّ..

ويحها ! أما علمت أنه «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»(١).

أما سمعت قول الحبيب ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه

(١) صحيح مسلم (١/٨٩) (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[(١)].

اهتمت بظاهرها، وغفلت عن باطنها، وتلك بليَّة البلايا !

إذا أخـو الحـسن أضـحى فعلـه سمجًـا رأيـت صـورته مـن أقـبح الـصور

وهبـه كالـشمس في حـسن ألم ترنـا نفِـرُّ منـها إذا مالـت إلى الـضرر

* لو ظهرت في وجهها بثرة أو حبة لملئ قلبها همًا وغمًّا، وحزنًا وألمًا..

وغدت لا يُهنأ لها عيش، ولا تطيب لها حياة حتى تزول عنها وتتشافى منها، ولربما بذلت الأموال الطائلة، وأضاعت الأوقات الغالية لزوالها عنها، والسلامة منها.

وربما - في غفلة منها - قلبها مريض بالأمراض القلبية المعطبة كالنفاق وحب الشهوات وتعلق القلب بغير الرب، والحسد والكبر والتعالي..

لا تحس بها، ولا تشعر بوجودها، ولا تخاف منها، ولا تخشى عاقبتها، ولا تسعى في تحصيل العافية منها والسلامة من عقوبتها !

وكأنما أمنت مكر الله وعقوبته، وضمنت عفوه ومغفرته !

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٦-٤٧].

فتبًا للغفلة ما أشنعها ! وللقسوة ما أبشعها !

* تقوم قائمتها ولا تهدأ، وتهيج عاصفتها ولا تسكن إذا كُسرت زجاجة أو زينة مزخرفة مما تزين به الجدران والحيطان والأركان.

ولا تثور لها ثائرة عندما يُنتقض دين الله عندها أو ترتكب معصية لله تعالى بحضرتها.

وكأنما دينها آخر اهتماماتها وأقل مسئولياتها !

وإنما يكون قدرها بمقدار ما تحمل من دينها..

* تُعرض عنها رفيقة دربها وصديقة عمرها، فتذوب ألمًا وتذوي ندمًا، لفراق من تحب،

---

(١) صحيح مسلم (٤/١٨٠٠) (٢٩٦٣) عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

وهجران من تهوى..

تتشفع عندها بمن تثق، وتبعث لها بما تحب، وترسل لها رسائل اللوعة والحرقة.. تتملَّقها، وتتعرَّض لها، حتَّى يرق طبعها، فتعود إليها، وتقبل عليها..

وأين هي عن الله؟!

كم تفرط في أمره وتتجرأ عليه !

كم تحاربه بالمعاصي وتتبغض إليه بالسيئات !

كم تنتهك حدوده، وتضيع فرائضه، وترتع في حماه !

ثم لا تتملَّقه، ولا تتعرض لرحمته، ولا تتزلف إليه بمحابه، ولا تتقرب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه..

يا حسرة على العاصين يوم معادهم ... لو أنهم سبقوا إلى الجنات

لو لم يكن إلا الحياء من الذين ... ستر العيوب لأكثروا الحسرات

ما لها تبت يمينها؟!

أفي غُنية هي عن الله؟! أم أنها لا يهمها رضاه؟!

سبحان الله ! ما أحلم الله على من عصاه !

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

* تزين وجهها بالأصباغ، وشعرها بالألوان، وجلدها بالأدهان..

ما فكرت في يوم من الأيام أن تزين هيئتها الحسنة بالأخلاق الطيبة..

أو تزين عملها الواجب بالسنن المستحبة أو تزين آخرتها بالأعمال الصالحة كما زينت دنياها بكل زينة..

أشغلها المتاع الزائل في الدنيا الدنيئة عن النعيم المقيم والخير العميم في جنات النعيم..

وستعلم فداحة الخسارة، عندما ترجو الرجوع ثانية للحياة الفانية بعد أن أضاعت فرصة العمل لطول الأمل فداهمها الأجل.

لا تركننَّ إلى الدنيا وما فيها ... فالموت لاشك يفنينا ويفنيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

فاعمل لدار غدًا رضوان خازنها الجار أحمد والرحمن بانيها

* تشتري الثوبَ بأغلى سعر وأعلى قيمة.. لعل سعر المتر الواحد فيه يكفي أسرة كاملة لمدة طويلة.. تلبسه ثُمَّ تلقيه..

لأنها تستحي أن تخرج به أمام النساء وقد رأينه عليها..

تلاحق - في لهث وسعار - آخر الموضات والصراعات.. وأحدث ما أنتجته بيوت الأزياء.. مهما تكلَّفت من مال وضيَّعت من وقت وبذلت من جهد..

* تغير أثاث بيتها في كل مناسبة بما تبذل فيه وما تنفق عليه..

وتبدل حليها مع كل موضة جديدة.. تلاحق فيه كل ناعق..

فإذا ما دُعيت لتنفق في سبيل الله، لفقراء معوزين، أو أيتام محتاجين، أو للدعوة إلى الله تعالى في سبيل نشر هذا الدين، تولت معرضة، ونأت بجانبها، وكأن الأمر لا يعنيها، ولا يمتُّ بصلة إليها.. تختلق المعاذير، وتتحجج بالحاجة، وتبخل: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

الله يعطيها ويغنيها، وهي تجمعه وتمنعه، تعدده وتوصده، تنكره وتجحده، فلا تنفقه إلا على شهواتها وتحصيل ملذاتها.

* وهكذا همتها في الثرى، لم ترتق يومًا إلى الثريا..

فلا تسأليها عن حال الأمة وما أصابها من غُمَّة؟

ولا تستعلميها عن جراح المسلمين في المشارق والمغارب؟ وقد غدت حمًا مستباحًا، وفريسة سهلة، ودمًا رخيصًا، وكرامة مهدرة؟

ولا تستخبريها عن أحوال الفقراء والمساكين، واليتامى والمحتاجين، وذوي الفاقة فيهم وأصحاب الخصاصة منهم.. فأولئك ليسوا لها على بال..

لا تدري عنهم، ولا تشعر بمعاناتهم، ولا تتألم لما ألمَّ بها ! «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس

منهم»(١).

ولا تسأليها عن أعمال الخير، والمشاركة في تنفيس كربات المكروبين ونكبات المنكوبين، فلا وقت لديها تضيعه ! ولا مال عندها تهدره في هذه المسائل التي لا تمتُّ بصلة لها، ولا تساوي وزن الخردلة في ميزانها..

فيا ويلها يوم تخف كفَّة العمل عندما ينصب ميزان القسط والعدل في يوم الجزاء والدين!

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

* ولو قرأت لكِ شيئًا قليلًا من القرآن، لتمنيت سكوتها من سوء ما تفعل، وقبح ما تجهل من كتاب الله تعالى..

منعها الكبر، وقنعت بالجهل، ورضيت بالإساءة، واستصعبت طريق تعلمه وهو سهلٌ يسير.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

استحت أن تتعلَّم القرآن، وعدَّت تعلمه نقيصة ومثلبة، ورضيت أن تكون به جاهلة، وما علمت أنه سبيل التربية وطريق التزكية !

عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٢).

لقد غدا كتاب الله تعالى عندها نسيًا منسيًا، واتخذته وراءها ظهريًّا، فلا تقرأه إلا فيما ندر، ولا تتصفحه إلا فيما قلَّ. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

استبدلت كتاب الله تعالى بالمجلات الخليعة ذات الفكر المنحرف والمنهج المختلف ! تقرأ الجرائد قليلة الفوائد ! تتصفح مجلات الفن والغناء، والموضة والأزياء، وربما تهتم

---

(١) ضعيف جدًا: الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٤٨). وانظر «الضعيفة» (٣١٠).
(٢) «صحيح البخاري» (٦/٤٢٧) (٥٠٢٧).

بالإصدارات الرياضية ! وتتابع أخبار الفن والطرب والمسلسلات والأفلام، وتقرأ قصص الغرام والهيام، وغير ذلك من الآفات والمهلكات..

ثم لا يحن لها قلب لتقرأ من كلام الرب !

ولا تذوب لها حشاشة شوقًا إليه وحبًا فيه..

ما سحَت عينها بدمعة عند تلاوته، ولا رقَّ لها قلب عند الترنم به، ولا لان لها جلد عند قراءة آياته الباهرة ومعجزاته القاهرة !

فلا تكوني مثلها، فهي من تهمل عينها حزنًا لما ترى في مسلسلات السوء من لقاء وفراق، وتلوع واشتياق..

وهي من تهطل عبراتها عندما تسمع أغنية عاطفية تستنزف عواطفها ومشاعرها، وهي من تجود محاجرها دون حدود عندما تقرأ قصَّة غرامية بين عاشقين متيمين..

ولو سألتيها عن عظائم المسائل في العلم الشرعي فيما يخص صحة عبادتها، وشرط قبول عملها، ومما لا يجوز لها الجهل به في دينها، لقالت لكِ في حيرة مرَّة: ها. ها لا أدري!

مع أنها معجم مفهرس، وأرشيف جامع لأخبار الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات.. فهي تعلم أخبارهم، وتعرف أسرارهم، وتتابع - في نهم بالغ - وقائع حياتهم ومواقع أحداثهم..

وغدت كقدح السوء لا يمتلئ إلا بكلِّ سوء !

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

* تضيع وقتها وتهدر عمرها فيما لا فائدة فيه، ولا طائل خير يعود من ورائه.

وغفلت أن العمر ميدان السباق، ومضمار التنافس، ووعاء العمل، فكيف تجرأت تلك المحرومة على إهدار وقتها، وهو مادة عمرها وزمن بقائها؟!

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيعُ

* تجلس الساعات الطوال أمام الشاشات تقلب القنوات، وتتابع الأفلام والمسلسلات، وتلاحق اللقاءات والمقابلات، وتراقب المنوعات والممنوعات..

وماذا بعد ذلك؟! وما الحصيلة مما رأت وسمعت؟ إيمان ضعيف، ومعاص تتضاعف.. شهوة تتقلب.. ونزوة تتلهب.. ميزانٌ عند الله يخف، وقلبٌ يصيبه المرض أو التلف. لذة تذهب وأذى يبقى، متعة ترحل ولوعة تظل، أمل يفقد وألم يولد ! فأين هي عن قول ربها: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له احبس رسولك لا يأتيك بالعطب

* تقف لساعات طويلة كالمسمار أمام المرآة، تُصفف شعرها، وتصبغ وجهها تجرّب ذلك اللباس، وتطرح الآخر، حتى تملّها مرآتها وتشنؤها أدواتها..

وليس في التزين مثلبة ولا في التجميل معتبة، فالله تعالى يقول: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨].

وإنما يكفي منه ما قلَّ ودلَّ ضمن ضوابط الشرع وموازين الدين، ولكن المبالغة فيه سلبت الأوقات وسرقت الساعات، وضاع العمر، وانصرم الدهر، والمحرومة ليس لديها خبر ! والغريب أنها إذا وقفت لدقائق معدودة لتؤدي صلاتها نقرتها نقر الغراب، واستعجلت فيها دون استشعار لمعانيها، أو تدبرٍ لما فيها وكأنما هي في سباق مع الرفاق !

أو قامت بها، وهي كسولة في أدائها، غافلة عمَّا تتلوا فيها، متشاغلة بما حولها، فهي ثقيلة على قلبها، لا ينشرح بها الصدر، ولا يتلذذ بها القلب، ولا تستريح بها الروح. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٦،٤٥].

* تنحني كالعرجون القديم بين يدي مصففة الشعر ومزينة الوجه (الكوافيرة) جُلَّ النهار وطرفًا من الليل، وربما فاتت لذلك الصلوات، وضاعت الذريات، وضاقت بالأزواج الحياة، وارتكبت من أجل ذلك كثيرًا من المحرمات مثل النمص [١]، والوصل [٢] وتفليج الأسنان

(١) وهو حلق أو نتف أو تقصير شعر الجفن.

(٢) وهو إطالة شعر الرأس بالوصل فيه كالباروكات.

للحسن، والتشبه بالرجال، ومشاكلة الكافرات أو الفاسقات من المسلمات في ملبسهنَّ وشعورهنَّ وزينتهنَّ، ومشاكلة القالب دليل مشاكلة القلوب.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**[١] وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تتشبهوا باليهود ولا بالنصارى...»**[٢].

* ولأَّجة خرَّاجة من بيت إلى بيتٍ، ومن سوق إلى آخر، ومن مناسبة إلى مثلها. مشغولة - غاية الشغل ! - بمن تعرف من القريبات والصديقات.

ولو سألتيها عن أهل بيتها: أين هم؟ وفيما يقضون أوقاتهم؟ مع من يتحدثون؟ ومن يصاحبون؟ وما حاجاتهم العاطفية والعقلية والنفسية؟

بل كيف دينهم؟ ماذا يعتقدون؟ وهل يصلون؟ وماذا يقرؤون ويسمعون؟ وفيما ينظرون؟ لتمعَّر وجهها خجلًا من سؤال لم يخطر لها يومًا على بال !

فالتربية عندها ترتكز على تلبية حاجات الجسد ومتطلبات البدن من مطعم ومشرب، وملبس ومسكن ومركب، أما العقل والقلب فلا تدري عنهما، ما غذاؤهما؟ وكيف يحيان ويموتان؟ وما وسائل تزكية النفس؟! وتهذيب الروح؟!

فلا تسأليها عما لا يعنيها فلا جواب لديها !

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همِّ الحياة وخلفاه ذليلًا

إن اليتيم هو الذي تلقى له ... أمًّا تخلَّت أو أبًا مشغولاً

* تجلس مجالس اللهو والسهو، والغفلة والزلة، والغيبة والنميمة، والقيل والقال، وكثرة الحديث والسؤال، مع فارغات عاطلات بطَّالات مثلها لا يحسن إلا السلام والكلام ومضغ الطعام، في مجالس لا يذكر الله تعالى فيها إلا قليلًا.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم**

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٢/٧٦١) (٣٤٠١).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/٣٤٦) (٢١٦٨).

يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترةٌ، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[١].

وعنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قومٍ يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»[٢].

ديدنهنّ في مجالسهنّ أخبار النساء وأسرار البيوتات، وأنواع الزينة والمفروشات، وأصناف الطعام وأذواق المأكولات، والحديث عن السفر والأسواق، والكلام عن هذا وهذه، وذلك وتلك، وهؤلاء وأولئك.. وأقل الأحوال ضياعها في الحلال !

عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله حرم عليكم عقوقَ الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» [٣].

ولا تكاد تخلو مجالسهنّ - وللأسف - من محرم ومأثم، كالغيبة وهي فاكهة مجالسهن ولذة ألسنتهن ومتعة آذانهن.

* شُغلت بعيوب الناس ونسيت عيوبها، وتكلَّمت في نقائص غيرها وسكتت عن نقائصها، ورأت القذاة في عين أختها ولم ترى الجذع منصوبًا في عينها، وذاك من الخذلان والحرمان !

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها، هي من أهل النار». قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة وتصدق بأتور الإقط ولا تؤذي أحدًا. قال رسول الله ﷺ: «هي من أهل الجنة» [٤].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، حسبك من صفية كذا وكذا، وقالت بيدها هكذا، كأنها تعني: قصيرة. فقال رسول الله ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٣/١٤٠) (٢٦٩١).
(٢) صحيح سنن أبي داود (٣/٩٢٠) (٤٠٦٥).
(٣) «صحيح البخاري» (٧/٩٣) (٥٩٧٥).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب للمنذري - تحقيق الألباني -، ص٧٠، رقم (٨٨/١٢٠).

لمزجته»[١].

يروى أن رجلًا وقف أمام والدته التي كانت تؤذي المسلمين بلسانها، وهي تجود بنفسها، وكانت تعاني من سكرات الموت وكرباته، وكأنما أطبقت جبال الدنيا على صدرها، وكأنها تتنفس من خرم إبرة، وكأنما السموات وقعت على الأرض، فأخذ يذكرها بالشهادة ليختم لها بخاتمة السعادة.

فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»**[٢].

فرفعت بصرها إليه، وقالت: يا بني إنها أثقل عليَّ من الجبال الراسيات، وقد حيل بيني وبينها فلا أستطيع نطقها، ماتت ولم تقلها.

وصدق الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

* تفرُّ من الذكر، وتهرب من مجالس الخير، ويضيق صدرها بكل نصيحة مخلصة، تضيق عليها الأرض بما رحبت إذا ذُكِّرت بالله أو بشرعه ودينه.

لا تريد أن تسمع ممن يحذرها عاقبة تفريطها أو ينذرها سوء منقلبها..

فهي تحب الغافلات ؛ لأنها منهنَّ.

وتكره الصالحات ؛ لأنهن يصادمن غرورها، ويعارضن شهواتها، ويحاربن نزواتها.. قد غدت أذنها تلقف ما يصبُّ فيها من الغناء الخليع الماجن الذي هو مزمار الشيطان، وبريد الزنا، وطريق الخنا، ومهاد الفاحشة.. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

* تسيء معاملة والديها، ولا تُحسن إليهما، بل تقسو عليهما، وتستخف بهما، وتستهزئ بفكرهما، وتسخر من رأيهما، وتخالف أمرهما، وتفعل نهيهما.

---

(١) صحيح سنن الترمذي (٣/٩٢٣) (٤٠٨٠).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٢/٦٠٢) (٢٦٧٣).

* عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**» وكان متكئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**»(١).

لا تقوم بخدمتهما إلا كارهة لها، متشاغلة عنهما، متثاقلة لفعلهما، وإذا جاءت إليها صديقة عمرها ورفيقة دربها قامت إليها، وهشَّت لها، وبشَّت في وجهها، وهرعت لخدمتها، نشيطة النفس، منشرحة الصدر، متهللة الأسارير !

فأين هي عن أولى الناس بحسن رعايتها وطيب عنايتها؟!

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(٢).

* يلم بها الألم، ويسمها السقم، وتقع عليها البلايا - ببعض الخطايا - فتبحث عن سبيل النجاة والخلاص على أيدي السحرة والدجالين، والكهنة والمشعوذين، الذين يخادعونها، ويلعبون بها، ويستخفون بعقلها، ويرجفون قلبها، فتلتمس الشفاء لديهم، والعافية عندهم، وما علمت أنها خسرت دينها، وأسخطت ربها، وأغضبت خالقها.

قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»(٣).

وقال ﷺ: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٤).

فأي ربح يساوي هذه الخسارة؟! وأي غنيمة تعادل هذه المصيبة؟!

فلا تكوني مثلها !

فإنها ستندم - يوم لا ينفع الندم - على العمر الضائع، والاهتمام الفارغ، والحياة الخاملة. ستتحسر على كلِّ لحظة مرت عليها لم تقربها من خالقها..

---

(١) «صحيح البخاري» (٩٣/٧) (٥٩٧٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٩١/٧) (٥٩٧١).

(٣) صحيح مسلم (١٣٩٧/٤) (٢٢٣٠) عن بعض أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -.

(٤) صحيح سنن أبي داود (٧٣٨/٢) (٣٣٠٤).

سترجو الرجوع إلى الحياة الدنيا الفانية مرة ثانية لتعمر العمر بمعالي الأمور، ومحاسن الحسنات، وبالباقيات الصالحات.. ولكن، لا رجوع من بعد الممات لهذه الحياة، وإنما بعثٌ ونشور، بين يدي ملك الملوك، ثم الحساب على ما اجترحت من سيئات وما أصابت من حسنات.. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فالآن.. الآن.. قبل فوات الأوان !

والساعة.. الساعة.. قبل وقوع الساعة !

فتكون الغفلة والإضاعة هي البضاعة.. فيا بئس البضاعة !

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ... ندمت على التفريط في زمن البذر

فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي ... تزودته يوم الحساب إلى الحشر

❊ أختاه..

راجعي هذه التصرفات، وتذكري تلك الأفعال، ثم حاسبي نفسك قبل أن تحاسبي من ربك، فإن كنتِ بريئة منها سالمة من الوقوع فيها فاحمدي الله تعالى على السلامة، واسأليه الثبات على الحق، والمزيد من الفضل.

وإن كنتِ وقعتِ فيما قرأتِ، فالتوبة بابها مفتوح، وعطاء الله يغدو ويروح، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أختاه...أيتها الدرة المصونة والجوهرة الغالية !

أرعي لي سمعَك وقلبَك فإن لي إليكِ حديثًا.. مازال يتردد في جناني ويملأ عليّ فؤادي الذي اكتوى غيرة عليك ومحبة للخير لك...

كيف و ما رأيته منكِ هناك، تفطَّر له قلبي واغرورقت له عيناي،حتى امتلأتا بحرقة الوجدان قبل دموع الأجفان..

وأنا أرى بأم عينيّ كيف أغارت مخططات الأعداء وسهامهم الحاقدة المسمومة، على

عزتكِ وشموخكِ ودينكِ..

وحتى صرتِ ألعوبة في أيدي حثالة القوم وسقط المتاع من أرباب الأزياء والموضة، التي صنعها لك عُبّادُ الصليب وأحفاد القردة والخنازير، وروّج لها تاجرٌ أعمى القلب قدم حبَّ المال على حب الله ورسوله...

أجل ! فما كان والله يخطر لي ببال أنكِ تسقطين في شراكهم، فقد كنتُ أحسب أنكِ في مأمن من ذلك كله وكنتُ أرى لك رأيًا وإيمانًا !

كيف وقد أصبحتِ وأصبح حجابكِ وأمسى كالسفينة المشرفة على الغرق، والتي يتقاذفها الموج ويأتيها الموت من كل مكان، أو كالذي تهوي به الريح في مكان سحيق !!

أرأيتِ كيف خماركِ – ومعه هذه الطُرَح المزركشة – فقد صار لثامًا ولعبة في يدكِ يكشف لذاك ويسدل لهذا، تفعلين ذلك وكأن الله لا يراك !!

أما تعلمين أنه مطلع على خطرات نفسك التي بين جنبيك: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ..﴾؟

و اللهُ أمَرَكِ بالستر عن جميع الرجال غير المحارم دون استثناء !! فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لمّا نزلت: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ..﴾ شققنَ فاختمرنَ بها رواه البخاري. وقال الحافظ ابن حجر: قولها فاختمرن أي غطّين وجوهَهن!.

وعن أم علقمة قالت: رأيتُ حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلتْ على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها. رواه ابن سعد والإمام مالك في «الموطأ» وغيرهما.

أفرأيتِ لو أبصرتكِ عائشة رضي الله عنها وأنت على هذا النقاب الفتان، وهذه العيون الكحيلة التي لا يقر لها قرار.. و أنت على هذه الحالة التي لا ترضي الله ماذا تقول أم المؤمنين وماذا تفعل؟!!

وقد أجمع أهل العلم على وجوب ستر الوجه عند خشية الفتنة، وإن لم يكن هذا زمان الفتن فأيّ زمان؟

ثم إنهم أسقطوا عباءتكِ عن علياء رأسكِ، وألبسوكِ ثوبًا أسودًا أشبه شيء بأثواب

الرجال، وسموه كذبًا وزورًا (عباءة !)، نعتوها بالعمانية تارة وتارة بالفرنسية وبالمغربية تارة أخرى، لا يلوون على شيء طالما أنها تحقق لهم هدفهم الأكبر وهو إسقاط حجابكِ بالكلية، وإلا فمنذ متى سمعتِ أن فرنسا تعرف الحجاب وتصدِّره وتدعو إليه؟؟؟ ألا وإنها سميت بالفرنسية لأنها ليست عباءة أصلًا !!

ثم بعد ذلك جاءوك بالطامة، ألا و هي العباءة الأمريكية، وهي باختصار فستان على شكل بنطال كالذي تلبسه الكوافر !! فانظري كيف يتدرجون بك إلى الهاوية خطوة خطوة، وهكذا خطوات الشيطان، فأي سخرية بالدين وبشعائر الإسلام هذه؟؟

قال الله عز وجل في شأن المنافقين والمستهزئين بالدين: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾! فنعوذ بالله من موارد الضلال ومن فتن يرقق بعضها بعضًا..

أمّا الجلباب في الاصطلاح الشرعي فليس بثوب ذا أكمام وأكتاف وخاصرة، وإنما هو ملاءة تلتحف بها المرأة فوق ثيابها تستر به جميع بدنها وثيابها وزينتها، وهاكِ الدليل القاطع على هذا، وذلك عندما أمر رسول الله ﷺ نساء المؤمنين بأن يشهدن صلاة العيد، فقد روى البخاري ومسلم عن أم عطية رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتُلبسَها أختُها من جلبابها». فلو كان الجلباب ثوبًا ذا أكمام وأكتاف لاستحال أن يأمر النبي ﷺ أم عطية أو غيرها من الصحابيات الجليلات أن تُلبس أختَها منه، ولكان ذلك من التكليف بما لا يطاق..

أمّا وإن هذا الثوب الذي ترتدينه لم يبق فيه من الجلباب الشرعي والعباءة، سوى الأحرف التي سرقوها من تلك الأولى العالية الشامخة، تلك التي طالما رفعتها على رأسكِ تاجًا لعزكِ وعنوانًا لمجدكِ وفخرًا لكِ بين الأمم على مر التاريخ !

أختاه.. أنتِ تعلمين أن هذا الثوب أو الفستان الأسود الذي كنتِ ترفضينه من قبل بشدة قبل أن يسموه لك عباءة وقبل أن.. وقبل أن..... تعلمين - دون ريب - أنه ذريعة محققة لإسقاط الحجاب كلية - أسأل الله أن ينتقم ممن يسعى لذلك وأن يرينا فيهم عجائب قدرته، وهو بذلك محرمٌ من باب سدِ الذرائع، فكل ما أفضى إلى حرام فهو حرام، كما هو معلوم

عند أهل العلم سلفًا وخلفًا، وكما أفتى بحرمته العلماء من هذا الوجه، ومن وجوه أخرى، كإظهاره لتفاصيل جسد المرأة ومشابهته لطريقة لبس الرجال أرديتهم، ولمخالفته لقول الله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ..﴾ الآية.

وكما هو محقَّق عند أهل اللغة أن استعمال الحرف على وهو من حروف المعاني، يفيد العلو، وأعلى الجسد هو الرأس وليس الكتف.

نعم !! تعلمين أنه ذريعة أكيدة لأهدافهم الدنيئة، وقد رأيتِ بنفسكِ كيف وسعوا أكمامه، حتى ما إذا جئتِ لإتمام الصفقة -الخاسرة- وما إن رفعتِ يدكِ لإعطاء ذلك البائع الجشع نقودًا - يالله - ثمنًا باهظًا لإنقاص سترِكِ، حتى انكشفتْ ذراعك إلى المرفق..!

وربما زركشوها وربما.. وربما.. ورأيتِ كيف أخذتْ يد التخريب الآثمة في تضييق ذلك الثوب، وتشريحه من هنا وهناك وتزيينه، حتى صار بعض ما يلبس في البيوت أقلَّ فتنة مما تلبسين في السوق، ثم تحسبين أنكِ على شيء وأن لكِ حجة..

أختي الغالية.. أو ما سمعتِ ذلك المنصِّر الذي وقف في أحد مجامعهم في بلاد الغرب، ثم قال: تظنون أننا لم نفعل شيئًا في جزيرة العرب ولم نحقق نجاحًا؟؟ ثم صمت قليلًا وقال: نعم، نحن لم نستطع أن نُدخلَ رجالهم في النصرانية، ولكننا نجحنا في أن نُلبس نساءهم لباس راهبات الكنيسة !

وإن شئتِ فقارني بين لباس راهبات النصارى وبين هذه العباءات المستحدثة، وستعلمين حجم المؤامرة التي يدبرها أعداء الفضيلة وحزب الشيطان..ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون..

وقد وقعت عيني على مقابلة مع واحدة ممن شاركن في تصميم هذه العباءات الجديدة، وهي مصممة الأزياء الإيطالية رفائيلا كاردينالي – وبالمناسبة فإن كاردينال رتبة من رتب الكنيسة - حيث جاءت لتقيم عرض أزياء في مدينة الرياض !!

وقالت أن أولى زياراتها كانت عام ١٩٩٧م بعدها اعتادت على الحضور وأنها – على زعمها -أحبَّتْ هذا البلد كثيرًا، خاصة أن أهل البلد يشتهرون بحسن الضيافة كما هي عادات العرب دائمًا. وعبرت عن سرورها لما قد حقق العرض الذي أقامته نجاحًا كبيرًا، وأنها

لذلك تخطط للمجيء هنا مرات ومرات !!

من أين هذا الزيّ؟

أختاه.. لقد قال ربي وربك: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وقد كنتُ بالأمس أمام بيوت الأزياء التي زخرفوها لكِ، وأقسم لكِ بالله أني لا أكاد أصدق أن من يشتري هذه المزق القماشية القصيرة والضيقة والشفافة، وهذه البناطيل الفاضحة التي علقوها على جدرانهم وتماثيلهم وأسموها ملابس !!، وقد أعمى بصائرهم الجشعُ عن كل فضيلة.. أقسم لك بالله ثانية أنني لا أكاد أصدق أن من يشتري هذه الزينة المحرمة، وهذا السفور البُواح، هنّ أنتِ وأترابكِ من المؤمنات العفيفات اللاتي حملن في قلوبهن: لا إله إلا الله، وخفقتْ في صدورهن آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ..

من أين هذا الزي؟ ما عرفتْ أرضُ الحجازِ ولا رأتْ نجدُ
هذا التبذُّل يا محدثتي سهمٌ من الإلحاد مرتدُّ
ضدان يا أختاه ما اجتمعا دينُ الهدى والفسق والصدُّ
والله ما أزرى بأمتنا إلا ازدواجٌ ما له حدُّ

رويدًا رويدًا:

أحقًا أنت حفيدة خديجة وفاطمة وعائشة وأسماء وأم سليم وأم عمارة، وذلك الطراز الأول من النساء اللاتي يتشرف بذكر أسمائهن المداد ويتضوع بشذا عَرفهن أجواء بيوت الطهر والإيمان؟!!!

أحقًا أنت حفيدة أمهات المؤمنين و سليلة نساء الأنصار، اللاتي قالت عنهن عائشة رضي الله عنها فيما رواه ابن أبي حاتم عن صفية: ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهم امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان..

وهاهي أم المؤمنين عائشة أعلم نساء هذه الأمة ﵂ لا تفرط من ذلك بشيء، بل وهي في حال الإحرام رغم أن له حكم خاص عُلِم من حديث ابن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» رواه البخاري.. إلا أن حكم الحجاب بحضرة الرجال الأجانب قدم عند تعارضهما، ويقر ذلك كله رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، قالت عائشة ﵂: كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه و الدارقطني و البيهقي..

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: قوله في حديث ابن عمر: «لا تنتقب المرأة المحرمة» وذلك لأن سَترَها وجهها بالبرقع فرض إلا في الحج، فإنها ترخي شيئًا من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتُعرض عن الرجال ويُعرضون عنها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقًا على حديث ابن عمر فيما يتعلق بالنقاب والقفازين: وهذا مما يدلّ على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

وروى أبو داود في «السنن» والبخاري في الكُنى بسنديهما، وهذا لفظ أبي داود: عن حمزة بن السيد الأنصاري، عن أبيه ﵁، أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال النبي ﷺ للنساء: استأخرن فإنه ليس لكنّ أن تَحقُقْنَ الطريق، عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصُق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها...!

ولعمر الله إنها صورة تهز وجدان المؤمن، فهذا هو أفضل جيل وقرن على مر التاريخ، وهاهن أفضل النساء بين أفضل الرجال، وهم خارجون من مسجد رسول الله بعد أداء فريضة من فرائض الله، وبين ظهرانيهم سيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلامه عليه، ثم يأمر رسول الله نساء المؤمنين فما يكون منهن إلا الاستجابة الكاملة: فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها !! أفلا يتحرك قلبك..؟ ألا يهتز جنانك..؟ ألا تهمل دمعتك وأنت ترين هذه الصورة التي هي في غاية الحشمة والطهارة..؟؟؟

فأين أنت من ذلك يا أمة الله، لا أقول في بيوت الله فإني أراك لاهية عن ذلك الموطن بغيره من زينة الدنيا وزخارفها، ولا أخفيكِ أني أخشى عليك أن تكوني ممن لا يدخل المسجد إلا محمولة على الأعناق، يوم تلتف الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق..

ولكن أين أنت من ذلك الخُلُق.. خلُق الحياء، خلق هذه الأمة، «الحياء شعبة من الإيمان»[1]، أين أنت منه في الأسواق وفي المطاعم وفي المنتزهات وفي دور الأفراح؟؟

قال مجاهد عند قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية !!

وقال ﷺ: «المرأة عورة فإذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من رحمة ربها وهي في مقر بيتها»[2].

أما إذا كنت تظنين – لا قدر الله - أن أمر الستر والحجاب من القشور - كما يزعم بعض المغرضين والمغفلين –، وكما نسمع هنا وهناك، فإنه من نافلة القول أن أقول لكِ: إن دين الله عز وجل وشريعته المطهرة أعظم وأجل من أن يكون بها قشور، فإن كان هذا البيان وهذه الحجة لا تكفي، وإن كان لا يزال من ذلك في نفسكِ شيء، فأسوق لك ما جاء في السنة من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «يرخين شبرًا»، قالت: إذن تنكشف أقدامهن !، قال: «فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه»[3]..

فانظري رحمك الله إلى هذه الطاهرة المطهرة أم سلمة المخزومية القرشية الشريفة رضي الله عنها وأرضاها، وكيف لها من الفقه في دين الله أنها أدركت بذكائها وبصيرتها وبذوقها السليم، أن المرأة مناط للستر والحجاب، وانظري ذلك في قولها فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ رغم شبهة التعارض مع النص الدال على حُرمة جر الثوب خيلاء، ورغم أن الإسبال من الكبائر ورغم ما تعلق ذلك من العقوبة العظيمة وهو حرمان المسبلين خيلاء نظر الله إليهم يوم

---

(١) صحيح: البخاري (٩) ومسلم (٣٥).
(٢) صحيح: الترمذي (١١٧٣).
(٣) صحيح: الترمذي (١٧٣١) وابن ماجه (٣٥٨٠).

القيامة، ويالها من حسرة ويالها من عقوبة !!

فكيف إذا بعقوبة المتبرجة والسافرة... إنها نار جهنم -كما سيأتي الدليل على ذلك بعد قليل - حماني الله وإياك من حرها وأظلنا الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وانظري سلكني الله وإياك طريق الرشاد أن رسول الله ﷺ أقرها على هذا الفهم النافذ وهذه البصيرة الباصرة، بأن رخَّص للنساء وهو المؤيَّدُ بوحي السماء، أن يرخين الجلباب (العباءة) شبرًا ثم ذراعًا !

وهذا من أجل ستر الأقدام وحسب فكيف بما غير ذلك من زينة المرأة ومفاتنها؟ لا شك أنه داخل بالقياس المطرد من باب أولى.. بل إن الله عز وجل أمر بأكثر من ذلك، ربكِ وخالقكِ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ فإن ذلك محرم بنص القرآن ولو كانت القدمان مستورتين !!!

وهذه الصِدِّيقة أسماء بنت الصدِّيق رضي الله عنهما وأرضاها، تكتب درسًا تسجله لنا أسفار التاريخ بماء الذهب تقول: انطلقتُ يومًا إلى أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ لأعمل بها، وفي يوم من الأيام حملتُ النوى على رأسي، وقفلتُ راجعة إلى الدار، وفي الطريق قابلتُ رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، ورأى النبي ﷺ حملي فناداني وأناخ بعيره ليحملني، فاستحييتُ أن أركب معه وأن أسير مع الرجال، فعرف ذلك رسولُ الله ﷺ ومضى وتركني، ومضيتُ أنا حتى بلغتُ الدار..

وأترك هذا الصورة الناطقة تختزل أسفارًا من المروءة والمجد، يهشُّ لها وجه الشمس وتبتسم لها نجوم السماء، أتركها دون تعليق وأكتفي بما ربما يعتمل في قلبكِ ويذرف من عينكِ..

فيا من تركب مع السائق مسلمًا كان أم كافرًا، تذكري دائمًا هذا الحديث وقولي: أين هو من رسول الله ﷺ؟؟ وأين أنا من أسماء..؟؟

وتذكري ذلك وأنت تدخلين على الطبيب دون محرم !!

وتذكري ذلك وأنت تتحدثين مع البائع بطريقة غير لائقة، حتى ليكادُ المرء أن يجزم أنه أخوك أو خالك أو عمك..

فإذا كنتِ تريدين السلامةَ لدينكِ والطهارةَ لقلبكِ - وأحسبكِ كذلك - وذهبتِ إلى السوق لحاجة فاذهبي مع ذي محرم، واتركي له أمر محادثة الرجال والاختلاط بهم، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه..

وقد علمنا هذا الأدب ربنا عز وجل، حيث خاطب أفضل الرجال وأفضل النساء بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.. فيا سبحان الله إنه خلق الحياء.. الحياء خلق هذه الأمة !!

وفي أيام الحج، خطب ﷺ فيما روى البخاري ومسلم فقال: «لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجتْ حاجّة، وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا.. فقال ﷺ: «انطلق فحج مع زوجتك».. قالها عليه الصلاة والسلام دون قيد أو شرط، ولم يسأل عن حالها أهي شابة أهي موثوقة؟ أهي مع رفقة مأمونة؟؟، قالها لرجل ليس بذاهب إلى منافسة رياضية أو إلى سَمْرة مسائية مع الأصدقاء، ذاهب إلى الغزو في سبيل الله، وهذه المرأة ليست مسافرة من أجل زيارة قريبة أو صديقة من أجل التسوق و التفسح وتغيير الجو، ولكنها ذاهبة إلى جهاد المرأة من الحج والعمرة !!

وقال ﷺ في حديث آخر فيما خرجه بعض أهل العلم في المتواتر الذي يرتقي من رتبة الظن الغالب إلى اليقين في الثبوت: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم»(١).

أخيتي افتحي قلبك أزيلي عنك هذه الغشاوة، فإنه يوشك أن ينفلت الخطام وأن يتناثر العقد...

ويومها ستكونين أنت الخاسرة أولًا و آخرًا.. وتوشك الفتن أن تموج كموج البحر، وحينذاك فإن باطن الأرض خير لنا من ظاهرها..

وقد جاء في وصف أهوال فتنة الدجال أنه ينزل في سبخة بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها

---

(١) صحيح: مسلم (١٣٣٩).

رباطًا مخافة أن تخرج إليه نسأل الله العصمة والتثبيت..

ولا تحسبي أن ذلك بعيد، وإن أمام الدجال سنون خداعة، وها قد بدأت العلامات تظهر واحدة تلو الأخرى، فقد أعلن مؤخرًا وزير الزراعة الإسرائيلي في ما نقلته وكالات الأنباء العالمية، أن مياه بحيرة طبرية بدأت في التناقص الشديد، والتي سوف تؤول بها إلى الجفاف و لابد من وجود حل لمشكلة المياه...

إن هذا الخبر في غاية الخطورة: لأن واحدةً من علامات ظهور المسيح الدجال المؤكدة في الصحيح جفاف بحيرة طبرية، كما ذكر هو بنفسه حيث سأل عن ثلاثة أمور منها أنه قال: أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء؟ قالوا: نعم، قال: إنّ ماءها يوشك أن يذهب !! وهذا في الحديث الطويل من قصة تميم الداري رضي الله عنه وكان من أحبار النصارى ثم أسلم ونال شرف الصحبة الذي أقره رسول الله ﷺ...

وقد نُقل عن العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أنه عندما سمع بانخفاض مياه بحيرة طبرية إلى الربع غلبه البكاء، وقال هذا زمن خروج الدجال... وإن من علاماته أنه يأتي والناس في ذهول عن ذكره، حتى إذا أصبح على مشارف المدينة وصعد أحدًا ينظر إلى الحرم النبوي ويقول «**هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد**» فعن محجن بن الأدرع أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب فقال:«**يوم الخلاص و ما يوم الخلاص**» ثلاثًا فقيل له: و ما يوم الخلاص؟ قال: «**يجئ الدجال فيصعد أُحُدًا فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكًا مصلتًا فيأتي سبخة الحرف فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق و لا منافقة و لا فاسق و لا فاسقة إلا خرج إليه فذلك يوم الخلاص**».

وقد رأيت بعيني صورة التقطتْ للمدينة النبوية من الأقمار الصناعية، وإذا أظهر ما فيها زادها الله تشريفًا وتعظيمًا مسجد رسول الله ﷺ، وقد بدا كالقصر الأبيض في وسط المدينة، وعلق بعض العلماء بأنه ولأول مرة في التاريخ يكون لون المسجد النبوي في مثل هذا اللون، اللهم سلم.. اللهم سلم ...

أخيتي أزيلي عنك هذه الغشاوة.. أفيقي، إن التبرج من كبائر الذنوب , ويترتب عليه

دخول النار والحرمان من الجنة وناهيك بذلك، قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في «صحيحه»: «صنفان من أهل النار لم أرهما.. وذكر منهما: ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»

ورواه مالك في «الموطأ» عن أبي هريرة رضي الله عنه وجاء فيه «وريحها يوجد من مسيرة خمس مائة عام»...

فيالله هل بقي عندك بعد هذا كله حيرة أو تردد في الإقلاع والبراءة الكاملة من هذه الكبيرة.. وهل لازلتِ تقدِّمين رِجْلًا وتؤخرين أخرى نحو الاستقامة وسلوك المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك... أخيتي:حجابَك، فإنه حجابُك من النار !!

غربيات لا يبغين بالإسلام بدلًا!!

أختاه.. وأنت تتراجعين إلى الوراء وتنزلين عن مكانك العالي، ألم يخطر لكِ ببال أيّ امرأة أنتِ؟ وأيّ دين تنتسبين إليه؟!!

ألم تسمعي عن تلك النصرانية التي أروي لك قصتها من تجرِبتي في الغربة دون واسطة، وقد كنا في رحلة دعوية وترفيهية و ما إن غربت شمس ذلك اليوم إلا وقد جاءت البشائر بإسلامها وانشراح صدرها لدين الإسلام وارتدائها للحجاب، وعندما سألنا كيف تم ذلك؟ قالت: إن سبب اعتناقها للإسلام هو ما رأته من مظاهر الحشمة والحياء بين المسلمات ومن تركهن للاختلاط والتبرج الذي دمر قيم الأسرة والمجتمع في بلادهم وما رأته من اصطفاف المسلمين للصلاة في الجانب الآخر في مشهد هو غاية في التأثير..

والشيء المثير حقًّا أن أولئك النسوة اللاتي كن سببًا لهدايتها،كان كلهن من الأمريكيات اللاتي اخترن الإسلام على ما سواه من الأديان وتعبدن لله لا سواه وعضضن بالنواجذ على لا إله إلا الله.. واقتدينَ بأمهات المؤمنين فلبسنَ الحجاب الكامل دون أن يُرى من إحداهن شيء !!

أخيّة.. ألم تعلمي عن تلك المرأة النصرانية الأخرى التي رأت فتيات مسلمات يمشين في الطريق وتشرفن بارتداء الحجاب، وبعد أن سَألتْ عن خبرهن وقيل لها إنهن يَدِنَّ بالإسلام، اتجهت إلى دراسة هذا الدين حتى انتهى بها المطاف إلى اعتناقها للإسلام !!

إن هذا المشهد الذي قد يظنه البعض عاديًا وغير مؤثر، قد كان له الدور الأول في إنقاذ نفس إنسان من النار، وجريان مثل أجر هذه الأخت المهتدية لهاتيك الفتيات المحجبات وهن غافلات لا يدرين عن أمرها شيئًا.

وأما مشاعر هؤلاء المسلمات بعد ذلك وسعادتهن وراحتهن فلا تسألي !! هذه مجموعة من الغربيات اللاتي ذقن طعم الإيمان ولذة الاستقامة على هذا الدين يقلن: زادني الحجاب جمالًا ـ الحجاب إعلان عام بالالتزام. الحجاب شعار تحرر ـ الحجاب يوفر لي مزيدًا من الحماية ـ عندما أسلمتُ أصررتُ على ارتداء حجابي بالكامل من الرأس إلى القدم ـ الحجاب جزء مني، من كياني، فقد ارتديته قبيل إسلامي لإحساسي أنني أحترم نفسي وأنا أرتديه.

وأخريات منهن يصرخن: أحس في قلبي رقة لم أعهدها قبل إسلامي ـ شعرتُ أنني كنت دائمًا مسلمة ـ اكتسبتُ من الإسلام القوة لمواجهة الناس ـ أجاب الإسلام عن جميع تساؤلاتي ـ وجدت في الإسلام ضالتي وعلاج أزمتي ـ قبل إسلامي كنتُ لا شيء ـ أصبح هدفي الأسمى الدفاع عن هذا الدين ـ صارت الصلاةُ ملاذي والسجود راحتي وسكينتي ـ فرحتي لا تُوصف ـ شدتني العلاقة المباشرة بين العبد وربه ـ المرأة الغربية لا تعرف ماذا تريد تعرفتُ إلى وحدانية الله فبكيت ـ المرأة الغربية ليست متحررة كما قد تتوهم المسلمة ـ نطقتُ بالشهادتين فسرتْ في عروقي قوة خارقة ـ الإسلام هو الذي أعطاني الأمان ـ اكتشفت كنوزًا كنت أجهلها.

ومن الكلمات التي تعبر عن الفرح الغامر الذي يستنطق الدمعة من الجفن، ومن هذا الذي تفيض به قلوب الداخلات في دين الله كلمات اليونانية تيريز تصرخ حتى ليكاد أن يصل صوتها إلى نجوم السماء الزهر: لا أريد أن أتحدث، ففرحي بالإسلام لا يوصف أبدًا، ولو كتبتم كتبًا ومجلدات لن تكفي لوصف شعوري وسعادتي، أنا مسلمة، مسلمة، مسلمة، قولوا لكل الناس إنني مسلمة وسعيدة بإسلامي، قولوا لهم عَبْر وسائل الإعلام كلها: تيريز اليونانية أصبحت خديجة: بدينها، بلباسها، بأعمالها، بأفكارها.

ويطيب لي هنا أن أُثَنّي بقصة العالمة الألمانية (زيغريد هونكة) صاحبة الكتاب الشهير

شمس العرب تسطع على الغرب والذي بينتْ فيه، كما هو معلوم، فضل مدنية المسلمين وثقافتهم على الغرب ونهضته الأخيرة بعد عصور الظلام التي غطتْ أوربا في غطيطها قرونًا طويلة.. زيغريد هونكة التي تَمَلّك حب العرب وحضارتهم ومجدهم شَغاف قلبها بما لا يكاد أن يكون له مثيل بين الأوربيين، وأحبت الإسلام لحبها لهم ولعلمها بأنه هو الذي أخرجهم بين الأمم خير أمة أخرجت للناس..

وقد حدثني بخبرها الدكتور علي الدفاع عالم الرياضيات المعروف في جامعة البترول بالظهران بنفسه مشافهة قال: كنت في أحد المؤتمرات العلمية في أوربا وقد تحدثتُ إلى الدكتورة هونكة وكنت مطلعًا على كتاباتها وإنصافها لعقيدتنا وحضارتنا ورأيتُها وقد كبِرت سِنُّها قلت لها: إن لي حلم جميل أرجو له أن يتحقق !! فقالت لي: وما هذا الحلم؟؟ قال فأجبتُها: بأن حياتك العلمية والثقافية الطويلة في الدفاع عن مآثر العرب والمسلمين وتاريخهم أرجو أن يكون لهذه الحياة الحافلة وهذه السيرة العلمية المميزة تكملة جميلة وأن تختم بأحسن ختام وذاك بأن تدخلي في الإسلام!! قال محدثي وقد رأيتُ عينيها قد اغرورقتا بالدموع ثم قالت لي بالعربية الفصيحة: بيني وبين ذلك قاب قوسين أو أدنى قال فما مر عام أو أكثر حتى سمعتُ خبر اعتناقها للإسلام، وسمعتُ خبر وفاتها بعد ذلك بمدة رحمها الله.. انتهى.

وعندما سُئلتْ في أحد المؤتمرات الإسلامية ما نصيحتها للمرأة العربية التي تريد طي الماضي وخلع الحجاب، قالت زيغريد هونكة: لا ينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكينًا جديدًا للفكر الدخيل المؤدي فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللاتي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقًا لها، وأن تكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة الممثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصاميًا يعتمد على نفسه .

ومثلها قالت الصحفية الأمريكية (هيلسيان ستاسنبري) بعد أن قضت في إحدى العواصم العربية عددًا من الأسابيع.. وعندما عادت إلى بلادها لم يكن ذلك ليمنعها من أن تدلي بشهادتها و تمحض نصيحتها حيث تقول: إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة تحتِّم تقييدَ المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية، التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط، وقيّدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

أي امرأة أنت بين النساء ؟!

أختاه.. وإنما سُقتُ لك هذه الأمثلة وهي غيض من فيض لأقول لك ما قاله الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾. فيا ريحانة الفؤاد ويا سليلة الأمجاد، آن لك أن تعودي إلى ربكِ وخالقكِ ورازقكِ وإلى دينكِ، الذي لن تفلحي إلا بالتمسك به وإلا بالتوبة من سكرة هذه الغفلة المهلكة، التي تكاد أن تلقي بك في متاهات الضلالة وفي دروب الغواية والعياذ بالله...

آن لك أن تتجللي بحجابك الكامل لا الحجاب المزوق المزيف، وآن لك أن تعيدي حياءك وسترك وعباءتك الأولى على رأسك سيفًا في وجه الباطل الذي عربد وكاد أن يلقي بكِ في شراك العدو لولا أن الله سلم..

لقد آن لك أن تعلمي أن صرح هذا الباطل الذي أغراك مظهره، والذي أمسى ينتفخ حتى صار كالبالون الكبير، يوشك أن ينفجر لأدنى شوكة تصيبه من هنا أو هناك..

وإلا فأنت تقرئين قول الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فإن من عادة الباطل أن يزهق حينما يجيء الحق، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾...

وآن لك - يا أخية - أن تَقْطَعي تلك اليد الآثمة التي تسللت وامتدت إلى خماركِ وجلبابكِ، وقطّعتْ أثوابكِ يمنةً ويَسرةً، ولم تبق عليك إلا لباسًا يظهر أكثر مما يستر والله المستعان !!

فيا شقيقة الرجال ويا مصنع الأبطال..كوني صخرةً صُلبةً في جدار الأمة، و لا تكوني سهمًا في كنانة الأعداء يشدخون به هامة الفضيلة وعالية الكرامة !! وإياك إياك أن يؤتى الإسلام من قبلك !

أختاه.. أخوفك بالله الذي يعلم السر وأخفى أن تظني أنّ ما تفعلينه من إنقاص حجابكِ وحياءكِ شيئًا فشيئًا، يومًا بعد يومٍ، ذكاء أو فطنة !! ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾

وحذّر الله من سبيل المنافقين وقال عنهم: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ . وإني أعيذكِ بالله من ذلك وأذكِّرَكِ أن ذلك ظلمٌ لنفسكِ أولًا وقبل كل شيء، ثم إنه ظلم لأهلكِ ومجتمعكِ وأمتكِ وإعانةٌ على الفساد والإفساد.

واعلمي يا أخية أن الله عز وجل يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته كما جاء في الحديث[1] ..ولا إخالكِ تقدمين على مغامرة مخطورة كهذه، خصمكِ فيها الله جل جلاله الجبار المنتقم.. وفي الصحيح المتفق عليه **«إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمنُ ما حرم الله عليه»**[2] .

وإن من أخطر تبعات التبرج والسفور أنه سنة في الإسلام سيئة، عليكِ من وزرها ووزر من تبعكِ فيها إلى يوم القيامة، من النساء اللاتي لازلن يترددن في منزلة بين المنزلتين، ومن صغيرات اليوم، أمهات الغد اللاتي صرن ينظرن كيف تفعلين فيقلدن - دون أن ينقص من أوزارهن شيئًا - وقد جاء في القرآن المجيد: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ .

ألا وإن كل ما هو محرم على البالغة، لا ينبغي أن تنشأ عليه الصبية، ولا تقولي إنها صغيرة فإنها غدًا كبيرة!

يا دُرّة حُفظتْ بالأمس غالية ... واليوم يبغونها للهو والطربِ
يا حُرة قد أرادوا جعلها أَمَةً ... غربية العقل،لكنّ اسمها عربي
هل يستوي مَن رسول الله قائده ... دومًا،وآخر هاديه أبو لهب؟
وأين من كانت الزهراء أسوتها ... ممن تقفتْ خطى حمالة الحطب
أختاه لستِ بنبتٍ لا جذور لها ... ولست مقطوعة مجهولة النسب
أنت ابنة العُرب والإسلام عشتِ به ... في حضن أطهر أمٍ من أعز أب
فلا تبالي بما يلقون من شُبهٍ ... وعندك العقل إن تدعيه يستجب
سليه:من أنا؟ما أهلي؟لمن نسبي؟ ... للغرب أم أنا للإسلام والعرب؟
لمن ولائي؟ لمن حبي؟ لمن عملي؟ ... لله أم لدعاة الإثم والكذب؟

(١) صحيح الترمذي (٣١١٠).وابن ماجه (٤٠١٨).
(٢)صحيح: البخاري (٥٢٢٣) ومسلم (٢٧٦١).

حول تحرير المرأة

لقد زعموا - ومنهم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا - أنهم يريدون تحريرك !

فأسألك بالله أحقًا أنكِ رقيق تباع في سوق النخاسة؟

أخبريني.. منذ متى وأنت كذلك.. حاشا وكلا، ولكنهم يريدون تحريرك من حريتك الحقة بعد إخراجك من بيتكِ وعفافكِ، من أجل أن تكوني رقيقًا لشهواتهم الدنيئة، وقد سمّوها بغير اسمها، ومن أجل أن تصبحي وتمسي مطمعًا لقلوبهم المريضة الفاسدة.!!

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

ولا أحسب القوم جاءوا بجديد، فطريق الشيطان واحدة وخطواته لم تتغير قِيد أنملة..وما إثارة نعرة العداء بين الجنسين إلا لوثة من لوثاتهم التي نقلوها عن سادتهم في الضلالة من الغربيين، ولها أصل في التوراة المحرفة ثم نقلتها يد التحريف إلى الإنجيل أيضًا، فيما طُوِّرَ بعد بما سُمِّي بحركة النسوية (Feminism). ومن تتبع تاريخ هذه الحركة في المجتمعات الأوروبية والأمريكية و ما آلت إليه، تالله يفتأ يذكر نعمة الهداية إلى الحنيفية السمحة !

وقد وظفوها - وهي الآن عندنا أيضًا - لذرّ الرماد في العيون لإخفاء أهدافهم الخبيثة من جانب، ولإشعال مشاعر الحقد عند المرأة بدعوى أنها في صراع مع الرجل لتفكيك وخلخلة ترابط الأسرة والمجتمع من جانب آخر، على مبدأهم إياه فرق تسد ، وكذبوا وصدق الله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

ودعواهم هذه نقض لأوثق عرى الإيمان ألا وهو مبدأ الولاء والبراء وهو أصل من أصول عقيدتنا وأنى لهم.. قال تعالى ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، بل جاء في سورة الروم ما هو أعظم دستور في التاريخ لطبيعة العَلاقة بين الرجل والمرأة في سياق الامتنان وفي لحاقه التفكر في عظيم آيات الرحمن قال جل جلاله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.. فهي علاقة مودة للأبد ورحمة لا عداوة ونكد !! وقال ﷺ: «النساء شقائق الرجال»(١) وكان من آخر كلامه «استوصوا بالنساء خيرًا»(٢)، قالها يوم كان الغرب - وبقي كذلك قرونًا عديدة مديدة - يقيم المؤتمرات حول هل للمرأة روح أم لا؟ وهل المرأة إنسان أم شيطان؟!

وعندنا نحن المسلمين امرأة واحدة مؤمنة صالحة، خير من ملء الأرض من الرجال الكفرة الفجرة.. وإنما الصراع منذ الأزل بين أهل الحق وأهل الباطل وليس كما يقولون في صحافتهم وإعلامهم فلا تنطلِ عليك هذه الحيلة الماكرة !!... ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾.

---

(١) صحيح: أبو داود. (٢٣٦) والترمذي (١١٣).

(٢) صحيح:البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨).

مؤتمرات أم مؤامرات

وأما الغرب الصليبي واليهودي ودعاواه في مؤتمراتهم وآلتهم الإعلامية الضخمة، التي أجلبوا فيها بخيلهم ورَجِلِهم، فإنه أحقر من أن يلتفت إليه - وأنا شاهد عليه والله شهيد على ما أقول -، فالمرأة عندهم تحت ظلال الحرية المزعومة حذاء -إي وربي- يلبسه أراذلهم من شاء متى شاء ويخلعه متى شاء إذا شاء، بل هي عندهم أهون من ذلك لا يسمح المقام أن أقول أكثر من ذلك فهذا مقامُ تلويح لا مقامُ تصريح !!

وأكتفي هنا بمثال واحد عن أشهر ممثلة أمريكية وقد جعلوها صنمًا للفتنة يعبد من دون الله، ألا وهي مارلين مانرو.. وقد عاشت تعاسة لا يشبهها تعاسة حتى أقدمت على الانتحار، ثم اكتشف محقق قضيتها رسالة في صندوق الأمانات كُتب عليها لا تفتح قبل وفاتها.. وقد كتبتْ فيها بخط يدها إلى فتاة تطلب نصيحتها: احذري المجد.. احذري كل من يخدعك بالأضواء.. إني أتعس امرأة على هذه الأرض..لم أستطع أن أكون أمًا.. إني امرأة أفضل البيت..الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية...إلخ !!

ولو أنهم سمعوا صوت عقلائهم لتجنبوا كثيرًا من الرزايا، ومن ذلك كلمة الفيلسوف الألماني شوبنهور في بدايات القرن العشرين الميلادي وقد أصاب كبد الحقيقة يقول: اتركوا للمرأة حريتها المطلقة كاملة دون رقيب، ثم قابلوني بعد عام لتروا النتيجة، و لا تنسوا أنكم سترثون معي للفضيلة والعفة والأدب، وإذا متُّ فقولوا: أخطأ أو أصاب كبد الحقيقة .

والعجيب أن الغرب و ما يدعو إليه في مؤتمراتهم تلك -وآخرها كان في نيويورك / يونيو عام...٢-، و ما تشتمل عليه من المؤامرات ومن توصيات مخجلة، داعية إلى تدمير المرأة والأسرة ومن صنوف الرذائل التي لا ترضاها بهيمة الأنعام فضلًا عن الإنسان الذي كرمه الله، كل ذلك متحقق في مجتمعاتهم وفي المرأة الغربية على أكمل وجه !!

إذًا لماذا كل هذا الضجيج لماذا؟؟.. أجل لكي يصدِّروا هذا الأوبئة إلى مجتمعات العالم الثالث وغايتهم الأولى هو العالم الإسلامي برمته على طريقة إياكِ أعني واسمعي يا جارة !!

و ما عاد هذا يخفى على ذي لب، فقد صاروا لا يطيقون أن يروا ثوب الكرامة و لا

عباءة الفضيلة عندنا، بعد أن تعروا منهما ورأوا أنهم سائرون في طريق ليس فيه رجعة، ويريدون أن يأخذوا معهم من استطاعوا من بني جلدتنا، فهم حقًّا دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها !!

أمَا لو كانت دعوى تحرير المرأة عندهم فيها بعض خير للمسلمين لوضعوها في السراديب وغلّقوا عليها الأبواب، تمامًا كما يفعلون في شأن التقنية والصناعات الأساسية والثقيلة وصناعة الإلكترونيات الدقيقة و رقاقات الحاسب الآلي..!!

ولكن القوم كما قال ربنا فيهم وهو أصدق قائل: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾، وفي الآية الثانية: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾.

بل شموخ الإيمان

أختي الغالية..

أيّ امرأة أنت بين النساء تحمل القرآن بيمينها والسنة..

رضِيتُ بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا..

أبعد أن توّجكِ الله بأبوين مؤمنين صالحين ورضعتِ لُبانة الإيمان منذ الصغر، ونشئتِ في بيت مسلم ملؤه الطهر، وتعلق قلبُكِ كلمةَ التوحيد ومعنى الإخلاص، تكونين كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا؟؟

أيجوز لك بعد تلك الكرامة أن تكوني تبعًا لمخلفات الغرب الفكرية والخلقية والاجتماعية..؟؟

ألا تعلمين أن المرأة الغربية عندما تراكِ كَلِفة بتقليدها والسير على خطاها تنظر إليك باحتقار وازدراء شديدين كما عبر عن ذلك بعضهن..؟؟ أيجوز لك هذا التهافت وهذا السقوط المريع؟؟

كلا والذي لا إلهَ غيرُه !!!

ارفعي رأسك اعتزازًا بدينكِ الحق، واشمخي بأنفكِ شموخ الإيمان لا كبرًا و لا بطرًا..!

واختاري من الطريقين ما هو أليق بتكريم الله لكِ ! واسلكي أحسن النجدين فكوني من الشاكرين لا من الكافرين !!

وإن الله عز وجل قال في محكم كتابه عن مآل الخلائق ومصائرهم: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ !!

نعم في يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الندامة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾

فاختاري يا أخية من الطريقين ما يوصلك إلى أحسن الغايتين.. وأحسبك قادرة على ذلك.. وأسأل الله لي ولكِ التوفيق والسداد.

الوصايا العشر للسعادة الزوجية

أولًا: السعادة الزوجية قائمة على عدة جذور؛ صحية ونفسية وفكرية واجتماعية وليست قائمة فقط على اللذة الجنسية فيجب الاهتمام بصحة الزوج والزوجة. واهتمام الزوجة بالطعام والشراب والبيت الصحي المنظم النظيف.

ثانيًا: الاحترام المتبادل والثقة المتبادلة والحوار المتبادل من أسس السعادة الزوجية لأن إساءة العشرة والأنانية والشكوك والغيرة والغرور والديكتاتورية من أكثر عوامل هدم السعادة الزوجية.

ثالثًا: يجب تعلم فن الشجار الزوجي الذي يجب أن يكون داخل حجرة النوم بعيدًا عن الجيران والأهل ويكون الحوار قصيرًا ومثمرًا ومعرفة تصفية العلاقات والقضاء على الأحقاد وتلاشي رواسب العداوة.

رابعًا: على الزوجة أن تحاذر من الاعتراف لزوجها بماضيها العاطفي أو علاقاتها السابقة حتى لو كانت مجرد علاقة رومانسية أو خيالية أو هاتفية لأن هذا كفيل لزرع بذور الشك والكراهية وعدم الثقة.

خامسًا: يجب تعلم التسامح والإغضاء عن الأخطاء فالزوجة ليست ملاكًا ١٠٠% وليست ممثلة إثارة طوال ٢٤ ساعة وليست خادمة مطيعة١٠٠% لكنها إنسانة تشعر بالتعب والملل والإرهاق وبحاجة للراحة.

سادسًا: يجب التعود على الصراحة التامة وعدم إخفاء أي أسرار بين الزوجين.

سابعًا: يجب على الزوجة تعويد زوجها على الادخار والإنفاق قدر الحاجة ولا تضطره للاستدانة لكي تشتري كل يوم أحدث الأزياء وكل شهر عشاء في أغلى الفنادق وكل عام السفر لأجمل الشواطئ.

ثامنًا: الطلاق ممنوع والتهديد بالطلاق ممنوع والنكد ممنوع لا تحرم زوجتك من زيارة أهلها ولا تحرم أولادك رعاية الأم وحبها وحنانها ولا تحرمهم وجودك بحجة أعمالك المستمرة.

تاسعًا: يجب تعلم فنون الترفيه والتسلية البريئة وعدم الإفراط في الاختلاط بالغرباء

وعدم ذكر مساوئ الزوج للصديقات أو للأهل وعدم الاستماع للنصائح من الجاهلات.

إحدى الزوجات تم طلاقها بسبب تدخل أهلها الدائم في الشجار الزوجي مما زاد من حدة الخلافات.

عاشرًا: الزواج ليس منفعة أو تجارة أو متعة جنسية مستمرة ولكن مشاركة ومسؤولية مشتركة وعن ما يحول الزواج لمنفعة أو صفقة يفقد رومانسيته وأهدافه الإنسانية والمودة والرحمة والسكن النفسي.

صفات الزوجة النكدية

* النقد الدائم:

عندما دخل إبراهيم الخليل على زوجة ابنه إسماعيل، وسألها عن عيشهم، وكان رجلًا غريبًا عليها، ومع ذلك لم تبالِ أن تبدي تذمرها، وقالت: نحن بأشر عيش؟!

* التلفظ بألفاظ مؤلمة:

قد تتلفظ بالكلمة لا تلقي لها بالًا، فتكون سببًا في إيغار صدر زوجها عليها مدة طويلة، وقد تكون فيها نهايتها كما جاء فى المرأة التى تزوج بها الرسول ﷺ فلما دخل بها قالت: أعوذ بالله منك!! قال: «لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك»[١].

* التحقير والاستهزاء بالطرف الآخر:

أن تعيّره بفقره، و بقلة ثقافته وشهاداته، أو ببيئته المتوسطة الحال!!...مع أنها لاتستغن عنه وهذا دأبها فى الجد أو الهزل!!

* التفسير السلبي للآخر:

بعد أن يسيطر عليها الشك! وتحيط بها الظنون تعجز أن تلتمس له العذر بتأخره أو غيابه أو حديثه الخافت في الهاتف.....فتساورها المخاوف وتفقد ثقتها فيه، فتعجز عن صدها، ومن ثم تستسلم لها!!

* الشعور بالتعاسة:

مع توالي النعم عليها وأفضاله لها!! يظل حنينها لماضيها مما يؤلم زوجها هذه زوجة معاوية بن أبي سفيان عندما دخل عليها، وهي تنشد حنينها لديارها في البدو:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحبّ إليّ من قصر مشيد

فسرّحها إلى أهلها.

* لا تستخدم الحوار الهادئ:

فهي لا تكف عن إثارة الضوضاء والجدال معه حتى وإن كانت في جلسة هادئة سرعان

(١) البخاري (٥٢٥٤).

ما ينقلب الحد يث الودي إلى سباب وشتم و ألم وبكاء...

وقال أحد الشعراء يحكي حواره مع زوجته:

ولما التقينا غُدوةً طال بيننا سبابٌ وقذفٌ بالحجارة مطّرح
أجلي إليها من بعيد وأتقي حجارتَها حقاً ولا أتمزّح

فهذه قريبة بنت حرب عندما تزوجت بعقيل بن أبي طالب اختارته؛ لأنه كان مع قرابتها الذين قتلوا في بدر!! وكانت لاتكفّ عن ملاحاته وندب آبائها!! فقالت له يومًا: ياعقيل! أين أعمامي! أين أخوالي كأن أعناقهم أباريق فضة؟

قال لها: إذا دخلت النار فخذي على يسارك!!فغضبت وخرجت من بيته!!(العقد الفريد٦-٩٩).

❋ تثور عند كل موقف:

لا تستطيع الإمساك بزمام نفسها... فهي تشعر بالغليان الداخلي وعند كل موقف تثور ثائرتها فتجعل منه متنفسًا لما يعتمل في صدرها ويؤلم أحساسها!! فقد كان اسم زوجة عمر بن الخطاب عاصية فأسلمت فأتت عمر فقالت: قد كرهت اسمي فسمني، فقال: أنت جميلة! فغضبت وقالت: ما وجدت اسمًا تسميني به إلاّ اسم أمة؟؟ فأتت النبي ﷺ فأخبرته فأقرّ فعل عمر(١).

❋ ليس له مكان في قلبها:

فهي تعلن بغضها له دونما سبب مع كمال إحسانه وحسن دينه!

وقد تصرح به إلى الآخرين ذهبت جميلة زوجة ثابت بن قيس إلى الرسول ﷺ فقالت: يارسول الله! إني لا أعيب على ثابت في دين ولا خلق!! وإني لا أطيقه بغضًا(٢).

وكذلك صرحَت سلمى زوجة صخر أخو الخنساء عندما مرض، وبقي على فراشه سنة كاملة قبل موته فكانت إذا سُئلت عنه تقول: لاحيّ فيُرجى ولا ميت فيُنعى!!وكانت أمه إذا

---

(١) صحيح: مسلم (٢١٣٩).

(٢) صحيح: ابن ماجه (٢٠٥٦).

سُئلت عنه قالت: أصبح بنعمة الله سالمًا.فقال:

أرى أم صخر ما تجفَّ دموعُها   وملّت سُليمى مضجعي ومكاني

* تطلب الطلاق على الدوام:

تماضر بنت الأصبغ زوجة عبد الرحمن بن عوف،كان في تماضر سوء خلق، وكانت على تطليقتين فلما مرض عبد الرحمن جرى بينه وبينها شيء، فقال لها: والله لئن سألتني لأطلقنّك؟فقالت: والله لأسألنّك،فقال: إما لا فأعلميني إذا حضت وطهرت، فلما حاضت وطهرت أرسلت إليه تعلمه، قال: فمر رسولها ببعض أهله، فقال: أين تذهب؟قال: أرسلتني تماضر إلى عبد الرحمن أعلمه أنها قد حاضت ثم طهرت، قال: ارجع إليها، فقل لها: لا تفعلي، فوالله ما كان ليردّ قسمه!فقالت:أنا والله لا أردّ قسمي!! قال: فأعلمه فطلقها؟

وتستخدم الزوجة جاهلة في هذا السياق العديد من الرسائل السلبية محاولة منها للفت أنظار الزوج إلى ما يجيش فى صدرها من ألم وقلق...والتي تتراوح بين النظرة الغاضبة، والحواجب المقطبة، والجلوس وحيدة في غرفتها، ورفض الطعام...ولا تعلم أنها بهذا التجاهل تمسّ كرامته وتجرح رجولته!! تقود الزوج إلى درجة من الاستفزاز سرعان ما يبدأ بعدها بالغليان ثم الانفجار!!

ونظرًا لطبيعة المرأة العاطفية...وإحساسها المرهف فأشد ما يؤلمها من زوجها المواقف المعنوية من ملاحظة قاسية, أو عتاب عنيف, أو عبارة جارحة..!!

بينما لطبيعة الرجل المادية فسرعان ما يتذكر المواقف التى أحسن فيها من هدية ثمينة، أو نزهة عابرة...فيبدأ كلّ منهما بهجوم مضاد، سرعان ما ينقلب إلى معركة خاسرة من الشجاراليومي...بسبب اختلاف دفاع كل طرف عن الآخر...!!

ستون نصيحة للزوجة المسلمة

١- أنت ريحانة بيتك فأشعري زوجك بعطر هذه الريحانة منذ لحظة دخوله البيت.

٢- تفقدي مواطن راحته سواء بالحركة أو الكلمة، واسعي إليها بروح جميلة متفاعلة.

٣- كوني سلسة في الحوار والنقاش وابتعدي عن الجدال والإصرار على الرأي.

٤- افهمي القوامة بمفهومها الشرعي الجميل والذي تحتاجه الطبيعة الأنثوية، ولا تفهميها على أنها ظلم وإهدار لرأي المرأة.

٥- لا ترفعي صوتك في وجوده خاصة.

٦- احرصي أن تجتمعا سويًا على صلاة قيام الليل بين الحين والآخر فإنها تضفي عليكما نورًا وسعادة ومودة وسكينة، ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

٧- عليك بالهدوء الشديد لحظة غضبه ولا تنامي إلا وهو راض عنك... زوجك جنتك ونارك.

٨- الوقوف بين يديه لحظة ارتداء ملابسه وخروجه.

٩- أشعريه بالرغبة في ارتداء ملابس معينة واختاري له ملابسه.

١٠ - كوني دقيقة في فهم احتياجاته ليسهل عليك المعاشرة الطيبة دون إضاعة وقت.

١١- لا تنتظري أو تتوقعي منه كلمة أسف أو اعتذار بل لا تضعيه في هذا الموضع إلا إذا جاءت منه وحده ولشيء يحتاج اعتذارًا فعلًا.

١٢- اهتمي بمظهره وملبسه حتى ولو كان هو لا يهتم به ويتباسط في الملبس إلا أنه يشرفه أمام زملائه أن يلبس ما يثنون عليه.

١٣- لا تعتمدي على أنه هو الذي يبادرك دائمًا ويبدي رغبته لك.

١٤- كوني كل ليلة عروسًا له ولا تسبقيه إلى النوم إلا للضرورة.

١٥- لا تنتظري مقابلًا لحسن معاملتك له فإن كثيرًا من الأزواج كثيرًا ما ينشغل فلا يعبر عن مشاعره بدون قصد.

١٦- كوني متفاعلة مع أحواله ولكن ابتعدي عن التكلف.

١٧- البشاشة المغمورة بالحب والمشاعر الفياضة لحظة استقباله عند العودة من السفر.

١٨- تذكري دائمًا أن الزوج وسيلة يُتقرب بها إلى الله تعالى.

١٩- احرصي على التجديد الدائم في كل شيء في المظهر والكلمة واستقبالك له.

٢٠- عدم التردد أو التباطؤ عندما يطلب منك شيئًا بل احرصي على تقديمه بحيوية ونشاط.

٢١- جددي في وضع أثاث البيت خاصة قبل عودته من السفر وأشعريه بأنك تقومين بهذا من أجل إسعاده.

٢٢- احرصي على حسن إدارة البيت وتنظيم الوقت وترتيب أولوياتك.

٢٣- تعلمي بعض المهارات النسائية بإتقان فإنك تحتاجينها لبيتك ولدعوتك وأداؤها يذكرك بأنوثتك.

٢٤- استقبلي كل ما يأتي به إلى البيت من مأكل وأشياء أخرى بشكر وثناء عليه.

٢٥- احرصي على أناقة البيت ونظافته وترتيبه حتى ولو لم يطلب منك ذلك مع الجمع بين الأناقة والبساطة.

٢٦- اضبطي مناخ البيت وفق مواعيده هو ولا تشعريه بالارتباك في أدائك للأمور المنزلية.

٢٧- كوني قانعة واحرصي على عدم الإسراف بحيث لا تتجاوز المصروفات الواردات.

٢٨- مفاجأته بحفل أسري جميل مع حسن اختيار الوقت الذي يناسبه هو.

٢٩- إشعاره باحتياجك دائمًا لأخذ رأيه في الأشياء المهمة والتي تخصك وتخص الأولاد دون اللجوء إلى عرض الأمور التافهة.

٣٠- تذكري دائما أنوثتك وحافظي عليها وعلى إظهارها له بالشكل المناسب والوقت المناسب دون تكلف.

٣١- عند عودته من الخارج وبعد غياب فترة طويلة خارج البيت لا تقابليه بالشكوى والألم مهما كان الأمر صعبًا.

٣٢- أشركي الأولاد في استقبال الأب من الخارج أو السفر حسب المرحلة السنية للأولاد.

٣٣- لا تقدمي الشكوى للزوج من الأولاد لحظة عودته من الخارج أو قيامه من النوم أو على الطعام لأن لها آثارًا سيئة على الأولاد والوالد.

٣٤- لا تتدخلي عند توجيهه أو عقابه للأولاد على شيء.

٣٥- احرصي على إيجاد علاقة طيبة بين الأولاد والأب مهما كانت مشاغله ولكن بحكمة دون تعطيل لأعماله.

٣٦- أشعريه رغم انشغاله عن البيت بالدعوة بأنك تتحملين رعاية الأولاد بفضل دعائه لك وباستشارته فيما يخصهم.

٣٧- لا تتعجلي النتائج أثناء تطبيق أي أسلوب تربوي مع أبنائك لأنه إن لم يأخذ مداه والوقت الكافي الذي يتناسب مع سن الطفل يترتب عليه يأس وعدم استمرار في العملية التربوية.

٣٨- اجعلي أسلوبك عند توجيه الأبناء شيقًا جميلًا يخاطب العقل والوجدان معًا ولا تعتمدي على التنبيه فقط حتى تكوني قريبة إلى قلوب أبنائك (أي إقناع الولد بالخطأ الذي اقترفه وليس الزجر فقط).

٣٩- أبدعي في شغل وقت فراغهم خاصة في الاجازات وتنمية مهاراتهم وتوظيف طاقاتهم على الأشياء المفيدة.

٤٠- كوني صديقة لبناتك وأدركي التغيرات النفسية التي تمر بها الفتاة في كل مرحلة.

٤١- ساعدي الصبية على إثبات الذات بوسائل عملية تربوية.

٤٢- احرصي على إيجاد روح التوازن بين واجباتك تجاه الزوج والأولاد والبيت والعمل.

٤٣- احترام وتقدير والديه وعدم التفريق في المعاملة بين والديه ووالديك فهما أهديا إليك أغلى هدية وهي زوجك الغالي.

٤٤- استقبلي أهل الزوج بترحيب وكرم وتقديم الهدايا لهم في المناسبات وحثه على زيارتهم حتى وإن كان لا يهتم بذلك.

٤٥- الاهتمام بضيوفه وعدم الامتعاض من كثرة ترددهم على البيت أو مفاجأتهم لك بالحضور بل احرصي على إكرامهم لأن هذا شيء يشرفه.

٤٦- اهتمي بأوراقه وأدواته الخاصة وحافظي عليها.

٤٧- اجعلي البيت مهيأ لأن يستقبل أي زائر في أي وقت ونسّقي كتبه وأوراقه بدقة وبشكل طبيعي دون أن تتفقدي ما يخصه طالما لا يسمح لك.

٤٨- لا تعتبي عليه تأخره وغيابه عن البيت بل اجمعي بين إشعاره بانتظاره شوقًا والتقدير لأعبائه فخرًا.

٤٩- لا تضطريه إلى أن يعبر عن ضيقه من الشيء بالعبارات ولكن يكفي التلميح فتبادري بأخذ خطوة سريعة.

٥٠- أشعريه دائمًا أن واجباته هي الأولوية الأولى مهما كانت مسؤولياتك وأعمالك.

٥١- لا تكثري نقل شكوى العمل الدعوي أو المهني لزوجك.

٥٢- اعلمي أن من حقه أن يعرف ما يحتاجه عن طبيعة ما تقومين به من عمل دون التعرض لتفاصيل ما يدور بينك وبين أخواتك.

٥٣- أشعريه باهتمامك الشخصي فالزوجة الماهرة هي التي تثبت وجودها في بيتها ويشعر بها زوجها طالما وجدت حتى وإن كان وقتها ضيقًا.

٥٤- انتبهي أن تؤثر على طبيعتك الأنثوية كثرة الأعمال الدعوية والمهنية.

٥٥- حافظي على أسرار بيتك وأعينيه على تأمين عمله بوعيك وإدراكك لطبيعة عمله.

٥٦- لا تضعيه أبدًا في موضوع مقارنة بينه وبين آخرين بل تذكري الصفات الجميلة التي توجد فيه.

٥٧- تعرفي على الفقه الدعوي الذي يساعدك على التحرك بسهولة وحكمة في الوسط النسائي حتى تحققي الأهداف المطلوبة في الوقت المطلوب دون إضاعة وقت.

٥٨- تعرفي على المقاييس المادية التي تشغل عموم النساء ليسهل عليك إخراجهن منها وتخيري مداخل الحديث المناسب لهن.

٥٩- احرصي عند متابعة عملك مع أخواتك أن تخاطبي القلب قبل العقل لمناسبة ذلك

مع الطبيعة النسائية.

٦٠- احرصي على التوريث والتفويض وإيجاد الردائف حتى لا تكبر معك أعباؤك ومسؤولياتك فيتوفر من يقوم بها بدلاً منك.

وأخيرًا لا تعتمدي على الجهد البشري كلية ولا تنسي أننا دائمًا نحتاج إلى توفيق الله..

حتى لا تزيغ عين زوجك[١]

حيرة وغيرة تتملك الكثير من الزوجات عندما يرين أزواجهن ينظرون أو يهتمون أو يعجبون بالأخريات، ويتساءلن:

ما الذي يدفع الزوج للهروب إلى أخرى؟! لِمَ يلتفت إلى غيري رغم وجودي بجواره؟ لِمَ أشعر ببرودة يديه إذا أخذتها في كفي؟لماذا تزوغ عيون زوجي الحبيب؟!

ونستطيع أن نوجز لك أختي المسلمة شيئًا من أسباب هذه المشكلة:

١- نزغ الشيطان:

وهذا هو السبب الأساسي. فهي غريزة مفطور عليها البشر، ومن الشهوات التي يزينها إبليس للبشر؛ فتفتن كل من يبتعد عن منهج الله -عز وجل- وهدايته، ولا ينظر إلى ما عنده سبحانه من حسن المآب: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

وهذا مرجعه إلى عدم غض البصر، والنظر إلى المحرمات؛ فتقع الفتنة الإبليسية، وهذا لا يشترط أن تكون الأخرى أجمل من الزوجة، ولكنه تزيين وغواية الشيطان. وكما يقول الحبيب محمد ﷺ لعلي رضي الله عنه: **«يَا عَلِيُّ، لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ»**[٢].

٢- العناد:

فقد تكون مجرد رسالة تمرد للزوج على شك وسلطوية أو تسلط الزوجة على زوجها، وفي هذه الحالة لا يهم الزوج أن تعلم زوجته بسلوكياته؛ بل قد يتعمد أن تعلم ما يفعله.

٣- الهروب:

---

(١) من مقال للدكتور:حمدى شعيب.

(٢) حسن: أبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٧٧٧).

فقد يكون ذلك مجرد هروب من واقع أو مشكلة نفسية؛ لمجرد التسرية النفسية فيتمادى الزوج حتى تقع الفتنة.

٤- البحث عن الثقة في النفس:

حيث يلجأ الرجل إلى الأخرى لكسب الثقة بالنفس، ولإثبات أهميته عندما تنال منه زوجته أو تحاول إضعاف شخصيته، أو تحاول هز ثقته بنفسه بإهانته أو التطاول على رجولته.

٥- الفراغ:

قد يكون الفراغ في الوقت أو الفراغ العاطفي؛ فلا يجد من زوجته الوقت الذي تملأ به حياته، أو لا يجد الاهتمام والرعاية العاطفية؛ فيبحث عنها عند الأخرى ليسعد ولو للحظات، حتى ولو كانت لحظات خادعة.

٦- حب المغامرة:

بعض الناس قد يستهويهم حب التجربة وحب المغامرة أو المقامرة بحياتهم أو سمعتهم؛ فيبدؤون مشوارًا قد لا تحسب عاقبته.

٧- ضعف الشخصية:

بعض الرجال يحاولون البحث عن الأخرى التي تشعرهم بالمكانة والود والشعور بالرجولة.

٨- البيئة والواقع المحيط:

سواء المحيط الأسري أو الاجتماعي. فالبيئة الأسرية غير السوية والتفكك الأسري والبعد الفكري والعاطفي بين الزوجين تدفع للملل، والبحث عن السعادة الخارجية ولو كانت مزيفة و البيئة الاجتماعية الخارجية والممثلة في المجتمعات المفتوحة دون ضوابط أخلاقية من أنسب الأجواء لنشوء العلاقات الخارجية المحرمة، وهواية النظر للأخرى.

٩- التنشئة الأصلية:

فقد تكون هناك ترسبات دفينة في نفس الزوج، رآها في بيئته الأسرية أو الاجتماعية، فتراكم على مر السنين لتكون جزءًا من تكوينه الداخلي فتدفعه للتقليد والمحاكاة، وقد لا

يدري تفسيرًا لسلوكه الخارجي وهو يواجه من داخله بأفكار دفينة قاتلة، كمن يتحرك بالريموت.

١٠- الانتقام:

فعندما يتعرض أحدهم لحادث حياتي معين، سواء من زوجته المهملة أو من المرأة عمومًا، فيدفعه ذلك لحب الانتقام من أي امرأة يتخذها كنموذج لمن تسبب في مشكلته، فيرى صورة زوجته في أي امرأة أخرى.

١١- لم أزل مطلوبًا:

وهناك مرحلة خطيرة في حياة الرجل، قد يسمونها مرحلة المراهقة الثانية أو أزمة منتصف العمر التي تأتي في العقد الخامس من عمر الرجل؛ فيغامر الرجل ليثبت لنفسه ولزوجته أنه لم يزل مطلوبًا.

١٢- عدم الإنجاب:

فتوجهه غريزة حب البقاء والخلود لأن يبحث عمن تعطيه وتشبع هذه الغريزة.

١٣- الزوجة الدميمة:

سواء في الشكل أو الجسد التي لا تستطيع أن تشبع الرغبة العاطفية عند الزوج، فيبحث عن الأخرى التي تملأ هذا النقص.

١٤- إهمال الزوجة لنفسها:

وقد تكون جميلة، ولكنها تحجب جمالها بالإهمال، ولا تحاول أن تعف زوجها؛ فتدفع شريكها المسكين للنظر إلى من تهتم بنفسها، وإلى من تشعر الزوج بأنه يرى أنثى لا خادمة؛ لا يراها إلا بملابس المطبخ ذات الروائح المميزة والطاردة.

١٥- الهجر والبعد:

فقد يكون بعدًا ماديًّا؛ كسفر الزوج أو سفر الزوجة، وقد يكون بعدًا معنويًّا فيشعر الزوج بالغربة وهو في بيته وبجواره الزوجة الغريبة.

١٦- سوء خلق الزوجة:

وهو من العوامل الطاردة للزوج ليهرب من جحيم اللسان الذي يلسعه كالسوط كلما

ناقش أو حاور شريكته سليطة اللسان.

١٧- **عاشقة النكد:**

وهناك صنف من الزوجات يتفنن في البحث عن الهم والغم والحزن، ويجيد مهارات وفنون التنكيد والتنغيص على عباد الله خاصة زوجها، فيهرب إلى الأخرى ولو لمجرد التنفيس، وغالبًا ما تكون الأخرى من النوع المرح المبتسم، فيلاحظ الفرق فيهرب إليها.

١٨- **المنّانة:**

وهي من الصفات الطاردة للزوج. وقد يكون المنُّ بالحسب والنسب والمكانة الاجتماعية، ولا تفتأ تذكره بأنها بنت فلان قاهر البحار وصاحب السلطان والصولجان. وقد يكون المن بالمال، خاصة إذا كانت موظفة ولها راتب أو غنية.

غيري من نمط حياتكِ يا زوجتي!

هذه وسائل هامة نفذتها زوجة مع زوجها فكسبته فحاولي أنتِ أن تكوني مثلها، وتذكري أن أعظم وسيلة تقوى الله تعالى، تقول:

١- أتصل به عند تأخره في العمل وأسأل عنه.

٢- أمدح الأشياء التي اشتراها.

٣- أعمل الوجبة التي يحبها.

٤- أغير مكان الأثاث في المنزل بين فترة وأخرى.

٥- أعمل مسابقة بيننا للجلوس لصلاة الفجر.

٦- أذكره بأعماله في الصباح.

٧- أشركه في همومي وأخذ رأيه.

٨- أطيبه وأبخره بين حين وآخر وخاصة يوم الجمعة.

٩- أكون منطقية في طلباتي وأتذكر دائما المثل الذي يقول:

(إن المرأة لا تريد إلا الزوج فإذا حصلت عليه أرادت كل شيء).

١٠- أحرص أن أتعلم كل جديد من طبخ وهواية وفن حتى يرى مني كل يوم جديدًا.

١١- إحياء مفهوم (نحن لا نختلف على الدنيا) فلا نختلف على تسمية مولود أو قطعة أثاث أو نوع طعام.

١٢- التغيير الشكلي أمامه بين حين وآخر كقص الشعر ووضع المكياج وغيرها (إن هو يحب ذلك).

عمل المرأة في بيتها:

مندوب لها وصدقة منها على زوجها وبنيها.. وأما الواجب المحتم عليها فهو أن لا تمتنع منه إذا أرادها إلا بعذر شرعي من حيض أو نفاس أو مرض أو صيام فرضي.. وأن لا توطئ فراشه من يكره ولا تخرج إلا بإذنه.. وأن تحفظه في نفسها وماله.

وأما عملها في بيتها فهو لها أجر وصدقة وتكفير عن الذنوب والموبقات ورفع للدرجات.. فقد كانت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد أكثر النساء عملًا في بيتها وخدمة لزوجها وبنيها. قال علي رضي الله عنه لابن أعبد:

ألا أحدثك عني وعن فاطمة؟. قلت: بلى قال: إنها جرت بالرحى حتى أثر في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها فأتى النبي ﷺ خدم فقلت: لو أتيت أباك فسألِتهِ خادمًا، فأتته فوجدت عنده حداثًا فرجعت فأتاها من الغد فقال ﷺ: «**ما كان حاجتك؟**» وسكتت فقلت أنا أحدثك يا رسول الله جرت بالرحى حتى أثرت في يدها وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا يقيها حر ما هي فيه.فقال ﷺ: «**اتقي الله يا فاطمة. وأدي فريضة ربك واعملي عمل أهلك. وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثًا وثلاثين واحمدي ثلاثًا وثلاثين وكبري أربعًا وثلاثين فتلك مائة فهي خير لك من خادم**» فقالت رضيت عن الله وعن رسوله. ولم يخدمها. وفي رواية أوقدت القدر حتى دكنت ثيابها[(١)].

وهكذا أبى المصطفى صلوات الله عليه على فاطمة التي لم يكن يحب أحدًا مثلها والتي هي بضعة منه يريبه ما رابها ويغضبه ما أغضبها أبى عليها الخادم ووزع أولئك الخدم الذين

---

(١) صحيح: البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧).

جاؤوه على نساء المهاجرين والأنصار.. حرصًا منه على أن تزداد ابنته من الأجر كلما عملت في خدمة زوجها وبنيها.

وقد كانت أسماء بنت أبي بكر ﭫ تعمل في خدمة بيتها وزوجها الزبير بن العوام حتى طلبت من أبيها الصديق خادمًا كفتها سياسة فرس الزبير أحست وكأنه أعتقها.

قالت ﭫ: (تزوجني الزبير بن العوام وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء.. غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه فأعلفه وأسقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز.. فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق.. وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ.

قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي فلقيت النبي ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني وقال: أخ أخ ليحملني خلفه فاستحييت وعرفت غيرته (أي: الزبير) فعرف رسول ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه. حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني) «أخرجه الشيخان البخاري ومسلم» [(١)].

ولم يكن ذلك العمل المجهد الذي تقوم به الزوجة قاصرًا على فاطمة بنت محمد صلوات الله عليه ولا على أسماء بنت أبي بكر. وإنما كانت نساء النبي وبناته ونساء المهاجرين والأنصار وأكثر المسلمين يعملن ذلك العمل الشاق..وأن تفاوتت الدرجة والشدة. فلم تكن المرأة عاطلة خاملة.. وأنى لها أن تكون وهي ربة البيت وسيدة الأسرة وأمامها أعمال جليلة من حمل وولادة وإرضاع وتغذية للزوج وللأطفال.. وعناية بالأولاد وخدمة في المنزل.. ومساهمة في تحمل بعض تبعات الزوج من سقي الماء وحمل القرب على الأعناق.. وإدارة الرحى على الأيدي وسياسة الفرس وعلفه.. وحمل النوى من أرض

---

(١) صحيح: البخاري (٣١٥١) ومسلم (٢١٨٢).

الزوج..

أنه ليس عملًا واحدًا ولكنها أعمال تنوء بحملها الجبال.. وقد حملنها صابرات شاكرات حتى إذا منّ الله على المسلمين بالفتوحات خفف أهلوهن وأزواجهن عنهن بعض ما يجدن وألحقن بهن خادمات يساعدنهن على تلك الأعمال..

أما القمة التي لا يصل إليها إلا محمد وبنوه فقد بقيت سامقة عالية الذرى تكابد مشاق الأعمال وتجاهد بالليل وبالنهار حتى مع وفرة الخدم وكثرة المال.. لأن مقام النبوّة لا يصل إليه أحد ولا يطاوله إنسان.

ويكفي المرأة بعد ذلك أن يعتبر حملها وولادتها رباطًا في سبيل الله.

«المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط في سبيل الله. فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر الشهيد» للطبراني في الكبير [(١)].

واستمع إلى وافدة النساء إلى النبي ﷺ أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها وهي تلخص موقف المرأة المسلمة ووظيفتها ومع ذلك فهي ترنو إلى أجر الجهاد في سبيل الله والمشاركة فيه. فتقول:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله. أنا وافدة النساء إليك. وإن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة.. وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم. وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وشهود الجنائز والحج بعد الحج. وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل. وإن أحدكم إذا خرج في سبيل الله حاجًا أو معتمرًا حفظنا لكم أولادكم وأموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم أنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي إلى أصحابه بوجهه كله وقال: **«هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها»**. قالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا فالتفت إليها النبي ﷺ وقال: **«افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله»**..

---

(١) ضعيف: انظر «مجمع الزوائد» (٤/٣٠٥).

الله أكبر.. الله أكبر.. وأي بشارة للمرأة أكبر من ذلك. إن حسن تبعلها وتزينها لزوجها يعدل الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله... لا كما نراها اليوم تتزين إذا خرجت إلى الأسواق وتكون في هيئة رثة في بيتها مع زوجها.. وتتبرج تبرج الجاهلية الأولى وأشد وإذا خرجت معطرة تتمخطر بين الرجال حتى تلعنها الملائكة.. بينما هي في بيتها وأمام زوجها في حالة رثة وهيئة مزرية.

وقد أحسنت أسماء بنت خارجة الفزاري النصيحة لابنتها عندما زفت إلى زوجها فقالت: أي بنية.. إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أرضًا يكن لك سماء. كوني له مهادًا يكن لك عمادًا وكوني له أمة يكن لك عبدًا. لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك إن دنا فاقربي منه. وإن نأى فابعدي عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبًا ولا يسمع إلا حسنًا ولا ينظر إلا جميلًا».

ولعمري تلك نصيحة تبقي أبد الدهر لكل عروس تزف إلى زوجها..

وقد أدركتها المرأة المسلمة فكانت خير زوجة عرفتها الإنسانية وأنتجت تلك الأمة الفريدة في التاريخ التي وصفها الله بخير أمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

وكان للمرأة دور عظيم في إبراز خير أمة ظهرت على وجه البسيطة.. فقد كانت المرأة نعم الزوجة ونعم الأم ونعم المدرسة.. وكم من أفذاذ في تاريخ هذه الأمة أبرزتهم إلى الوجود جهود أمهات مبرقعات.. فمن بتربيتهم وتعليمهم وتأديبهم.

ولا ريب في أنه لو أريد لهذه الأمة أن تنهض كما نهضت من قبل وأن تحتل مكانها المنوط بها والذي شرفها الله به.. لا ريب أن عليها أولًا أن تحسن تربية المحاضن الأولى وتهذيبهن بآداب الإسلام وتعلمهن بعلومه.. حتى تتحول فعلًا إلى مدرسة كما قال حافظ إبراهيم رحمه الله...

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق

خروج المرأة للعمل وتركيب المرأة الجسدي

أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله تعالى على هيئة تخالف تكوين الرجل، وقد بني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة أسرة وسيدة البيت، وقد كان لخروج المرأة إلى العمل وتركها بيتها وأسرتها نتائج فادحة في كل مجال.

ويقول تقرير هيئة الصحة العالمية الذي نشر في العام الماضي أن كل طفل مولود يحتاج إلى رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل. وأن فقدان هذه الرعاية يؤدي إلى اختلال الشخصية لدى الطفل كما يؤدي إلى انتشار جرائم العنف الذي انتشر بصورة مريعة في المجتمعات الغربية وطالبت هذه الهيئة الموقرة بتفريغ المرأة للمنزل وطلبت من جميع حكومات العالم أن تفرغ المرأة وتدفع لها راتبًا شهريًا إذا لم يكن لها من يعولها حتى تستطيع أن تقوم بالرعاية الكاملة لأطفالها.

وقد أثبتت الدراسات الطبية والنفسية أن المحاضن وروضات الأطفال لا تستطيع القيام بدور الأم في التربية ولا في إعطاء الطفل الحنان الدافق الذي تغذيه به.

الاختلاف على مستوى الخلايا:

إن هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل، بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل. وإذا دققنا النظر في المجهر لهالنا أن نجد الفروق واضحة بين خلية الرجل وخلية المرأة.. ستون مليون مليون خلية في جسم الإنسان ومع هذا فإن نظرة فاحصة في المجهر تنبئك الخبر اليقين: هذه خلية رجل وهذه خلية امرأة، كل خلية فيها موسومة بميسم الذكورة أو مطبوعة بطابع الأنوثة.

وفي الصورة التالية نرى الفروق واضحة بين خلية دم بيضاء لرجل وأخرى لامرأة كما نرى الفرق جليًا بين خلية من فم امرأة وخلية من فم رجل، ثم ننظر في الصورة على مستوى أعمق من مستوى الخلايا إلى مستوى الجسيمات الملونة (الصبغيات أو

الكروموسومات). هذه الجسيمات الملونة موجودة في كل خلية وتقاس بالانجستروم (واحد على بليون من المليليمتر) في ثخانتها وهي موجودة على هيئة أزواج منها زوج واحد مسؤول عن الذكورة والأنوثة.

إن الجسيم الملون (صبغ) للذكورة يختلف في شكله المميز عن صبغ الأنوثة، بل ولا يقتصر الاختلاف على الشكل والمظهر إنما يتعداه إلى الحقيقة والمخبر فصبغ الذكورة قصير سميك بالنسبة لصبغ الأنوثة ومع ذلك فهو يجعل الخلية الذكرية أكثر نشاطًا وأقوى شكيمة وأكثر إقدامًا من شقيقتها الأنثوية.

الاختلاف على مستوى النطفة:

وإذا سرنا في سلم الفروق وارتفعنا إلى مستوى الخلايا التناسلية سنجد الفرق شاسعًا والبون هائلًا بين الحيوانات المنوية (نطفة الرجل) وبين البويضة (نطفة المرأة).

تفرز الخصية مئات الملايين من الحيوانات المنوية في كل قذفة مني بينما يفرز المبيض بويضة واحدة في الشهر. فاحصة لخصائص الحيوان المنوي الذي يقاس بالميكرون (واحد على مليون من المليمتر) تجعلنا نوقن بأنه يجسد خصائص الرجولة. بينما نرى البويضة تجسد خصائص الأنوثة فالحيوان المنوي له رأس مدبب وعليه قلنسوة مصفحة وله ذيل طويل وهو سريع الحركة قوي الشكيمة لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفه أو يموت. بينما البويضة كبيرة الحجم (١/٥ ميليمتر) وتعتبر أكبر خلية في جسم الإنسان الذي يحتوي على ستين مليون مليون خلية. وهي هادئة ساكنة تسير بدلال وتتهادى باختيار وعليها تاج مشع يدعو الراغبين إليها وهي في مكانها لا تبرحه ولا تفارقه، فإن أتاها زوجها وإلا ماتت في مكانها ثم قذفها الرحم مع دم الطمث. وإذا دققنا النظر في قطرة صغيرة من مني الرجل تحت المجهر لهالنا ما نرى.. مئات الملايين من الحيوانات المنوية تمخر عباب بحر المني المتلاطم وهي تضرب بأذيالها لتجري في طريقها الشاق الطويل الوعر المحفوف بالمفاوز والمخاطر حتى تصل إلى البويضة، وفي أثناء هذه الرحلة الشاقة الهادرة تموت ملايين الحيوانات المنوية ولا يصل إلى البويضة إلا بضع مئات.

وهناك على ذلك الجدار تقف هذه الحيوانات تنتظر أن يؤذن لها بالدخول وتتحرك يد

القدرة الإلهية المبدعة فتبرز كوة في جدار البويضة أمام حيوان منوي قد اختارته الإرادة الإلهية ليلقح تلك الدرة المكنونة.. ويلج الحيوان المنوي سريعًا إلى هذه الكوة والفرجة ليقف وجهًا لوجه أمام البويضة.. وهناك يفضي لها بمكنون سره ويعطيها أسرار الوراثة وتعطيه. ويتحدان ليكوّنا النطفة الأمشاج التي يخلق الله سبحانه وتعالى منها الإنسان كاملًا.

الاختلاف على مستوى الأنسجة والأعضاء:

وإذا ارتفعنا من مستوى الصبغيات (الكروموسومات) والخلايا إلى مستوى الأنسجة والأعضاء وجدنا الفروق الهائلة الواضحة لكل ذي عينين بين الذكورة والأنوثة.. فعضلات الفتى مشدودة قوية وهو عريض المنكبين واسع الصدر ضيق البطن صغير الحوض نسبيًا لا أرداف له ولا عجز كبير.. يتوزع الدهن جسمه توزيعًا عادلًا وطبقة الدهن في الغالب الأعم محدودة بسيطة.. وينمو شعر العانة متجهًا نحو السرة كما ينمو شعر عذاريه وينمو شعر ذقنه وشاربه ويغلظ صوته ويصبح أجش.. بينما نجد عضلات الفتاة «رقيقة ومكسوة بطبقة دهنية تكسب الجسم استدارة وامتلاء مرغوب فيه خاليًا من الحفر والنتوءات الواضحة المتعاقبة التي لا ترتاح العين لرؤيتها» كما يقول أستاذ علم التشريح الدكتور شفيق عبد الملك في كتابه مبادئ علم التشريح ووظائف الأعضاء ويواصل الدكتور شفيق كلامه فيقول:

«ولا تقتصر هذه الطبقة الدهنية على استدارة الجسم وستر ما يعتوره من حفر أو نتوءات بل إن بعض المناطق الخاصة تحظى بنصيب وافر منها مثل الثديين اللذين يكبران ويستديران ويتخذ كل منهما شكل نصف كرة، وكذلك منطقة الزهرة والإليتان وكما يستدير الفخذان وغيرهما من مواضع خاصة.

ويتسع الحوض متخذًا شكلًا مناسبًا يتفق مع العمل الذي خصص له ويكتمل نمو أعضاء التناسل الباطنة كالرحم والمبيض الذي يقوم بعملية الأبياض السابقة للطمث وكذلك الأعضاء التناسلية الظاهرة كالشفرين الكبيرين ويتخذ كل منهما شكله وحجمه وقوامه وبنيانه وموضعه في البالغ ويظهر الشعر في منطقة الزهرة والإبطين وينعم الصوت بعد أن كان مصبوغًا بصبغة الطفولة.

وغرض كل هذه التغييرات في الفتاة اكتساب جمال المنظر ورشاقة القوام ونضارة الطلعة

مما يتفق مع حسن ونعومة ونضارة الأنوثة وكلها عوامل قوية للإغراء».

وتختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة اختلافًا يعرفه كل إنسان فللمرأة رحم منوط به الحمل فإن لم يكن حمل فدورة شهرية وطمث (حيض) حتى تحمل أو تتوقف الحياة الجنسية للمرأة. وللمرأة أثداء لها وظيفة جمالية كما لها وظيفة تغذية الطفل منذ ولادته إلى فطامه بأحسن وأنظف وأليق غذاء.. ليس هذا فحسب ولكن تركيب العظام يختلف في الرجل عن المرأة في القوة والمتانة وفي الضيق والسعة وفي الشكل والزاوية.

وإذا نظرنا لحوض المرأة مثلًا وجدناه يختلف عن حوض الرجل اختلافًا كبيرًا يقول الدكتور شفيق عبد الملك أستاذ التشريح ما يلي:

«يمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفة هامة إضافية تتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التي لا يحتاج إليها حوض الرجل.. فنمو الجنين في الحوض وطرق تغذيته وحفظه ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة مما يستلزم بعض التغييرات والتعديلات التي يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للأم والطفل وتنحصر كل هذه التغييرات في أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر، وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريسًا ثم يذكر الدكتور ١٩ فرقًا بين حوض الرجل والمرأة ينبغي على طالب الطب أن يحفظها ويعيها، ويختم ذلك بقوله:

«وأن تكن رقة العظام ونعومتها وبساطة تضاريسها وصغر شوكاتها وقلة غور حفرها ظاهرة جلية في أكثر عظام الهيكل في المرأة غير أنها تتجلى بأوضح شكل في عظام الحوض للأنثى التي بلا نزاع تشارك صفات عظام الهيكل الأخرى بقسط وافر في صفاتها المميزة للأنوثة زيادة على تكيفها النوعي الخاص بما يناسب ما يتطلب منها القيام بعمل تنفرد به دون غيرها من عظام الهيكل».

وخلاصة القول: إن أعضاء المرأة الظاهرة والخفية وعضلاتها وعظامها تختلف إلى حد كبير عن تركيب أعضاء الرجل الظاهرة والخفية كما تختلف عضلاته وعظامه في شدتها وقوة تحملها.

وليس هذا البناء الهيكلي والعضوي المختلف عبثًا إذ ليس في جسم الإنسان ولا في

الكون شيء إلا وله حكمة سواء علمناها أم جهلناها، وما أكثر ما نجهل وأقل ما نعلم.

والحكمة في الاختلاف البين في التركيب التشريحي والوظيفي (الفسيولوجي) بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بني ليخرج إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح وتبقى المرأة في المنزل تؤدي وظيفتها العظيمة التي أناطها الله بها وهي الحمل والولادة وتربية الأطفال وتهيئة عش الزوجية حتى يسكن إليها الرجل عند عودته من خارج المنزل. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.

والفرق تراه في الرجل البالغ والمرأة البالغة كما تراه في الحيوان المنوي والبويضة. البويضة ساكنة هادئة لا تتحرك إلا بمقدار وعليها التاج المشع، والحيوان المنوي صاروخ مصفح وقذيفة تنطلق عبر المخاطر والمفاوز لتفوز بغرضها وغايتها أو تموت.. ليس ذلك فحسب بل ترى الفرق في كل خلية من خلايا المرأة وفي كل خلية من خلايا الرجل.. تراه في الدم والعظام، تراه في الجهاز التناسلي، تراه في الجهاز العضلي وتراه في اختلاف الهرمونات هرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة وتراه بعد هذا وذاك في الاختلاف النفسي بين إقدام الرجل وصلابته وخفر المرأة ودلالها.

وإذا أردنا أن نقلب الموازين، وكم من موازين قد قلبناها، فإننا نصادم بذاك الفطرة التي فطرنا الله عليها ونصادم التكوين البيولوجي والنفسي الذي خلقنا الله عليه...تكون نتيجة مصادمة الفطرة وتجاهل التكوين النفسي والجسدي للمرأة وبالًا على المرأة وعلى المجتمع وسنة الله ماضية ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

فروق أخرى جسدية ونفسية بين الذكر والأنثى

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾:

إن الفروق الفسيولوجية (الوظيفية) والتشريحية بين الذكر والأنثى أكثر من أن تحصى وتعد.. فهي تبتدئ بالفروق على مستوى الصبغيات (الجسيمات الملونة أو الكروموسومات) التي تتحكم في الوراثة.. والتي تدق وتدق حتى أن ثخانتها تقاس بالأنجستروم (واحد على بليون من المليمتر).. وترتفع إلى مستوى الخلايا وكل خلية في

جسم الإنسان توضح لك تلك الحقيقة الفاصلة بين الذكورة والأنوثة.. تتجلى الفروق بأوضح ما يكون في نطفة الذكر (الحيوانات المنوية) ونطفة المرأة (البويضة).. ثم ترتفع الفروق بعد ذلك في أجهزة الجسم المختلفة من العظام إلى العضلات... وتتجلى بوضوح في اختلاف الأجهزة المختلفة من العظام إلى العضلات... وتتجلى بوضوح في اختلاف الأجهزة التناسلية بين الذكر والأنثى... ولا تقتصر الفروق على الجهاز التناسلي وإنما تشمل جميع أجهزة الجسم.. ولكنها تدق وتدق في بعض الأجهزة وتتضح وتَتضح في أخرى.. وجهاز الغدد الصماء هو أحد الأجهزة التي تتجلى فيها الفروق كأوضح ما يكون... فهرمونات الذكورة تختلف عن هرمونات الأنوثة في تأثيرها اختلافًا كبيرًا رغم أن الفرق الكيماوي بسيط ويتمثل في زيادة ذرة من الكربون وثلاثة ذرات من الهيدروجين $CH_٣$ إلى التركيب الجزئي Molecular Structure في هرمون الأنوثة...

وهذه ملاحظة أخرى هامة أشار إليها القرآن الكريم: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

فهرمون الذكورة يساوي هرمون الأنوثة + (مجموعة مثلية) وكذلك الجهاز التناسلي للرجل يساوي الجهاز التناسلي للمرأة + أعضاء إضافية.

وفي أثناء تكوين الجنين في مراحله الأولى يكون جنين الذكر مشابهًا في أول الأمر لجنين الأنثى ويصعب التفريق بينهما إلا على مستوى الصبغيات (الكروموسومات).. ولكن سرعان ما تتميز منطقة في المخ تدعى تحت المهاد Hypothalamus لدى الجنين الذكر عن مثيله الجنين الأنثى.. وهذه الإضافة والزيادة في مخ جنين الذكر تؤدي إلى الفروق الهائلة فيما بعد بين الجهاز التناسلي للذكر والجهاز التناسلي للأنثى.. كما يؤدي إلى الفروق الهائلة بين غدد الذكر الصماء وغدد الأنثى.. وتؤثر هذه الغدد على مختلف أنشطة الجسم وعلى هيكله أيضًا.. ومن ثم يختلف بناء هيكل الذكر عن بناء هيكل الأنثى كما تختلف الوظائف تبعًا لذلك.. والسبب في تمايز منطقة تحت المهاد من المخ بين جنين الذكر وجنين الأنثى هو هرمون التستسرون الذي تفرزه مشيمة الجنين الذكر.. ثم تنمو الغدة التناسلية وتؤثر بالتالي على المنطقة المخية تحت المهاد.

ومن الغريب حقًا أن هيكل البناء يصمم أساسًا على هيكل الأنثى فإذا وجد صبغ الذكورة

(كروموسوم الذكورة) فإنه يضيف إلى ذلك الكيان إضافات تجعل النهاية ذكرًا. أما إذا اختفى هذا الكروموسوم الهام من تركيب البويضة الملقحة كما يحصل في بعض الحالات النادرة التي ترينا قدرة المولى عز وجل فإن النتيجة النهائية هي جسم امرأة وإن كانت ناقصة التكوين ففي حالة ترنر Turner Syndrome فإن البويضة الملقحة تحتوي فقط على كروموسوم X فلا هي أنثى محتوية على XX ولا ذكر محتوية على XY.. فماذا تكون النتيجة؟

تكون النتيجة أنثى غير أنها لا تحيض ولا تحبل ولا تلد... أما إذا كانت نتيجة التلقيح مثلًا XXY كما يحصل في حالة كلينفلتر Kleinfelter Syndrome فإن الطفل المولود يكون ذكرًا رغم وجود صبغيات الأنوثة بصورة كاملة.. وإن كان ذكرًا ضعيف الهمة بارد الشهوة خائر العزيمة... وذلك لتراكم صبغ الأنوثة فيه..

أما إذا زاد صبغ الذكورة في البويضة الملقحة وصار حاصلها الكروموسومي XYY أي أن بها صبغين (كروموسومين) كاملين من أصباغ الذكورة فإن النتيجة تكون ذكرًا قوي الشكيمة شديد البأس كثير العدوان.. حتى أن الفحوصات التي أجريت لأعتى المجرمين في السجون وأشدهم بأسًا وإقدامًا أظهرت أن كثيرًا منهم كانوا ممن لديهم زيادة في صبغ (كروموسوم) الذكورة !!.

ولعله لو فحص الرجال المشهورون في التاريخ بزيادة الشجاعة والإقدام والرجولة والخشونة لربما وجدنا أن ذلك مرجعه في كثير من الحالات إلى زيادة صبغ الذكورة Y لدى هؤلاء الموصوفين بزيادة جرأتهم وإقدامهم سواء كان ذلك في مجال الخير أو في مجال الشر.

والفرق بين رجل وآخر من حيث الإقدام وصفات الرجولة يرجع في بعض الأحيان إلى زيادة هرمون الرجولة لدى هذا وقلته النسبية لدى ذاك.

ونظرة إلى المخصيين الذين تم خصيهم قبل البلوغ ترينا كيف تتحول رجولتهم إلى الأنوثة.... ولا ينبت شعر عذارى المخصي وذقنه وشاربه... ويتوزع الدهن بنفس الطريقة التي يتوزع فيها في الأنثى.. أي في الأرداف والعجز... وتلين عظامه وترق.. ويبقى صوته

رخيمًا على نبرة الطفولة دون أن تصيبه غلظة الرجولة وخشونتها.

أما أولئك الذين أخصوا بعد البلوغ فإن علامات الرجولة سرعان ما تندثر ويسقط شعر الذقن والشارب ولا يعود إلى النمو ثانية. وتبدأ العضلات في الترهل.. كما تبدأ الصفات الأنثوية البدنية والنفسية في الظهور لأول مرة..

وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة وأن التلافيف الموجودة في مخ الرجل هي أكثر بكثير من تلك الموجودة في مخ المرأة.

وتقول الأبحاث أن المقدرة العقلية والذكاء تعتمدان إلى حد كبير على حجم ووزن المخ وعدد التلافيف الموجودة فيه.

فالإنسان يعتبر صاحب أكبر دماغ بين جميع الحيوانات بالمقارنة مع حجم ووزن جسمه.. وتلافيف مخه أكثر بكثير مما هي عليه في أي من الحيوانات الدنيا أو العليا.

وقد يقال إن وزن وحجم المخ يعتمد على وزن وحجم الشخص وهذا صحيح فإن مخ الفيل أكبر من مخ الإنسان ولكن مخ الفيل بالنسبة لوزنه وحجمه ضئيل جدًا.. وأما مخ الإنسان فإنه كبير بالقياس إلى جسمه ومقارنته ببقية الحيوانات.

وحتى لو أخذنا هذه الحقيقة في الحسبان فإن دماغ الرجل سيظل أكبر وأثقل وأكثر تلافيفًا من دماغ المرأة.

ويزيد مخ الرجل في المتوسط عن المرأة بمقدار مائة جرام.. كما يزيد حجمه بمعدل مائتي سنتيمتر مكعب. ونسبة وزن مخ الرجل إلى جسمه هي ١/٤ بينما نسبة مخ المرأة إلى جسمها تبلغ ١/٤٤ فحسب.

ولعل في هذا دليلًا على ما ورد في الحديث النبوي الشريف من نقصان عقل المرأة بالنسبة للرجل.

وجعل الله سبحانه شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: من الآية٢٨٢].

هذه الفروق كلها تؤكد إعجاز الآية ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وليست الدرجة مقتصرة فقط

على التركيب البيولوجي ولكنها أيضًا تشمل التركيب النفسي.. والقدرات العقلية والكلامية.. والفنية ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

فإذا نظرت في التاريخ وجدت النابغين في كل فرع من فروع المعرفة والاختراع والحياة من الرجال لا يكاد يحصيهم محصي.. بينما النابغات من النساء في أي مجال من مجالات المعرفة أو الاختراع محدودات معدودات وتستطيع أن تذكر المئات من الرجال في كل فن من فنون المعرفة.. وفي قيادة الجيوش وفي الاختراعات وفي الصناعة وفي المال والاقتصاد.. ولكنه سيعسر عليك أن تعد العشرات من النساء في أي فن من هذه الفنون المختلفة من المعارف الإنسانية والصناعات والاختراعات.. وتستطيع أن تعد عشرات الأنبياء والمرسلين وهم صفوة البشر.. ولكنك لا تستطيع أن تجد واحدة تتصف بصفات النبوة والرسالة.. رغم عظم بعض هؤلاء النساء من أمهات الأنبياء وزوجاتهم وبناتهم... فمريم العذراء سيدة النساء في زمانها... وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.. لا يضارعهن أحد من النساء.. ونعال الواحدة منهن خير من آلاف الرجال.. لكن الحقيقة تبقى بعد ذلك أنه لم ترق واحدة منهن إلى مصاف النبوة...

وليس هذا قدحًا في المرأة... فإن أعظم العباقرة يتصاغر أمام أبسط الأمهات.. ولا يستطيع أعظم قادة الدنيا من الرجال أن يفعل ما تفعله أبسط النساء وأجهلهن.. أنه لا يستطيع أن ينجب طفلًا ويحمله في بطنه تسعة أشهر كما أنه لا يمكنه إرضاعه وتربيته مهما كان له من العبقرية والنبوغ !!

فوظيفة الأمومة لا يستطيع أن يقوم بها أي رجل مهما كان حظه عظيمًا من النبوغ.. ووظيفة الأمومة تتصاغر أمامها كل الوظائف الأخرى.. حتى يجعل الرسول الكريم الجنة تحت أقدامها «الجنة تحت أقدام الأمهات»(١) ويوصي أصحابه وأمته برعاية الأم بأضعاف أضعاف ما يوجبه للأب.. فعندما سئل المصطفى صلوات الله عليه من أحد أصحابه: من أحق الناس بحسن صحبتي وبري قال المصطفى ﷺ : «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم

---

(١) ضعيف: «ضعيف الجامع» (٢٦٦٦).

أدناك فأدناك»[١].

وركز القرآن الكريم على بر الوالدين وحث عليهما أيما حث وخص الأم بزيادة ذكر ليبين مزيد فضلها.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: من الآية١٤).

وقال عز وجل من قائل ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: من الآية١٥).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).

ويقول الأستاذ العقاد رحمه الله في المرأة في القرآن في فصل ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: (فليست شواهد التاريخ الحاضر المستفيضة بالظاهرة الوحيدة التي تقيم الفارق بين الجنسين. إذ لا شك أن طبيعة الجنس أدل من الشواهد التاريخية والشواهد الحاضرة على القوامة الطبيعية التي اختص بها الذكور من نوع الإنسان إن لم نقل من جميع الأنواع التي تحتاج إلى هذه القوامة.. فكل ما في طبيعة الجنس الفسيولوجية في أصل التركيب يدل على أنه علاقة بين جنس يريد وجنس يتقبل وبين رغبة داعية ورغبة مستجيبة تتمثلان على هذا النحو في جميع أنواع الحيوانات التي تملك الإرادة وترتبط بالعلاقة الجنسية وقتًا من الأوقات.

وعلى وجود الرغبة الجنسية عند الذكور والإناث لا تبدأ الأنثى بالإرادة والدعوة ولا بالعراك للغلبة على الجنس الآخر..

وليس هذا مما يرجع في أصوله إلى الحياء الذي تفرضه المجتمعات الدينية ويزكيه واجب الدين والأخلاق بل يشاهد ذلك بين ذكور الحيوان وإناثه حيث لا يعرف حياء

---

(١) صحيح: «صحيح الجامع» (٨٠٦٧).

الأدب والدين. فلا تقدم الإناث على طلب الذكور بل تتعرض لها لتراها وتتبعها وتسيطر عليها باختيارها ولا تزال الأنثى بموقف المنتظر لنتيجة العراك عليها بين الذكور ليظفر بها أقدرها على انتزاعها.

وأدل من ذلك على طبيعة السيطرة الجنسية أن الاغتصاب إذا حصل إنما يحصل من الذكور للأنثى ولا يتأتى أن يكون هناك اغتصاب جسدي من أنثى لذكر.. وأن غلبة الشهوة الجنسية تنتهي بالرجل إلى الضراوة والسيطرة وتنتهي بالمرأة إلى الاستسلام والغشية... وأعمق من ذلك في الإبانة عن طبيعة الجنس أن عوارض الأنوثة تكاد تكون سلبية متلقية في العلامات التي يسمونها بالعلامات الثانوية فإذا ضعفت هرمونات الذكورة وقلت إفرازاتها بقيت بعدها صفات الأنوثة غالبة على الكائن الحي كائنًا ما كان جنسه (وذلك ما هو مشاهد عند اخصاء الذكور فتظهر الصفات الأنثوية وتضمحل صفات الذكورة).. ولكن صفات الذكورة لا تأتي وحدها إذا ضعفت هرمونات الأنوثة.. إنما يظهر منها ما كان يعوقه عائق عن الظهور.

ومن الطبيعي أن يكون للمرأة تكوين عاطفي خاص لا يشبه تكوين الرجل لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهي بمناولته الثدي وإرضاعه.. ولابد معها من تعهد دائم ومجاوبة شعورية تستدعي شيئًا كثيرًا من التناسب بين مزاجها ومزاجه..وبين فهمها وفهمه ومدارج حسه وعطفه.. وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرًا في أطوار حياتها من صباها الباكر إلى شيخوختها العالية فلا تخلو من مشابهة للطفل من الرضى والغضب وفي التدليل والمجافاة وفي حب الولاية والحدب ممن يعاملها ولو كان في مثل سنها أو سن أبنائها.

وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة أو تتركه باختيارها إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال الصغار أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة.. ويصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة... فهما ولا شك مختلفان في هذا المزاج اختلافًا لا سبيل إلى المماراة فيه).

تتعرض المرأة وتنتظر والرجل يطلب ويسعى والتعرض هو الخطوة الأولى في طريق الإغراء فإن لم يكف فوراءه الإغواء بالتنبيه والحلية والتوسل بالزينة والإيماء. وكل أولئك معناه تحريك إرادة الآخرين والانتظار.

فإرادة المرأة تتحقق بأمرين: النجاح في أن تراد والقدرة على الانتظار. ولهذا كانت إرادة المرأة سلبية في الشؤون الجنسية على الأقل إن لم نقل في جميع الشؤون.

فالإغواء كاف للأنثى ولا حاجة بها إلى الإرادة القاسرة بل من العبث تزويدها بالإرادة التي تغلب بها الذكر عنوة لأنها متى حملت كانت هذه الإرادة مضيعة طوال فترة الحمل بغير جدوى على حين أن الذكور قادرون إذا أدوا مطلب النوع مرة أن يؤدوه مرات بلا عائق من التركيب والتكوين.. وليس هذا في حالة الأنثى بميسور على وجه من الوجوه.

وعلى هذا يعتز الرجل بأن يريد المرأة ولا تعتز المرأة بأن تريده لأن الإغواء هو محور المحاسن في النساء والإرادة الغالبة هي محور المحاسن في الرجال. ولذا زودت طبيعة المرأة بعدة الإغواء وعوضتها عن عدة الغلبة والعزيمة. بل جعلتها حين تُغلب هي الغالبة في تحقيق مشيئة الجنسين على السواء. أ.هـ. كلام الأستاذ العقاد.

والفروق بين الذكر والأنثى تتجلى في الجنين من الشهر الرابع حيث تتميز أعضاء الذكورة وأعضاء الأنوثة.. وحيث يكون المخ ومنطقة «تحت المهاد» قد تميزت كاملًا بين الجنين الذكر والجنين الأنثى.

وقد لاحظ العلماء والأطباء والمربون الاختلاف الشاسع في سلوك الطفل الذكر عن سلوك شقيقته الأنثى ولو كانا توأمين.. فالصبي عادة أكثر عنفًا ونشاطًا وإدراكًا من أخته.

وتشكو الأمهات في العادة من نشاط أولادهن الزائدة وما يسببونه لهن من متاعب وتحطيم في أثاث المنزل بينما البنات في العادة هادئات...

وتميل الصغيرات إلى اللعب بالعرائس وإلى تسريحهن والعناية بهن ويقمن تلقائيًا بدور الأم بينما يصعب على الصبي فعل ذلك وسرعان ما يلوي رقبة العروسة إن أعطيت له ويمزقها لينظر ما في أحشائها؟

ويعرف الآباء والأمهات الذين رزقهم الله ذرية من الأولاد والبنات الفروق الشاسعة بين

أطفالهم.. وتقف البنت الصغيرة أمام المرآة وتتدلل تلقائيًا.. وكثيرًا ما كنت أسمع من بناتي وهن لم يجاوزن بعد سن الثالثة عند لبسها ثوبًا جديدًا واستعدادها للخروج مع أمها: يا بابا شوف الجمال !!.. أو «يا بابا إيه رأيك في الفستان الجميل ده» ، «أو بابا شوف التسريحة الحلوة دي».

ولم يخطر ببال الصبي أن يفعل مثل ذلك بل هو مشغول منذ طفولته الباكرة باللعب بالكرة أو بتفكيك الألعاب التي تهدى له ليعرف ما بداخلها.

وتستمر الفروق تنمو يومًا بعد يوم حتى تبلغ أوج اختلافها عند البلوغ عندما تستيقظ الغدد التناسلية من هجعتها الطويلة وتنشط فترسل هرمونات الذكورة إلى الصبي ليصبح رجلًا فينمو شعر عذاريه وذقنه وشاربه ويصبح صوته أجش غليظًا.. وتنمو عضلاته وعظامه وتقوى.. ويتوزع الدهن في جسمه توزيعًا عادلًا.. ويكون عريض المنكبين قوي الساعدين مفتول الذراعين.. أما الفتاة فتنهمر عليها هرمونات الأنوثة فتنمو أثداؤها وأجهزتها التناسلية وتبدأ الحيض.. ويتوزع الدهن في جسمها بحيث يخفي أي نتوء أو حفرة لا ترتاح لها العين.. ويزداد الدهن في أردافها وعجزها.. وينعم صوتها ويصير رخيمًا.. ليس هذا فحسب ولكن الهرمونات تؤثر في السلوك كما تؤثر في القوام والمشية فتجعل الفتى مقدامًا محبًا للمغامرة وتجعل الفتاة شديدة الخفر والحياء ميالة إلى الدلال والتغنج.

وهي فروق تظهر في الحيوان المنوي والبويضة كما تظهر في الفتاة اليافعة والشاب الذي طر شاربه.

وظائف المرأة الفيسيولوجية تعوقها عن العمل خارج المنزل:

وإذا نظرنا فقط إلى ما يعتري المرأة في الحيض والحمل والولادة لعرفنا أن خروجها إلى مجال العمل إنما هو تعطيل للعمل ذاته.. كما أنه مصادم لفطرتها وتكوينها البيولوجي الذي لا مندوحة عنه..

المحيض:

إن أنثى الإنسان.. والثدييات العليا مثل القردة والأورانج والشمبانزي هي التي تحيض ولها دورة رحمية كاملة.. أما بقية الحيوانات فلا تحيض إناثها رغم ما يشاع عن حيض

الأرنب والضبع والخفاش.. فهذه جميعًا لا تحيض وإن كانت تنزل دمًا من أرحامها عند اهتياجها الجنسي الشديد.

وللحيوانات جميعها فترة محدودة للنشاط الجنسي وعادة ما يكون في فصل الربيع بينما النشاط الجنسي للإنسان متصل على مدار العام.. ولا تفرز الإناث من هذه الحيوانات بويضاتها إلا في فترة محدودة من العام بينما تفرز المرأة بويضة مرة في كل شهر منذ البلوغ إلى سن اليأس.. أي خلال ما يزيد عن ثلاثين عامًا كاملة.. وهي طوال هذه المدة معرضة للحيض في كل شهر إلا إذا وقع الحمل.

وتتعرض المرأة في أثناء الحيض لآلام ومعانات نلخصها فيما يلي:

١- تصاب أكثر النساء بآلام وأوجاع في أسفل الظهر وأسفل البطن.. وتكون آلام بعض النساء فوق الاحتمال مما يستدعي استدعاء الطبيب واستعمال الأدوية المسكنة للألم.

٢- تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض وخاصة عند بدايته.. وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال.. كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها.

٣- تصاب بعض النساء بالصداع النصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض.. وتكون الآلام مبرحة وتصحبها زغللة في الرؤية وقيء.

٤- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة وخاصة عند بداية الحيض.. وتميل كثير من النساء في فترة الحيض إلى العزلة والسكينة. وهذا أمر طبيعي وفسيولوجي إذ أن فترة الحيض هي فترة نزيف دموي من قعر الرحم.. وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها في حالة شبه مرضية.

٥- فقر الدم (الأنيميا) الذي ينتج عن النزيف الشهري إذ تفقد المرأة كمية من الدم في أثناء حيضها.. وتختلف الكمية من امرأة إلى أخرى وقد قيست كمية الدم أثناء الحيض وزنًا وحجمًا فوجد ما بين أوقتين (٦٠ميليليتر) وثمان أوقيات (مائتين وأربعين ميليلتر)

٦- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض بدرجة مئوية كاملة.. وذلك لأن العمليات الحيوية التي لا تكف في جسم الكائن الحي تكون في أدنى مستوياتها أثناء الحيض.

وتسمى هذه العمليات بالأيض أو الاستقلاب Metabolism ويقل إنتاج الطاقة كما

تقل عمليات التمثيل الغذائي.. وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون والبروتين..

٧- تصاب الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم إلى أدنى مستوى لها أثناء الحيض.

٨- نتيجة للعوامل السابقة تنخفض درجة حرارة الجسم ويبطئ النبض وينخفض ضغط الدم وتصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والكسل والفتور أثناء فترة الحيض..

ومن المعلوم أن الأعمال المجهدة والخروج خارج المنزل ومواجهة صعاب الحياة تحتاج إلى أعلى قدر من القوة والنشاط والطاقة.. فكيف يتأتى للمرأة ذلك وهي تواجه كل شهر هذه التغييرات الفيسيولوجية الطبيعية التي تجعلها شبه مريضة.. وفي أدنى حالاتها الجسدية والفكرية..

ولو أصيب رجل بنزف يفقد فيه ربع لتر من دمه لولول ودعا بالويل والثبور وعظائم الأمور وطلب إجازة من عمله.. فكيف بالمسكينة التي تنزف كل شهر ولا يتلفت إليها أحد.

وانظر إلى أثار رحمة الله بالمرأة... كيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض فأعفاها من الصلاة ولم يطالبها بقضائها.. وأعفاها من الصوم وطالبها القضاء في أيام آخر وأعفاها من الاتصال جنسيًا بزوجها واخبرها وأخبر زوجها بأن الحيض أذى وطلب منهما أن يعتزل كل منهما الآخر في الحيض قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

الجدوى الاقتصادية لخروج المرأة

يؤكد المناصرون لخروج المرأة دعاواهم على الجدوى الاقتصادية لخروج المرأة من بيتها ومساهمتها كما يزعمون في رفع إنتاجية الوطن.. ويكثرون من السخرية والتشنيع بالمجتمعات الرجعية كما يسمونها حيث تبقى المرأة حبيسة بيتها.

وضع المرأة الأوروبية اليوم:

رغم التحسن في الأوضاع الاقتصادية للعمال في أوروبا إلا أن وضع المرأة الاقتصادي والاجتماعي لا يزال حرجًا. فالمرأة لا تزال تجد نصف أجر الرجل في أغلب مجالات العمل إن لم نقل كلها.. كما أن على المرأة إذا أرادت الزواج أن تتنازل عن اسمها واسم أبيها لتصبح تابعة لزوجها حتى في الاسم.. كما أنها تفقد في كثير من الأحيان حقها في التصرف في أموالها إلا بعد إذن زوجها.. ولعل كثيرًا من القراء سيدهشون عندما يعلمون أن المرأة في أوروبا هي التي تدفع المهر للرجل لا بالعكس ويسمى«الدوطة» Dowery وقد أهمله اليوم كثير من الغربيين.. وأن الرجل غير مسؤول عن نفقة الزوجة..

بينما نرى الإسلام قد منح المرأة شخصيتها وذاتيتها فلا تتزوج إلا بعد إذنها ورضاها كما أنها تحتفظ باسمها واسم أبيها وعائلتها بعد الزواج.. وتبقى لها الأهلية الكاملة في التصرف في أموالها دون مراجعة زوجها.. وليس عليها أن تنفق على نفسها وأولادها حتى ولو كانت غنية موسرة وكان زوجها فقيرًا معسرًا..فإذا أنفقت شيئًا فهي صدقة منها على زوجها. أو يعتبر ذلك دينًا عليه يجب قضاؤه عند الإيسار.

ونتيجة لتردي وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي فإن المرأة تصبح فريسة سهلة لسماسرة تجارة البغاء الدولية.. كما تستخدم المرأة لترويج البضائع ودائمًا وأبدًا ترى صورة امرأة فاتنة للإعلان عن أي شيء حتى ولو لم يكن له أي علاقة بالمرأة.

وينشط العقل التجاري اليهودي فلا يستخدم إلا المرأة في أغلب المتاجر والمكاتب ويهيمن على هذا الفريق من النساء العاملات رجل أو رجلان لضبط العمل.. والسيطرة على المرأة فكريًا وجسديًا وجنسيًا ونتيجة لهذه الأوضاع المتردية.. فإن المرأة تعاني من الوحدة فتهرب منها إلى أحضان أي رجل الذي سرعان ما يملها ويأخذ غيرها.. وتضطر المسكينة إلى استخدام حبوب منع الحمل مبكرًا حتى لقد وصل الأمر بالمسؤولين أن يلقنوا الطالبات في المدارس وسائل منع الحمل..

ورغم هذا فإن هناك الآلاف من الفتيات الصغيرات اللائي يعانين من الحمل سنويًا نتيجة لعدم معرفتهن بوسائل منع الحمل معرفة جيدة.. ولذا قام كبار المربين والمسؤولين بوضع

برامج منع الحمل في المدارس الثانوية ثم قاموا بعد ذلك بتدريسها لطلبة الإعدادي.. وأخيرًا توصلوا إلى قرار تدريسها في المدارس الابتدائية بعد أن وجدوا أن الطالبات الصغيرات جدًا هن اللائي يقعن بالدرجة الأولى فريسة لهذا الحمل.. ولم يعد يهم المسؤولين أن يعم البغاء ولكن همهم منصب فقط على نشر وسائل منع الحمل بين الأطفال.

واضطرت القوانين الغربية إلى إباحة الإجهاض ولو على مضض.. وانتشرت حالات الإجهاض حيث يتم في أمريكا إجهاض مليون امرأة سنويًا.. ويتم ما يقارب هذا العدد في أوروبا..

وتقول الإحصائيات أن أغلب حالات الانتحار هي من الفتيات الصغيرات اللائي يعشن حياة قلقة ويائسة. وكما ظهرت ولأول مرة في تاريخ الطب حالات جماعية لضرب الأطفال الصغار ضربًا وحشيًا يؤدي في كثير من الأحيان إلى الوفاة أو إلى تشوهات جسدية وعقلية.

وقد تحدثت المجلات الطبية بإسهاب عن هذا المرض الجديد الذي لم يكن معهودًا من قبل وأسمته «مرض الطفل المضروب» Battered Baby Syn-drome الذي اكتشفه الدكتور كيمب منذ خمسة وعشرين عامًا فقط.

وتقول مجلة هيكساجين الطبية Hexagon Vol.٦ No. ٥,١٩٧٨ أنه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أوروبا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضربًا مبرحًا من أمهاتهم وأحيانًا من آبائهم.

وفي عام ١٩٦٧ دخل إلى المستشفيات البريطانية أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضربًا مبرحًا أدى إلى وفاة ما يقرب من ٢٠٪ منهم وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة. وقد أصيب المئات بالعمى كما أصيب مئات آخرون بالصمم.. وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلي الشديد والشلل نتيجة الضرب المبرح..

ويتساءل الدكتور آبلي رئيس أقسام الأطفال في مستشفيات بريستول المتحدة في مدينة بريستول ببريطانيا هل هؤلاء الآباء والأمهات وحوش؟ وينتهي في مقاله إلى أن هؤلاء الأمهات يواجهن أزمات نفسية خطيرة أدت بهن إلى ضرب أطفالهن ضربًا مميتًا.. أو مؤديًا

إلى عاهات مستديمة..

ويقول: أن أغلب هؤلاء الأمهات لسن مجرمات بطبيعتهن ولكن وجود الأم بدون زوج واضطرارها للعمل والخروج ثم عودتها مرهقة إلى المنزل لتواجه الطفل الذي لا يكف عن الصراخ يفقدها اتزانها وعواطفها.. وقد لوحظ أن كثيرًا من هؤلاء الأمهات يكرهن أولادهن كرهًا شديدًا حيث ينغص هؤلاء الأطفال على أمهاتهن حياتهن وقد نشرت الصحف قصة الشاب والشابة اللذين قاما ببيع طفلتهما البالغة من العمر ستة أشهر في أمريكا بثمانين دولارًا.

وقد أجاب الأبوان عندما سئلا لماذا يقومان ببيع طفلتهما بأنهما لا يجدان من المال ما يكفي لإعاشتهما فكيف بهما مع الطفلة وأنه من الخير لطفلتهما أن تجد من يعولها بدلًا منهما رغم أنهما يحبان الطفلة ولكنهما مضطران لبيعها ! نشرت ذلك صحيفة «السعودي جازيت» مع نشر صورة الأبوين الشابين في ١٩٧٧/١/٢٢.

ونشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر الموافق ١٩٨٠/٧/٢٧. خبرًا مفاده أن مطلقة بريطانية اسمها مانيس جاكسون عرضت ابنها الوحيد للبيع بمبلغ ألف جنيه والمبلغ يشمل ملابس الطفل وألعابه. وقد قالت بأنها ستبيع ابنها لأنها لا تستطيع الإنفاق عليه وليس لديها دخل لإعاشته.

والأكثر فظاعة وبشاعة من كل هذا أن يرتكب الأب الفاحشة بطفلته وتقول مجلة هيكسا جون الطبية أن الاعتداءات الجنسية على الأطفال من آبائهم أكثر بكثير مما هو معروف ومدون.. كما أن كثيرًا من الأمهات والآباء يقومون بتسميم أطفالهم بإعطائهم السموم والعقاقير الخطيرة.

وكل هذه الفواجع والكوارث حصلت عليها المرأة بفضل خروجها من بيتها إلى المكاتب والمصانع..

والواقع أننا نظلم المرأة الأوروبية.. فهي لم تخرج مختارة طائعة وإنما خرجت مكرهة مجبرة سدًا للرمق بعد أن قام الرأسمالي اليهودي بتحطيم الأسرة وأخذ رجلها إلى أتون المصانع.. وإلى أقبية المناجم. فاضطرت المسكينة للخروج بحثًا عن لقمة العيش. وهناك

تلقفتها الأيدي وتلاعبت بها الشهوات.. واستخدمت لتحقيق مآرب هؤلاء اليهود كل وسائل الختل والمخادعة.. كما استخدمت جميع الوسائل الإجرامية الظاهرة والخفية لتحطيم القيم والأخلاق.. وزيادة دخل اليهود الجشع باستمرار.

المكاسب الاقتصادية المزعومة لخروج المرأة في البلاد النامية:

بعد أن عرفنا أبعاد المؤامرة وأسبابها في خروج المرأة في أوروبا نجد أن تيار الفكر اليهودي الرأسمالي والشيوعي الذي استولى على أوروبا وأمريكا يزحف بصور ملتوية إلى البلاد النامية بواسطة تلامذة الاستعمار.. والشباب المثقف الذي درس في جامعات أوروبا وعاد منها لتسلم مقاليد السلطة والتوجيه في وطنه.

والمضحك المبكي أن البلاد المتخلفة تعاني من بطالة حقيقية ومقنعة.. وهناك الملايين من الرجال الذين يبحثون عن عمل فلا يجدونه.. ومع هذا تقام حملات إعلامية ضخمة تتحدث عن نصف الأمة المشلول.. ونصف الأمة المسجون.. ونصف الأمة المعطل عن الإنتاج.. ويطالبون بإخراج المرأة إلى ميادين العمل والإنتاج !! ولا إنتاج هناك.

وتخرج المرأة ويتوقف عمل المرأة في بيتها وفي حقلها وتتوقف الصناعات المنزلية الإنتاجية ويتحطم نظام الأسرة وينتشر الزنا نتيجة للاختلاط.. وتقام له نفس الحملات الإعلامية الضخمة التي تمجد الحب والزنا وتسخر من الزواج وقيوده.. وتسمى المومسات كواكب ونجومًا يقتدى بها ويهتدى بهديها.. وتخرج مجلات وصحف بهذا الاسم وتنتشر الأفلام والقصص والمسرحيات والأغاني والتمثيليات التي تمجد الزنا وتغلفه باسم الحب وتسخر من الزواج وقيوده البغيضة.

وتخرج المرأة في بعض البلاد لتنحشر في الأتوبيسات العامة المزدحمة ازدحامًا شديدًا بالركاب.. حيث تمارس العملية الجنسية بالإكراه.. وبصورة تثير التقزز حتى لأولئك الكتاب والأدباء (المتحررين) الذين لا يهتمون بالتدين مثل الأستاذ أنيس منصور والدكتور يوسف إدريس وغيرهم.. الذين قاموا بنشر مقالاتهم في الأهرام والأخبار وغيرها من الصحف المصرية يعلنون منها اشمئزازهم واحتقارهم لهذا الوضع المهين والمشين الذي بلغته المرأة

في مصر بخروجها.

وكان الأستاذ أنيس منصور (وهو كاتب وجودي مشهور) أكثرهم تشنيعًا وسخرية من عمل المرأة في الدواوين والمكاتب.. حيث ينخفض الإنتاج بوجود المرأة.. ودلل على ذلك بالأرقام التي حصل عليها من الإدارات الحكومية وقام بتحقيقات صحفية بارعة أثبت فيها أن المرأة في المكتب تقوم بإضاعة الوقت بالثرثرة ووضع المساحيق والنظر في المرآة.. وما زاد عن ذلك من وقت تزجيه في أعمال التريكو.

وما تأخذه من دراهم قليلة تنفقها وأكثر منها في المواصلات وفي أدوات الزينة واللبس المناسب للخروج.. وفي أجر الخادمة.. والمربية للأطفال.. وتكون النتيجة النهائية خسارة اقتصادية فادحة..

أما الخسارة الاجتماعية فأشد وأعتى: يتحطم نظام الأسرة، تزداد جريمة الزنا وتعتبر شيئًا عاديًا لا غبار عليه.. حتى أن القوانين التي تحكم شعوبًا مسلمة تسمح بممارسة الزنا طالما كان بين عاقلين بالغين دون إكراه.

يقول عبد القادر عودة في كتابه المرجع (التشريع الجنائي):

ولا يعاقب القانون المصري على الوقاع إلا في حالة الاغتصاب فإن كان بالتراضي فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيبًا ويعتبر القانون المصري الرضا معيبًا إذا لم يبلغ المفعول به ثمانية عشر عامًا كاملة ولو وقعت الجريمة بناء على طلبه هو فإن بلغها اعتبر رضاه صحيحًا.. والعقوبة في حالة الرضا المعيب بسيطة لأن الفعل يعتبر جنحة (غرامة مالية).

وليس الأمر مقصورًا على القانون المصري.. وإنما هو أمر شائع وعام في معظم البلاد الإسلامية (أي أن أغلبية الشعب فيها مسلم) ابتداء بتركيا العلمانية إلى أفغانستان الشيوعية مرورًا بتونس والجزائر والمغرب ولبنان وسوريا وحتى باكستان الدولة التي قامت باسم الإسلام واستمرت في تنفيذ هذه القوانين إلى نهاية عهد بوتو وكذلك النظام الشاهنشاهي في إيران حتى سقوطه.. ولا يزال الزنا مباحًا في أندونيسيا حيث التأثير الصليبي الحاقد يوجه الحاكم حيث يريد.

وتواجه هذه الحكومات شعوبها المسلمة المطالبة بتغيير هذه القوانين الغربية التي تشجع

الزنا والربا والقمار وشرب الخمور وتطالب بالعودة إلى الشريعة الإسلامية.. بالمشانق حينًا.. والتحايل حينًا آخر.

خروج المرأة إلى العمل في البلاد البترولية الغنية:

ربما اعترض معترض وقال لنا: لو وافقناكم على ما قلتموه بالنسبة للبلاد الأوروبية والبلاد النامية إلا إننا سنختلف معكم حول خروج المرأة في البلاد البترولية الغنية.. فالأموال متوفرة والعمالة قليلة.. والأيدي المحلية غير متوفرة بصورة كافية مما يستدعي جلب كثير من الأيدي العاملة من الخارج مما يؤدي إلى تغييرات اجتماعية غير مرغوب فيها.. ويؤدي ذلك إلى تغيير البنية الديموغرافية للسكان بحيث يصبح العنصر الأجنبي يشكل خطرًا حقيقيًا على السكان الأصليين لهذا البلاد.

وليس هناك من حل في تخفيف هذه الأزمة سوى إخراج نصف الأمة المعطل حاليًا عن العمل والإنتاج إلى ميدان العمل والإنتاج.

هذا هو ملخص لآراء من يقولون بإخراج المرأة إلى ميدان العمل في البلاد البترولية الغنية.. ومنهم مثقفون وموظفون رسميون.

وعلى ما يبدو من وجاهة هذا المنطق لأول وهلة إلا أننا إذا تعمقنا النظر فيه وجدناه لا يحل أي مشكلة بل على العكس يوجد مشاكل جديدة.. بل وينسف جذور المجتمع المتماسك القائم الآن فعلًا.

نحن نعرف نقص اليد العاملة المحلية وخاصة في المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات ولكن هل خروج المرأة من بيتها سيحل هذا الإشكال؟

ألا تحتاج المرأة التي تخرج من بيتها إلى العمل إلى خادمة لتنظيف بيتها.. ثم ألا تحتاج إلى مربية لتربية أطفالها؟ وأين هي الخادمة.. وأين هي المربية.. وقد بلغ أجر الخادمة أكثر من ألف ريال في الشهر ومع هذا لا تجدها.. أما المربية وخاصة التي تجلب من أوروبا كما تفعل بعض العائلات السعودية الغنية فإنه يكلف عدة آلاف كل شهر مع تذاكر السفر والعودة إلى بلادها كل عام مرة أو مرتين..

فما هو الدخل الذي ستحصل عليه المرأة بخروجها إلى العمل ليعوض هذه المصاريف

الجديدة، ثم ألا تحتاج في خروجها للعمل يوميًا للمواصلات.. والتاكسي هنا قد بلغ منتهى الفحش في الغلاء.. ألا تحتاج بعد ذلك إلى ثياب تناسب العمل وإلى أدوات الزينة حتى تظهر بالمظهر اللائق بها، أليست تلك كلها مصاريف !!

ومن الناحية الاجتماعية ألا يتهدم كيان الأسرة عندما تعود مكدودة سيئة الخلق إلى منزلها.. وتجد زوجها في مثل وضعها. والأطفال أشبه بالأيتام وهي مضطرة لأخذ حبوب منع الحمل حتى لا تضطر إلى البقاء في المنزل لتواجه أعباء الحمل والرضاعة..

وللحبوب مضارها الطبية وأهونها النرفزة وحالات الكآبة والقلق وأخطرها زيادة الجلطات في الساقين والرئتين..

بقاء المرأة في المنزل زيادة في الإنتاج:

إن البلاد البترولية الغنية تعاني من نقص في عدد السكان.

فعدد سكان المملكة العربية السعودية يتراوح ما بين ٧ إلى ٨ ملايين نصفهم تقريبًا من الأجانب (ويدخل في تعريف الأجنبي اليمني والحضرمي والمصري والسوري واللبناني والفلسطيني والأردني والباكستاني والهندي والكوري والأوروبي والأمريكي)..

وقد أصدرت وزارة الصحة بالمملكة العربية السعودية إحصائية بعدد المواليد عام ١٣٩٨ (١٩٧٨) جاء فيه: أن عدد المواليد في هذا العام بلغ ٩٥ ألفًا بلغ عدد الأجانب منهم عشرون ألفًا.. ويكون بذلك عدد المواليد السعوديين خمسة وسبعون ألفًا فقط.. ولم تنشر إحصائية بعدد الوفيات في العام نفسه.. ولربما وجدنا عدد الوفيات أكثر من عدد المواليد !! والحل الواقعي والعملي هو زيادة عدد السكان.. وتشجيع الزواج والتناسل.. «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم».

وتيسير الزواج بخفض المهور والحفلات والتكاليف الباهظة للظهور بمظهر اجتماعي مرموق أمر ينبغي الإسراع فيه لحل هذه المشكلة.. كما أن توفير السكن بثمن رمزي للراغبين في الزواج أمر ينبغي تنفيذه على وجه السرعة..

وفي مقال للكاتبة السعودية سهيلة زين العابدين التي نشرته جريدة المدينة على حلقات جاء في العدد ٤٨٨٣ الصادر في ١٤٠٠/٥/٢٩ بعد أن ذكرت مشكلة نقص السكان في

المملكة وكيف أن ذلك يعوق التنمية ما يلي:

وأنا في نظري أنه لا يمكن حل مشكلة نقص العمالة إلا عن طريق الآتي:

أولا: التشجيع على زيادة النسل.. ولكي يرتفع معدل زيادة السكان بشكل سريع، وملموس علينا أن نقدم معونات مالية سخية لوالد كل طفل حتى يستطيع الفرد العادي تربية أبنائه وتعليمهم على أحسن ما يكون لنضمن الكم والكيف معًا.

إن أنسب وقت للتشجيع على النسل هو الآن لأن جميع الظروف مهيأة لذلك فعلينا أن نحسن استغلالها (قبل أن تنضب الثروة البترولية).

ثانيًا: اتباع سياسة (مص الأدمغة) التي تتبعها الآن الولايات المتحدة الأمريكية فمعروف لدى الجميع أن الولايات المتحدة تمنح الجنسية لكل من يظهر تفوقًا في أي مجال من المجالات بدون أي قيد أو شرط فيصبح عندئذ من رعاياها ويصير ارتباطه بها أشد وأوثق. ونحن لو طبقنا هذه السياسة في بلادنا ومنحنا الجنسية السعودية لكل مسلم يظهر تفوقًا في أي مجال من المجالات بعد أن يثبت لدينا حسن سيره وسلوكه وسلامة عقيدته من أية انحرافات سيساعدنا على حل مشكلة العمالة.. ومواجهة الزيادة السكانية المترتبة على سياسة التشجيع على النسل كما سيساهم في نمو المملكة وتقدمها وازدهارها من جهة أخرى كما أنه سيحقق لاقتصادنا رصيدًا ادخاريًا جيدًا».

وتواصل الكاتبة المسلمة كلامها فتقول:

«لماذا لا نسهل منح الجنسية السعودية للمهارات المسلمة وضمهم إلى الأسرة السعودية الكبيرة؟ نحن أخوة في الدين والعقيدة.. والدولة الإسلامية قد بلغت أوج مجدها بسواعد المسلمين وتكاتفهم على اختلاف جنسياتهم وألوانهم فالناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى.. وما من مسلم إلا ويفخر بالانتماء إلى هذا البلد الكريم المعطاء بلد الأمن والاستقرار ومهبط الوحي والرسالة المحمدية فأراد الله له أن يكون بلد العقيدة والإيمان..

«هذه في رأيي هي الحلول الجذرية لمشكلة العمالة في بلادنا ولنصرف النظر عن تحميل المرأة عبء نقص العمالة ولنقصر أعمالها على ما تقتضيه الضرورة الملحة كتعليم

بنات جنسها وتقديم الخدمات الطبية والاجتماعية لهن».

وإذا علمنا أن فرنسا وألمانيا وروسيا تقدم الحوافز المادية وتخفف الضرائب إلى أقصى حد عن الأسر التي تنجب أطفالًا كثيرين. لتشجيع النسل وكذلك تفعل إسرائيل وبصورة أشد بلغت بها أن تشجع أي يهودية أن تنجب ولو بطريق الزنا واعتبار ذلك إنجازًا قوميًا عظيمًا.. وهذه طريقة اليهود المعهودة في الانحراف والفساد.. فإن واجب البلاد البترولية الغنية ذات الأراضي الشاسعة والسكان القليلين أن تبادر إلى دعم سياسة زيادة السكان.

وإذا عرفنا حسب قرارات هيئة الصحة العالمية أن كل طفل يحتاج إلى رعاية متواصلة من أمه لمدة ثلاث سنوات.. فإننا سنجد أن الأمهات مشغولات باستمرار ولا وقت لديهن للخروج فيه إلى الشوارع والمكاتب.

وفي خلال فترة زمنية معقولة نستطيع أن نضاعف من عدد السكان في الجزيرة العربية.. أما إذا أخرجنا المرأة إلى العمل فإن النتيجة الحتمية هي أن عدد السكان سيتناقص بدلًا من أن يزيد ؛ لأن المرأة العاملة لا تريد أن تتحمل مسؤولية الحمل والرضاعة وتربية الأطفال، بل ولا يمكنها أن تتحمل ذلك لو أرادت.

والغريب حقًا أن نجد أن استعمال حبوب منع الحمل ينتشر انتشارًا كبيرًا في الجزيرة العربية الخالية من السكان تقريبًا.. ذلك لأن الأمهات لا يستطعن أن يقمن بتربية أعداد كبيرة من الأطفال.. نتيجة للأوضاع الاجتماعية الراهنة وقلة عدد الخادمات.. وضيق المساكن، فكيف بالأمر لو خرجت المرأة إلى المكتب والمصنع.

ليس هذا فحسب ولكن هناك عددًا من الأمهات يقمن بإجهاض أنفسهن وإسقاط أجنتهن لأنهن لا يستطعن أن يواجهن مشكلة زيادة الأطفال ورعايتهم في الأوضاع الراهنة.. وتصور كيف يكون الوضع عندما تخرج المرأة أيضًا إلى العمل !!

وسيصحب خروج المرأة تغييرات اجتماعية جذرية مهما ادعينا عكس ذلك. ولابد أن يزداد الزنا وبالتدريج سيسمح به وسيغلف النتن والقذر بعبارات الحب الجوفاء وعبارات التحرر والتقدم، إلى آخر المعزوفة الممجوجة التي لا تمل أجهزة الأعلام عن أسماعنا إياها صباح مساء وسيزداد الزواج صعوبة، وستقل الرغبة في إنجاب الأطفال حتى لو أمكن

الزواج وسيقل عدد السكان وسيصبح المتنفس الوحيد للرغبات الجنسية الجامحة هو العلاقات الجنسية المحرمة، والتي سيسهل تنفيذها نتيجة لخروج المرأة واستعمال حبوب منع الحمل.

وتكون النتيجة الحتمية زيادة الحاجة للعمالة الأجنبية بدلًا من خفض تلك الحاجة،وسننتهي حتمًا إلى حالة من الفوضى الاجتماعية والخلقية كالتي عانى منها الغرب، وستكثر الجرائم بمختلف أنواع ويزداد العنف وإدمان المخدرات بين الشباب الذي فقد حنان الأمومة ودفء الأسرة لأن الأمهات كن مشغولات عنه في المصانع والمتاجر والمكاتب.

وهكذا يكون خروج المرأة للعمل وبالًا على المرأة وعلى المجتمع وخسارة اقتصادية واجتماعية فادحة.

نتائج خروج المرأة إلى العمل

الجنس الثالث:

إن هناك أبحاث طبية تدل على وجود تغييرات فسيوليجية في جسم المرأة العاملة تجعلها تفقد أنوثتها تدريجيًا كما أنها في نفس الوقت لا يمكن أن تصبح رجلًا.. وأطلق على هذه المرأة المسترجلة اسم الجنس الثالث.

تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في مقال نشرته جريدة الأهرام في حديث لها مع صديقتها الطبيبة النمساوية (حسبما نقله الشيخ سعيد حوى في كتابه الإسلام الجزء الرابع).

(ولما سألتها عن سر هذا القلق مع استقرار الوضع الاجتماعي للمرأة الغربية أجابت بأن ذلك القلق لا صلة له بمتاعب الانتقال المفروضة على جيل الطليعة من نساء الشرق وإنما هو صدى شعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علماء الاجتماع والفسيولوجيا والبيولوجي في المرأة العاملة.. وذلك لما لحظوا من تغير بطيء في كيانها لم يثر الانتباه أول الأمر ما سجلته الاحصاءات من اطراد النقص في المواليد بين العاملات.. وكان المظنون أن هذا

النقص اختياري محض وذلك لحرص المرأة العاملة على التخفف من أعباء الحمل والوضع والإرضاع تحت ضغط الحاجة والاستقرار في العمل، ولكن ظهر من استقرار الاحصاءات أن نقص المواليد للزوجات العاملات لم يكن أكثره عن اختيار بل عن عقم استعصى علاجه..

وبفحص نماذج شتى منوعة من حالات العقم اتضح أنه في الغالب لا يرجع إلى عيب عضوي ظاهر.. مما دعا العلماء إلى افتراض تغير طارئ على كيان الأنثى العاملة نتيجة لانصرافها المادي والذهني والعصبي عن قصد أو غير قصد عن مشاغل الأمومة ودنيا حواء وتشبثها بمساواة الرجل ومشاركته في ميدان عمله.

واستند علماء الأحياء في هذا الفرض - نظريًا - إلى قانون طبيعي معروف (إن الوظيفة تخلق العضو) ومعناها فيما نحن فيه أن وظيفة الأمومة هي التي خلقت في حواء خصائص مميزة للأنوثة لابد أن تضمر تدريجيًا بانصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها فيما نسميه عالم الرجال.

ثم تابع العلماء هذا الفرض فإذا التجارب تؤيده إلى أبعد مما كان منتظرًا، وإذا بهم يعلنون في اطمئنان - مقرون بشيء من التحفظ - عن قرب ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء).

وما يزال المهتمون بهذا الموضوع يرصدون التغيرات الطارئة على كيان الأنثى ويستقرون في اهتمام بالغ دلالات الأرقام الإحصائية لمجالات العقم بين العاملات.. والعجز عن الأرضاع لنضوب اللبن وضمور الأعضاء المخصصة لوظيفة الأمومة.

فالنهاية معلومة معروفة.. وخروج المرأة ودعوى المساواة وحريتها ستؤدي دون ريب إلى أن تقف مدرسة شابة عارية تمامًا في الفصل أمام طلبتها لتدريسهم على الطبيعة الجهاز التناسلي للمرأة ثم تدعو أحد الشبان لتشرح لبقية زملائه الجهاز التناسلي للرجل.. ثم تقوم بعد ذلك عمليًا بشرح وسائل منع الحمل.. وتشرح لهم عملية الجماع الفسيولوجية عمليًا.. وإذا اعترضت إدارة المدرسة أو وزارة التربية على هذه الدروس المفيدة فإن الصحافة والرأي العام سيقيمان حملة ضخمة ضد الآراء الرجعية العتيقة التي تقف أمام تيار التقدم

والعلم !!

وستخفت عندئذ الأصوات الرجعية وتنطوي على نفسها متململة من هذه الإباحية التي لم تخطر لها من قبل على بال.

ويقرر في المدارس كما هو مقرر الآن في أوروبا وأمريكا تدريس الجنس ووسائل منع الحمل ليس للشباب والمراهقين فحسب.. ولكن للأطفال في مدارسهم الابتدائية.. ذلك لأن الإحصائيات تقول: إن أكثر حالات الحمل تقع للفتيات الصغيرات اللائي لم يتجاوزن الرابعة عشر وكثير منهن في الثانية عشر فقط.

وبما أن الحمل للصغيرات متعب ومعطل لهن عن الدراسة ويضطرهن إلى الإجهاض.. والإجهاض في حد ذاته يعرض الفتيات الصغيرات لكثير من المخاطر وإلى أمراض الجهاز التناسلي كما أنه يؤدي أحيانًا إلى تولد العقد النفسية وكراهية الجنس !! فإن على المربين أن يتحاشوا هذه الأخطار وخاصة العقد النفسية التي تؤدي بالفتاة الصغيرة إلى كراهية الزنا !!.. ولذا فهم يسارعون بتلقين الأطفال في المدارس الابتدائية كيفية منع الحمل كما يشرحون لهم بالصور الجهاز التناسلي للرجل والمرأة.. فإن هذه الدراسة تكسبهم خبرة في شؤون الجنس وتمنع عنهم العقد النفسية المستقبلية !!

وليس على الأطفال من بأس أن يجربوا الجنس حتى قبل البلوغ.. فالأمر طبيعي وفسيولوجي.. والآباء والأمهات هناك مدعوون باستمرار من بعض علماء النفس والاجتماع والبيولوجيا إلى أن يمارسوا الجنس أمام أطفالهم حتى يشب الأطفال ولديهم معرفة كاملة بشؤون الجنس..

وليس من المهم بعد ذلك أن يمارس الأب الجنس مع طفلته أو تمارس الأم الجنس مع ابنها.. بل لعل ذلك مما يزيد خبرة الأطفال بالشؤون الجنسية !!

وربما يظن القارئ أننا نبالغ كثيرًا في هذا الوصف.. وله الحق في ذلك.. ولكن مثقفينا الذين عاشوا في أوروبا وأمريكا فترة كافية من الزمان يعرفون هذه الحقائق معرفة جيدة ولا يستطيعون إنكارها وربما يقولون: ليس كل الناس في أوروبا على هذه الشاكلة.. ونقول لهم: نعم.. صدقتم ولا يمكن أن يكون الناس جميعًا على هذا المستوى المنحط من البهيمية

والحيوانية ولكن يكفي أن توجد هذه الحالات ويسكت عنها المجتمع.. فكيف وأنت ترى من واقعة المدرسة الشابة أن أجهزة الإعلام وجزءًا كبيرًا من الرأي العام يؤيد تدريس الجنس عمليًا للفتيان والفتيات.. كما يقر الرأي العام بأغلبيته تدريس الجنس حتى للأطفال وهو أمر واقع ومقرر. ونحن نتحدى من ينكر هذا الواقع..

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط الصادرة في ١٩٨٠/١/٦ مقالًا تحت عنوان «شيء للتفكير» بأن أعظم خطر يتهدد المجتمعات الغربية هو التدهور الأخلاقي وليس خطر التضخم أو التسلح أو حتى نشوب حرب عالمية ثالثة..ونقل ذلك عن عدد من كبار المفكرين الغربيين قائلًا: «ويتفق عدد منهم على أن أعظم تلك الأخطار هو الخطر الكامن في التدهور الأخلاقي الذي يتمثل في فوضى الجنس وانحلال بناء الأسرة التقليدي».

مليون طفل من الزنا كل عام في أمريكا ومليون حالة إجهاض:

«ومن أبلغ ما كتب بهذا الصدد مقال لكاتب أمريكي نشره قبل أيام في صدر إحدى المجلات الفكرية الكبرى ويحذر فيه الغرب من عواقب ذلك التدهور الذي سيحول الدول الغربية – في رأيه – إلى دوائر إغاثة وإعاشة «لضحايا الجنس والطلاق. ويستهل مقاله بقوله: إن إحصائيات عام ١٩٧٩ تدق ناقوس الخطر.. فعدد اللواتي يلدن سنويًا من دون زواج شرعي وفي سن المراهقة لا يقل عن ستمائة ألف فتاة بينهن لا أقل من عشرة آلاف فتاة دون سن الرابعة عشرة من العمر. وإذا أضيف إلى ذلك عدد اللواتي يلدن بدون زواج بعد سن المراهقة فإن العدد الإجمالي يتجاوز المليون.. ومعنى هذا أن الولايات المتحدة الأمريكية تستقبل مليون طفل سنويًا (من الزنا والسفاح) وأن على الدولة أن تقوم بإعالتهم وأمهاتهم مما يشكل كارثة اقتصادية لأن كل طفل يكلف الدولة ما يقرب من ١٨ ألف دولار.. ومما يزيد في حجم الكارثة ارتفاع نسبة الطلاق فقد بلغت في عام ١٩٧٩ ما يقرب من ٤٠ بالمئة من جميع حالات الزواج.. ومعنى هذا أن على الدولة أن تقوم بإعالة المطلقات اللائي لا يعملن».

ويعلق الدكتور محمود زائد كاتب المقال في الشرق الأوسط قائلًا: «والكارثة في الواقع ليست اقتصادية فحسب.. فهي اجتماعية قبل كل شيء وقد تزلزل بنيان الأسرة التقليدي

وتهدم.

وفي هذا عبرة وأي عبرة للدولة النامية».ا.هـ.

وإذا علمنا أن هناك ما يزيد عن مليون حالة إجهاض تجري في الولايات المتحدة سنويًا.. وأن وسائل منع الحمل منتشرة بل وتقوم المدارس بتدريسها للطلبة والطالبات منذ المراحل الابتدائية لأن تدريسها في المراحل الثانوية والجامعية أصبح بدون جدوى وذلك لأن معظم حالات الحمل تقع في سن المراهقة..

إذا علمنا ذلك وعلمنا أن سبب ارتفاع الطلاق هو الاتهام المتبادل بالخيانة الزوجية.. لهالنا أن نعرف أن الزنا أمر شائع جدًا.. وأنه من النادر جدًا أن تجد إنسانًا ما في تلك المجتمعات لم يمارس الزنا..

بل لقد وصل الأمر إلى السخرية من العذرية.. وأن وجود فتاة عذراء في المجتمعات الغربية يعتبر مجلبة للعار والخزي لأنها رجعية وبالية الأفكار.

ولم يكتف أهل الغرب بذلك فإن السعار الجنسي الذي لا يريد أن يشبع.. ينتقل من نوع من السلوك الجنسي إلى نوع آخر ومن جريمة إلى أبشع..

انتشار الشذوذ الجنسي في الغرب:

ورغم وفرة النساء وسهولة العثور عليهن.. ورغم شيوع الزنا لدرجة مخيفة في المجتمعات الغربية فإننا نجد كثير من الظواهر التي لا يمكن تفسيرها بسهولة.. مثل انتشار حالات الاغتصاب الجنسي.. وانتشار الشذوذ الجنسي وانتشار نكاح المحرمات.. وانتشار الاعتداء الجنسي على العاملات والموظفات.. فقد كان يقال قديمًا أن الكبت الجنسي وعدم تفريغ هذه الطاقة الضخمة يؤدي إلى هذا الشذوذ.. ولكن الغربي لا يعاني من الكبت الجنسي والحرمان ومع ذلك فإننا نرى زيادة مرعبة في الشذوذ الجنسي واكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء.. ونرى زيادة مخيفة في حالات الاغتصاب.. وظهرت في الفترة الأخيرة إلى السطح موضة نكاح المحرمات من الأخوات والبنات.. ونكاح الابن لأمه والأخ لأخته والوالد لابنته.. مما يثير التقزز في أكثر الناس ولوغًا في الجريمة.

وقد بلغ من انتشار الشذوذ الجنسي في الحضارة الغربية اليوم أن قننت القوانين بإباحته

واعتباره أمرًا طبيعيًا لا غبار عليه إذا ما كان بين بالغين بدون إكراه.. وتكونت آلاف الجمعيات التي ترعى شؤون الشاذين جنسيًا.. وقد بلغ عدد هؤلاء الشاذين في الولايات المتحدة الأمريكية فحسب سبعة عشر مليونًا.. وهناك معابد وكنائس في الولايات المتحدة تزوج الرجال على الرجال والنساء على النساء في احتفالات خاصة.

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط نقلًا عن وكالات الأنباء في عددها الصادر ١٤٠٠/٧/١٣ الموافق ١٩٨٠/٥/٢٧ أن السناتور كيندي اجتمع بممثلي الشاذين جنسيًا وتعهد لهم بأنه سيدافع عن حقوقهم وسينفذ تعهداته إذا ما انتخب رئيسًا للجمهورية.

وقد خصصت بعض الجامعات في الولايات المتحدة منحًا دراسية للشاذين جنسيًا ومن تلك الجامعات جامعة سير جورج وليامز التي تخصص كثيرًا من منحها الدراسية للمصابين بالشذوذ الجنسي.. ولا يمكن الحصول على تلك المنحة إلا إذا كان المتقدم مصابًا بالشذوذ الجنسي..

وفي مدينة لوس أنجلوس فقط يتجمع ثلاثمائة ألف شاذ جنسي.. ومن أغرب الأنباء أن مجلة اللوطية في بريطانيا نشرت هجومًا على الدين لأنه يحرم الشذوذ الجنسي وأن الدين لذلك هو سبب لكل المشاكل في الدنيا فما كان إلا أن رد عليه أحد كبار القساوسة قائلًا: «إن الكنيسة في حالة مخاض الآن. وأنه عما قريب ستعترف الكنيسة بالشذوذ الجنسي وأن الشاذ جنسيًا إنسان عادي وله الحق إذا أراد أن يصبح قسيسًا أو أي شيء آخر» والجدير بالذكر أن الكنيسة سبق لها أن اعترفت بأن المخاللة والمخادنة أمر لا اعتراض عليه وإنما تعترض الكنيسة إلى الآن على البغاء والعهر وهي التجارة. أما أن يعيش رجل وامرأة كزوجين بدون عقد زواج فهو أمر طبيعي ولا تعترض عليه الكنيسة.

وكانت المجلات والصحف البريطانية وخاصة الديلي إكسبريس والديلي ميل قد قامت عام ١٩٧٠. بحملة واسعة ضد الرهبنة والكنيسة.. وقد ذكرت في إحصائيات - نتيجة تحقيقات بارعة - أن ما يقرب من ثمانين بالمائة من الرهبان والراهبات والقسس قد مارسوا الجنس (أي أنهم من الزناة) وأن ما يقرب من أربعين بالمائة منهم أيضًا قد مارسوا الشذوذ الجنسي.. ولذا فقد ركزت هاتان الصحيفتان حملتاهما على نظام الرهبنة الذي يمنع الرهبان

والراهبات والقسس من الزواج.. ونادت بأن يلغى هذا النظام المبني على الخداع والكذب فيحاول أن يلغي الفطرة ويمنع الزواج فتكون النتيجة هي هذه النسبة العالية من الزنا والشذوذ الجنسي.

ونشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة من البابوات وأحد عشر كردينالًا. ونشرت مجلة النيوزويك في ١٩٧٤/٨/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس، وبعد عدة أشهر مات كردينال آخر بنفس الطريقة.

وقد كانت جمعيات الشاذين جنسيًا تمارس نشاطها بشيء من السرية والكتمان وفي دورات المياه القذرة Dirty Closet Practice حتى قام أحد ضباط الصف اليهودي في الجيش الأمريكي بوضع لوحة كبيرة خلف مكتبة كتب فيها (أنا شاذ جنسيًا) فقام الجيش عندئذ بطرده.. ونشرت التايمز الأمريكية صورته على غلاف الصفحة الأولى ودعى هذا إلى عدد كبير من المؤتمرات ليلقي فيها محاضراته الداعية إلى حرية الإنسان !! (مسكينة تلك الحرية التي ترتكب كل الجرائم باسمها) وضد التفرقة والاضطهاد في العمل على أساس السلوك الجنسي للشخص..

ونجحت تلك الحملة وظهرت بعدها جمعيات الشاذين جنسيًا إلى السطح وأخذت تمارس نشاطاتها في العلن وظهرت لها المجلات والصحف والكتب والأفلام.. ووضعت لها البرامج والتنظيمات.. وتكونت لها الكنائس والمعابد الخاصة.. وتنافس المرشحون – لرئاسة الجمهورية في زيارتها وإرضاء قادتها وأعضائها.

وانتشرت تلك الجمعيات في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا – انتشارًا واسعًا حتى أن أعضاء هذه الجمعيات أصبحوا من الوزراء والشخصيات البارزة وفي مقاطعة كويبك بكندا وحدها ثلاثة وزراء يفتخرون بالإعلان أنهم شاذون جنسيًا.. ورئيس حزب الأحرار في بريطانيا أيضًا مصاب بالشذوذ الجنسي.. وقد أثيرت فضيحة ضخمة عندما أتهم بقتل شريكه في الشذوذ قبل بضعة أعوام..

ونتيجة لانتشار البغاء والزنا والشذوذ الجنسي فقد انتشرت الأمراض التناسلية انتشارًا

ذريعًا في المجتمعات الغربية.. ويعتبر السيلان (الجونوريا) أحد أكثر الأمراض انتشارًا في العالم وهناك مئات الملايين الذين يصابون به في كل عام.. وقد كان هذا المرض من أسهل الأمراض علاجًا ولكنه اليوم لم يعد كذلك فقد تعودت البكتريا المسببة له على مختلف المضادات الحيوية وأصبح من العسير القضاء عليها.

وجاء في مرجع مرك الطبي (عام ١٩٧٧ الطبعة الثالثة عشر) أن عدد المصابين بالسيلان في الولايات المتحدة عام ١٩٧٦ كانوا ثلاثة ملايين نسمة.. وأن عددهم في العالم بلغ أكثر من ٢٥ مليون نسمة حسب إحصاءات هيئة الصحة العالمية وكذلك عاد إلى الظهور مرض الزهري بعد أن كاد يندثر ويختفي بعد ظهور البنسلين.. ولكنه الآن عاد بمناعة ضد البنسلين.. وفي الولايات المتحدة سجلت ٤٠٠ حالة عام ١٩٧٦.. وذكرت هيئة الصحة العالمية أن عدد المصابين بالزهري جاوزوا الخمسين مليونًا عام ١٩٧٦ م).

نكاح المحرمات:

وفي السويد التي تعتبر قمة في الحضارة.. حيث أعلى مستوى للمعيشة فإن الدولة تدرس هناك قانونًا يبيح العلاقة الجنسية بين الأخ وأخته !! نعم لقد انتهوا من إباحة الزنا ثم إباحة اللواط.. ثم إباحة الإجهاض.. وتوصلوا إلى احترام الأمهات العذارى كما يسمونهن !! ويالها من تسمية تناقض الواقع مناقضة تامة !! وأخيرًا بعد كل هذا وصلوا إلى إباحة الزنا بالأخت.. وقريبًا سيصدر تشريع بإباحته مع البنت والأم !!

ولذلك فإن السويد تتمتع بأعلى معدلات الانتحار في العالم ! كما تتمتع بأعلى معدلات الطلاق وهكذا السويد دائمًا سباقة في كل ميدان من ميادين التقدم !!

وقد نشرت صحيفة الهيرالدتريبيون في عددها الصادر في ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصًا لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمع الأمريكي وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة.. وهي ظاهرة نكاح المحرمات ويقول الباحثون: إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ والأغرب من هذا أن الغالبية العظمى (٨٥%) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو الابن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع

والناجحة في أعمالها والتي لا تعاني من أي مرض نفسي وليسوا من المجرمين ولا من العتاة وإنما هم في الغالب من رجال الأعمال أو الفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم..

ويذكر التقرير أن حالة واحدة من بين عشرين حالة هي التي تصل إلى القضاء أو إلى الدوائر الطبية.. ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء من الأب على ابنته ولا يقتصر الاعتداء على الابنة البالغة.. وإنما قد حصلت حالات كثيرة من اعتداء الأب على طفلته الصغيرة وسجلت حالات من الاعتداء ابتداء من سن ثلاثة أشهر إلى سن البلوغ..

وينتج عن ذلك الاعتداء أمراض تناسلية وتهتكات في الجهاز التناسلي للطفلة بالإضافة إلى الإصابات النفسية البالغة للطفلة.

كما أن عدة حالات حمل قد سجلت نتيجة اعتداء الأب على ابنته. وفي كثير من هذه الحالات كانت العلاقة بين الأب وابنته تمتد إلى سنوات عديدة.

أما العلاقة بين الأخ وأخته فيعتبرها الباحثون علاقة شاذة ولكنها ليست بذات ضرر وينبغي أن لا يهتم بها الوالدان إذا لاحظوها بل يتركوها للزمن فهو كفيل – بمعالجتها !! ولا يعتبرون أن في ذلك أي إساءة.. ويستحسن أن تترك بدون علاج.

وأما العلاج الوقائي فيقترحون: أن لا ينام الأطفال مع والديهم في نفس السرير وكذلك ينبغي عزل الأولاد عن البنات . كما أن على الوالدين أن يتجنبا العلاقات الجنسية أمام أطفالهم (وهذا شبه شائع في أوروبا وأمريكا الآن) كما أن عليهما أن يمنعا عن الأطفال المناظر الجنسية المثيرة سواء كانت على هيئة أفلام أو مجلات أو قصص.

ويحتار الباحثون في علاج الحالات الموجودة فوصولها إلى القضاء يعني سجن الوالد وتحطيم الأسرة ولكنهم يقترحون إبعاد الطفل المعتدى عليه إلى مصحة نفسية. وإذا كانت الفتاة بالغة تغير بيئتها وتخرج إلى ميدان العمل وتبتعد عن جو الأسرة.. وهذا ما يحصل في الواقع في كثير من الحالات تلقائيًا..

ولا تقتصر حوادث العدوان على الآباء.. وإنما هناك حالات من اتصال الأم بابنها جنسيًا ويعتبر التقرير هذه الحالات أشدها خطرًا على حياة الأسرة.. كما أن هناك حالات من اتصال الجد أو العم أو الخال بحفيدته أو ابنة أخيه أو ابنة أخته يقف الباحثون أمام هذه الظاهرة قلقين لكن دون أن يدركوا العلاج الحقيقي !!

حكم الإسلام في خروج المرأة

حرص الإسلام على أن يجفف منابع الشهوات والزنا ويصبها جميعًا في الطريق الصحيح الوحيد وهو الزواج وجعل لذلك الوسائل العديدة وأهمها ربط المؤمن ربطًا كاملًا بعقيدة اليوم الآخر وخشية الله سبحانه وتعالى المطلع على سريرته وعلانيته وجعل هذه الخشية من الله رقيبًا دائمًا على تصرفاته وحركاته وسكناته ثم أتت الأحكام المتتالية التي تنهى عن الزنا والفاحشة وتقبح سبيلها ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ كما أتت الأحكام التي تمنع الوصول إلى هذه الفاحشة وأهم هذه الوسائل هي إثارة التقوى في القلوب.. وغض البصر وعدم الخضوع بالقول وعدم اختلاط الرجال بالنساء ومنعت تلك الأحكام خروج المرأة إلا لضرورة كما أمرتها عند الخروج أن تخفي زينتها ولا تبدي منها إلا ما ظهر منها.. وأمرت الرجال والنساء بغض البصر وحفظ الفرج.. وعدم التغنج في القول والتكسر في المشية حتى وسوسة الخلخال منعتها أن تسمع. قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٣٠ - ٣١)

وقال في سورة الأحزاب مخاطبًا نساء النبي ﷺ وهن القمة في الطهر والعفة:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

وإذا وصل الأمر بأن يخاطب الله سبحانه وتعالى نساء النبي ﷺ بهذا الخطاب الذي ينهاهن فيه عن الخضوع بالقول حتى لا يطمع فيهن الذي في قلبه مرض وهن من هن قمة في الطهارة والعفة فكيف بغيرهن من النساء..

وإذا كان من في قلبه مرض سيطمع في أمهات المؤمنين فكيف به لا يطمع في غيرهن من النساء الجميلات المائلات المميلات.. الكاسيات العاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت (الإبل) العجاب.. كما وصفهن الرسول الكريم.

وإذا أتي الأمر الرباني لنساء النبي ﷺ وبناته اللائي لا يشبههن أحد من النساء بل ولا يمكن الوصول إلى مستواهن بأن لا يخضعن بالقول وأن يقرن في بيوتهن فغيرهن من النساء لاشك أحوج إلى ذلك.. وعلى المرأة أن تبقى في بيتها لتربي أطفالها وتقوم بشؤون زوجها وأولادها.. فهم أحق الناس بخدمتها كما أن عليهم أن يقوموا برعايتها وخدمتها وتوفير حاجاتها.. وليس معنى قرارها في بيتها ألا تخرج منه أبدًا فقد قال ﷺ للنساء: «أذن لكن في الخروج لحاجتكن» رواه البخاري.

ولكن عليها إذا خرجت أن تلتزم الزي الإسلامي المحتشم وعليها أن لا تبدي زينتها إلا ما ظهر منها.. ولا تتعطر عند خروجها.. ولا تتثنى في مشيتها ولا تتغنج في حديثها.. كما أن عليها إذا سافرت أن لا تسافر إلا مع ذي محرم.. ولو إلى الحج الواجب: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسير مسافة يوم وليلة إلا مع ذي محرم» متفق عليه.

وأن عليها إذا خرجت إلى المسجد لتشهد الصلاة وأماكن العلم أن لا تتزين ولا تتطيب لقول المصطفى صلوات الله عليه «يا أيها الناس أنهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد»(١) ويقول «إذا شهدت احداكن العشاء فلا تتطيب تلك الليلة وأيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء»(٢).

---

(١) ضعيف رواه ابن ماجه (٤٠٠١).

(٢) رواه مسلم (٤٤٤).

كما أن عليها أن تمشي بوقار وسكينة وأن تكون صفوف النساء في المسجد خلف صفوف الرجال.. كما أن عليها إذا صلت أن لا ترفع صوتها.. حتى إذا أخطأ الإمام فليس عليها أن تنبهه بقول: سبحان الله كما يفعل الرجال بل عليها أن تصفق.

وقد أذن للنساء بشهود الجمعة والجماعة فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها» رواه البخاري ومسلم.. وقال ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن»(١) ومع هذا فقد صرح المصطفى ﷺ «بأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في مسجدها. وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»(٢).

روى الطبراني وأحمد أن أم حميد الساعدية قالت: يا رسول أني أحب الصلاة معك قال: «قد علمتأنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك. وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك. وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي»(٣).

فإذا كان شهود الجمعة والجماعة على ما له من عظيم الأهمية في الإسلام أمرًا لا يشجع عليه كثيرًا.. بل يرغب عنه.. ويقال للمرأة: إن صلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في المسجد.. فكيف بخروجها متزينة متبرجة للاختلاط بالرجال.. ومنافستهم بالمناكب والأقدام..

ومع كل هذا فإن الإسلام لم يمنع المرأة من الخروج لقضاء حوائجها الضرورية بشرط أن تلتزم بالزي الإسلامي والسلوك الإسلامي وأن تغض الطرف وترخي الثوب وتضرب بخمارها على صدرها وعنقها وأن تمشي مشية الوقار والسكينة.. وأن لا تخضع بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض..

طلب العلم:

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٦٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٧٠).

(٣) حسن لغيره: «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٠) وبلفظ أخر حسن في «صحيح الجامع» (٣٨٤٤) وفيه: «في مسجد الجماعة».

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١) والعلم المطلوب هو العلم الذي يقرب المسلم والمسلمة إلى الله.. لا العلم الكاذب الذي يبعده عنه.. وقد فجر أقوام اليوم حتى ليسموا الرقص علمًا ويسموا دراسة الموسيقى والغناء علمًا.. ويسموا دراسة التمثيل والسينما والمسرح علمًا.. ويسموا دراسة القصص الفاجرة والداعرة علمًا.. ويسموا كل ما وصلت إليه وسائل الفجور والكفر علمًا. ودراسة وسائل الربا علمًا ودراسة نظريات فرويد الجنسية علمًا.. نعم قد بلغت القحة والفجور بهؤلاء الأقوام أن يدعوا أن العلم الذي جعله الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة.. هو هذا – الفجور المبهرج والمغطى بشعارات العلم..

وحتى لا يلتبس الأمر على أحد فالعلم المفروض على كل مسلم ومسلمة هو الضرورة من علم الدين..

كمعرفة الشهادتين ومعناهما.. والصلاة والصيام والزكاة لمن يملك النصاب والحج لمن يقدر عليه.. وعلم أحكام المعاملة والتجارة لمن يريد التجارة.. وعلم المزارعة والمزابنة لمن يريد المزارعة والمزابنة.. وهكذا سائر الأعمال التي تفتقر إلى معرفة ما يتعلق بها من الأحكام الشرعية.

هذا هو ما يسمى بفرض العين الذي يجب على المسلم تعلمه.. وما زاد عن ذلك في أي علم من علوم الدين أو الدنيا فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الكل فإذا نكصت عنه جماعة المسلمين عمهم الإثم.. ما دام المسلمون في حاجة إلى ذلك العلم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)

فإذا ما علمنا الأطفال من أبناء وبنات علوم الدين الضرورية فإن علينا بعد ذلك أن ننشئ كل واحد منهما حسب حاجاته الفطرية.. ولا يمكن أن تكون برامج تعليم الأولاد والبنات واحدة. وإلا لكان الأمر أشبه بمصانع الأحذية التي تخرج شكلًا واحدًا من الأحذية

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٢٤).

بالآلات..

إن توحيد برامج التربية والتعليم بالنسبة للأولاد والبنات هو الغباء والسذاجة والجهل في أقبح صوره.. فلابد أن تختلف برامج التعليم والتربية حتى نستطيع أن نحصل في النهاية على أمهات عالمات يعرفن أساسًا كيف يربين أطفالهن ويقمن بشؤون بيوتهن وأسرهن.. كما ينبغي أن تلم الواحدة منهن إلمامًا بشؤون التمريض ويتخصص في ذلك مجموعة منهن لتمريض النساء ولطب الأطفال وطب أمراض النساء والولادة كما أن على الفتاة أن تلم بشؤون التدبير المنزلي والخياطة وأشغال الإبرة والطبخ.

وقد كان المغزل في يد المرأة المسلمة أداة إنتاج هامة.. كما أن عليها معرفة كيفية تربية الأطفال وتنشئتهم نشأة صالحة..

هذه هي الأسس التي ينبغي على كل فتاة أن تتقنها أولًا بعد معرفة ما هو ضروري من أمر الدين.. وليس عليها حرج بعد ذلك أن تعرف فنونًا شتى من ألوان المعرفة ولا أن تتخصص فيها إذا كانت لديها المقدرة والرغبة فميدان ذلك واسع وأمره مباح ما دام في الحدود الشرعية وما دام لا يصحبه اختلاط ولا تبرج ولا إشاعة الفساد والفاحشة.

ويقول الدكتور ألكسي كاريل:

ومن سخف الرأي أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة ولذا يجب ألا تلقن الفتاة التدريب العقلي والمادي ولا أن تبث في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيان وتبث فيهم. ويجب أن يبذل المربون اهتمامًا شديدًا للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى ووظائفها الطبيعية فهناك اختلافات لا تنقض بين الجنسين.. ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدين.

ثم يقول: أليس من العجيب أن برامج تعليم البنات لا تشتمل بصفة عامة على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفيسيولوجية والعقلية؟..

يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل على الحمل فقط بل أيضًا على رعاية صغارها..

وللأسف فإن برامج التعليم للأولاد والبنات متماثلة في معظم أنحاء العالم حتى البلاد

العربية والإسلامية.. وهي للأسف تنحو منحى الغرب في ذلك وتقلده تقليدًا أعمى.

وما ذكره الدكتور ألكسي كاريل حول مماثلة برامج التعليم للفتى والفتاة وخطورة ذلك على المجتمع مهم لأنه يؤدي إلى محاولة طمس الفروق الطبيعية والبيولوجية بين الفتى والفتاة.. ويؤدي كذلك إلى أن يجهل كل من الفتى والفتاة دوره في الحياة.

ولهذا فإننا مطالبون بإعادة النظر في هذا الوضع الخطير الذي نعيشه اليوم حيث أن المناهج الدراسية للأولاد والبنات متماثلة.. من الابتدائي إلى الجامعة ولا توجد هناك دراسة لدور الفتاة كأم وربة بيت.. وإنما تعطى الفتاة ما يعطى الفتى.

وليس هذا مما يؤهلها للقيام بدورها الفيسيولوجي والبيولوجي والاجتماعي فهي أولًا أم وربة بيت ومسؤولة عن بيتها وزوجها وأولادها..

فلابد أن تكون المناهج التعليمية مصاغة للوصول إلى هذا الهدف.

وأكتفي هنا بنقل ما كتبته الكاتبة المسلمة سهيلة زين العابدين في المسلسل الذي نشرته جريدة المدينة تحت عنوان: «مسيرة المرأة السعودية إلى أين؟» في عددها الصادر في ١٤٠٠/٦/١٤ هـ.

قد تعلمت هنا في بلادي ودرست هذه المناهج ابتداء من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية ولكن لم يمر علّى خلال دراستي مواصفات الزي الإسلامي وأهمية الحجاب.. لقد مرت عليّ آية الحجاب أثناء دراستي في مادة التفسير.. ولكن لم يركز عليها التركيز اللازم... لم أدرس في هذه المناهج حقوق المرأة في الأديان والقوانين الوضعية ومقارنتها بمكانة المرأة في الإسلام.. لم أدرس لماذا يرث الرجل ضعف ما يرث المرأة ولماذا تعتبر شهادة اثنتين بشهادة رجل؟... والحكمة في تعدد الزوجات إلى آخر ما يتخذه الأعداء من هذه الأحكام ليوهم المرأة المسلمة أن دينها لم ينصفها فتثير حوله الشبهات لم أدرس في هذه المناهج سير كثير من السيدات المسلمات الخالدات.. لم أدرس أشياء كثيرة مستجدة تتعلق بي كأنثى وموقف الدين منها.. وكذلك الفتى لم يدرس أهمية الحجاب ومكانته.. ولهذا فإنه يشجع أخته أو زوجته أو ابنته على السفور والتبرج والاختلاط بل كذلك يجبر زوجته على مجالسة أصدقائه سافرة متبرجة ويهددها بالطلاق إن لم تفعل ذلك.

كما أن هذه المناهج لم تفرق بين الرجولة والأنوثة.. فما يدرّس للفتى يدرّس للفتاة وهذا من الأخطار الجسيمة التي وقعنا فيها عند وضعنا لهذه المناهج فالتكوين النفسي والفكري والروحي يختلف بالنسبة للأنثى عن الذكر إذ يجب أن يكون تكوين كل منهما نفسًا وروحًا وعقلًا وفق وظائفه التي أعده الخالق لها فالمرأة مكلفة بالإنتاج البشري والرجل مكلف بالإنتاج المادي.. وعلى هذا الأساس تكون تربية كل منهما وتعليمه ولكننا نحن ابتعدنا عن هذا.. وكانت النتيجة أنها تجهل خطورة وظيفتي الزوجة والأمومة.. وتحسب أنها بكل سهولة تستطيع التوفيق بينهما وبين عملها التكسبي وأن خادمة أو مربية يمكن أن تحل محلها في هاتين الوظيفتين.

والغرض من هذا البحث هو معالجة هذا العدد من أمراضه قبل أن يستفحل أمرها ويتفشى ضررها ويعجز عن مقاومتها والوقاية خير من العلاج..

ولكي نتقي شر هذه الأمراض علينا أن نغيّر مناهج التعليم ولاسيما مناهج تعليم البنات لتتضمن الآتي:

أولًا: تعميق الصلة بين المرأة وبين بيتها وتوضيح مكانتها في الإسلام ومقارنة وضع المرأة في الإسلام ووضعها في الديانات الأخرى وفي القوانين الوضعية والرد على الشبهات التي يثيرها الأعداء حول نظرة الإسلام إلى المرأة مع التركيز على أهمية الحجاب وضرورته كضابط اجتماعي وتنمية الوعي لديها بالزي الإسلامي وتدريبها على تعميمه وتفصيله وحياكته كما يجب تدريسها سير النساء المسلمات الخالدات.

ثانيًا: التركيز على واجبات الزوجية والأمومة وإعدادها لتكون زوجة صالحة وأمًا فاضلة وربة بيت مدبرة وممتازة وذلك عن طريق الآتي:

أ- أن المرأة مكلفة بالتعامل مع الإنسان كأم وكزوجة وكمعلمة وكطبيبة وكممرضة وكأخصائية اجتماعية.. وعليه يجب أن تدرس الطرق السليمة للتعامل معه.

ب- إن المرأة مكلفة بغذاء الإنسان وإعداد طعامه.. ولهذا يجب أن تدرس علم التغذية.

ج- تدريس علم التمريض كعلم أساسي يجب أن تتعلمه الفتاة بتعليمه لها في المرحلة

الإعدادية فعلم التمريض يجب أن تلم به كل فتاة لاتصاله الوثيق بوظيفتيها الأساسيتين كما يجب أن نعد المرأة السعودية لمواجهة الطوارئ فيما تعرض وطننا - لا قدر الله - لأي عدوان..

د- يجب حث الطالبة على القراءة والإطلاع.. (في الكتب النافعة الهادفة) كما يجب الاهتمام بعوامل التشويق للدراسة ومن هذه العوامل:

- أن تكون المباني المدرسية نموذجية بها أفنية واسعة وحدائق جميلة وفصول واسعة جيدة التهوية لا كما هو الحال بالنسبة لمعظم مباني مدارس البنات حيث تجد فصولها ضيقة ومظلمة ومعتمة ولا توجد بها أفنية ومياهها غير نقية وقد يكون بعض مبانيها آيلًا للسقوط.
- تخصيص برامج للرحلات والحفلات المدرسية..
- وكما يجب أن تتوفر القدوة في البيت يجب أن تتوفر أيضًا في المدرسة والمعلمة هي القدوة الحسنة لتلميذاتها فيجب الاهتمام بإعدادها.

المرأة في ميدان القتال:

إن الإسلام قد سمح للمرأة أن تشهد المعارك لتداوي الجرحى وتسقي العطشى وتطبخ الطعام وتحفظ الرجال.. بل إن عليها أن تتعلم كيف تدافع عن نفسها.. وقد روى لنا التاريخ أسماء نساء الأنصار والمهاجرين اللاتي وقفن مع المجاهدين في ميادين القتال.. حتى نساء النبي ﷺ اشتركن في مداواة الجرحى وسقي العطشى من المجاهدين فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان..

وروى عمر بن الخطاب قول النبي:ﷺ **«ما التفت يمينًا ولا شمالًا يوم أحد إلا رأيت أم سَلِيط تقاتل دوني»**[1].

(١) رواه ابن سعد (٨/٤١٥).

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب قسم مروطًا بين نساء المدينة فبقي مرط جيد فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك – يريدون أم كلثوم بنت فاطمة الزهراء – فقال عمر: أم سَليط أحق فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد. وتزفر أي تحمل الحمل الثقيل.

وأم سَليط هي أم قيس بنت عبد من بني مازن تزوجها أبو سَلِيط بن أبي حارثة من بني النجار من الأنصار فولدت له سَلِيطًا وفاطمة. وكانت من أوائل من بايع النبي ﷺ بالمدينة وشهدت أحدًا وخيبر وحنينًا.

وفي غزوة حنين رأى النبي ﷺ أم سليم ومعها الخنجر فقال لها:«ما هذا؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد المشركين بقرت بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك. أخرجه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى. أخرجه مسلم والترمذي.

وغزت أم عطية رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ سبع غزوات كانت تخلفهم في رحالهم وتصنع لهم طعامهم وتداوي الجرحى وتقوم على المرضى. أخرجه مسلم وأحمد وابن ماجه.

وقامت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها إلى اليهودي الذي تسلل إلى بيوت المسلمين أثناء انشغال المسلمين في موقعة الخندق. قامت إليه بعمود فقتلته.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان وهي أم حرام فاتكأ عندها ثم ضحك فقالت: لم تضحك يا رسول الله؟ فقال: «**ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة**». فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم فقال:«**اللهم اجعلها منهم**».

قال أنس فتزوجت عبادة بن الصامت رضي الله عنه فركبت البحر معه ومعها بنت قرظة.. وهناك عثرت بها دابتها فوقعت فماتت رضي الله عنها وقبرها معروف مشهود في قبرص.

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج للغزو أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها النبي ﷺ:أخرجه البخاري.

وقد حضرت عائشة رضي الله عنها غزوة أحد وكانت تحمل قرب الماء على متنها وتفرغه في

أفواه القوم.. وحضرت غزوة بني المصطلق.

وأخرج البخاري عن الرُّبيّع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة.

وفي رواية له أيضًا: كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة.

ولم تكتف أم عمارة الأنصارية بإسعاف الجرحى وسقاية الجيش بل حملت السيف وقاتلت. وقتلت أم حكيم يوم اليرموك سبعة من الروم بعمود الفسطاط لما هجم الروم على مواقع المسلمين الخلفية.

وأخرج مسلم أن نجدة الخارجي كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن غزو النساء مع النبي ﷺ فكتب إليه إنه كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحُذن من الغنيمة وأما بسهم فلم يضرب لهن.

ومع هذا أخرج البخاري في باب جهاد النساء أن عائشة رضي الله عنها استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: جهادكن الحج وعنها أيضًا أن نساء النبي سألنه الجهاد فقال: «نِعْم الجهاد الحج».

وقال ابن بطال كما ذكره في فتح الباري: إن الجهاد غير واجب على النساء ولكن ليس في قوله: «جهادكن الحج» أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد وإنما لم يكن عليهن واجبًا لما فيه من مغايرة المطلوب منهن من الستر ومجانبة الرجال فلذلك كان الحج أفضل لهن من الجهاد.

ولا يجب الجهاد على النساء إلا في حالة واحدة وهي عندما يهجم العدو على ديار المسلمين ولا يوجد من الرجال ما يكفي لصده فعندئذ يجب على العبد بدون إذن وليه وعلى الصبي وعلى المرأة.. ودور المرأة في مداواة الجرحى والمرضى وخدمة المجاهدين وسقايتهم وإعداد طعامهم لاشك دور عظيم ومهم في ميادين القتال وقد أثبتت الصحابيات الجليلات ومعهن أمهات المؤمنين دورهن الرائد في هذا الباب.

وقد تقدم أمثلة لذلك ويذكر لنا التاريخ أيضًا كيف قامت رفيدة الأسلمية بتمريض سعد بن معاذ عندما أصيب بسهم غرب في موقعة الأحزاب فأقام له رسول ﷺ خيمة في مسجده

حتى يشرف بنفسه على حالته.. وأوكل تمريضه إلى رفيدة. من كل ما تقدم يتبين حكم الإسلام في خروج المرأة وكيفيته وآدابه.

وكيف أن الإسلام لم يمنع المرأة منعًا باتًا من الخروج من دارها.. وإنما سمح لها بالخروج لأغراض كثيرة منها ما هو تعبدي محض كالصلاة والحج.. ومنها ما هو من شؤونها الخاصة كشراء لوازمها وقضاء حاجاتها.. ومنها ما هو لنفع نفسها ونفع المجتمع كالتعليم والتعلم..

وقد اشتهرت من أمهات المؤمنين عائشة رضي الله عنها بسعة علمها ورجاحة عقلها.. قال عروة بن الزبير: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها.

كذلك أم سلمة رضي الله عنها فقد كان النبي ﷺ يشاورها في مهام الأمور وقد أشارت عليه يوم صلح الحديبية عندما اغتم المسلمون بذلك الصلح وأبوا أن يحلقوا أو أن ينحروا هديهم لشدة غمهم فأصاب رسول ﷺ من ذلك هم وغم ودخل على أم المؤمنين أم سلمة يخبرها بذلك فأشارت عليه بأن يأمر الحلاق فيحلق أمامهم ويأمر بهديه فينحره أمامهم.. فلما رأى المسلمون النبي ﷺ يفعل ذلك تدافعوا يحلق بعضهم لبعض حتى كادوا يقتلون أنفسهم وقاموا إلى هديهم ينحرونه.

ويذكر التاريخ لنا أمثلة كثيرة من هؤلاء الفقيهات العالمات الأديبات.. ومنهن سكينة بنت الحسين.. ومنهن السيدة نفيسة من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما.. وغيرهن كثيرات واشتهرت بالطب من النساء في زمن بني أمية زينب طبيبة بني أود كانت طبيبة عيون ناجحة حتى تمثل بها الشعراء. وذكر ابن عساكر أن عدد شيوخه من النساء كان بضعًا وثمانين امرأة وكانت كريمة المروزية من شيوخ البخاري.

واشتهر من نساء الأندلس في الطب من عائلة زهر الطبية أخت أبي بكر بن زهر (الحفيد) وبنتها.. ولم يكن المنصور يسمح لأحد بمعالجة نسائه وأهله إلا أخت الحفيد أو ابنتها. واشتهرت أم الحسن بنت القاضي أحمد بن عبد الله الطنجالي بالشعر وحفظ القرآن الكريم والطب.

وأعطى الإسلام المرأة من الحقوق ما لا يخطر ببال النسوة اللائي يلهثن وراء حقوقهن..

حيث لا تزال المرأة سلعة تباع وتشترى ومادة لترويج البضائع والسلع.. وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر ١٩٨٠/٥/٢٩. م الموافق ١٤٠٠/٧/١٥هـ وعددها الصادر ١٩٨٠/٥/٣١. الموافق ١٤٠٠/٧/١٧.. أن جمعيات حقوق المرأة في بريطانيا نظمن مظاهرات صاخبة احتجاجًا على استعمال المرأة في ترويج البضائع.. ومن ذلك إعلان يقول: السيارة السبور مثل العشيقة أما السيارة الصالون فهي مثل الزوجة.

ولا تكاد تجد إعلانًا عن أي مادة من المواد إلا وتطالعك صورة حسناء شبه عارية تدعوك لشراء تلك السلعة.

ولا تزال المرأة في الغرب إذا عملت أعطيت نصف أجر الرجل... وإذا تزوجت كانت هي التي تدفع المهر للرجل (الدوطة) بدلًا من أن يدفعه هو كما هو مقرر في الإسلام.

وفي الزواج عليها أن تنفق على نفسها وعلى بيتها أو على الأقل عليها أن تساهم في هذه النفقات فلابد إذن من خروجها إلى ميدان العمل حتى في أثناء حيضها وحملها وإرضاعها.. وليس لها إلا إجازة وضع لا تزيد عن شهرين في أغلب الأحيان وقد تقل عن ذلك..

وقد وصل الأمر بهيئة الصحة العالمية أن تطالب الدول بتفريغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل وأن تعطي لهن أجرًا في أثناء ذلك.. ولم يستجب بعد لذلك النداء أحد بينما هو أمر قد كفله الإسلام من قديم للمرأة: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] حتى في حالة الطلاق.. فحقها مكفول في إرضاع وليدها مع نفقتها وكسوتها وسكنها.. وكل ما يلزم لوليدها.. على حسب مقدرة الزوج ويسره: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: من الآية٧].

وإذا تزوجت المرأة احتفظت باسمها واسم أبيها في النظام الإسلامي بينما هي تفقد اسمها في النظام الغربي وتصبح تابعة لزوجها حتى في اسمها.

وفي الإسلام للمرأة حق التصرف في مالها ولها حق تنميته وليس لزوجها في ذلك من حق.. أما في الغرب فليس للمرأة أن تتصرف بمالها إلا من بعد إذن منه حتى عهد قريب.

وفي الغرب لا ترث المرأة شيئًا مع وجود الولد.. وفي الإسلام للمرأة نصيبها كامل في الميراث.. ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ مع جعل كل المسؤوليات المالية على الذكر وإعفائها

من كل مسؤولية.

وفي الغرب يملك الزوج أن يوصي بماله كله للكلاب ويحرم إن شاء ذريته وزوجته من ماله ولو كان مثل مال قارون.

وفي الإسلام ليس له في الوصية إلا الثلث والثلث كثير وما بقي فهو مال ورثته ليس له أن يتصرف فيه.. وكل وارث قد حدد الله له نصيبه من الميراث سواء كان أبًا أم ابنًا أم أمًا أم زوجة أم بنتًا أو أحد الوارثين..وليس له أن يوصي بماله للكلاب أو لأي غرض غير شرعي..فإن فعل فإن وصيته باطلة لأنه لو كان حيًا لوجب الحجر عليه لسفهه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥]

ويبقى الإسلام هو النظام الوحيد الذي أعطى المرأة جميع حقوقها.. وجعل لها تفرغا تامًا لوظيفتها المنوطة بها كأم وربة بيت. وجعل الجنة تحت أقدامها وأمر ببرها أمًا وزوجة وابنة وأختًا.. وحث على ذلك أيما حث وجعل من يعول بنتين أو أختين ويربيهن تربية إسلامية في الجنة مع الرسول الكريم صلوات الله عليه: «من عال ابنتين أو أختين كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»[١] وأشار ﷺ إلى سبابته والوسطى.

«ومن عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»[٢].

«وما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة»[٣].. «وأن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فِيّ امرأته»[٤].

«ودينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجر الدينار الذي أنفقته على أهلك». أخرجه مسلم.

وخلاصة القول أن الإسلام نظر إلى وظيفة المرأة الطبيعية والفطرة التي فطرها الله عليها فجعل لها المقام الأول حيث مقام الأمومة أعلى مقام.. وجعل مكانة المرأة كأم لا تعدلها في المجتمع أي مكانة.. وهيأ لها كل الوسائل للتفرغ لهذه الوظيفة العظيمة.. وجعل لها من

---

(١) صحيح: «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٧٠).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (٥١٤٧).

(٣) صحيح لغيره: «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٦٢).

(٤) البخاري (٥٦) ومسلم (١٦٢٨).

الحقوق ما يكفل لها القيام بهذه الوظيفة على أحسن وجه وأكمل صورة..

ومع هذا فقد سمح لها بالخروج من منزلها لأي ضرورة تعرض لها.. ولطلب العلم وللعبادة ولمساعدة المجاهدين..

وكل هذا في إطار النظام الإسلامي والآداب الإسلامية أما خروجها واختلاطها بالرجال ومزاحمتها لهم بالمناكب والأقدام فأمر قد نهى عنه وأمر بالابتعاد منه لأنه يؤدي إلى شيوع الفاحشة..

وقد هدد سبحانه وتعالى أولئك الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا أعظم تهديد وأبلغه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور:١٩].

ونختم هذا الفصل بفتوى أصدرها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس إدارة الدعوة والإرشاد والإفتاء في المملكة العربية السعودية والتي نشرت في مجلة المجتمع الكويتية في ١٣٩٩/٥/٢٧هـ الموافق ١٩٧٩/٤/٢٤م.

أخي الزوج لا تكن من هذه الأصناف(١)

إن من المُشَاهَد على الواقع؛ أن كل إنسان ينظر إلى حقوقه في الدنيا بنظرة المتعطش اللهفان على تحقيقها وتلبيتها، وهذا لن يتحقق له لأن هذه فطرة الله تعالى في خلقه في هذه الدنيا - همّ حزن غضب رضًا صفاء كدر سعادة نكد، بل ويطالب بها بكل ما أوتي من قوة، وإن من أبرز المطالبين بحقوقهم نحو الفريق الآخر؛ هم الرجال.

فالزوج يطالب زوجته بأن تكون زوجة مثالية، ودودة، عطوفة، مجيبة ومطيعة لأوامره، متجملة متزينة جذابة...الخ.

وفي المقابل بعض الأزواج يكيلون الإهانات لزوجاتهم، ويضيعون الحقوق الواجبة عليهم تجاههن.

نعم للزوج حقوق واجبة على زوجته، ولكن أين حقوق الزوجة عند زوجها؟

فالزوجة تتساءل؛ الكُتّاب يكتبون، والمطابع تنتج لنا الكتب العديدة المختلفة الأساليب في بيان حقوق الزوج على زوجته، بينما نرى القليل من هذا الكمّ الهائل من المؤلفات؛ يتكلم عن حقوق الزوجة على زوجها، أوليس لنا نصيب من الحقوق فتوجه النصائح نحو أزواجنا كي تعتدل الكفة بالنصائح والتوجيهات ولتستقيم الحياة الزوجية وتستقر، مع علمنا أن الشريعة لم تُهمل هذا الجانب؟!

فنقول: بلى.

إن للزوجة على زوجها حقوقًا كثيرة.

قال تعالى: ﴿.. وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾.

(١) - من كتاب رسالة إلى الأزواج للأستاذ جمال بن فريحان الحارثي.

قال السعدي: وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحبة الجميلة وكف الأذى وبذل الإحسان وحسن المعاملة ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين امرأتي لي لأن الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ، وما أحب أن أستوفي جميع حقي عليها لأن الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ .

وأعلى من قول ابن عباس؛ قول النبي الكريم ﷺ في الحديث الصحيح، أنه سئل عليه السلام: ما حق المرأة على الزوج؟

قال: «أن تُطعمها إذا طعمت، وأن تكسُوها إذا كسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت».

وفي خِضَم مطالبة البعض بحقوق المرأة، وهم في الحقيقة يطالبون بخروج المرأة في الشارع ومزاحمة الرجال.

ونحن نقول:

لا، ليس هذا الذي نطالب به، ولكننا نقول: إن للمرأة - وأخصص هنا (الزوجة) حقوقًا مشروعة نطالب بها الأزواج، فشتان بين تلك المطالب وبين ما نطالب به.

وسأخاطب كل فئة من الأزواج بما فيهم من اعوجاج؛ لعلهم يقيمون ذلك الاعوجاج كي يسعدوا في حياتهم الزوجية، وسأخاطب البعض بالعقل، من باب قول علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، وسأتكلم بكلمات بسيطة ولن أتكلف في انتقاء العبارات، كي تصل إلى القلوب، وأن نصل إلى الغاية المنشودة، وهي التقليل والتخفيف من المشاكل الأسرية التي كثُرت في هذا الزمن بسبب الجهل أو التجاهل من الأزواج للحقوق التي عليهم نحو زوجاتهم، ولا نقول: إن المشاكل ستنقطع؛ بل هي الحياة الدنيا:

فأبدأ بذلك الرجل التارك للصلاة:

فأقول له: ألا تستصغر نفسك إذا رأيت زوجتك وهي تصلي؟

ألا تحتقر نفسك إذا وجّهتك زوجتك وأيقظتك للصلاة؛ وأنت معاند لها؟

كيف تريد السعادة في بيتك وأنت تارك لركن من أركان الإسلام؟

كيف ترغب في الاطمئنان في حياتك الزوجية؛ وأنت لاهٍ عن ذكر الله؛ وإن الصلاة من ذكر الله تعالى؟

كيف تريد أن تسعد بالحلال مع زوجتك؟ والرسولﷺ يقول: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[(١)] وقال: «ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فإذا تركها فقد أشرك»[(٢)].

الرجل الثاني:

صاحب السهر بالليل خارج الدار إلى منتصف الليل وقد يمتد إلى الفجر.

فأقول له: يا من تخرج من بيتك وتطيل السهر في لعب الورقة والشطرنج والطاولة.. وغيرها من اللهو المحرم كالذين يسهرون أمام شاشات الفضائيات الإباحية، وأفلام الفيديو، والأغاني والموسيقى، والمسلسلات الخليعة، أو على المسكرات والمخدرات.

أقول لهم: اتقوا الله وراقبوه، أما تخشى أن يتسلط الشيطان على زوجتك؛ فيخرجها من البيت...فتقع في.... كما خرجت أنت. في ظل غيابك عن بيتك؟!

ثم ماذا تريد الزوجة عندما خرجت من بيت والديها إلى عش الزوجية؟!

أكانت ترغب بأن تنتقل من بين جدران بيت أهلها إلى بين الجدران الأربعة لبيتك؟!!

إنها ترغب في الدفء والحنان كما ترغب أنت في التمتع مع الزوجة الصالحة.

فراجع نفسك قبل أن تندم ولات حين مندم؟

الرجل الثالث:

ذو الأسفار:

فما تَطِلُّ إجازة؛ إلا وحقائبه جاهزة، وجواز سفره مؤشَّر، وتذكرة الطائرة في جيبه، يتنقل من دولة إلى دولة، إما إلى دول كافرة، وإما إلى دول فاسقة، ماذا يا تُرى سبب السفر؟

---

(١) صحيح: أبو داود (٢٦٢١) وابن ماجه (١٠٧٩).

(٢) صحيح: ابن ماجه (١٠٨٠).

أهو للعبادة؟ أو للدعوة؟ أم للبحث عن البغـ........؟ وشرب الـ......؟ كيف تجد نفسك وأنت عائد إلى زوجتك البريئة وقد حملت مرض الإيـ...؟

أما علمت أنك قصرت في حقها في التمتع.. والرسول ﷺ لم يهمل هذا الجانب حتى وأنت معها على الفراش فقد روي أنه قال: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها كما يحب أن يقضي حاجته»[1]، وإن كان الحديث ضعيفًا ولكن المعنى صحيح، فإن المرأة لها ما للرجل من متعة جنسية فلا يُغْفِل أحدُكم هذا الجانب، بسبب حيائها وعدم تصريحها بذلك.

وقال العلامة السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: أي وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة... النفقة والكسوة والمعاشرة والمسكن وكذلك الوطء.

الرجل الرابع:

ذاك التاجر:

الذي نهاره يركض في جمع المال، وبالليل ينام كالجيفة، لا يرعى حقوق زوجته في الفراش، ولا المؤانسة في الحديث.

قال ابن كثير رحمه الله: وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهم... وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلًا قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ.

الرجل الخامس:

الذي يخلط بين حقوق الوالدين وبين حقوق الزوجة.

فيجحف في حق الزوجة على حساب حقوقها الواجبة لها شرعًا أو بظلمها أحيانًا مبررًا ذلك الظلم؛ أنه برًّا بوالديه.

أقول: وليس هذا استعداء الزوجات على أزوجهن، ولكنه من باب النصح والتوضيح لمن يجهل هذا الأمر، أو يجعل ذلك التصرف من الشهامة والرجولة .: إن خدمة الزوجة

---

(١) ضعيف: «ضعيف الجامع» (٤٥٠).

لوالدي الزوج؛ ليست بواجبة شرعًا، ولكنها من باب حسن العشرة الزوجية، ومن مستلزمات المودة والمحبة التي تحملها لزوجها، فليتنبه الأزواج إلى هذه النقطة، وهي الأكثر إشعالًا للفتنة وإيغار الصدور بين الزوجين، حيث أنه يرى أن خدمتها لأبويه واجبة عليها ورغم أنفها، وما هي إلا خادمة له ولأبوية، وهي ترى أنها مضطهدة ومظلومة في ذلك، فينشب الخلاف وتدب نار الفتنة بين الزوجين.

والذي يزيد الطين بِلَّة هو: أن بعض الأزواج يطالب زوجته بخدمة والديه والوقوف بجانبهما في المحن، والتودد إليهما وتلبية طلباتهما من غير توقف ولا تمعر وجه، بينما هو يعامل أهلها بأسوء معاملة وأقساها، بل ولا يعطيها فرصة بأن تقف بجوار والديها في أيام محنتهما وحاجتهما لابنتهم، ولسان حاله يقول: خلاص؛ أنتِ خرجتي من بيت أهلك وأصبحت ملكي لا عاد تفكرين في أهلك، وممكن يكون هذا بلسان المقال من بعض الأزواج، وكأنه يريد أن يفصلها عن أهلها تمامًا.

وهذه من أقبح المواقف للزوج، بل هي الأنانية؛ بل هي الظلم والاضطهاد.

كيف تريد من زوجتك أن تخدم أبويك وتعاملهم معاملة حسنة كما ينبغي عليها؛ بنفس مشتاقة وتائقة لكسب ودِّكَ وابتغاء مرضات ربها بذلك؛ وأنت تقابل والديها ـ اللذان كانا السبب في اقترانك بهذه الزوجة ـ بوجهٍ مكفهرٍ، وربما جرحتها في أبويها بكلمة أنت لا ترضاها في حق والديك؟؟!!

أضف إلى ذلك؛ أنك بتعاملك المشين مع والدَيْ زوجتك ومطالبتك إياها بخدمة والديك وطاعتهما؛ تُضَيِّع على زوجتك الاحتساب ـ احتساب أجر خدمتها والتودد لأبويك من الله تعالى ـ، حيث أنها لا تفكر في ذلك بقدر ما تفكر بأن تُسَكِّنْ غضبك، وتكتفي شرك.

فالمطلوب من الأزواج: أن يترفقوا بنفسية زوجاتهم، وليعلموا أنهن بشر مثلهم، يتضايقون ممن يُسيء لأهلن، وممن يجرح كرامتهن، وكان ﷺ أرفق الناس بالنساء ولنا فيه أسوة وقدوة حسنة، قال ذات يومٍ لحاد الإبل: «ارفق يا أنجشة! ويحك بالقوارير»[1] يعني

(١) صحيح: «صحيح الأدب المفرد» (٦٨٢).

بالقوارير؛ النساء ـ شبههن بالقوارير لضعفهن، فلْيُجرب الأزواج حسن التعامل مع أهل زوجاتهم، وليعطِهَا فرصة لقضاء حوائج والديها أو بعضها، وليُظهر اللّين والتودد لوالديها؛ فإن الزوجة تتفانى في خدمة زوجها ووالديه إن رأت ذلك من زوجها، ولا تنظروا إلى الشواذ من النساء اللاتي يقابلن الحسنة بالسيئة، ثم بعد هذا؛ لينظر الزوج الفرق، فسيجد الراحة النفسية قد عادت إليه، وامتلاء بيته بالسعادة.

الرجل السادس:

الداعية إلى الله. الذي يجوب البلاد طولا وعرضًا؛ في محاضرات ودروس، وقد يمتد ذلك إلى برامج ومواعيد مع القنوات الفضائية، وإذا جاءت الفرصة لدخوله المنزل؛ انشغل مع الإنترنت وكتابة البحوث، والتأليف.

وهذه من فروض الكفايات، ويترك واجباته نحو زوجته، وينطبق عليه المثل الشعبي كالشمعة تحرق نفسها وتنير لغيرها الطريق.

وقد آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل؛ فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال: سلمان قم الآن، قال: فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ : «صدق سلمان». الحديث عند البخاري وغيره.

وجاءت امرأة إلى عمر فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار قال أفتأمريني أن أمنعه قيام الليل وصيام النهار؟! فانطلقت ثم عاودته بعد ذلك فقالت: له مثل ذلك، ورد عليها مثل قوله الأول، فقال له كعب بن سور: يا أمير المؤمنين إن لها حقًا، قال: وما حقها؟ قال: أحل الله له أربعًا فاجعل لها واحدة من الأربع، لها في كل أربع ليال ليلة وفي أربعة أيام يومًا، قال: فدعا عمر زوجها وأمره أن يبيت معها من كل أربع ليال ليلة ويفطر من كل أربعة أيام يومًا.

الرجل السابع:

شرس الأخلاق، غضب الوجه مع زوجته. ومع الآخرين؛ أدب وسماحة، وانبساط في الوجه مع البشاشة، وهذه الصفة رأيتها في بعض العوام، والمثقفين، والمتنسّكين ـ المستقيمين ـ على حدٍ سواء.

فالواجب أن تكون دماثة أخلاقهم مع زوجاتهم أعلى وأفضل من أن تكون مع الآخرين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، وهو الذي يقول مخاطبًا عثمان بن مظعون: «أما لك فيَّ أسوة، فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده»(١).

وقد قال عن نفسه ﷺ:«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(٢)، ومناسبة هذا القول، أن الرجال استأذنوا رسول الله ﷺ في ضرب النساء فأذن لهم فضربوهن فبات فسمع صوتًا عاليًا، فقال:«ما هذا؟» قالوا: أذنت للرجال في ضرب النساء فضربوهن (فنهاهم)، وقال.. (فذكره)(٣).

ومن دماثة خُلقه وتودده لأزواجه ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام جميل العشرة دائم البشر يضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك.

الرجل الثامن:

ذاك الذي يُنـزِّل النصوص في غير مواضعها، أو يستغل النصوص التي تنصره ويتشبث بها من غير أن يراعي مصالح الغير.

أضرب أمثلة كي يتضح ما قَصَدتُ، يستغل بعض الأزواج قوله ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٥).

---

(١) حسن: «الصحيحة» (١٧٨٢).

(٢) صحيح: الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح: الترمذي (١١٦٠).

(٥) صحيح: أبوداود (٢١٤١).

وهذه أحاديث لا شك في صحتها، وتذكيره لزوجته بها شيء طيب بل ومطلوب، وعلى الزوجة مراعاة حق زوجها في ذلك؛ بل يجب عليها شرعًا، ولكن مراعاة المصلحة من جهة الزوج في مطالبته زوجته في ذلك؛ أمرٌ مطلوب، فالزوجة كما أسلفنا بشر. فأحيانًا تكون في نفسية لا تساعدها لتلبية رغبتك في أي وقت، أو في الوقت الذي طلبتها فيه، فممكن تكون امرأة حامل، ففي فترة الحمل الزوجة تمر بظروف وأحوال لا يحس بها الزوج، فقد يحملها الوحمُ على كره زوجها والاقتراب منها بل ويصل الأمر إلى كراهة رائحته من على بعد، ففي هذه الحال يجب على الزوج مراعاة هذا، والصبر والاحتساب.

وممكن أن تكون الزوجة سمعت بمشكلة عند أهلها أو أتاها خبر مفزع من جهة أهلها؛ فهي قلقة من ذلك ولا تريد أن تشغلك به معها فانعكس ذلك على نفسيتها وتصرفاتها.

وممكن أن تكون متعبة من عمل البيت، أو مريضة وفي نفس الوقت لا تحب أن تشعرك بما فيها رغبة منها على محافظة شعورك، ومحبة فيك، أو تكون منشغلة بأطفالها إما لمرض أحدهم أو العناية بهم، فماذا تقدم؟ رغبتك أم رعاية أطفالها الصغار الذين هم أمانة عندها وعندك أيضًا؟ !!!

لا شك أنها ستكون في حرج وحالة نفسية سيئة؛ فتأتيك راغمة ومن غير استمتاع ولا راحة ـ وكأنها دمية بين يديك ـ إنْ لم تراع موقفها وتصبر.

ولْنَكُنْ منصفين في حق نسائنا، ومعترفين؛ بأن النساء غالبًا والأغلب، إن لم أقل كلُهنّ ـ إلا الشاذة منهنّ ـ؛ يتقربن إلى أزواجهن في مسألة الفراش، وهنّ في سبب ذلك التقرب على ثلاثة طوائف في نظري ورأيي:

الطائفة الأولى:

تتقرب لزوجها في الفراش؛ طاعةً لله تعالى ـ تعبدًا ـ، محتسبة الأجر منه جل جلاله، بإرضاء زوجها بقضاء وطره، وغض بصره، ورجاء ولدٍ صالح.

الطائفة الثانية:

تتقرب لزوجها في الفراش؛ رغبة في الاستمتاع لا غير.

الطائفة الثالثة:

تتقرب لزوجها في الفراش؛ كي تحجبه من أن ينظر إلى غيرها، غَيْرَةً منها عليه فقط. ولاشك أن الأولى جمعت فأوعت.

والخلاصة؛ على الأزواج أن يراعوا المصالح، ومشاعر زوجاتهن في انتقاء الوقت لقضاء الوطر، وخاصة من لديه أولاد كبار، فإن الزوجة تخجل وتتحرج من أولادها ـ ذكورًا أو إناثا ـ لو رأَوْها وهي مبتلة الرأس.

الرجل التاسع:

ذاك الذي لا يُقيم لزوجته وزنًا أمام أولادها، أو أمام أهله، أو أمام أهلها.

فهو يحتقرها، ويزدريها، وإذا تكلمت أسكتها، وإذا أمرت أولادها أو أدبتهم؛ زجرها أمامهم، بل ويصل ببعض الرجال إلى أن يتجاهل زوجته في البيت؛ فليس لها رأي ولا تُلبى طلباتها سواء خاصة بها أو ما يتعلق بأولادهما، ويجعل اهتمامه بالأولاد مقدمًا عليها، بل ويجعل أولادها يستمرؤون عصيانها وإهمالها، والضرب بأوامرها صفحًا، وهذا هو عين العقوق، فمن ذا الذي أعانهم على ذلك غيرك أيها الزوج الكريم؟.

والبعض يزيد من سوء المعاملة أمام أهله، وكأنه يريد أن يقول لهم: أنا رجل والحرمة؛ مالها عندي رأي ولا كلمة.

والبعض يهينها أمام أهلها، وكأنه يقول لها: أيش أهلك يسوون لي؛ أنا أتحداهم؟!

وهذا مما يجعل العلاقة تسوء بين الزوجين، وتدب بينهما كراهية الاستمرار في العلاقة الزوجية وقد تسبب هذه الأمور تفكيك الأسرة وتفرقها في النهاية.

فعلى الأزواج أن يتقوا الله تعالى ويعرفوا للنساء قدرهنّ وأن يتحلّوا باحترام نسائهم وخاصة أمام الأولاد.

وبالنسبة أمام أهله، فليست الرجولة والقوامة في أن تُرِي أهلك أنك صاحب الكلمة والسلطان في بيتك وعلى زوجتك؛ بسوء معاملتك لها وإهدار كرامتها وشخصيتها واحتقارها، فانتبهوا أيها الرجال، ولتكن الحكمة ضالة المؤمن.

وأما أمام أهلها، فأريهم منك حسن العشرة لابنتهم، فإنهم يفرحون بذلك منك، بل ويُعينونك بتوجيهها والتأكيد عليها بطاعتك وكسب رضاك، ولو لم تخرج من عندهم إلا

بهذا؛ فأنت في مكسب كبير، وزد على ذلك أنك ستكسب زيادة محبة زوجتك لك وينعكس ذلك التصرف الحميد منك إلى أن تحترمك وتحترم كلمتك أمام أهلك، بل وتحترم أهلك لاحترامك مشاعر أهلها.

الرجل العاشر:

ذاك الذي يمنع زوجته من تعلم العلوم الشرعية في المعاهد الشرعية المتخصصة.

وحجته: كل يوم تُحرِّمين علينا شيء !!

ولو طلبته أن تلتحق بمعهد الحاسب الآلي، أو اللغة الإنجليزية، أو التجميل وغيرها؛ لأخذها بيده في الحال.

وذلك لأنه لا يريدها أن تُعلمه الجائز و المحظور شرعًا، فقد يكون هو ممن يتعاطى شرب الدخان، أو الشيشة، أو ممن أباح لنفسه جلب الطبق الفضائي (الدُّش) للنظر إلى القنوات الفضائية الهابطة، وهي - أي الزوجة المستقيمة - في كل هذا تبين له الحكم الشرعي بعدم جواز ذلك، فيعتبر الزوج الفاضل؛ أن هذا تشدد ورجعية وتزمت، ويعتبره مضايقة لحريته في بيته، فيقول: الحل منعها، وكأنه يردد المثل القائل: الباب اللي يجيك منه ريح؛ سُدّه واستريح، وهذا المثل لا ينطبق على مثل هذا الوضع وهذه الحال، بل مثل هذه الزوجة يجب على الزوج؛ التمسك بها والعض عليها بالنواجذ، فإنها هي المرأة التي ندب إليها النبي ﷺ بالزواج منها حيث قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «فاظفر بذات الدِّين تربت يداك»[(١)].

الرجل الحادي عشر:

ذاك المُقتّر الشحيح على أهل بيته في الإنفاق، الذي وسَّع الله عليه في الرزق وقصر في الإنفاق على زوجته.

نقول لقد ذمّ الله البخل والشح فقال تعالى:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

---

(١) صحيح: البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

وكان عبد الرحمن بن عوف وهو يطوف بالبيت يقول: رب قني شح نفسي رب قني شح نفسي. فقيل له في ذلك، فقال: إذا وقيت شح نفسي فقد وقيت البخل والظلم والقطيعة.أو كما قال.

يقول الشنقيطي في أضواء البيان: ومجيء الحسن على القرض الحسن هنا بعد قضية الزوجية والأولاد وتوقي الشح ـ وهو يعني الآيات في سورة التغابن آية ١٣ ـ ١٧ ـ: يشعر بأن الإنفاق على الأولاد والزوجة إنما هو من باب القرض الحسن مع الله كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وأقرب الأقربين بعد الوالدين هم الأولاد والزوجة، وفي الحديث في الحث على الإنفاق «حتى اللقمة يضعها الرجل في فيّ امرأته»[(١)].

وكان من صفاته و أخلاقه أنه ﷺ جميل العشرة لنسائه يتلطف بهن ويوسعهن نفقته، وفي الحديث عند مسلم وغيره، قال رسول الله ﷺ «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله» قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال.

الرجل الثاني عشر:

الذي يأتي أهله كالبهيمة يتغشاها من غير مقدمات للجماع.

يقول الحسين بن علي رضي الله عنهما: من الجفاء أن يجامع أهله لا يلاعبها قبل الجماع.

ويقول ابن القيم في «الزاد»: ومما ينبغي تقديمه على الجماع؛ ملاعبةُ المرأة، وتقبيلها، ومص لسانها، وكان رسول الله ﷺ يُلاعب أهلَه، ويقبلها، وروى أبو داود في «سننه» أنه ﷺ كان يقبل عائشة، ويمُصُّ لِسانَها[(٢)]. ويُذكر عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة[(٣)].

قلت: حديث مصّ اللسان ضعفه الألباني. وحديث جابر ـ النهي ـ: لا يصح.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٤٢) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) ضعيف: أبو داود (٢٣٨٦).

(٣) ضعيف: «ضعيف الجامع» (٦٠٦٥).

ولكن لا يعني أن ذلك ممنوع شرعًا، بل هو من الاستمتاع المباح؛ ما لم يأتِ النهي عن ذلك.

الرجل الثالث عشر:

الذي يَقْدُم من السفر على أهله ليلًا بغتةً من غير أن يشعرهم بقدومه.

لأن ذلك الفعل لا تستحبه الزوجة، فهي تحب أن تستقبل زوجها في أحسن حالٍ وأجمل منظر وفي أبها حلة مما يبعث المحبة والشوق منه إليها، ولا تريد أن يرى منها زوجها ما تستعف نفسه منها.

وقد راع ذلك الشارع الحكيم قال ﷺ: «**إذا قَدِمَ أحدُكم ليلًا؛ فلا يأتينَّ أهلَه طُرُوقًا، حتى تستحد المُغِيبَةُ، وتمشط الشَّعِثَةُ**»[(١)] . وهذه من الحقوق المهجورة تجاه الزوجة.

يقول الألباني رحمه الله في «**الصحيحة**»: في هذا الحديث أدب رفيع، أخل به جماهير الأزواج- إلا ما شاء الله- ؛ فهم يباغتون زوجاتهم إذا رجعوا من سفرهم ليلًا، دون أي إخبار سابق، فعليهم أن يتأدبوا بهذا الأدب الرفيع؛ بأن يخبروا زوجاتهم بمجيئهم ليلًا بعد العشاء بواسطة ما؛ كشخص يسبقهم إلى البلد، أو بالهاتف، والله ولي التوفيق.

قال الصنعاني: في هذا الحديث، دليل على أنه يحسن التأني للقادم على أهله حتى يشعروا بقدومه قبل وصوله بزمان يتسع لما ذكر، من تحسين هيئات من غاب عنهن أزواجهن؛ من الامتشاط، وإزالة الشعر بالموسى مثلًا من المحلات التي يحسن إزالته منها، وذلك لئلا يهجم على أهله وهم في هيئة غير مناسبة، فينفر الزوج عنهن، والمراد إذا سافر سفرًا يطيل فيه الغيبة، كما دل له قوله ﷺ في رواية البخاري: «**إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلًا**»[(٢)] .

فعلى الزوج أن يخبر زوجته بقدومه بالوسائل المتاحة، كي تتأهب له وتتزين.

الرجل الرابع عشر:

---

(١) صحيح: البخاري (٥٢٤٦) ومسلم (٧١٥).

(٢) صحيح: البخاري (٥٢٤٤).

ذلك الرجل الذي تتزيَّن له زوجته في خلوتهما بما ترى أنها تَقرُ عين زوجها به من زينة وحسن منظر. سواء ملابس نوم بجميع أنواعها وأشكالها، أو مكياج. فتُفاجأ الزوجة برفض ذلك من زوجها؛ بل ويصفها بأنها كصويحبات اللهو الساقطات. اللاتي يشاهدها في الشاشات، أو قد يكون شاهدها من قبل إن كان اليوم هو من المستقيمين..

فالواجب عليك أيها الزوج الكريم أن تستمتع بزوجتك الصالحة والتي تريد أن تملئ عينيك كي لا تحتاج إلى أن تنظر إلى الحرام بحسرة.

وقد كن نساء السلف يفعلن ذلك، بل ونساء النبي ﷺ فعلنه ـ أعني التزين ـ، فهذه عائشة أم المؤمنين الصّديقة بنت الصديق رضي الله عن أبيها وعنها؛ تقص قصتها مع الزينة فتقول: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»، فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله[1].

أخي الكريم ! إنْ كان هناك ما تكرهه على زوجتك أو تلاحظ عليها شيئًا؛ فوجهها بالحسنى ولا تُعنف، ولك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فخاتمة الحديث السابق فيه التوجيه من الرسول ﷺ، فتقول عائشة رضي الله عنها: قال ـ رسول الله ﷺ: «أتؤدين زكاتهن»، قلت: لا، أو ما شاء الله. قال: «هو حسبك من النار»[2].

فرويدكم أيها الرجال بالقوارير، وتأدبوا بالأدب النبوي تفلحوا وتسعدوا.

الرجل الخامس عشر:

الرجل الطيب النفس مع أهله بدرجة كبيرة حتى وصل الأمر به إلى أنه ارتكب وتلبس بصفة لا يُحمد عليها، وهي: أنه ضعيف الشخصية في بيته وعلى زوجته بالذات، فترك الحبل على الغارب.

فهي التي تروح وتغدو به، وتُسيّره على كيفها، فهو كالآلة مسير وليس بمخير؛ فقدَ القوامة التي ملّكه الله إياها، وانفلت الزمام منه، وأسند الأمر غير أهله، فأصبحت الزوجة هي

---

(١) صحيح: أبو داود (١٥٦٥).

(٢) الحديث السابق.

الآمرة والناهية في البيت على الأولاد وعلى الزوج، فلما حصل ذلك ماذا عسى أن يكون حال الأسرة؟!!

لا شك ـ في الغالب ـ أنها ستتردى العلاقة؛ حيث أنه سيطالب باسترجاع ما فقده من القوامة والقيادة، وفي المقابل سيجد المقاومة والمعاندة من الزوجة المتسلطة التي فرحت بشخصية زوجها الضعيفة واستغلتها، فهي لن تتخلى عن حب السيطرة بتلك السهولة؛ فينشب الخلاف وتدُب المشاكل بين الزوجين، فتُفقَد السعادة والراحة النفسية و الدفء في ذلك البيت، والسبب هو؛ ذلك الرجل الذي ترك الزمام لزوجته والتي هي أضعف في التدبير والحكمة وتصريف الأمور من الرجل ـ وهذا الغالب على النساء وليس كلهن، لأنه يوجد فيهن من تعدل عشرات الرجال في الحكمة ورجاحة عقلها ـ.

ولا تفهم أيها الزوج من هذه النقطة؛ أني أدعوك للغلظة والشدة وسوء الأخلاق والمعاملة مع زوجتك، فقد دعوتك في نقاطٍ قبل هذه؛ بالتحلي باللين وحسن العشرة، فكن أخي الكريم بين هذا وذاك، فلا تكنْ لينًا فتُعصَر، ولا قاسيًا فتُكسَر وقد تكون أنت الفاعل فيكون المثل هكذا ..فتَعصِر،... فتَكسِر.

الرجل السادس عشر:

ذاك الرجل الذي تنصل من المسئولية، وأحالها على زوجته.

فهي التي تدير شئون المنزل، وهي التي تتابع الأولاد ذكورًا وإناثًا في المدارس، وهي التي تدبر نفسها في الذهاب إلى أي مكان احتاجت إليه ـ ولا أقول: المكان الذي ترغبه ـ وعنيت بهذا، أن ثمّة فرقٍ بين ما تحتاج إليه وبين ما ترغبه، فهو لا يوصلها للمستشفى مثلًا، أو لزيارة أهلها، ولوازم البيت ـ بمجاميعها ـ يترك لها التصرف في الذهاب بأي وسيلة ومع من تشاء !!

بمعنى أنه رجل لا يحب أن يرتبط بمسئوليته تجاه البيت، وذلك رغبة منه في التفرغ لملذاته وشهواته؛ حتى لا يُسأل عما يفعل ـ ولسان حاله يقول: خليت لك الحبل؛ فلا تقلقيني جيب وجيب، ولا أين كنت؟ وأين رحت؟ وليش تأخرت؟ وأين ذِيك العازة؟ ـ.

فطريقته في ترك زوجته تخرج ـ من دونه ـ لحاجتها أو لغير حاجتها؛ فتقابل الرجال في

الأسواق والمحلات التجارية، والمستشفيات، والمدارس، وركوبها في سيارات الأجرة؛ قد يعرض المرأة للزلل والوقوع في حبائل الشيطان، وخاصة في استغلال وضعها الضعيف مِنْ قِبَل مَنْ لا خلاق لهم، فتصبح فريسة سهلة، ولقمة سائغة للرذيلة ـ والعياذ بالله ـ.

والسبب ذاك الرجل الذي يسعى وراء ملذّاته؛ غير مبالي في أهل بيته.

وفي الوقت نفسه؛ تُقابَل هذه الزوجة مِنْ قِبَل النساء؛ بأنهنّ يهنّئونها على هذا الزوج الذي أعطاها الحرية ولم يكبتها ـ زعموا ـ.

ما دروا أن المسكينة متورطة مع شبح باسم الزوج، أذاقها الأمرّيْن.

الرجل السابع عشر:

ذاك الذي يهدد زوجته بالزواج أو الطلاق إن لم تفعلي كذا وكذا، إذلالًا لها.

أقول أخي الكريم: الطلاق جعله الله بيد الرجل لأنه صاحب القوامة والأرجح عقلًا، والضابط لنفسه عند الغضب ووقت العاطفة؛ فلا تستعمله سلاحًا تُذل به زوجتك وأم عيالك؛ حتى وإن كنت تريد ذلك من باب التأديب لها؛ فلا ينبغي لك فعل ذلك، فالمرأة لها كرامة وعزة نفس، ولها مكانتها في الإسلام والمجتمع، واعلم أن الطلاق لا مزح فيه يقول النبي ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة»(١)، ثم إنه لا خير في امرأةٍ لا تستقيم إلا بالتهديد بالضرّة، وإن أردت الزواج أخي الكريم؛ فلا داع أن تلعب بأعصاب زوجتك، أو تختلق الأعذار ـ بأنها كذا وكذا، وفيها من الخُلق السيئ كذا وكذا ـ.

هذا يعتبر من ضعف شخصيتك، وصِغَرٍ في عقلك، فالله سبحانه وتعالى سهل لك الأمر بأن أباح لك مثنى وثلاث ورباع، فلِمَ المراوغة والتشبث بالأوهام والافتراءات على زوجتك وهي مما اتهمتها به بريئة، ولو كان ما ذكرته من تعليل؛ صحيح. فلا ينبغي أن تُظهر ذلك عنها، كما أنه ينبغي لها أن لا تُشَهِّر بك سوء خلقك.

ومن صيغ التهديد في العصر الحديث؛ ما يسمونه بزواج المسيار، الذي أصبح لعبة ـ أعني زواج المسيار ـ بأيدي بعض الرجال، فقد وجدوا فيه التنفيس لإشباع شهواتهم من غير

---

(١) حسن: أبو داود (٢١٩٤) والترمذي (١١٨٤) وابن ماجه (٢٠٣٩).

أن ينظروا في عاقبة الأمور الوخيمة، حيث أن معظم من يتزوج بهذه الطريقة؛ يكون سرًا وفي الخفاء وقد يتزوج في الشهر ويطلق مرارًا، وأنا أعرف بعض من فعل ذلك، لأنه لم يكلفه شيئًا، وهو في نفس الوقت عاجز من أن يفتح له بيت آخر لزوجة ثانية.

فأقول: هل هذا هو العلاج الصحيح لحل المشكلة بينك وبين زوجتك؟!

فاتقوا الله أيها الرجال وحافظوا على النسل، كما أوصي نفسي وإياكم بالمحافظة على الزوجة الصالحة، بل والصبر على التي قد يكون فيها سوء خلق، فقد تكره فيها خُلق وترضى منها خُلق آخر كما قال ﷺ: «لا يفرك ـ أي لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[(١)].

الرجل الثامن عشر:

ذاك الرجل الذي يضايق زوجته بعد زواجه من الثانية.

فلا أدري هل ذلك منه كي تطفش منه زوجته وأم عياله وتتنازل عن ليلتها؛ تعبا منه ومن هذرمته، أو هو تكريهها منه ومن عشرته؛ كي تزيد المشاكل ويصل إلى الحل الذي يره ـ وهو الطلاق ـ فيتعذر أمام المجتمع المحيط به؛ أنها هي التي نغّصت عليّ الحياة، ففراقها ذلك الحين أولى، وقد لا يطلقها ولكن يبقى مُذِلًا لها لأنها ـ المسكينة ـ ستتحمل كل ما يأتيها كي تبقى بجوار أطفالها.

فنصيحتي لكل زوج فيه هذه الخصلة؛ أن يتقي الله تعالى وليعلم أن الله تعالى حرّم الظلم على نفسه وجعله بيننا محرمًا، كما جاء في الحديث القدسّي المشهور[(٢)].

وقد أحسن من قال:

وظلـــم ذوي القـــربى أشـــد مـــضاضةً   على الـــنفس مـــن وقـــع الحُـــسام المهنـــد

والرجل التاسع عشر:

رجل جعل الآخرين هم الذين يقودونه في الحياة، ويوجهونه.

---

(١) صحيح: مسلم (١٤٦٩).

(٢) صحيح: مسلم (٢٥٧٧).

وذلك بأن اتخذ من أصدقائه أو بعضهم؛ صناديقًا لأسرار بيته، فما تكون من صغيرة ولا كبيرة إلا وينثرها لصديقه أو زميله؛ رجاء أن يجد حلًا أو توجيهًا منهم، حتى وصل الحال إلى أن أولاده يحتاجون لشفاعة زملائه لهم عنده ـ أعني به والدهم ـ، ومنهم من يجعل أخواته يتدخلن في حياته ومشاكل بيته؛ بأن يفشي لهن كل ما يحدث داخل أسرته من قضايا، وبهذا يهمش زوجته ويقدم عليها غيرها، وكأنها من سقط المتاع.

فنقول لهذا الصنف من الرجال: احفظ شخصيتك وكرامة أهلك ـ أم أولادك ـ، ومكانة أولادك، وشاركهم في الحلول والرأي، وافتح لهم قلبك، وكن في نفس الوقت ذو حزم وقوة في اتخاذ القرار ـ بحكمة ـ، ولا تخرج أسرار بيتك لأحد مهما كانت مكانته منك.

وما أحسن من قال:

إذا ضاق صدر المرء بسر نفسه فصدر الذي يستوعب السر أضيق

الرجل العشرون:

ذاك الذي أطلق العنان لزوجته وبناته.

فهن يخرجن من البيت متى شاءوا، وكيفما شاءوا، ومع من شاءوا من غير رقيب ولا متابع، فهن ـ أعني زوجته وبناته ـ إذا خرجن تجدهن متبرجات، متعطرات، وقد يمتد مكوثهن خارج البيت إلى بعد منتصف الليل بل إلى الفجر، مرة بحجة عند بنات خالي أو بنات عمي أو زميلاتي أو في حفلة ملكة أو زواج ويشتد الخطب لو كانت في قصور أفراح أو استراحات.

وبهذا الإهمال وهذا التساهل؛ فسدت بعض الأسر، لأنها لم تجد من يقول لها: أين تذهبين، وليش هذا اللبس ـ القصير أو العريان ـ، وليش تأخرت، وأين كنت، ومع من ركبتي؟

قد يقول هذا الصنف من الرجال أو بعضهم: أنا أثق في زوجتي وبناتي، وهن يعرفن الخطأ من الصح، فلماذا أخونهن؟

نقول: أخطأت الطريق. نحن لم نقل خوّن أهل بيتك ـ والعياذ بالله ـ، ولكن الرقابة والمتابعة والمحافظة على أهل بيتك أمر واجب وحتمي عليك، والغيرة أمر فطري وجاء الإسلام وأكدها.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغير مني، ومن أجل غيرة الله؛ حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن»(١).

وإن من الفواحش أن تترك نساءك يلبسن القصير، والشفاف، والمفتوح الجانبين أو من الأمام، أو مكشوفة الظهر أو البطن أو اليدين كاملة - بحجة الموضة -.

فاتقوا الله عباد الله في الأمانة التي بين أيديكم وحافظوا عليها يقول النبي ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٢).

وأقول هنا عبارة قد لا تعجب البعض، ولكني قلت في المقدمة: أني سأخاطب بعض الناس في رسالتي هذه بما يفهمونه - قصدي إيصال الأمر إليهم عبر أسلوب المجالس العامة -، فأقول: لو ذهبت للجزار، ووجدت لحمتين معلقتين؛ واحدة مكشوفة وحولها الذباب، والأخرى مغطاة ومحافظ عليها، أيهما تشتري وتقبلها لنفسك؟؟!!

الجواب: متروك لمن ترك نساءه عرضة لأعين البر والفاجر.

وفي ختام هذه الرسالة، أقول: ليس أحد من الرجال معصوم غير الأنبياء على نبينا محمد وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، فكل واحد منا فيه خِصلة أو اثنتين أو أكثر أو أقل، ولكن الطامة؛ الذي جمعها أو جلّها، فعلينا جميعًا التناصح فيما بيننا لقوله ﷺ: «الدِّين النصيحة..»(٣)، ولا شك أن الرجل منا لا يستطيع تقييم نفسه بنفسه، ولا أن يرى اعوجاج وخطأ نفسه، ولهذا لابد من أن ينكر عليك الغير حتى تعرف ما لك وما عليك ومصداق ذلك في قوله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيها عيبًا أصلحه»(٤).

---

(١)صحيح: الخاري (٦٨٤٦).

(٢)صحيح: البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

(٣)صحيح: مسلم (٥٥).

(٤)حسن: صحيح الأدب المفرد (١٧٧).

فمن وجد فيه من هذه الخصال فليحمد الله على أنه وُفِّق لمعرفتها وليعزم على التخلص منها.

ولنتمثل بقول عمر بن الخطاب ﷺ: «رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي».

وأقول: عليكم أيها الرجال بوصية النبي ﷺ تفلحوا وتسعدوا في الدارين حيث يقول ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرًا»[١].

(١) تقدم تخريجه.

الاعتذار يحطم الأسوار(١)

أيها الزوج الكريم،أيتها الزوجة الكريمة:

كثيرا ما يأخذنا الكبرياء والغرور ولا نملك القدرة على أن نرى أنفسنا مخطئين، اعتقادًا منا أن الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه دليل ضعف مما يباعد بيننا وبين الآخرين وقد تتجمد العلاقات وتنقطع جسور التواصل معهم لأننا لم نبادر بكلمة صادقة للاعتذار.

إن جملة «أنا آسف» غالبا ما تصفي الأجواء وتفتح الأبواب أمام التسامح والتواصل، وتمنح فرصة للبدء من جديد، كما أنها تجلب الثقة والأمانة والتواضع وهذه من أجمل الصفات التي يمكن أن يتشاركها الناس.

وإذا كان الاعتذار يعد مطلبًا لدوام أية علاقة فما بالنا بالعلاقات الزوجية التي تنمو وتقوى بالمودة والرحمة والتسامح فعلى كلا الزوجين ألا يقف لصاحبه بالمرصاد ليتصيد أخطاءه، ومن ثم يدبر له ليرد الخطأ بخطأ أكبر، ويظل كلاهما يدور في دائرة من الأخطاء انتظارًا لاعتذار شريكه المكابر، وقد لا يسوؤه ارتكاب شريكه للخطأ بقدر ما يسوؤه عدم اعتذاره عنه !!

كثير من المشكلات الزوجية تبدأ بمكابرة أحد الزوجين - لا سيما الزوج - والامتناع عن الاعتذار لشريكه عندما يغضبه فأغلب الرجال يقاومون الاعتذار ولا يحبون الاعتراف بالخطأ، إذ يعتبرون لحظة الاعتذار من أصعب اللحظات في حياتهم، وهذا ما يؤكده الدكتور كود وول المتخصص في العلاقات الزوجية بقوله: معظم الرجال يشعرون بأن قدرًا كبيرًا من هيبتهم سيضيع إذا قدموا اعتذارًا أو اعترفوا بخطأ.. فالمخطئ لابد أن يكون هو الخاسر، والرجال يكرهون الخسارة.

وهناك نموذج آخر من الأزواج يستعجلون الاعتذار حتى لو لم يُطلب منهم، ليس لأنهم يشعرون بوجوب الاعتذار عن أخطاء وقعوا فيها ولكن لينهوا الشجار والجدال بأسرع ما يمكن،

---

(١) للكاتبة: سحر فؤاد أحمد.

وكان يمكن اعتبار هؤلاء علي درجة كبيرة من الحصافة والحكمة لو أنهم استطاعوا إخفاء هذا السبب.. إلا أن ما يدعو للأسف والآسي أنهم يحرصون علي إظهاره !

يقول د.سيد صبحي أستاذ الصحة النفسية: إن الاعتذار مطلوب ومن يخطئ لا بد أن يعتذر فليس هناك مكابرة وإلا فإن الشخص الذي يرفض الاعتذار يصبح بغيضًا في نظر الآخرين.. والاعتذار سلوك حضاري بين الناس عامة والزوجين خاصة. فالزوج الذي يخطئ عليه أن يسعى بدافع من شعوره الراقي أمام زوجته بالاعتذار، والذي يرفض الاعتذار لزوجته لأن كرامته ورجولته لا تسمحان بذلك، فإنه يعتبر مريضًا نفسيًا.. فالكرامة الفعلية السامية هي أن نعتذر إذا أخطأنا.

أما الدكتور يسرى عبد المحسن أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس فيقول:

إن تعاليمنا الدينية تدفعنا للاعتذار، والله عز وجل يقبل التوبة من عباده والاستغفار معنى ذلك أن الإنسان إذا أخطأ في حياته الدنيوية عليه أن يتراجع عن خطأه وباب الاعتذار مفتوح. والاعتذار ليس عيبًا بقدر ما يعنى شجاعة المعتذر وقوته وتمتعه بشخصية سوية متكاملة، ومعرفته حدود نفسه وشعوره بالآخرين.

و يؤكد الخبير الاجتماعي الدكتور أحمد المجدوب أن الرجولة تحتم على الزوج أن يعتذر إذا أخطأ فى حق زوجته أو أي شخص آخر، فالرجولة تعنى الصدق والشهامة. وعندما يعتذر الرجل فإنه لا يسقط من عين زوجته أو يهون أمره عليها، بل ترتفع قيمته في نظرها ويعلمها درسًا في الأمانة والشهامة واحترام الذات.

والاعتذار ليس ضعفا بل الضعف أن تخفي خطأك وتظل تكابر، أما الرجل الذي يثق بنفسه ويحترم ذاته فإنه لا يجد غضاضة في أن يعتذر ووقتها سوف يصبح قدوة لزوجته.

أيها الأزواج...رفقًا بالقوارير(١)

إن مما فطر الله عز وجل عليه الكائنات الحية في هذه الحياة الدنيا أن جعل الزواج طبيعة وجبلة فيها، به يسكن بعضها إلى بعض، ويحصل التناسل والنماء والتكاثر، فالزواج سكن نفسي، وتفريغ جسدي وشعور بالأمن وعدم الخوف، ويقين بدوام الأنثى مع الرجل في كل وقت وحال، وإحساس بتسامي العواطف والمودة الصادقة وبُعدها عن الامتزاجية والتزييف، نعم إن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة فراش وجنس كما يفهم بعض الأزواج لا، إنها علاقة حميمة عميقة الجذور، بعيدة الآماد، العلاقة بين الزوجين علاقة عقل وعاطفة، نعم عقل يسير أمور الحياة بحكمة وعاطفة تخفف من لهيب شمسها الحارقة، العلاقة بين الزوجين علاقة قلبين وروحين بينهما من التقدير والاحترام والتعامل مالا يمكن رسمه أو وصفه.

روحُها روحي وروحي روحها ... ولها قلب وقلبي قلبها

فلنا روح وقلب واحد ... حسبها حسبي وحسبي حسبها

العلاقة بين الرجل والمرأة علاقةٌ سامية نبيلة طاهرة، علاقة ربانية أنزل الله عز وجل في شأنها قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾.

إن السعادة الزوجية أشبه بقرص من العسل تبنيه نحلتان، وكلما زاد الجهد فيه زادت حلاوة الشهد فيه، وكثيرون هم الأزواج الذين يسألون كيف يصنعون السعادة في بيوتهم؟ ولماذا يفشلون أحيانًا في تحقيق هناءة الأسرة واستقرارها؟ ولا شك أن مسؤولية السعادة

(١) للأستاذ سلمان بن يحيى المالكي.

الزوجية تقع على الزوجين أولًا وأخيرًا، إذ لا بد من وجود المحبة بين الزوجين، وليس المقصود بالمحبة هو ذلك الشعور الأهوج الذي يلتهب فجأة وينطفئ أخرى، إنما هو ذلك التوافق الروحي والإحساس العاطفي النبيل بين الزوجين، والبيت السعيد لا يقف على المحبة وحدها بل لا بد أن تتبعها روح التسامح بين الزوجين مع بعضها البعض، ولذلك فلا ريب أن نسمع بين الحين والآخر كثيرًا من الأزواج من يهمل حبيبة قلبه وينسى رفيقة دربه ويقسوا على نبع حنانه ويجفوا بحر أمانه، لا ريب أن نرى بين الفينة والأخرى من يعرض عن ساكنة الوجدان، ويسيء التعامل مع تلك الوردة الشذية والزهرة الندية والدرة السنية الزوجة الأبية، نعم لا ريب أن نسمع جراحًا غائرة، ونوازل عاثرة، ودموعًا هامرة، وأفئدة ملتهبة في علاقات كثير من الأزواج مع زوجاتهن، لا ريب أن نسمع عن كثير من الزيجات ممن تصيح وتئن من معاملة زوجها تحت وطأة الضغط وبين جدران البيوت، واللاتي يشكين في نفس الوقت من التصحر والجفاف في الحياة الزوجية، ويفتقدن كثيرًا من الكلمات العاطفية، ويعانين جدبًا في العبارات الغزلية، والتي تتمنى الواحدة منهن أن تسمع من حبيب روحها وهوى فؤادها، ما يأسر فؤادها، ويهز وجدانها، وتطرب له أركانها، نعم كثير من الزوجات اللاتي يعشن حياة سطحية بائسة ولقاءات جافة جامدة لا تتجاوز أحاديث الحياة اليومية وهمومها، والتذكير بالواجبات المنزلية ومشكلاتها، والله المستعان

فيا ترى ما هي الأسباب ولماذا هذه الأعراض؟ وكيف نعالج هذه الأسقام؟ وإلى متى يعيش الزوجان في قفص صغير لا يتجاوز حدود الأخذ والعطاء في الحياة اليومية ؟ أسئلة تبحث عن إجابة.

من أين تهدم البيوت؟؟

المرأة بطبعها هينة ـ سهلة الانقياد ! لكن يتسلط عليها شياطين الإنس والجن فيغيرون تلك الصفات ويفسدون صفاء القلوب، من أولئك الشياطين:

أولًا: وسائل الإعلام التي ما دأبت تحرض على الإفساد بين الزوج وزوجته، وتصور الرجل أنه ظالم مستبد فأفسدت الود وقطعت علائق المحبة !

ثم هي في الجانب الآخر تأتي بالحبيب والصديق والعشيق لتزين العلاقة المحرمة، وتجمل حديثه تلطف عباراته، وتهون العلاقة بين الرجل الأجنبي والمرأة ! فتصبح وقد تقلب قلبها وكرهت زوجها !

ثانيًا: تهدم البيوت من جلسات فارغة من بعض الصديقات والزميلات في حصص الفراغ، أو الجيران في جلسات الضحى والعصر ! فالحديث استهزاء بالأزواج وتحريض عليهم وتمرد على عش الزوجية !

وكل مرأة تدعي أن زوجي فعل بي وقال لي، وأحضر لي، حتى تكون الزوجة المسكينة أذنًا تسمع فيقع في قلبها كره زوجها البخيل وزوجها المشغول وزوجها الكسول !

ثالثا: مما يعين على هدم البيوت: عدم القرار في المنزل. فالزوجة خراجة ولاجة، لا يقر لها قرار.. أسواق وحفلات.. زيارات ! قائمة لا تنتهي وقد أشغلت قلبها وضيعت وقتها وفرطت في رعيتها !

رابعًا: المعاصي والذنوب شؤم على البيوت فهي تجلب الهموم والغموم وتنزع السعادة نزعًا ! قال بعض السلف: إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي !

وقال ابن القيم: وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة مالا يعلمه إلا الله.

والمعاصي في أوساط النساء كثيرة جدًا.. منها تأخير الصلاة، والغيبة والنميمة والخروج إلى الأسواق متبرجة متعطرة وغيرها كثير !

خامسًا: مما يهدم البيوت ويفرق الأسر الكبِر من قبل الزوجة ! وبواعث الكِبر والعجب كثيرة: الجاه والمال والشهادة والجمال وغيرها ! مع قلة عقل وقصر نظر !

سادسًا: مما يهدم البيوت استبداد الزوجة وتسلطها في ظل شخصية رجل ضعيفة متسامحة، فيقودها ذلك إلى التعنت والقفز على قوامة الرجل فتفسد نفسها وأسرتها.

سابعًا: تُهدم البيوت من عدم مراعاة حق الزوج في التزين والتجمل له. فلربما كانت النتيجة أن يقل نصيب الزوجة من ود زوجها، أو لربما قادته إلى طرق محرمة فتخرب الدور وتهدم الأسر !

ثامنًا: المرأة العاقلة تنزل من أكرمها وجاورها في الفراش والمنزل منزلة عظيمة، فلا تتسخط عليه، ولا تندم عشرته، فإن مثل هذه المرأة الناكرة للمعروف المضيعة للعشرة حري أن يسلب الله ـ عز وجل ـ نعمتها ! وإن كان في الرجل خلة من النقص ففيه خلال من الخير كثيرة !

ولتتذكر الزوجة قول النبي ﷺ:«ولا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر زوجها ولا هي تستغني عنه»(١) رواه النسائي.

تاسعًا: تُهدم المرأة بيتها وتبدد سعادتها إذا سلكت طريقًا وعرة ذا شوك، هاهي تطالب زوجها بالسفر وثانية بالقنوات الفضائية ! وما علمت المسكينة أن المعاصي والذنوب تجلب النقم وتبعد النعم! كم من امرأة سعيدة هانئة تحولت نعمتها إلى شقاء بسبب معصية الله ـ عز وجل ـ.

عاشرًا: المرأة الذكية الفطنة تراعي أحوال الزوج ومتطلباته، فهي تعلم موعد نومه وغذائه، وماذا يحب وماذا يكره، تسارع إليه حتى يسارع هو بقلبه إليها.

الحادي عشر: تهدم المرأة بيتها بلسانها ! إذا جلست مع زوجها خالفت أمر الرسول ﷺ وبدأت تذكر فلانه وصفتها و جمال شعرها وطولها، وتصفها لزوجها حتى يستعذب الحديث في النساء، فإن كان رجل صالحًا لربما تزوجها وإن كان فاسدًا لربما أفسدها أو

---

(١) صحيح: «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٤٤).

أفسد غيرها، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا تباشر المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها**» رواه البخاري.

وقد ترى المسكينة أن هذا الحديث عن النساء ووصفهن لزوجها يقرب زوجها إليها، وقد أضلت الطريق وتاهت في الدروب !

أسباب البركة في البيت والحياة

قراءة القرآن:

كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢]، فالقرآن جعله الله بركة من خلال اتباع تعاليمه وقراءته وتحكيمه والتداوي به، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**البيت الذي يذكر فيه القرآن تسكنه الملائكة، وتهجره الشياطين، ويتسع بأهله ويكثر خيرًا**»[١].

التقوى والإيمان بالله:

يقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، ويتضح لنا من قول الله تعالى أن الإنسان المؤمن التقي سوف يشعر بالبركة في حياته وفي زوجته وفي أولاده.

البسملة:

يقول رسول الله ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء**[٢]».

إذًا فذكر الله والبسملة لا بد أن يبدأ بهما الإنسان في كل شيء حتى عند جماع الزوجة يقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإذا رزق بمولود في تلك الليلة بارك الله له فيه لأن أي عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر أي مقطوع البركة.

الاجتماع على الطعام وبعض الأطعمة:

كما أخبر النبي ﷺ: «**كلوا جميعًا ولا تفرقوا فإن البركة في الجماعة، فطعام الواحد يكفي لاثنين**

---

(١) ضعيف: أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٣٠٩)، وانظر مختصر «الضعيفة» (٤٦٩٥) ولكنه صحيح موقوف على أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) صحيح: مسلم (٢٠١٨).

وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة»(١) وكذلك هناك بعض أنواع الطعام فيها بركة مثل اللبن والعسل والزيت والتمر.

السحور:

كما قال الرسول ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»(٢) والمراد في البركة: الأجر والثواب، ولكي يكون الإنسان مرتاحًا في الصوم.

ماء زمزم:

قال رسول الله ﷺ: «إن ماء زمزم مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم»(٣).

الاستغفار:

يعتبر الاستغفار مصدرًا للبركة كما يقول رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»(٤).

ليلة القدر:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣] ويعني ليلة القدر، فهي خير من ألف شهر.

العيدان:

تقول أم عطية: كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها، ويخرج الحيض فيكن خلف الرجال، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته.

المال الحلال:

فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، يقول سهل رحمه الله في آكل الحرام: عصت جوارحه شاء أم أبى، ومن أكل الحلال أطاعت جوارحه ووفقت للخيرات.

كثرة الشكر والحمد:

---

(١) حسن: «صحيح الجامع» (٤٥٠١).

(٢) صحيح: البخاري (١٩٢٣) ومسلم (١٠٩٥).

(٣) صحيح: مسلم (٢٤٧٣).

(٤) ضعيف: أبو داود (١٥١٨) وابن ماجه (٣٨١٩).

قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

الصدقة:

كما أخبرنا النبي ﷺ: «**ما نقص مال من صدقة**»[1].

البر وصلة الرحم:

يقول النبي ﷺ: «**صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن في الأعمار**»[2].

التبكير في طلب الرزق:

فقد قال النبي ﷺ: «بورك لأمتي في بكورها»[3] ولذلك فإن كثيرًا من الأشخاص الأغنياء عندما سئلوا عن سر غناهم قالوا السبب التبكير ومنهم صخر الغامدي الذي قال: عندما سمعت حديث رسول الله عن التبكير أصبحت أرسل تجارتي في أول النهار ويروى أنه أُثرِي ثراءً عظيمًا.

الزواج:

يعتبر الزواج من الوسائل الجالبة للبركة على الزوج والزوجة كما يقول الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٢] ويقول رسول الله ﷺ: «**التمسوا الرزق في الزواج**».[4]

إقامة الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢].

التوكل على الله:

يقول رسول الله ﷺ: «**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[5].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٢٥) وابن ماجه (٤٢٢٨).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع» (٣٧٦٧).

(٣) ضعيف: «ضعيف الجامع» (١١٤٩).

(٤) صحيح: «صحيح الجامع» (٢٨٤١).

(٥) صحيح: الترمذي (٢٣٤٤) وابن ماجه (٤١٦٤).

التعريف بالزواج وشرعيته

وحكمة مشروعيته

❁ تعريف الزواج:

في اللغة : الزواج لفظ عربي موضوع لاقتران أحد الشيئين بالآخر وازدواجهما بعد أن كان كل منهما منفردًا عن الآخر، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: يقرن كل واحد بمن كانوا يعملون كعمله، فيقرن الصالح مع الصالح، والفاجر مع الفاجر، أو قرنت الأرواح بأبدانها عند البعث للأجساد أي رُدَّت إليها، وقيل: قرنت النفوس بأعمالها فصارت لاختصاصها بها كالتزويج،وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم بهن، وقوله ﷻ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ .

أي وقرناءهم الذين كانوا يجلسون معهم ويشاهدون ظلمهم ولا ينكرونه أو وقرناءهم من الشياطين.

ثم شاع استعماله في اقتران الرجل بالمرأة على وجه مخصوص لتكوين أسرة حتى أصبح عند إطلاقه لا يفهم منه إلا ذلك المعنى بعد أن كان يستعمل في كل اقتران سواء كان بين الرجل والمرأة أو بين غيرهما.

اصطلاحًا : وفي اصطلاح الفقهاء: هو عقد وضعه الشارع ليفيد بطريق الأصالة اختصاص الرجل بالتمتع بامرأة لم يمنع مانع شرعي من العقد عليها وحل استمتاع المرأة به.

ويفيد التعريف :أن الزواج يحل استمتاع كل من الزوجين بالآخر متى تم العقد، وأن الزوج يختص بالتمتع بزوجته فلا يحل لأحد أن يتمتع بها ما دام العقد قائمًا ولو حكمًا، أما الزوجة فيحل لها التمتع بزوجها دون أن تختص بذلك التمتع حيث يباح له شرعًا أن يضم إليها ثانية وثالثة ورابعة.

مشروعية الزواج وحكمه

حكم الزواج في الإسلام

الزواج شرعه الله ﷻ لبقاء النسل، ولاستمرار الخلافة في الأرض كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة هنا هم الإنس الذين يخلف بعضهم بعضًا في عمارة هذه الأرض وسكناها بدليل قوله ﷻ بعد ذلك: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وقال ﷻ أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ ولا يمكن أن نكون خلائف في الأرض إلا بنسل مستمر، وليس كل نسل مرادًا لله ﷻ ولكن الرب يريد نسلًا طاهرًا نظيفًا، ولا يتحقق ذلك إلا بالزواج المشروع وفق حدود الله وهداه.

ولما كان الإسلام دين الفطرة، ودين الله الذي أراد عمارة الأرض على هذا النحو فإن الإسلام قد جاء بتحريم التبتل والحث على الزواج لكل قادر عليه ويدل على هذا أحاديث منها:

١ - حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا[1].

والتبتل هو الانقطاع عن الزواج عبادة وتدينًا وتقربًا إلى الله ﷻ بالصبر على ذلك والبعد عما في الزواج من متعة وأشغال ابتغاء رضوان الله ﷻ ومعنى هذا أن هذه العبادة غير مشروعة في الإسلام. بل قد جاء حديث آخر يبين أنها مخالفة لسنة الإسلام وهديه وهو الحديث الآتي:

٢ - حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال الآخر: أصلي ولا أنام، وقال الثالث: أصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك النبي

---

(١) متفق عليه.

ﷺ فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وهذا صريح في أن هذه الشريعة - أعني التبتل والرهبانية - ليست من دين محمد ﷺ في شيء.

وقد جاءت الأحاديث التي تحث على الزواج وتبين أن الزواج عون على طاعة الله ومرضاته من ذلك:

١ - حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

وفي هذا الحديث ما يدل على أن الزواج معين على العفة وصون الجوارح عن زنا الفرج كما في الحديث: «إن العين تزني وزناها النظر، وإن اليد تزني وزناها البطش، وإن الأذن تزني وزناها السمع، وإن الفرج يصدق هذا أو يكذبه»[3].

وإعفاف النفس وصونها عن كل ذلك من أفضل ما تقرب به المتقربون إلى ربهم ﷻ كما لا يخفى ما في ترك الزواج من الآثار السيئة النفسية المدمرة على كل من الرجل والمرأة وهو ما عبر عنه القرآن بالعنت حيث قال ﷻ في شأن إباحة الزواج من الإماء: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾، وهو الإرهاق النفسي الذي يصاحب الكبت الجنسي.

٢ - ومن هذه الأحاديث أيضًا قوله ﷺ في معرض بيان ما يثاب به العبد وتكتب له به الحسنات: «وفي بضع أحدكم صدقة»، والبضع هو من المباضعة - والمباضعة: هي الجماع- قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له بها أجر»[4].

وهذا الحديث غاية في بيان المراد في هذا الصدد وأن الزواج ليس من المباح الملهي وإنما هو من المباح الذي يتقرب به إلى الله ﷻ.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الجماعة.

(٣) متفق عليه بنحوه

(٤) صحيح: خرجه مسلم (١٠٠٦).

٣ - وفي قوله ﷺ: «دينار تنفقه على أهلك، ودينار تنفقه على مسكين، ودينار تنفقه في سبيل الله، أعظمها أجرًا الذي تنفقه على أهلك»(١).

وفي هذا بيان أن النفقة على الأهل أحب النفقات وأعظمها أجرًا عند الله ﷻ وبالطبع هذا كله إذا ابتغى المسلم وجه الله ﷻ لما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال له: «واعلم أنك لن تنفق نفقة صغيرة ولا كبيرة تبتغي بذلك وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك»(٢).

وقد استدل ببعض الأحاديث المتقدمة من يرى وجوب الزواج وأن من تركه مع القدرة عليه فهو آثم وهذا رأي ابن حزم وقول من أقوال الإمام ابن حنبل وعموم الفقهاء والأئمة على استحباب ذلك ولكن لا يخفى مع هذا أن من تركه زهادة فيه وهو آمن على نفسه من الفتنة وانشغالًا بأعمال أخرى من البر والدعوة والجهاد فنرجو أن لا يكون مثل هذا آثمًا بتركه.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

حكمة الزواج وأهدافه

لماذا نتزوج :

سؤال ينبغي أن يسأله كل شاب وشابة لنفسه بل كل مريد للزواج قبل أن يقدم عليه. لماذا نتزوج؟ وما الحكمة من هذا الزواج؟

وهناك أربعة حكم أو أهداف اجعلها نصب عينيك قبل أن تقدم على الزواج.

النسل :

جعل الخالق سبحانه استمرار النوع الإنساني على الأرض منوطًا بالتزاوج، واستمرار النوع هدف وغاية للخالق ﷻ كما قال جل وعلا عن نفسه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾، ولذلك أيضًا جعل الله ﷻ الإضرار بالنسل من أكبر الفساد في الأرض كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾.

والنسل الذي يصلح لعمارة الأرض وخلافتها وسكناها هو النسل الذي يأتي بطريق نكاح لا بطريق سفاح، فالنسل السوي هو نسل النكاح.

وأما نسل السفاح فهو مسخ يشوه وجه الحياة ويشيع فيها الكراهية والمقت.

ولا يغيب عن بال قارئ مثقف في عصرنا ما يعانيه العالم الآن من أولاد السفاح الذين خرجوا إلى الأرض بأجسام بشرية وبنفوس حيوانية مريضة ملتوية، قد فقدت الحنان في طفولتها ولم تعرف الأرحام والأقارب فغابت عنها معاني الرحمة.

والنكاح بأصوله وحدوده وقواعده كما شرعه الله ﷻ هو الوسيلة السليمة لاستمرار النوع الإنساني وبقائه وقد أمرنا سبحانه بابتغاء النسل عند معاشرة النساء حيث قال سبحانه: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية، وابتغاء ما كتب الله هو طلب الولد على وجه من وجوه التفسير لهذه الآية: ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مَا

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ أي من قيام رمضان فلا تنشغلوا بالمباح في ليله من معاشرة النساء عن قيام ليلة وخاصة في العشر الأواخر كما ثبت أن الرسول ﷺ كان يعتزل نساءه فيهن، ولذلك جاء في حديث ابن عباس في الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما بولد لم يضره الشيطان أبدًا**»(١).

٢ - **الإمتاع النفسي والجسدي:**

يهيئ الزواج لكل من الرجال والنساء متعة من أعظم متع الدنيا وهذه المتعة تنقسم إلى قسمين: سكن وراحة نفسية، وإمتاع ولذة جسدية. قال ﷻ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس وسكن الجسم والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة ومرضاة الله ﷻ كملت هذه المتعة ولم ينقصها شيء، وقد ساعد على ذلك بالطبع الأصل الأول للخلق، وغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر وابتغاء هذا المتاع، والسكن بالزواج مطلوب شرعًا كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾، وهذا عن زينب رضي الله عنها والوطر هو حاجة الإنسان كالأرب، والاستمتاع بالنساء لا ينافي التعبد الكامل بل هذا النبي ﷺ سيد العابدين والمتقين يقول: «**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢). فمحبة الطيب والنساء لم تمنعه صلوات الله وسلامه عليه أن يكون رسول الله ﷺ للعالمين وأن يكون سيد العابدين المتقين، ولذلك فقد وسع الله عليه في ذلك، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: خرجه النسائي (١١/٩) وانظر صحيح الجامع (٣١٢٤).

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية.

وبين ﷺ أنه لا حرج ولا ضيق على النبي في هذا المباح والذي أوجب الله عليه بعضه أحيانًا كما أوجب عليه أن يتزوج بزينب وأمره بذلك حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ الآية، فالآمر بالزواج هنا هو الله ﷻ وبين أنه لا حرج عليه في هذا حيث قال: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

والشاهد من هذا كله أن متع الزواج الحسية والنفسية من خير ما خلق الله من متاع لعباده في الدنيا، وابتغاء هذا المتاع وفق تشريع الله وهديه من الأسباب التي توصل إلى مرضاة الله سبحانه.

٣ - بلوغ الكمال الإنساني:

الحكمة الثالثة من حكم الزواج هي بلوغ الكمال الإنساني فالرجل لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج الشرعي الذي يتوزع فيه الحقوق والواجبات توزيعًا ربانيًا قائمًا على العدل والإحسان والرحمة لا توزيعًا عشوائيًا قائمًا على الأثرة وحب الذات وافتعال المعارك بين الرجال والنساء وأخذ الحقوق والتنصل من الواجبات بالشد والجذب والتصويت في «البرلمانات».

فالمتع الجسدية والنفسية تعمل عملها في نفس الإنسان وفكره وقواه النفسية والبدنية فيشعر بالرضا والسعادة والراحة النفسية والجسدية حيث تتصرف طاقته وغريزته بأنظف الطرق وأطهرها وحيث ينشأ بين الزوجين الوفاء والحب الحقيقي القائم على الود والرحمة والمشاركة، لا ذلك الميل الحيواني القائم على تفريغ الشهوة وبلوغ اللذة دون وجود الوفاء والرحمة.

فمشاعر الزناة والزواني لا يمكن أن تكون كمشاعر الأزواج والزوجات فالأولى مشاعر حيوانية شهوانية حدها محدود بوجود هذه اللذائذ الحسية ومنته بانتهائها، ولا يمكن أن يكون فيها ومعها أي شعور بالاحترام والود والوفاء بل على العكس من ذلك، هناك شعور بالاحتقار والازدراء والامتهان احتقار الزواني لمن وافقته على عمله الخبيث، واحتقار

الزانية لمن استغل حاجتها أو جمالها أو ضعفها الأنثوي وميلها الطبيعي.

ولذلك فمشاعر الزناة والزواني متضاربة، ساقطة، ومشاعر الأزواج منسجمة سامية، وتلك المشاعر تولد العقد النفسية والانحلال الخلقي وضعف الوازع وهوان النفس، وأما مشاعر الأزواج النظيفة فإنها تورث الحب والرحمة وسمو النفس وحياة الضمير والقلب، وباختصار مشاعر الأزواج بناء ومشاعر الزناة والزواني مشاعر هدم. ولذلك سمى الزواج في الإسلام بناء. حيث إنه بناء نفسين وبناء أسرة.

ولذا فأبعد الناس عن الأمراض النفسية والعصبية هم أهل الاستقامة في هذا الشأن وأقرب الناس إلى الأمراض النفسية والعقد والامتهان هم أهل الانحراف والفساد.

ولذلك فالمجتمع السليم في أفراده ذكورًا وإناثًا هو مجتمع الزواج الشرعي، وبغير ذلك مجتمع الخنا والانحراف.

وتوزيع المسؤوليات في الزواج ينمي قدرة الرجل على القيام بالواجب ويجعل له هدفًا ساميًا في الحياة وهو إسعاد زوجته أو حمايتها والسعي في سبيل أبنائه وذريته. وبالمسئوليات يتربى الرجال وكذلك بالمسئوليات الملقاة على الزوجة نحو الزوج تكمل شخصية المرأة.

وقد دلت الإحصائيات الحديثة على أن المرأة لا تكمل نفسيًا وجسديًا وعقليًا أيضًا إلا بعد المولود الثالث فإذا كانت هذه الزوجة التي رزقت بأولاد ثلاثة في ظل أسرة متماسكة وفي ظل تربية سليمة وأهداف نبيلة بلغت المرأة كمالها الإنساني الذي قدره الله لها.

وبهذا نفسر التمزق والطيش وضعف الوازع والرغبة في الهدم التي تسيطر على العوانس ممن حرمن نعمة الزواج والأولاد ولذلك جاء الإسلام بالقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة فأمر المسلمين أمرًا لازمًا بتزويج العوانس والأرامل حيث قال ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآيات.

والأيامى جمع أيم، والأيم هي التي مات زوجها، أو التى لا زوج لها والذى لا زوجة له، والأمر هنا للمسلمين عامة وأولي الأمر خاصة. فالعنوسة وكثرة الأيامى التي لا يتزوجن من أكبر مشكلات المجتمع - والشاهد أن المرأة التي حرمت نعمة الزواج أو حرمت نعمة

الأولاد امرأة ناقصة خلقيًا وفكريًا وعقليًا، وإن كان هذا أحيانًا بظلم المجتمع.

ولست بصدد البحث عن أسباب ذلك، ولكننا بصدد البحث في نتائج ذلك. والخلاصة: أن الرجل لا يكمل عقله وتستقر نفسه إلا في ظل الزواج وكذلك الحال بالنسبة للمرأة.

٤ - التعاون على بناء هذه الحياة:

هذه الحياة التي نعيشها على ظهر هذه الأرض تفرض علينا أن نعيش في مجتمع، والمجتمع بناء كبير يتكون من لبنات.

والوحدة الأولى من وحدات هذا المجتمع هو الفرد رجلًا كان أم امرأة. والرجل والمرأة مستقلًا كلًّا منهما عن الآخر لا يستطيع أي منهما العيش، بل كل منهما محتاج للآخر حاجة شق النواة للشق الثاني بل حاجة الشيء إلى نفسه، ولذلك لا يمكن أن نبني مجتمعًا سليمًا إلا بتكوين لبنة سليمة، ولا نستطيع أن نقول إن الرجل بنفسه لبنة واحدة ولذلك كانت الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع السليم، وبتعاون الزوجين تبنى الحياة، ولذلك فعقد الزواج يشابه عقود الشركة من هذا الوجه. أعني المشاركة في بناء الحياة وتحمل أعبائها.

هذه أهداف أربعة اجعلها أمامك : النسل، والاستمتاع، وبلوغ الكمال الإنساني، والمشاركة لبناء الحياة.

والزواج لا يأخذ حكمًا واحدًا في جميع الحالات، بل يختلف حكمه باختلاف أحوال الناس، لأن منهم القادر على تكاليفه والعاجز عنها، وفيهم من يحسن العشرة الزوجية ومن لا يحسنها، كما أن منهم من اعتدل مزاجه فلا يخشى على نفسه الوقوع في الفاحشة، ومنهم من لا يستطيع ضبط نفسه عنها إذا لم يتزوج، وتبعًا لهذا الاختلاف يختلف حكمه فتعدد أحكامه.

فقد يكون الزواج فرضًا :

يكون الزواج عند عامة الفقهاء فرضًا إذا تيقن الإنسان الوقوع فى الزنا لو لم يتزوج، وكان قادرًا على نفقات الزواج من مهر ونفقة الزوجة، وحقوق الزواج الشرعية، ولا يستطيع

الاحتراز عن الوقوع فى الفاحشة بالصوم ونحوه، لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وطريقه الزواج، ولا فرق بين الفرض والواجب عند الجمهور.

ويرى الأحناف: أن الزواج واجب إذا خاف المرأ الوقوع فى الفاحشة بعدم الزواج خوفا دون اليقين، وكان قادرًا على مؤن الزواج،من مهر ونفقة، ولا يخاف ظلم المرأة ولا التقصير فى حقها.

وقد يكون الزواج حرامًا :

يحرم الزواج إذا تيقن الشخص ظلم المرأة والإضرار بها إذا تزوج، بأن كان عاجزًا عن تكاليف الزواج، أو لا يعدل إن تزوج بزوجة أخرى؛ لأن ما أدى إلى الحرام فهو حرام.

وإذا تعارض ما يجعل الزواج فرضًا وما يجعله حرامًا بأن تيقن أنه سيقع فى الزنا إن لم يتزوج، وتيقن أيضًا أنه سيظلم زوجته، كان الزواج حرامًا؛ لأنه إذا اجتمع الحلال والحرام، غلب الحرام الحلال.

وقد يكون الزواج مكروهًا :

يكره الزواج إذا خاف الشخص الوقوع فى الجور والضرر خوفا لا يصل إلى مرتبة اليقين إن تزوج، لعجزه عن الإنفاق،أو إساءة العشرة،أوفتور الرغبة فى النساء.

وقد يكون الزواج مستحبًا مندوبًا :

يستحب الزواج عند الجمهور إذا كان الشخص معتدل المزاج،بحيث لا يخشى الوقوع فى الزنا إن لم يكن يتزوج،ولا يخشى أن يظلم زوجته إن تزوج، وحالة الاعتدال هذه هى الغالبة عند أكثر الناس.

ودليل كون الزواج سنة حديث: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»(١) وحديث الثلاثة رهط الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ (٢).

ويؤيد ذلك أن النبى ﷺ قد تزوج وداوم على الزواج،وكذلك أصحابه، وتابعهم

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

المسلمون في الزواج،فالمداومة والمتابعة دليل السنية.

لقد استخلف الله الإنسان في الأرض بقوله ﷻ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، وأودع في كل منهما ما يجعله يميل للآخر ليتم الازدواج بينهما، ويكون من ثمراته التناسل ليبقى النوع الإنساني يعمر الأرض حتى يبلغ الكتاب أجله.

ولكن المولى ﷻ الذي كرم بني آدم لم يتركهم إلى ما تمليه عليهم طبيعتهم في أمر الازدواج كبقية المخلوقات الأخرى من الحيوانات والطيور، بل سن لهم طريقة خاصة تتفق ومنزلتهم بين سائر المخلوقات.

فشرع الزواج الذي يختص فيه الرجل بالأنثى لا يشاركه فيها غيره ليسلم العالم من طغيان الشهوات التي تجعل من الإنسان حيوانًا سفاحًا لا يعرف رباط العائلة، ولا يفقه معنى الرحمة، ولا يفطن لسر المودة فيضيع النسل حيث لا رابط يربط الأبناء بآبائهم.

الزواج سنة الأنبياء:

ولم تخل شريعة من الشرائع السماوية من الإذن به بل وتنظيمه من يوم أن أرسل الله الرسل، يقول جل شأنه عن الرسل عامة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

ويقول ﷻ عن آدم عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

ويقول ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

ويقول ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾.

ويقول ﷻ عن لوط عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾

ويقول ﷻ عن موسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

ولهذا لم تكن الرهبانية - وهي الإعراض عن الزواج - مشروعة في أي دين سماوي، وإنما هي شيء ابتدعه النصارى في عصر اضطهادهم كما أخبر القرآن عن ذلك في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

أما الإسلام فقد عنى بهذا العقد عناية خاصة، وأضفى عليه قدسية تجعله فريدًا بين سائر العقود الأخرى لما يترتب عليه من آثار خطيرة لا تقتصر على عاقديه ولا على الأسرة التي توجد بوجوده، بل يمتد إلى المجتمع فهو أهم علاقة ينشئها الإنسان في حياته، لذلك تولاه الشارع بالرعاية من حين ابتداء التفكير فيه إلى أن ينتهي بالموت أ والطلاق أوغيرهما.

فبين الطريقة المثلى لاختيار الزوجة وكيفية إنشاء العقد ورسم طريقة المعاشرة الزوجية مبينًا ما لكل من الزوجين قبل الآخر من حقوق وما عليه من واجبات.

ولم ينس أنه قد يطرأ على الحياة الزوجية ما يعكر صفوها من نزاع أو شقاق فرسم طريق الإصلاح، وبيّنَ الطريقة التي ينهي بها العقد إذا ما عجز الإصلاح وباءت الحياة الزوجية بالفشل وغير ذلك مما يترتب على الإنهاء من آثار تتعلق بالزوجين أو بأولادهما.

ومن يتتبع نصوص التشريع في القرآن والسنة يجد هذا العقد قد ظفر بعدد كبير منها:

فالقرآن يخبر أولًا بأنه من أكبر النعم التي أنعم الله بها علينا ثم يعرض امتنانه بنعمه وآلائه فيقول جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾

وفي آية أخرى يعده من آيات قدرته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثم يحله في صراحة ويأمر به في غير آية، يقول سبحانه بعد عد المحرمات من النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾.

ويقول ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

ويقول: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فقد خاطب الأولياء بأن يزوجوا من لا زوج له من الرجال والنساء، لأن الأيامى جمع أيم - وهو من لا زوج له من النساء والرجال، وإن كان أكثر استعماله في النساء.

الرسول ﷺ يحث على الزواج :

والرسول ﷺ يرغب فيه بشتى أنواع الترغيب فيقول: فيما روي في الصحيحين: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

ويقول: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[(٢)]. ويقول: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)]. ويقول: «إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[(٤)].

---

(١) البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٢) البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠).

(٣) صحيح: أبوداود (٢٠٥٠)،و صحيح الجامع(٢٩٤٠).

(٤) مسلم (١٤٧٦).

الزواج نعمة

امتن الله ﷻ علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة. وهذه النفس الواحدة هي آدم. والمنة في هذا أن نوع الرجال ليسوا خلقًا مستقلًا وكذلك نوع النساء ليس أصل خلقهم مستقلًا فلو كان النساء خلقن في الأصل بمعزل عن الرجال كأن يكون الله قد خلقهم من عنصر آخر غير الطين مثلًا أو من الطين استقلالًا لكان هناك من التنافر والتباعد ما الله أعلم به ولكن كون حواء قد خلقت كما جاء في الحديث الصحيح من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام كان هذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ولذلك حن الرجل إلى المرأة وحنت المرأة إلى الرجل وتجانسا: حنين الشيء إلى مادته وتجانس المادة بجنسها.

ثم كان من رحمة الله ﷻ أن جعل التكاثر من التقاء الرجال والنساء لقاء يكون فيه الإفضاء الكامل، والالتصاق الكامل واللذة الكاملة وذلك ليحقق قول النبي ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[1]، فالرجل والمرأة وجهان لعملة واحدة. أو شقان لشيء واحد.

وهذا الخلق على هذا النحو من أعظم آيات الله ﷻ، كما قال جل وعلا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾.

ولذلك أمرنا الله ﷻ بمراعاة هذه الوحدة في الأصل عند تعامل الرجال والنساء فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

بل أمرنا بما هو أكبر من ذلك أن نتذكر نعمته في خلقنا على هذا النحو، وبأن خلق فينا هذا الميل من بعضنا لبعض وغرس في القلوب الحب والرحمة بين الزوجين كما قال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وهكذا يصبح أمام المسلم أمور يجب أن يضعها نصب عينيه وهو يبحث في العلاقة بين

---

(١) حسن: خرجه أبو داود (٢٣٦) والترمذي (١١٣).

الرجل والمرأة :

أولا .أن الرجال والنساء جنس واحد وليسوا جنسين، فأصلهم واحد وهو آدم وزوجته قطعة منه، والرجال والنساء في الأرض بعضهم من بعض لا توجد نسمة إلا وفيها جزء من الرجل وجزء من المرأة وقد تحملت المرأة في الخلق والتكاثر ما لم يتحمل الرجل حيث كان رحمها مستقرًا ومستودعًا للنطفة، ومكانًا لاكتمال الخلق من البويضة النطفة إلى الطفل. وقد تحمل الرجل في مقابل ما تحملت المرأة الكدح في سبيل العيش والرعاية وبهذا توزعت الاختصاصات وتحمل كل شق من هذا الجنس الواحد جانبًا من جوانب استمرار الحياة وبقاء الحضارة: تحملت المرأة وهيأها الله أن تكون مستقرًا ومستودعًا للنسل حتى يخرج إلى الحياة، وأن يكون الرجل مكافحًا وعاملًا وكادحًا في سبيل الحصول على الرزق وبهذا تكتمل الصورة الواحدة.

ثانيًا: أن خلق الرجال والنساء على هذا النحو من أكبر آيات الله ﷻ ومن أعظم الأدلة على قدرته. وقد أرشدنا الله ﷻ في آيات كثيرة إلى التفكير في هذا الخلق كما قال ﷻ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ والصلب في لغة العرب هو فقار الظهر عند الرجل، والترائب هي عظام الصدرعند المرأة.

قال الفراء في هذه الآية: يعني صلب الرجل وترائب المرأة:

والمعنى عند ذلك أنه من مجموع جسدي الرجل والمرأة بل ومن مخ عظامهما أوجدك الله أيها الإنسان. وذلك لتتم اللحمة والتعاطف والحب بين الأزواج والزوجات والآباء والأمهات والأبناء بعضهم مع بعض فمن فرق بين الذكر والأنثى لصفات الذكورة والأنوثة التي جعلها الله ﷻ لازمًا لاستمرار النوع والنسل فقد فرق بين الشيء نفسه وجنسه، ومن افتعل معركة بين ذكور الجنس البشري وإناثه فإنما هو مبطل يريد هدم الكيان البشري والوصول إلى الإباحية والشيوعية الجنسية، ومن قال بما قال به الرب سبحانه من توزيع الحقوق والواجبات على الجنسين اعتبارًا بالذكورة والأنوثة فقد وافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأراد أن يعم السلام والخير بين الرجال والنساء.

انظر إلى قوله ﷻ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم

بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

فالزوجة من النفس لأنها بضعة من الرجل، والأولاد وأولاد الأولاد من اجتماع الذكور والإناث، والراحة النفسية ومتاع الدنيا هو في الحب الحقيقي بين الزوج وزوجته وبين الأب والأم وأولادهما، وبين الأبناء وآبائهم وجدودهم، فكم يسعد الجد بأحفاده سعادة لا تعدلها سعادة الطعام الجيد والشراب اللذيذ، وصلة القرابة هذه وصلات النسب والتمتع بذلك لا يكون إلا في ظل النكاح الشرعي، وأما في أنكحة السفاح فإن أول حرمان لأصحابها هو حرمانهم من هذا الحب الشريف النقي بين الأرحام إذ مع السفاح واختلاط الأنساب لا أرحام وإنما يبغي لذة واحدة هي لذة الحيوان فهل يراد للبشر الذين كرمهم الله أن يكونوا كذلك؟.

السن المناسب للزواج

ما هو السن المناسب للزواج[١]؟

إن النفس البشرية تنطلق في تعاملها مع ذاتها من منطلق تفهمها للتربية الإسلامية، والتي منها الحب الإيماني السامي الذي يملأ جوانب الحياة الإنسانية بالعظمة والاعتزاز لهذا الدين القويم، وأن نظرتها إلى الدنيا نظرة وسيلة للآخرة وليس نظرة غاية، وأن من هذه الوسائل (الزواج) واستخلاف الذرية الصالحة.

قال ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وذكر منها أو ولد صالح يدعو له».[٢]

وقال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فهو له وجاء»[٣].

ومن هذا المنطلق يتضح : أن الشريعة الإسلامية لم تحدد سنًا معينًا لعقد الزواج، بل أجاز الفقهاء زواج الصغار من الذكور والإناث حتى ولو لم يبلغوا البلوغ الشرعي، كما في قصة زواج الرسول ﷺ من عائشة، وغيره من الآثار.

والبلوغ في اللغة : الوصول، قال الجوهري بلغ الغلام: أي أدرك، وهو بلوغ حد التكليف.

وفي اصطلاح الفقهاء :هو قوة تحدث في الصغير يخرج بها من حالة الطفولة إلى حالة الرجولة، وهذا هو الصحيح، خصوصًا إذا كانت المتزوجة صغيرة وخشي وليها - العاقل - فوات الأصلح من جهة دينه وخلقه، وإن المتأمل اليوم في أحوال الناس يجد أنهم يختلفون في مفاهيمهم وقدراتهم على تحمل المسؤولية باختلاف بيئاتهم ومعاشهم، ففي مدينة نجران مثلًا: تم زفاف أصغر عريس إلى أصغر عروس في حفل كبير شهده حشد من أقارب العروسين وأصدقائهم ومعارفهم، والعريس يبلغ من العمر (١٣ سنة) يدرس في أولى متوسط، أكمل نصف دينه بالزواج من ابنة عمه البالغة من العمر (١٠ سنوات) وتدرس في

---

(١) من كتاب «قضايا أسرية» للدكتور: عبد الملك بن يوسف المطلق.

(٢) صحيح : خرجه مسلم (١٦٣١).

(٣) تقدم وهو صحيح .

الصف الخامس ابتدائي !

العريس الصغير قال: إنه سعيد بإكمال نصف دينه. وأكد أنه على استعداد لتحمل مسؤولية شريكة العمر!

فلا اعتبار إذًا في تحديد السن هنا ما دام الزوج والزوجة مهيئين من قبل ذويهما ومجتمعهما لتحمل الأعباء والتكاليف، سواء كان ذلك بمساعدتهم ماليًا أو معنويًا باعطائهم الثقة الكاملة مع احترامهم كأي زوجين كبيرين دون تنقص وازدراء .

الفقهاء رحمهم الله أجازوا زواج الصغيرة بشرط عدم الإضرار بها، بمعنى تحملها للوطء، والرسول ﷺ تزوج عائشة وعمرها ست سنوات ودخل بها وعمرها تسع سنوات.

ولو نظرنا إلى قوانين الأحوال الشخصية في البلاد الإسلامية لوجدنا أنهم حددوا السن المناسب للزواج وأن من يخالفه يتعرض للعقوبة.

* **ففي القانون اللبناني مثلًا** : تنص المادة الخامسة بما يلي: «لا يعقد الزواج في الأصل قبل إتمام الرجل الثامنة عشرة، والمرأة السادسة عشرة»

* **وقانون الأحوال الشخصية السوري** : حدد السن للفتى بتمام الثامنة عشرة، والفتاة بتمام السابعة عشرة، إلا أنه أجاز للفتى الزواج بعد تمام الخامسة عشرة، والفتاة بعد سن الثالثة عشرة، إذا طلبا الزواج، فيجوز بإذن من القاضي إذا تبين له احتمال جسميهما بشرط موافقة الولي.

* **وقانون الأحوال الشخصية الأردني** : حدد سن الخاطب ست عشر عامًا، والمخطوبة خمسة عشر عامًا .

* **وقانون الأحوال الشخصية في دولة الإمارات** : حدد سن الزواج ثمانية عشر عامًا، والفتاة ستة عشر، وبنى القانون هذا التحديد لسن الزواج على دراسة حال الزوج والزوجة بالنسبة للحالة النفسية، والاجتماعية لهما ونحو ذلك .

أقول : وكون هذا التحديد إلزاميًا، ومن لم يبلغ هذا السن لا يحق لهما الزواج، فهذا بلا شك يعد مخالفة للشريعة الإسلامية، ويعد أيضًا تضييقًا على الناس ما أنزل الله بها من سلطان .

والأولى أن يكون هذا التحديد للأفضلية، وعلى حسب حال الزوج والزوجة لأن الرسول ﷺ يقول: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»[١]، ولفظة الشباب عامة ربطها الرسول بالاستطاعة وهي تختلف من شخص لآخر، وفي حثه ﷺ هذا دليل على أهمية هذه الفئة العمرية الصغيرة، وتزويجها، تحصينًا لهم عن الفساد، ومن تأمل اليوم في واقعنا المعاصر يجد أن كثرة الأعباء، وصعوبة الحياة، سبب رئيسي في تأخير الزواج وكبر سن المتزوج لا محالة !

وإذا جمعنا بين تشريع الله ﷻ للزواج - دون اعتبار لتحديد السن - وبين رأي قوانين الأحوال الشخصية والدراسات العملية نجد :

*إن امتثال قوله ﷺ: «**إذا خطب منكم من ترضون دينه وخلقه فانحكوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[٢]، يجعلنا نؤمن أن المعيار الوحيد في تحديد السن لقبول المتقدم للزواج هو ارتضاء الدين والخلق منه، وأن النضج الديني والخلقي هو السن الأمثل للزواج سواء بلغ العشرين أو أقل أو أكثر .

*إن أعباء الحياة المادية والمعنوية لا يتحملها إلا من كان في الغالب قد بلغ من السن ما يؤهله للزواج وهذا ما يقرب الأمر الشرعي للقانون .

* إن اجتياز الدورة التأهيلية للزواج بنجاح واقتدار يدل على قدرته على الزواج، وتحمل مشاقة، ومتى ما أحس الشاب بأنه قادر على الزواج حسيًا ومعنويًا فإن هذا السن الأمثل للزواج .

ومن هذه الدورات على سبيل المثال: الدورة التدريبية والتي بعنوان : وداعًا للمشاكل الأسرية، ونحوها من الدورات التي تعنى بحقوق الزوجين لكل منهما والتي تكون - بعد الله - سببا في نجاح الزواج واستمراريته، وبعد الزوجين عن الانفصال لأتفة الأسباب، والتي بسببها كثر الطلاق والشقاق وتفريق الأسر.

وما يقوم به المسؤولون عن مشروع ابن باز للزواج من تقديم للاستشارات الأسرية،

---

(١) تقدم وهو صحيح.
(٢) حسن : خرجه الترمذي (١٠٨٤) وابن ماجه (١٩٦٧)

سواء كانت نفسية، أو اجتماعية، أو شرعية إلا دليل على تفاقم هذه المشاكل والتي ينصب علاجها - بعد إذن الله - على ضرورة الوعي الكامل قبل الزواج.

فلهذا المشروع ومن يحتذي حذوه الشكر والتقدير مع دعائنا لهم بالتوفيق والمثوبة والأجر .

وينبغي الإشارة هنا إلى أمرين مهمين :

* إن التناسب في سن الزواج وكذلك النضج العقلي بين الزوجين يعد سببًا رئيسيًا في استمرار وقوة هذا الزواج وتماسكه - بعد توفيق الله ﷻ - فهل يتنبه لهذا .

* إن تجاوز السن الذي حدده الاجتماعيون المتخصصون دون زواج - في الغالب - يقلل فرصة الرغبة النفسية في الزواج مستقبلًا مقارنة بالتحديات المعاصرة.

فكثير من الباحثين الاجتماعيين يرون أن السن الأمثل للزواج هو ما بين ١٦ - ٢٥ سنة، ويمكن اعتبار من يتجاوز سن ٢٥ سنة بلا زواج من العوانس، وكذلك العزاب، والملاحظ في هذا السن أن فورة الشباب أشد، فلربما تعرض الشخص في - حالة عدم الزواج في هذا السن - إلى عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي أو عدم الاتزان العاطفي مما جعله يتثبط عن الزواج بالكلية .

وإني أتساءل فأقول: هل الأكثرية من الشباب والفتيات في هذا العمر متزوجون؟ أم الأعباء الكثيرة والكبيرة جعلتهم بلا زواج؟ وهل مد لهم يد العون مما أفاء الله عليهم بالخير والسعة أم لا ؟ الجواب عندك ما تشاهده أخي القارئ الكريم.

الفحص الطبى قبل الزواج

إن الفحص الطبي أمر استجد في هذا العصر الذي انحدر فيه مستوى الأمانة والصدق في الإخبار عن معايب النفس الجسدية والنفسية قبل الإقدام على الزواج، فتتخذ الإحتياطات الطبية للتأكد من سلامة الزوجين، بحيث يقدم المقبلون على الزواج على عمل الفحوصات التي تعنى بمعرفة الأمراض الوراثية والمعدية والجنسية والعادات اليومية التي ستؤثر مستقبلًا على صحة الزوجين المؤهلين، أو على الأطفال عند الإنجاب.

الرأي الطبي في هذا الفحص :

أبرز الرأي الطبي أن لمسالة الفحص الطبي قبل الزواج سلبيات وإيجابيات يمكن تلخيصها فيما يلي:

إيجابيات الفحص الطبي :

١- تعتبر الفحوص الطبية قبل الزواج من الوسائل الوقائية الفعالة جدًا في الحد من الأمراض الوراثية والمعدية الخطيرة.

٢- تشكّل حماية للمجتمع من انتشار الأمراض والحد منها والتقليل من نِسَبِ المعاقين في المجتمع وبالتالي من التأثير المالي والإنساني على المجتمع.

٣- محاولة ضمان إنجاب أطفال أصحاء سليمين عقليًا وجسديًا وعدم انتقال الأمراض الوراثية التي يحملها الخاطبان أو أحدهما إليهم.

٤- تحديد قابلية الزوجين المؤهلين للإنجاب من عدمه علمًا بأن وجود أسباب العقم في أحد الزوجين قد يكون من أهم أسباب التنازع والاختلاف بين الزوجين.

٥- التأكد من عدم وجود عيوب عضوية أو فسيولوجية مَرَضية تقف أمام الهدف المشروع لكل من الزوجين من ممارسة العلاقة الجنسية السليمة منهما.

٦- التحقق من عدم وجود أمراض مزمنة مؤثرة على مواصلة الحياة بعد الزواج مما له دور في إرباك استقرار الحياة الزوجية.

٧- ضمان عدم تضرر صحة كل من الخاطبين نتيجة معاشرة الأخر جنسيًا وعدم تضرر المرأة أثناء الحمل وبعد الولادة نتيجة اقترانها بالزوج المأمول.

سلبيات الفحص الطبي:

١- قد يؤدي هذا الفحص إلى الإحباط الاجتماعي كما لو أثبتت الفحوصات أن هناك احتمالًا لإصابة المرأة بالعقم أو بسرطان الثدي وأطلع علي ذلك الآخرون مما يسبب لها ضررًا نفسيًا واجتماعيًا، وفي هذا قضاء على مستقبلها خاصة أن الأمور الطبية تخطئ وتصيب.

٢- يجعل هذا الفحص حياة بعض الناس قلقة ومكتئبة ويائسة إذا ما تم إخبار الشخص بأنه سيصاب بمرض عُضال لا شفاء له.

٣- ثم تبقى نتائج التحليل احتمالية في العديد من الأمراض وهي ليست دليلًا صادقًا لاكتشاف الأمراض المستقبلية.

٤- قد تحرم هذه الفحوصات البعض من فرصة الارتباط بزواج نتيجة فحوصات قد لا تكون أكيدة.

٥- ثم قلما يخلو إنسان من أمراض خاصة إذا علمنا أن الأمراض الوراثية التي صنفت تبلغ أكثر من ٣٠٠٠ مرض وراثي.

٦- أن التسرُّع في إعطاء المشورة الصحية في الفحص يسبب المشاكل بقدر ما يحلها.

٧- وقد يُساءُ للأشخاص المُقدِمين علي الفحص بإفشاء معلومات الفحص واستخدامها استخدامًا ضارًا[١].

فهذا هو ملخص الرأي الطبي في عملية الفحص الطبي قبل الزواج.

س: فما هو موقف الشريعة من ذلك؟ وهل يجوز إلزام المقبلين على الزواج بإجرائه؟

الرأي الشرعي في الفحص الطبي قبل الزواج:

١ انظر «مستجدات فقهية» لأسامة الأشقر.

لا شك أنه لم تكن هناك حاجة لبحث هذه المسألة قديمًا، لما تميز به المسلمون الأولون من الأمانة في الإخبار عن العيوب ولعدم وجود التقدم العلمي الذي يمكنهم من إجراء هذا الفحص من جهة أخرى وأما العلماء المعاصرون فلهم في هذه المسألة اتجاهان:

الاتجاه الأول :

منع هذا الفحص وأنه لا حاجة إليه وممن رأى هذا العلاّمة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ومأخذه أنه ينافي إحسان الظن بالله وأن هذا الفحص قد يعطي نتائج غير صحيحة.

الاتجاه الثاني :

أنه جائز ولا يتعارض مع الشريعة الإسلامية وبهذا قال الأكثرون ورأوا أنه ليس فيه ما يتعارض مع الشرع ولا ما يتعارض مع الثقة بالله لأنه درب من الأخذ بالأسباب.وقد قال عمر رضي الله عنه حين وقع الطاعون بالشام: أفرُّ من قدر الله إلي قدر الله.

ولعل هذا هو الأقرب مع بعض التحفظات ويمكن الاستدلال على جوازه بما يأتي :

١- أن حفظ النسل من الكليات الخمس التي تضافرت النصوص على الاهتمام بها والدعوة إلي رعايتها وقد قال زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ ودعا المؤمنون ربهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

فلا مانع من حرص الإنسان علي أن يكون نسله صالحًا غير معيب ولا مشوّه.

٢- حث النبي ﷺ علي اختيار الزوج زوجته من عائلة تُعرف بناتها بالإنجاب فقد أخرج أبو داود[(١)] بسند صحيح عن معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال :**«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»**.

فهذا مما يدل على أهمية عنصر الاختيار على أسس صحة النسل والولادة المستقبلية.

٣- لأنه لو تزوجها الرجل وبها عيب فهذا من باب الغرر وهذا يوجب الفسخ فقد أخرج الإمام مالك وعبد الرزاق والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: أيُّما امرأة غُرَّ بها رجل بها جنون أو جُذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصداق الرجل علي من غرَّه.

٤ -الأدلة التي حثت على النظر للمخطوبة ومعرفة العيوب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو

---

(١) حسن صحيح.

في صحيح مسلم[١]: أن رجلًا خطب امرأة فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا».

٥ـ الأدلة العامة في إجتناب المصابين بالأمراض المعدية: كقول النبي ﷺ كما عند البخاري: «لا توردوا الممرض على المُصِحّ»[٢]. وقوله ﷺ كما عند البخاري أيضًا: «وفرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»[٣]. وهذا لا يعلم إلا بالفحص.

٦ـ الأدلة العامة في النهي عن الضرر.

ومما تقدم يمكن القول بأن الفحص الطبي قبل الزواج لا يعارض الشريعة بل هو موافق لمقاصدها، وعليه فإذا رأى ولي الأمر إلزام الناس به- وخصوصًا في حالة انتشار الأمراض – فإنه يجوز ذلك من باب السياسية الشرعية وإن كان ليس لهذا الفحص تأثير في صحة العقد شرعًا.

أما بالنسبة للتحفظات فهي:

١ـ ينبغي أن لا يجبر الناس على إجراء الفحوصات التي لا حاجة إليها، وإنما تضبط بالحاجة وبما يتعلق بالأمراض الضارة بمستقبل الزواج من غير توسُّع يرهق كاهل الناس بتكاليفه وحتى لا تكون هذه الفحوصات أداة وذريعة لابتزاز الناس والإضرار بهم.

٢ـ لابد للأطباء القائمين على هذه الفحوصات من الحفاظ على أسرار الناس ومعايبهم لئلا تتخذ ذريعة للإفساد.

وهنا سؤال: هل ورد نهي شرعي عن الزواج من الأقارب، حيث إن بعض الأطباء يقررون أنه من أسباب الأمراض الوراثية؟

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد حرم الله الزواج من بعض الأقارب، مثل: نكاح الأمهات والبنات، وبنات الأخ، وبنات الأخت، والعمات، والخالات، فهذا من زواج الأقارب المحرم قطعًا في الشريعة

---

(١) (١٤٢٤).
(٢) (٥٨٠٧) ومسلم (٢٢٢١).
(٣) (٧٠٧٥).

الإسلامية. وما سواه من أقارب النسب، فقد أحله الإسلام، فبعد آية تحريم النساء في سورة النساء: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ قال سبحانه بعدها: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾

فزواج بنت العمة، أو بنت العم، أو بنت الخال، أو بنت الخالة، إباحته تعتبر من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأما ما ورد من آثار تنصح بزواج الأباعد دون الأقارب، فكلها لم تثبت عن رسول الله ﷺ، وإنما ثبت عنه أن الإنسان يتخير الأكفأ دينًا وخلقًا.

وما يثار طبيًا عن زواج الأقارب من أنه سبب لكثير من الأمراض دعوى تحتاج إلى برهان، بل إن كثيرًا من الأطباء يفندون هذه الإشاعة ويهونون منها.

يقول الدكتور محمد البار في هذا الشأن: الأمراض الوراثية التي نسميها متنحية موجودة لدى الزوج، وموجودة لدى الزوجة، وكلاهما يبدو سليمًا من هذه الأمراض التي هي تزداد بزواج الأقارب، ونسبة الأمراض الوراثية - عبر جيل واحد - الموجودة في المجتمع لا تزيد عن (٢ %) من التشوهات الموجودة في الأطفال المواليد عند ولادتهم، وهي حوالي(٢-٣ %)، أو من (٣ % إلى ٤ %) فهناك نسبة زيادة، ولكنها ليست على نطاق واسع كما يشاع ويظهر أمام الناس، وبعض الدعايات وحتى بعض الأطباء يشنون حملة شديدة على زواج الأقارب غير مبررة بهذه الصورة. انتهى.

فهذه الأمراض الوراثية لا تكون إلا بنسبة ضئيلة جدًا، وفي حالة زواج الأقارب المتكرر داخل الأسرة.

أما الدكتور أحمد شوقي إبراهيم مستشار الأمراض الباطنية بمستشفى الصباح بالكويت، فقد خلص في بحثه إلى أن القول بأن زواج الأقارب يسبب أمراضًا وراثية في الذرية ليس صحيحًا في كل الأحوال، وأنه لا ينبغي أن يكون قانونًا عامًا، أو قاعدة عامة، بل إن لزواج الأقارب بعض الإيجابيات حتى الصحية في بعض الأحوال، وأنه ينقذ الأجيال القادمة من كثير من الأمراض.

وخلص إلى أنه لا فضل لزواج الأقارب على زواج الأباعد، ولا لزواج الأباعد على زواج الأقارب، وأن على كل من الرجل والمرأة أن يختار شريكه وفق الصفات الخَلْقية والخُلُقية، ولو كان في زواج الأقارب ضرر لما أحله الله ﷻ لرسوله، وأشار إليه إشارة

صريحة بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ ...﴾

[الأحزاب: ٥٠].

وقد تزوج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته، وزوج ابنته فاطمة بابن عمه علي ابن أبي طالب، ولم يزل السلف يتزاوجون من أقاربهم، والأمر في النهاية يعود إلى طبيعة المرأة، وطبيعة الرجل، ووجود طفل مشوه من زوجين قريبين لا يعني حصر ذلك في زواج الأقارب، ولذلك لا ينبغي الإحجام عن زواج الأقارب لهذا الأمر، وأن لا ينتاب الإنسان قلق منه، ولا يجوز للمرأة أو الرجل منع الحمل خوف إنجاب ذرية مشوهة، فلو تخوف الإنسان مما قد يحدث له في المستقبل لما تحرك خطوة، ولكن علينا الأخذ بالأسباب والرضى بقضاء الله وقدره. والله أعلم.

عقبات في طريق الزواج

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد.

اخي المسلم:إن من سنن الله تعالى التي فطر الناس عليها أن كلًا من الجنسين مفتقر إلى الآخر، وأن أحدهما مكمل لصاحبه، وباجتماعهما تحصل السعادة، ويتحقق الخير والصلاح والسرور، ولكن وللأسف الشديد إن من عباد الله من يقف حجر عثرة في طريق هذه السنة الربانية، ويكون عقبة كئوز أمام الراغبين في تحقيق تلك المنحة الإلهية، ويكون معول هدم للأمة شعر بذلك أو لم يشعر، فهو يساعد بفعاله تلك الحملات المسعورة من قبل الأعداء لصرف الشباب عن الزواج بوسائلهم المختلفة من صحف ومجلات وأفلام ومسلسلات وغيرها ليكيدوا لهم كيدا وإن المسئولية الكبرى تقع على عاتق الرجل فهو رب الأسرة قال ﷺ : «كلكم راع ومسئول عن رعيته..والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته» (١) كما أن المرأة أيضًا تتحمل مسؤولية، قررها رسول الله ﷺ بقوله : «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»(٢).

وإذا نظرنا في واقعنا وجدنا معوقات عدة تصد الشباب عن الزواج لعل من اهمها وأبرزها :

أولًا : المغالاة في المهور:

هذه المغالاة التي بلغت حدًا لا يطاق، وبالنسبة لشباب ناشئين..فترى بعضهم إذا خطب إليه رجل ابنته أخذ يُحد شفرته ليفصل ما بين لحمه وعظمه، فإذا قطع منه اللحم، وهشم العظم، وأخذ منه كل ما يملك، سلمها له، وهو في حالة بؤس شديد، مُثقلًا بأوزار الديون، التي تكدر عليه صفوه، وتجلب همه وغمه، فتذله بالنهار، وتقض مضجعه بالليل،

---

(١) صحيح: خرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) .

(٢) التخريج السابق .

ويغلي بنارها قلبه، إن الزواج أصبح بالنسبة إلى الشاب الناشئ ضربًا من المستحيل، ولقد أثر هذا الوضع أثرًا سيئًا في المجتمع..إذ جعل نسبة العوانس ترتفع..وجعل الفساد ينتشر..والانحلال يتفاقم..وانصرف الكثير من الشباب عن الزواج.ولذا غضب رسول الله ﷺ من كثرة المهر، فقد جاء رجل من الصحابة يستعينه، فقال رسول الله ﷺ : «على كم تزوجتها؟». قال : على أربع أواق، فقال له النبي ﷺ: «على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرْض هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك[١] ..» الحديث رواه مسلم.

وهذا عمر الفاروق يدرك بثاقب نظره ما يمكن أن يهدد المجتمع من المخاطر والشرور بسبب المغالاة في المهور، فلقد جاء عنه أنه قال : ألا لا تغالوا صدُقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله، ما علمنا رسول الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية[٢] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : والمستحب في الصداق ـ مع القدرة واليسار ـ أن..لا يزيد على مهر أزواج النبي ﷺ ولا بناته، وكان ما بين أربعمائة إلى خمسمائة بالدراهم الخالصة، نحوًا من تسعة عشر دينارًا، فهذه سنة رسول الله ﷺ من فعل فقد استن بسنة رسول الله ﷺ في الصداق، قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان صداقنا إذ كان فينا رسول الله ﷺ عشر أواق، وطبق بيديه، وذلك أربعمائة درهم إلى أن قال : فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة، وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهل أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين وهذا مع القدرة واليسار، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة.ا هـ.

ولو نظرنا في الواقع العملي في عهد السلف الصالح لوجدنا أن الأمر أيسر بكثير مما هو موجود الآن.. فقد تزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على وزن نواة من ذهب، قالوا ووزنها ثلاثة دراهم وثلث، وهذا سعيد بن المسيب رحمه الله يزوج ابنته على درهمين وهي من

---

(١) صحيح : خرجه مسلم (١٤٢٤) .

(٢) صحيح : خرجه أبوداود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، والنسائي (٢/٨٧) .

أفضل بنات قريش بعد أن خطبها الخليفة لابنه، فأبى أن يزوجها به، وهذه أم سليم جعلت مهرها إسلام أبي طلحة فزوجها رسول الله ﷺ على ما شرطت.

هكذا كانت سيرة السلف الصالح في شأن المهر، ولا يظن ظان أن ذلك كان من أجل شظف العيش وقلة ذات اليد، فقد كان كثير من الصحابة من الأثرياء فهذا أبوبكر من أتجر قريش كما تقول عائشة، وهذا عثمان يتصدق في مجلس واحد بثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وكانت تركته كما قال الحافظ ابن سعد: ثلاثون ألف ألف درهم، وخمسمائة ألف درهم وخمسون ألف دينار..وترك ألف بعير..وترك صدقات تصدق بها قيمته مائتي ألف دينار..وهذا طلحة بن عبيدالله ترك كما قال والده محمد: ألفي ألف درهم، ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار..وهذا الزبير بن العوام ترك خمسة وثلاثون ألف ألف ومائتا ألف..أي ما يزيد على الخمسين مليون وغيرهم كثير ولكن هو الامتثال والانقياد لأمر نبيهم محمد ﷺ وليعلم الآباء الذين يرون أن رفع المهور ضمانًا لبناتهم، أن الذي يكره زوجته ويريد طلاقها لا يمكن أن تقف في وجهه مشكلة المال..بل على النقيض من ذلك فلربما أبغض الرجل زوجته فضارها حتى تفدي نفسها منه فلا تستطيع إلى ذلك سبيلاً فتبقى المسكينة تحت وطأة ذلك الرجل واضطهاده.

ثانيًا : الإسراف والتبذير :

ومن العقبات تلك التكاليف التي ابتدعها حفنة من الناس، وتمالئوا بها حتى أثقلت كاهل الزوج، ونفرت من الزواج، ذلك الإسراف المهين، والتبذير الرهيب..في شراء الأقمشة المرتفعة الأثمان، وأدوات التجميل الباهظة الأسعار، والمبالغة الضخمة في تأثيث قفص الزوجية، ناهيك عن إقامة الولائم في الفنادق وغيرها؟ ولنا أن نتساءل : من المستفيد من هذا كله؟ إنها أموال تذهب هدرًا، وتضاع سدى، وتكون حجر عثرة لشبابنا..

ولقد كان أمر الزواج أيسر بكثير ولكن الناس أنفسهم يظلمون فقد رأى النبي ﷺ على عبد الرحمن بن عوف ردع زعفران، فقال: «مهيم؟» قال: يا رسول الله تزوجت امرأة، قال: «ما أصدقتها؟» قال: وزن نواة من ذهب، قال: «فبارك الله لك، أولم ولو بشاة» رواه البخاري ومسلم.

وقالت عائشة رضي الله عنها: أولم رسول الله ﷺ على بعض نسائه بمدين من شعير. رواه البخاري.

فهذا رسول الله ﷺ أكرم البشرية وأزكى البرية هذه أقواله، وتلك أفعاله، فلماذا نضرب بها عرض الحائط ونستمع لثرثرة فلان وعلان هذا عار وهذا شنار، كيف تزوج ابنتك ولم تضع لها حفلة تكتب في التاريخ؟ أهي أقل من غيرها؟.فإلى أولئك البائسين نذكرهم بقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

ثالثا : تربية الأولاد على عدم تحمل المسؤولية :

إن كثيرًا من أجيال المسلمين اليوم لم يجدوا من والديهم إلا الحنان المحض أو الإهمال اللامبالي، ومن أجل ذلك تجد في صفات كثير من أبناء المسلمين اليوم الميوعة والضعف فلا تكاد تتجاوز هموم الواحد منهم حدود مطعمه ومشربه وكرته وملعبه.

إن علماء التربية يؤكدون على وظيفة الأسرة في تربية الناشئة على المسؤولية، وقوة الإحساس بها، ولنا في رسول الله ﷺ قائد البشرية الأسوة الحسنة في ذلك، فقد كان يربي أصحابه على تحمل المسؤوليات فقد اختار ﷺ أسامة بن زيد وهو في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة ليقود جيشًا جنوده كبار الصحابة، ثم يأتيه خليفة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ يستأذنه أن يبقى معه عمر بن الخطاب، وهذه السن هي التي يقضيها الشاب في مجتمعاتنا بين الثانوية والجامعة لاهيًا عابثًا يحرق نفسه وراء شهواته ونوازع نفسه، فهو لا يزال في حضيض طبعه محبوسًا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودًا منكوسًا، قد أسام نفسه مع الأنعام، راعيًا مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل.

فما عسانا أن نجد من شباب عقولها في أقدمها !! شباب لا يتجاوز هم الواحد منهم حدود المطعم والمشرب !! أيصلح أن يكون هذا رب أسرة يتحمل مسئولياتها ؟

أترضى أن يتقدم مثل أولئك لابنتك؟ أوجه هذا الأسئلة إليك أيها الأب اللبيب أو الأخ الحبيب.

أخي رعاك الله:إن تربية الشباب على المسؤولية من أوّل واجبات الأسرة، والمسؤولية التي يتربى الشباب عليها هي التي تشمل الحياة كلها، والنشاط كله، وأعظمها: مسؤولياته

أمام ربه الذي أوجده لهدف، وسخر الحياة له لغاية، ثم مسؤولياته إزاء أمته، ثم مسؤولياته أمام أسرته ونفسه وحياته، ولكي يمارس الشباب مسؤولياته في الحياة فلا بد بعد التربية النظرية أن يعطى فرصة الممارسة في الحياة، وأن توكل إليه المهام التي تصقل تجربته وتثري خبرته، عند ذلك يحس للحياة طعمًا، وللمعاناة في سبيل الواجب متعة، وعند ذلك يكون مؤهلًا ليكون رب أسرة.

رابعًا : جشع بعض الأولياء في رواتب بناتهم

ومن أولئك من فقد الحياء، وانسلخ من الكرامة والشهامة فوصل به الأمر إلى أن يمنع بناته من الزواج من أجل أن يستولي على رواتبهن، تلك الفعلة الشنعاء، والجريمة النكراء، ولكن ما الحيلة والله إذا استولى حب المال على قلب المرء أصبح لا يرى إلا ما يحقق شهوته ويشبع نهمته، وتبقى المسكينة تمنع من أغلى وأعز شيء، تمنع من الحب الحلال، الحب الذي أباحته شريعة محمد ﷺ، تمنع من الحياة السعيدة، تمنع من حنان وعاطفة الأمومة فتعيش في صراع نفسي، تعيش في هم وقلق بالنهار، وحزن وأرق بالليل كل ذلك خوفًا على مستقبلها فالعمر يتقدم بها في كل يوم، بل في كل لحظة.

ألا فليتق الله أولئك وليكفوا عما هم فيه من ظلم لبناتهم وليعلموا أنهم موقوفون ليوم عظيم، كل واحد منهم يقف وحيدًا فريدًا، طريدًا شريدًا، مسلوبًا من كل قوة، محرومًا من كل نصرة، فما لك من الله من عاصم، وليس لك من دونه راحم، يوم تبلى السرائر، وتمتحن الضمائر، وينكشف المغطى، ويظهر المخبأ.

خامسًا : إكمال الدراسة :

ومن تلك العقبات قول البعض من الناس: البنت لا تزال صغيرة.. دعها تكمل تعليمها ثم تتزوج، فإذا أكملت التعليم إذا بالقطار قد فات، والطيارة أقلعت..!وشواهد هذا كثيرة، ومن نظر نظرة سريعة في المستشفيات والمدارس والجامعات علم صدق ما قلناه بوضوح وجلاء، إن الإسلام حث على تعليم المرأة وتعلمها ولكن إذا جاء من يرضى دينه وخلقه فلابد أن يزوج طاعة لأمر رسول الله ﷺ حيث قال : «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه

فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[١] رواه الترمذي وابن ماجه.

ويمكن أن تشترط المرأة مواصلة الدراسة، فإن رغب الزوج بذلك فبها ونعمت وإلا فالزوج أولى بها إن رفض هذا الشرط.

سادسًا : تشويه صورة الزواج من قبل الأعداء :

ومن تلك العقبات ما يتلقفه الناس والشباب من معلومات وتصورات في المقالات والمسلسلات والصحف والإذاعات بطريق مباشر أو غير مباشر، له أثره البين في اختلال النظرة إلى الزواج على أنه شبح ومسئولية عظيمة، وارتباط وقيد، وما يذكرونه من مشكلات الزواج وسلبياته التي يزعمون، ولا يتطرقون إلى محاسنه ومنافعه، وهذا الطرح من التصورات قَلَب المفاهيم، وأفسد الأمزجة ... ألا شاهت تلك الوجوه.

لقد علم أولئك أن في الزواج دفعًا لكيدهم، وإبطالًا لشرهم وحصنًا حصينًا لدفع الشهوة، وغض البصر، وحفظ الفرج، فكادوا له كيدًا كبيرًا، فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها، وهي تُلحُّ على صاحبها دائمًا في إيجاد مجال لها، فما لم يكن ثمة ما يشبعها، انتاب الإنسان الكثير من القلق والاضطراب، ونزعت به إلى شر منزع، وإليه أشار المصطفى ﷺ بقوله : «إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[٢] والزواج هو أحسن وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها، فيهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس من الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله.

روى جابرٌ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ... فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[٣].

أضاف إلى ذلك أن بالنكاح تحصل الذرية التي تنسي المرء نَصَب الحياة وأرق العمل حينما يدخل بيته فيقابله أطفاله ويرى بهجتهم وفرحتهم بقدومه يشعر عند ذلك بقيمته

---

(١) حسن : خرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) .

(٢) التخريج السابق.

(٣) صحيح : خرجه مسلم (١٤٠٣) .

وأهميته، فما أجملها من حياة، يقول تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية، ويزيد بين يديه، وهو ينظر إليه إعجابًا به فقال : يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ فعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا، فكن لهم أرضًا ذليلة، وسماء ظليلة.. إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم إن غريزة الأبوة والأمومة تنمو وتتكامل في ظلال الطفولة، وتنمو مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها، لذا تحركت في نفس زكريا عليه السلام، الشيخ الذي لم يوهب ذرية، تحركت تلك الرغبة الفطرية القوية في النفس البشرية، ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ وقال أيضًا: ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ إنها الفطرة التي فطر الناس عليها لحكمة عليم في امتداد الحياة وارتقائها.

فالزواج راحة واستقرار وسكينة ومودة ورحمة وألفة وأبناء وأحفاد وطاعة واتباع، وقربة وأجر وليس بعد قول أصدق القائلين قول؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ كل ذلك مشروط بالتزام حدود الشرع المطهر، وامتثال أوامره ووصاياه.

سابعًا : فقر الزوج وحاجته :

ومن تلك العقبات التي تحد من الزواج الاحتجاج بفقر الزوج وعدم استلامه لوظيفة فإلى أولئك نوجه لهم قول الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى : ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف..**» الحديث هذا هو منطق الإيمان وليس ما يسود اليوم في بعض الأوساط من المنطلق المادي الذي يحكم تصرفات الناس بعيدًا عن التوكل على الله والاعتماد عليه..

وقد نسي هؤلاء أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن كثيرًا من الأغنياء كانوا بالأمس

القريب فقراء لا يملكون نقيرًا ولا قطميرًا.

وقفة تأمل:

أخي العزيز: دعني أصارحك، فالصراحة كما يقولون: (صابون القلوب) ما تقدم هو حقيقة عقبات وضعت في وجهك ولكن لك أنت أيضًا نصيب من هذه العقبات وقد تتساءل كيف ذلك؟ و أقول إجابة لك:

إذا تأملت معي يا أخي في واقع بعض المعرضين عن الزواج تلحظ أنهم يتحججون بحجج داحضة تتساقط تدريجيًا وبتلقائية تامة قبل أن يُسقطها النقد والتمحيص، فبعض أولئك الذين يدعون عدم استطاعتهم للزواج لما فيه من تكاليف مادية يكذبون أنفسهم بأنفسهم عبر سفراتهم المتكررة إلى خارج البلاد، ليتمتعوا بالحرية البهيمية في بلاد كافرة، لا تحل حلالًا ولا تحرم حرامًا، أو بالأصح تحل الحرام، وتحرم الحلال، أو في بلاد تشابه بلاد الكفرة في إباحة الزنا والدعوة إليه وحراسته وتنظيمه..وإنك لتراه مجيئًا للسفر، منفقًا على المومسات إنفاقًا كبيرًا مع تقتيره على نفسه وأهله إذا عاد إلى بلاده لأجل جمع المال والعودة به إلى الخارج مرة أخرى.

وأنت ترى بعض الذين يتحججون بتكاليف الزواج تراهم يركبون السيارات الفاخرة، بل وغير الفاخرة، لا يعملون، ولا هم لهم إلا مطاردة النساء في الأسواق! لم ذلك كله؟ لأجل الشهوة، فكيف يمنع نفسه عن الزواج..؟ يقول : لا أستطيع، إن المهور غالية؟ كلمة حق أُريد بها باطل؟ أين أنت؟ أين عملك؟ أم تريد أن تعطى المرأة لك على طبق من ذهب، وأنت متكل على أبيك تنام النهار، وتسهر الليل، وتقول : زوجوني زوجوني، أو اتركوا لي الحبل على الغارب، أعاكس النساء في الأسواق وأسعى للحصول منهن على موعد.

وعلاج ذلك: أن يتقي الله ويخشى غضبه ونكاله، وجحيمه وناره، وأن يعلم أن العمر قصير، والحساب عسير، والموقف مهول،وكفى سفاهة ومراهقة وليتذكر قول الله جل جلاله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

أسأل الله تعالى أن يحفظ شباب المسلمين وفتياتهم من كل سوء وأن ييسر لهم أمرهم

ويفرج لهم همهم وأن يحفظهم بالإسلام وأن ييسر لهم سبل الزواج وطرق السعادة والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشَّبكَة[١] :

جرتْ الأعراف على أن يقدِّم الرجل (الشبكة) لمن يرغب في خطبتها، تقديرًا لها، وتعبيرًا عن مشاعره الطيبة نحوها، وقد يقَدمها في صورة ذَهَب أو غيره مما غلا ثمنه، وتعتبر الشبكة هدية أو جزءًا من المهر تبعًا لاتِّفاق الزوجين، فإذا قدمها، وقال: هذه هدية مني إليك عرفانًا بالحب والتقدير، فهي هبة وليست مهرًا. أما إذا قدمها، وقال: هذه جزء من المهر فله ذلك.

والأفضل إشهاد رجلين على تقديم الشبكة؛ حتى لا ينكر أحد الطرفين ما اتفقا عليه، وتجري على الشبكة أحكام المهر إذا كانت جزءًا منه، فإذا لم يتفقا على ذلك جرتْ عليها أحكام الهدية.

ومن كرم المرأة وأهلها ألا تشترط على الخاطب أن يقدم الشبكة بمقدارمعيَّن، ولا مانع أن يقدِّم الرجل الشبكة لمن يريد الزواج بها في حضور أهله وأهلها، في حفل صغير، يتعارف فيه أهل الزوجين ويتقاربان، وتتوطِّد العلاقات بينهما على أن يلتزم الجميع في هذا اللقاء بالآداب الشرعية الخاصَّة بالاختلاط والزِّي.

وكثيرًا ما نرى الخاطب يقوم بإلباس الشبكة لمخطوبته في حضور الأهل والأقارب، وفي هذا مخالفة شرعية؛ حيث إنه لا يجوز للخاطب أن يلمس جسم مخطوبته، ويمكن أن تقوم بذلك أمُّه أو أخته، أو يكتفي بتقديمها، ثم يُلبسها مخطوبته بعد ذلك.

وفي بعض الأحيان تُقدَّم الشبكة بعد العقد، ولا مانع حينئذ من أن يلبس الرجل المرأة الشبكة. والمرأة لا تشترط على الرجل أن يلبس خاتمًا (أو ما يسمى دبلة الخُطُوبة) ذهبيًا، ولو اشترطت فشرطها باطل، ولا اعتبار له، فهذا مخالف للشريعة قال ﷺ: «الذهب والحرير حلٌّ لإناث أمتي، وحرام على ذكورها»[٢].

---

(١) موسوعة الأسرة المسلمة.

(٢) صحيح : خرجه النسائي (١١/٢٢٠) .

تأثيث البيت[(١)] :

الرجل هو المسئول عن إعداد بيت الزوجية، وتجهيزه بالأثاث المناسب، ولأهل المرأة أن يتعاونوا مع الرجل في تحمل بعض النفقات، وليس ذلك واجبًا مفروضًا عليهم، وإنما هو إعلانٌ عن حبهم له، وكسبٌ لمودته، فعن علي -رضي الله عنه- قال : جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل (ثوب له وبر؛ كالقطيفة)، وقِرْبَة، ووسادة حَشْوُها إِذْخَر (نبات طيِّب الرائحة).

وفي بعض الحالات يدفع الزوج المهر لأهل العروس؛ ليقوموا بتجهيز منزل الزوجية من هذا المهر، مع ما يضيفونه إليه من مالهم الخاص، وبهذا يكون الجهاز مِلْكًا للزوجة وحدها، وإنما يستعمله الزوج بإذنها. فإذا دفع الزوج المهر للعروس، ثم قام بإعداد منزل الزوجية وتأثيثه، فإن الجهاز يكون ملْكًا له. فإن اشترك كل من الزوجين في إعداده، كانا شريكين في ملكيته على قدر مشاركة كل منهما.

وفي بعض المجتمعات، يتفق الرجل مع ولي المرأة على تأثيث بيت الزوجية بشرط أن لا يدفع لها مهرًا مقابل تجهيزه لبيتها، وكأنه قدم لها المهر في صورة أثاث وأجهزة للبيت، وفي هذه الحالة يكون أثاث البيت مِلْكًا للمرأة؛ عِوَضًا عن المهر، وفي بعض الحالات تقسم المسؤوليات عند الزواج بتوزيع النفقات على الطرفين، وهذا ليس واجبًا على المرأة، أما إن تم بالتراضي فلا بأس.

***

(١) موسوعة الأسرة المسلمة.

من آداب النكاح وسننه

١-**الخُطبة**: وهي أن يقول: إن الحمد لله نستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم يقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لما روي أنه ﷺ قال: «**إذا أراد أحدكم أن يخطب لحاجة من نكاح أو غيره فليقل الحمد لله...**»[1] الخ.

٢-**الوليمة**: لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف لما تزوج: «**أولم ولو بشاة**»[2]، والوليمة: طعام العرس، ويجب حضور من دعي إليها، لقوله ﷺ: «**من دعي إلى عرس أو نحوه فليجب**»[3]، ويرخص في عدم حضورها إن كان بها لهو أو باطل، ومن دعاه اثنان، قدم أولهما الذي وجه الدعوة، ويدعى لها الفقراء كالأغنياء، لقوله ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها، ويدعى إليها من يأباها**»[4]، ومن لا يجب الدعوة، فقد عصى الله ورسوله، ومن دعي وهو صائم أجاب الدعوة، وإن شاء أكل إن كان صومه تطوعًا وأن شاء دعا لهم وخرج، لقوله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فليصل - أي يدع - وإن كان مفطرًا فليطعم**»[5].

٣-**إعلان النكاح بدف**: وغناء مباح لقوله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام، الدف**

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٢٤).
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٠٩)، والترمذي (١٠٩٤) وابن ماجه (١٩٠٧).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٢٩).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٤٦٠)، والترمذي (٧٨٠).

والصوت»[١].

الشروط في النكاح

قد تشترط الزوجة على خطيبها شروطًا معينة لزواجها به، فإن كان ما تشترطه مما يدعم العقد ويقويه، ذلك كأن تشترط النفقة لها أو الوطء، أو القسم لها إن كان الخاطب ذا زوجة أخرى، فهذا الشرط نافذ بأصل العقد ولا حاجة إليه وإن كان الشرط مما يخل بالعقد كأن تشترط أن يستمتع بها أو أن لا تصلح له طعامه أو شرابه مما جرت العادة أن تقوم به الزوجة لزوجها، فهذا الشرط لاغ لا يجب الوفاء به، لأنه مخالف للغرض من الزواج بها.

وإن كان الشرط خارجًا عن دائرة ذلك كله، كأن تشترط عليه زيارة أقاربها، وأن لا يخرجها من بلدها مثلًا، بمعنى أنها اشترطت شرطًا لم يحل حرامًا أو يحرم حلالًا فإنه يجب الوفاء لها به، وإلا لها الحق في فسخ نكاحها إن شاءت،

وذلك لقوله ﷺ: «أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج»[٢].

كما يحرم علي المرأة أن تشترط لزواجها بالرجل أن يطلق امرأته، لقوله ﷺ: «لا يحل أن تنكح امرأة بطلاق أخرى»[٣] ولما روى البخاري ومسلم أنه ﷺ: «نهى أن تشترط المرأة طلاق أختها»[٤].

---

(١) حسن: أخرجه النسائي(٧/٤٤١)، وابن ماجه (١٨٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٢١)، ومسلم (١٤١٨).

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد(٢/١٧٦،١٧٧).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٢٧)، ومسلم (١٤٠٨).

الخيار في النكاح

يثبت الخيار لكل من الزوجين في الإبقاء على عصمة الزوجية أو فسخها لوجود سبب من الأسباب الآتية :

العيب كالجنون، أو الجذام أو البرص، أو داء الفرج المفوت للذة الاستمتاع، وككون الزوج خصيًا أو مجنونًا أو عنينًا لا يقوى علي إتيان المرأة وغشيانها.

وفي حالة الرغبة في فسخ النكاح ينظر فإن كان الفسخ قبل الوطء، فإن للزوج أن يرجع على المرأة فيما أعطاها من صداق، وإن كان بعد الوطء فلا يرجع عليها بشيء، وإذًا صداقها ثبت لها بما نال منها، وقيل: يرجع به علي من غرر به من ذويها إن كان من غرر عالمًا بالعيب، ودليل هذه المسألة أثر عمر ﷺ في «الموطأ» وهو قوله: أيما امرأة غر بها جنون أو جذام أو برص، فلها مهرها بما أصاب منها، وصداق الرجل على من غره.

الغرر كأن يتزوج مسلمة فتظهر كتابية، أو حرة فتظهر أمة أو صحيحة فتظهر مريضة بعور أو عرج لقول عمر : أيما امرأة غر بها رجل فلها مهرها بما أصاب منها، وصداق الرجل على من غره.

الإعسار بدفع الصداق الحال، فمن أعسر بدفع صداق امرأته الحال لا المؤجل فإن لامرأته الحق في الفسخ قبل الدخول بها أما إن كان بعد الدخول فلا يحق لها في الفسخ، بل يمضي العقد ويثبت الصداق في ذمته، وليس لها منع نفسها منه أبدًا.

الإعسار بالنفقة : فمن أعسر بنفقة زوجته انتظرته ما استطاعت من الوقت، ثم لها الحق في فسخ نكاحه منها بواسطه القضاء الشرعي، قال بهذا الصحابة كأبي هريرة وعمر وعلي ﷺ والتابعون كالحسن، وعمر بن عبد العزيز وربيعة ومالك رحمهم الله أجمعين.

إذا غاب الزوج ولم يعرف مكان غيبته، ولم يترك لزوجته نفقة ولم يوص أحدًا بالإنفاق عليها، ولم يقم غيره بنفقتها، ولم يكن لديها ما تنفقه على نفسها ثم ترجع على زوجها، فإن

لها الحق في فسخ نكاحها بواسطة القاضي الشرعي، فترفع أمرها إليه فيعطيها ويوصيها بالصبر، فإن أبت كتب القاضي محضرًا بواسطة شهود يعرفونها ويعرفون زوجها، يشهدون على غيبته وإعسارها ثم يجري الفسخ بينهما ويعتبر هذا الفسخ طلقة رجعية، فإذا عاد الزوج في مدة العقد عادت إليه.

* * *

الآثار المترتبة على عقد النكاح

تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : حقوق والواجبات مشتركة.

القسم الثاني : حقوق وواجبات تخص الرجل.

القسم الثالث : حقوق وواجبات تخص المرأة.

أولا: الآثار المشتركة

حل المعاشرة والاستمتاع:

الأثر الأول من آثار عقد النكاح الصحيح هو حل المعاشرة والاستمتاع، ونعني بالمعاشرة الخلطة والسكنى تحت سقف واحد والحياة معًا، ونعني بالاستمتاع التلذذ البدني والنفسي لكل من الزوجين بالآخر. وهذا حق مشترك للزوجين بالآخر، وواجب أيضًا على كل طرف نحو الآخر.

وقد جاء الإسلام بما يكفل سعادة الزوجين وإحسان معاشرة كل منهما للآخر، واستمتاعه به على أكمل وجه وأحسن صورة. فقد جاءت الآيات الكثيرة التي تأمر الرجال بإحسان معاشرة النساء، وإمساك المرأة التي يرى الرجل فيها ما يكرهه رجاء أن يبارك الله له فيها كقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وحث النبي على حسن معاشرة النساء وأوصى بهن كثيرًا كما قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1].

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧).

وقوله: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج. وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، وإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١].

وفي حديث آخر: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[٢] رواه أحمد ومسلم. والفرك هو الكراهية. وقد كان رسول الله ﷺ خير مثال على حسن المعاشرة وطيب الخلق. وجاءت الأوامر الكثيرة في القرآن والسنة أيضًا للمرأة كقوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ والقنوت هنا فسره العلماء بطاعة الزوج.

هذا في المعاشرة والطاعة والعطف والحنان والحب وأما في الاستمتاع البدني فهدى الإسلام في هذا أحسن هدي، فقد جاء في الأمر العام بالاستمتاع بالنساء على أي كيفية كما قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ غير أن الله سبحانه وتعالى نهى عن إتيان النساء وقت الحيض لما في هذا من الأذى والضرر على الزوجين كليهما وليس هذا مجال تفصيل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ ولقد جاءت السنة الصحيحة بجواز الاستمتاع بالحائض في غير مكان الحيض، وجاءت السنة والآثار الصحيحة أيضًا بحرمة إتيان النساء في أدبارهن. وهذا من كمال الإسلام وطهارته.

كما جاءت السنة أيضًا بآداب تجعل المباضعة عبادة يتقرب بها إلى الله كما قال الرسول ﷺ: «وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه فيها وزر وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»[٣]. ولذلك قال ﷺ معلمًا ومؤدبًا: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما في ذلك ولد لن يضر ذلك الولد الشيطان أبدًا»[٤]. هذا وقد نهى

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٦٩) .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٠٦) .
(٤) صحيح : أخرجه أبو داود (٢١٦١) والترمذي (١٠٩٢) وابن ماجه (١٩١٩) .

الرسول ﷺ عن إفشاء أسرار الجماع ونشر أخباره وهذا من كمال الأدب والأخلاق كما قال ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه: ثم ينشر سرها»[(١)]. وأخبر ﷺ في حديث آخر إن مثل هذا كمثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما بالسكة (الطريق) فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه[(٢)]، وهذا معناه أن الخبر في أمر النكاح كالعيان.

وبهذه الأخلاق والآداب يرسي الإسلام قواعده النظيفة الكاملة، في أول أثر من عقد النكاح وهو المعاشرة وحل الاستمتاع. وهذا مما تجدر الإشارة إليه أنه لم يصح شيء عن تحريم نظر الرجل إلى أي جزء في امرأته ولا المرأة كذلك، هذا ولم يصح أيضًا شيء في نهي عن تجرد المرأة والرجل. وبهذا نجد أن الإسلام لم ينه في هذا إلا بما يعيب على الحقيقة وأباح ما سوى ذلك مما يعد سعادة واستمتاعًا، وأحاط كل ذلك بحسن المعاشرة وطيبها.

ومن الآثار المشتركة التي تترتب على عقد النكاح: الاستمتاع والمعاشرة، وقد فصلنا ذلك سابقًا ثم التوارث، وثبوت نسب الأولاد هذا مقام تفصيله بحمد الله وتوفيقه.

٢ ـ التوارث:

إذا تم عقد النكاح صحيحًا ومات أحد طرفي العقد (الرجل أو المرأة) ثبت الميراث في مال الميت للحي وقد جعل الله في هذا فريضة محكمة في كتابه فجعل للزوج نصف مال زوجته المتوفاة إذا لم يكن لها ولد منه أو من غيره، وجعل له الربع من مالها إذا كان لها ولد منه أو من غيره.

وأما الزوجة فقد فرض الله لها ربع تركة زوجها إذا لم يكن له ولد منها أو من غيرها ولها الثمن إذا كان له ولد منها أو من غيرها، غير أنها تشترك مع ضرائرها في هذا الثمن إن كان لزوجها المتوفى زوجات غيرها لم يفارقهن. وهذا مفصل في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ضعيف: انظر «غاية المرام».

مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾.

وهذا الميراث حق في مال الزوجة والزوج بمجرد العقد وحتى لو لم يحصل دخول.

٣- ثبوت النسب:

عقد النكاح وثيقة تثبت صحة نسب المولود لرجل معين ولكن ذلك لا يتم إلا بشرطين.

أولًا: أن يكون هذا المولود قد ولد بعد مدة كافية لتخلقه جنينًا في بطن أمه وولادته حيًا. وجمهور علماء المسلمين أن أقل مدة يثبت فيها صحة النسب هي ستة أشهر، وقد فهموا هذا من الجمع بين النصوص الشرعية، واستقراء الحالات التي كانت في أزمانهم فقد جاء في الحديث الصحيح: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**»[(١)] الحديث. وهذا يدل على أن حياة الجنين الإنسانية (الروح) لا تكون إلا بعد مائة وعشرين يومًا أي أربعة أشهر، وأما الحياة الحيوانية فالجنين حي منذ كان حيوانًا منويًا وكذلك بعد إخصابه للبويضة وانفصال خلاياه لصناعة الجسم. ولكن الحياة الإنسانية أي الروح لا تكون إلا بعد أربعة أشهر، ويبدو أن حالات الولادة قبل الشهور الستة لا يكتب لها الحياة، وعلى كل حال فعلوم الطب تستطيع الآن الحكم على عمر الجنين وبذلك يعلم صحة النسب بكونه قبل العقد أو بعده.

ثانيًا: وأما الشرط الثاني لثبوت النسب فهو الدخول بالمرأة، وهذا الشرط اشترطه جمهور العلماء إلا الإمام أبو حنيفة رحمه الله الذي لم يعد هذا شرطًا ولذلك فصحيح في مذهبه أن يعقد رجل قرانه وهو في المشرق بامرأة في المغرب ولم يلتقيا مطلقًا بعد عقد النكاح ثم جاءت بولد أن ينسب هذا الولد له شاء أم أبى ولا يخفى شذوذ هذا القول ومجانبته للصواب وإن كان قائله قد راعى مصلحة الولد في هذا الأمر ولكن لا يجوز لكي نراعي مصلحة الولد والأم أن نهدر مصلحة الأب الذي يجبر على أن ينسب له غير ولده

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

الذي يعلم قطعًا أنه ليس ولده، وكذلك مصلحة المجتمع المسلم الذي يجب التميز فيه بين أولاد النكاح وأولاد السفاح.

والذين اشترطوا الخلوة من العلماء اكتفوا بأن يثبت خلو الرجل بزوجته أي وقت بعد العقد، وعلى كل حال هذه مسألة اعتبارية خاضعة للعرف والظروف، والمهم في هذا الصدد أن عقد النكاح ضمان للمرأة أن ينسب مولودها إلى نكاح صحيح لا إلى سفاح، وإلزام للرجل أن ينسب له من ولد على فراشه من زوجته التي دخل بها.

وبهذا نرى أن عقد النكاح يترتب عليه من الأمور المشتركة ما لا يترتب على أي عقد في الدنيا فإنه يترتب عليه المخالطة والاستمتاع والتوارث وثبوت النسب وكلها أمور في غاية الأهمية والحساسية، ولذلك كان الاحتياط في هذا العقد والميثاق الغليظ كما سماه الله سبحانه وتعالى واجبًا وكان إيقاعه كما أمر الله بشروطه وانتفاء موانعه في غاية الأهمية، ولهذا نقول: أيضًا إن هدم القواعد التي يبني عليها عقد النكاح معناه هدم للحضارة الإنسانية الأخلاقية وإرجاع للإنسان إلى مرتبة الحيوان الذي يكتفي بالتناسل فقط دون هوية واسم ودون شخصية مستقلة.

ثانيًا: آثار عقد الزواج على الرجل خاصة :

قدمنا أن عقد الزواج من أعجب العقود في الأرض وذلك للعلاقات الخاصة والمتشابكة والآثار العظيمة التي يخلفها عقد الزواج فهذا العقد يترتب عليه مسائل مالية وعاطفية وخلقية ونفسية وأمور أخرى في غاية الحساسية والتعقيد ولا نستطيع أن نأتي بمسطرة وقلم ونخط خطًا ونقول: هنا يقع حق الزوج وواجباته وها هي حقوق الزوجة وواجباتها، ومن ظن أنه يستطيع أن يفعل ذلك فهو واهم تمامًا ولا يدرك على الحقيقة ماهية هذا العقد العجيبة وآثاره في النفس والحياة. وحتى في الأمور الظاهرية الحسية فإن تحديد مقدار الحق والواجب في غاية الصعوبة والحرج فمن يستطيع أن يقدر مقدار النفقة الواجبة للزوجة على زوجها تحديدًا فاصلًا؟ أيضًا وإذا كان هذا هو الشأن في هذه الأمور الظاهرة الحسية المادية فكيف في الأمور المعنوية وكيف أيضًا في الأمور السرية والخاصة بين الزوجين؟ ولذلك فنحن عندما نقول الحق والواجب في عقد الزواج فإنما نعني الخطوط

العريضة فقط والعموميات فقط لعلاقات من أدق علاقات الأرض ولا نعني المدلول لهاتين الكلمتين (الحق والواجب).

وعلى ضوء من هذين الأمرين نناقش قضية الحق والواجب في عقد الزواج وهما:

أولًا: نحن لا نملك حدًا فاصلًا بين ما للزوج وما عليه نحو زوجته وما للزوجة وما عليها نحو زوجها ولكننا نملك خطوطًا عريضة فقط.

ثانيًا: لا يجوز بتاتًا أن يقام عقد الزواج على ما الذي لي وما الذي لك ولكن يجب أن يقوم على: ما المقدار الذي أستطيع أن أبذله لك وما المدى الذي يستطيع الطرف الآخر أن يقدمه لي وهذا هو باب الإحسان والفضل والحب والرحمة والوداد ومن هذا المنطق نستطيع تحديد واجبات الرجل نحو زوجته بما يلي:

١- النفقة:

وهذا يعني أن يقوم الزوج بالإنفاق على زوجته منذ عقد العقد وحتى الانفصال عنها بأي صورة (كما سيأتي هذا مفصلًا إن شاء الله) وهذه النفقة تشمل كل لوازم الزوجة من طعام ومسكن وكسوة ونحو ذلك وأن لا يلزم المرأة شيئًا من هذا أصلًا سواء كانت مالكة وغنية أم لا. وأن العمل بقصد الكسب ليس واجبًا على المرأة بحال وعلى ضوء القواعد السابقة فلا تحديد لحجم النفقة وكيفيتها وفي هذا يقول تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾.

٢- إحسان المعاشرة:

وهذه أيضًا قضية عامة لا نستطيع تحديدها في قوالب قانونية لأن قضية المعاشرة أمر أخلاقي والأخلاق كثيرة منها ما لا يستطيع أن يضبطه القانون فهل تطالب المرأة زوجها مثلًا أن يبتسم إذا رآها وأن يهش للقائها؟

وهذا لا نشك أنه من حسن المعاشرة ولكن لا نستطيع أن نسن ذلك بقانون ولا أن يجبر إنسان على فعله. ولذلك فأمر إحسان المعاشرة أمر واسع خلاصته وجوب اتباع مكارم الأخلاق في المعاشرة وهذا يعني أن لا تقبيح للزوجة، ولا سباب ولا لعن، وإنما لين جانب، وبذل معروف.

٣ـ القوامة :

ونعني بالقوامة كون الرجل مسؤولًا عن تقويم زوجته وأن له الكلمة الأخيرة في شئون الحياة الزوجية، وهذا الأمر قد ينظر أناس إليه على أنه حق للرجل ولكن يحسن بنا أن نجعله واجبًا لا حقًا، فالرجل مسئول عن زوجته لأنها رعية استرعاها الله إياها كما قال ﷺ: «والرجل في بيته راع وهو مسئول عن رعيته»[1].

والقوامة لا تعني التسلط والقهر ولا إنفاذ رأي الرجل صوابًا كان أو خطأ وإنما تعني حسن السياسة وإدارة دفة الحياة الزوجية على وجه الشورى والإحسان والحرص الدائم على بذل النصح والخير، والوقوف الحازم أمام الانحراف والنشوز.

هذه هي أهم واجبات الرجل نحو زوجته ولا شك أن رجلًا لا يستطيع أن يقوم بهذه الواجبات على الوجه الأكمل إلا أن يكون زوجًا صالحًا.

ثالثًا: آثار عقد الزواج على المرأة خاصة :

يفرض عقد النكاح حقوقًا للرجل نحو زوجته أو واجبات على الزوجة نحو زوجها، ونستطيع إيجاز هذه الواجبات في الأمور الثلاثة الآتية:

١ـ الطاعة :

بما أن القوامة على الأسرة واجب من الله سبحانه وتعالى يسأل عنه الرجل يوم القيامة ويسأل عنه الرجل في الدنيا أيضًا أمام المجتمع وولي الأمر فإن من مستلزمات القوامة للرجل أن يطاع من قبل من جعلهم الله سبحانه وتعالى في كفالته ورعايته، ولا نتصور أن يكون الرجل قوامًا في بيته متكفلًا بشئون أسرته (زوجته وأولاده) ولا يكون مطاعًا من زوجته وأولاده، ولذلك فطاعة المرأة لزوجها حق يفرضه الله سبحانه وتعالى أولًا وتقتضيه مصالح الأسرة ونظامها ثانيًا، وتفرضه الضرورة والواجب ثالثًا. ونعني بالضرورة الخلقة والجبلة والفطرة وهذا لا يماري فيه إلا مكابر، ونعني بالواجب الالتزام الأدبي والخلقي الذي يفرضه إنفاق الرجل على زوجته وكفالته لها فلا أقل من الطاعة والإذعان لأمره.

والطاعة بالضرورة لا تعني الاستعباد والتسلط والقهر وتبرير الخطأ لأنه صدر من

---

(١) تقدم تخريجه .

الرجل. لا وإنما تعني الطاعة في نظام الإسلام الطاعة في المعروف إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والالتزام حيث يحسن الالتزام ولا نعني مطلقًا السير في الخطأ والاستبداد بالرأي، والإكراه، وميادين الطاعة الواجبة لا تحصرها غير أنها مقيدة كما قلنا بالمعروف والاستطاعة ومن ميادين الطاعة الواجبة الخدمة (وسنفرد لها فصلًا مستقلًا وإن كانت هي بذاتها فردًا من أفراد الطاعة) وكذلك الطاعة في الفراش وقد جاءت أحاديث بخصوص الطاعة في هذا الأمر كقوله ﷺ: **«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»**[1] . وهذا زجر شديد من الرسول ﷺ أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها علوًا أو نشوزًا ونفورًا. واللعن هذا لا يكون إلا في فعل حرام أو ترك واجب.

٢ ـ الخدمة :

الخدمة المنزلية من ميادين الطاعة وقد سبق أن هذا حق من حقوق الرجل، وواجب على المرأة، وليس هناك تحديد شرعي أيضًا لمواصفات الخدمة والذي يحدد هذا أيضًا هو العرف والمعروف، وقد أبعد جدًا من ظن أن الخدمة المنزلية ليست واجبًا على المرأة نحو زوجها إلا طاعة الفراش فقط، وهذا الفهم إساءة بالغة لمعنى عقد النكاح في الإسلام، وقد كانت الصحابيات بما فيهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ يخدمن أزواجهن، ويلقين العنت والتعب في هذه الخدمة ولم يقل رسول الله ﷺ يومًا أنه لا يجب على امرأة أن تخدم زوجها بل على العكس من ذلك أمر رسول الله ﷺ النساء بطاعة أزواجهن كما أمر الأزواج بالإحسان إلى النساء.

والخدمة أيضًا قضية فطرية جبلية من المرأة نحو زوجها وموافقة الفطرة هي السعادة الحقيقة ولا شك أن أسعد النساء حظًا في الحياة الزوجية أكملهن طاعة وخدمة لأزواجهن وأشقاهن في حياتهن الزوجية من يتخلين عن هذه المهمة الفطرية التي جاء عقد الزواج ليوجبها ويحققها.

ومن فضلة القول أن هذه الخدمة واجبة على المرأة نحو زوجها فقط وليست واجبة نحو

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) .

أهل الزوج إلا أن يكون هذا تطوعًا منها وإحسانًا وإرضاءً للزوج وتحببًا إليه.

٣ ـ القنوت:

والقنوت يطلق في اللغة إطلاقات كثيرة ونعني به هنا حبس المرأة نفسها على زوجها فقط حيث لا يكون في قلبها ووقتها شغل بغيره.

فعقد الزواج ينقل طاعة المرأة من والديها إلى الزوج رأسًا ليكون هو الولي المباشر وليكون برها وطاعتها بوالديها من بعد طاعتها لزوجها. وهكذا أيضًا في الآخرين فلا يجوز لامرأة أن تجعل من نفسها نصيبًا في خدمة أو تطلع لغير زوجها إلا بإذنه. فالمرأة أسيرة عند الرجل محبوسة عليه وحده ولاءً وطاعة وخدمة، وهذا هو الموقف الشرعي والموقف الفطري والأخلاقي الكامل.

ومن هذا الباب كان الرجل مطالبًا في الإسلام برعاية زوجته رعاية كاملة لهذا كما قال النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم»[1] والعاني هو الأسير أي أسيرات.

فيجب أن تعلم المرأة المسلمة أن عقد الزواج يفرض عليها هذا الأسر الاختياري وهو أسر محبب ولا شك عند المرأة. والزوجة التي تستطيع أن تراعي حقوق وواجبات هذا الأسر هي المرأة المثالية، ولا شك أن الرجل والمرأة إذا بذل كل منهما ما أسند إليه من مهمات وتفاني كل منهما في إسعاد الآخر، وإدخال السرور على نفسه فإنهما سيحققان السلام الحق والسعادة المنزلية الكاملة.

* * *

(١) حسن: أخرجه الترمذي (١١٦٣) وابن ماجه (١٨٥١).

الخِطبة: أحكامها وآدابها

لما كان الزواج من أخطر العقود لأنه عقد الحياة، فيه من التكاليف والالتزامات ما ليس في غيره وتترتب عليه آثار عديدة، كثبوت النسب وحرمة المصاهرة وغير ذلك، زادت عناية الشارع به فجعل له مقدمة نظمها وبيَّن أحكامها تسمى بالخِطبة؛ ليكون المتزوج على بينة من الطرف الآخر، ويتحقق لهما بهذا العقد الراحة والسعادة البيتية.

الخِطبة هي المقدمة والمدخل إلى عقد النكاح وهي في ذاتها عقد ابتدائي لإعلان القبول بالزواج بين طرفين، والخِطبة المشروعة لا بد أن نتبع فيها ما يأتي:

١- **النظرة إلى المرأة قبل الخِطبة:**

يجب على من وقع في قلبه امرأة أن ينظر إليها قبل التقدم لخطبتها وهذا النظر واجب للأحاديث الآتية:

١ - حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خطب امرأة فقال له النبي ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[1] أي: أن إعجابك بها أحرى بأن تدوم العشرة بينكما..

٢ - حديث أبي هريرة قال: خطب رجل امرأة فقال له النبي ﷺ: «**انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**»[2].

٣- حديث: «**إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»[3].

٢ - **الخلوة ليست من المباحات:**

هذا وليست الخلوة بالأجنبية جائزة، ولو رغب في زواجها للأحاديث الكثيرة التي جاءت بالنهي عن ذلك فمن ذلك حديث جابر عند أحمد: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا**

---

(١) صحيح : خرجه الترمذى (١٠٨٧) والنسائى (٧\٣٠٧)وابن ماجه(١٨٦٥)

(٢) صحيح :خرجه مسلم (٣٥٥٠)

(٣) رواه أحمد وأبو داود وأخرجه الشافعي وعبدالرزاق والحاكم وصححه وقال الحافظ: رجاله ثقات، قال الشوكاني: وفي إسناده محمد بن إسحاق، وأعله ابن القطان بواقد بن عمرو، وحسنه الألباني صحيح الجامع (٥٠٦).

يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان»[١].

وحديث عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ فقال ﷺ: «الحمو الموت»[٢].

ويشهد لهذين الحديثين حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يومًا وليلة إلا مع ذي محرم»[٣].

فلهذه الأحاديث فإنه يجب أن يعلم أن الخلوة ليست بجائزة ولو لطالب الزواج إلا أن تكون الخلوة مع محرم للمرأة.

٣ - الخطبة على الخِطبة:

يجوز إذا تقدم رجل لخطبة امرأة أن يتقدم ثان وثالث وأكثر من ذلك ما لم توافق على واحد منهم. فإن وافقت المرأة وأولياؤها على واحد من الخطاب فلا يجوز لأحد التقدم إلى الخطبة بعد ذلك؛ لأن هذا منهي عنه نهيًا شديدًا وهو من أسباب نشر العداوة والبغضاء في المجتمع المسلم.

قال ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[٤] وفي رواية أخرى قال: «لا يخطب الرجل على خطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب»[٥].

وأما لو وقع هذا فما الحكم؟

قال بعض الفقهاء: يفسخ نكاحها من الثاني الذي خطب على خطبة أخيه وترد إلى الأول.

وجعلوا هذا من مبطلات عقد النكاح، وجعل البعض هذا غير مبطل للعقد ولكنه معاقب عليه شرعًا فعند هؤلاء لا يبطل العقد إن وقع وإن كان فاعل هذا يستحق التعزير والمجازاة.

ونرى أن الخِطبة عقد جائز ولم يأت في الكتاب والسنة ما يدل على ترتب حقوق معينة

---

(١) صحيح: صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «غاية المرام» (١٨٠).

(٢) متفق عليه : البخاري (٥٢٣٢، ومسلم (٢١٧٢) .

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١).

(٤) خرجه البخاري : (٥١٤٤) .

(٥) صحيح: خرجه أحمد (١٥٣/٢) والنسائي (٧٣/٦) .

بالفسخ فإذا وقعت الخِطبة على الخِطبة فلا نرى بطلان زواج الثاني، وإن كنا نرى أنه ظالم وأنه يجب عليه الرجوع عن خِطبته وأنه مستحق للعقوبة في الدنيا والآخرة وكذلك من وافقه من المرأة والأولياء، ولما كان الأصل في عقد الزواج التراضي كما سيأتي في شروط النكاح فإننا نرى أنه لا يجوز أن يعقد عقده مع الإكراه أبدًا.

٤ - الخِطبة في العدة:

هناك أوقات وحالات لا يجوز أن يتقدم فيها إلى خِطبة النساء وهي:

(أ) عدة المطلقة طلاقًا رجعيًا أو بائنًا. فلا يجوز في عدة الطلاق أن يتقدم رجل بخِطبة هذه المرأة حتى تنتهي عدتها وذلك أن الرجعية ما زالت معلقة بحبل الزواج طالما هي في العدة.

وأما البائن وإن كان لا يجوز أن ترجع إلى زوجها إلا بعد نكاح آخر فإن هناك اتفاقًا على أنه لا يجوز ذلك ولم يأت في الكتاب والسنة ما يبيح ذلك. هذا ولا يجوز أيضًا التعريض بخطبتها.

(ب) عدة الوفاة. المرأة التي يتوفى عنها زوجها لا يجوز لأحد التقدم لخطبتها حتى تمر عليها أربعة أشهر وعشرًا أو تضع حملها إن كانت حاملًا.

ولكن يجوز أن تشعر بالخطبة تعريضًا وتلميحًا لا تصريحًا. كأن يقال لها: إني أبحث عن امرأة فاضلة وأود لو أنني وفقت لذلك ونحو هذا من العبارات التي تفهم الرغبة في الزواج وليست نصًا صريحًا في الخطبة كما قال ﷻ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

★ ★ ★

النظر إلى المخطوبة

نظر الخاطب إلى مخطوبته:

حرص الإسلام على دوام العشرة بين الزوجين وحصول المودة والمحبة بينهما، وكذلك حصول السكن النفسي لكل منهما؛ ولذلك أباح نظر كل من الطرفين للآخر؛ حتى يطمئن إلى من سيختاره، على الرغم من تحريم النظر لغير حاجة، والأمر بغض البصر فيما سوى ذلك.

قال ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»(١).

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: فخطبتُ امرأة من بني سلمة فكنتُ أختبئ لها تحت الكَرَب (أي: بين النخيل)؛ حتى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها..

ويجوز للرجل أن ينظر إلى من يريد خطبتها بإذن من وليها في حضور محرم، فإن تعذر ذلك، فإنه لا يشترط في النظر الإذن والسماح به، وقد أمر النبي ﷺ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن ينظر إلى من يرغب في خطبتها، فقال: «**اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(٢) أي: تحصل الموافقة والملاءمة بينكما.

ويجوز للخاطب أن يرسل إلى المرأة من ينظر إليها بغرض خطبتها ثم يعود إليه بالخبر، فقد أرسل النبي ﷺ أم سليم تنظر إلى جارية، فقال ﷺ: «**شُمِّي عوارضها (فمها)، وانظري إلى عرقوبيها**»(٣) (أسفل ساقيها مع القدم).

نظر المخطوبة إلى خاطبها :

وكما يجوز للرجل أن ينظر إلى المرأة، فإنه يجوز للمرأة -أيضًا- أن تنظر إلى المتقدم لخطبتها، ولها أن تنظر إليه فيما عدا عورته، وينظر الرجل إلى وجه المرأة (وهو مجمع الحسن فيها)، وكفيها (ومنهما تبدو نَحَافة الجسم أو سَمَانته). ولهما أن يكررا النظر؛ حتى تستقرّ صورة كل منهما في ذهن الآخر، ويطمئن إليه.

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق تخريجه

(٣) منكر: خرجه الحاكم (٢/١٦٦) والبيهقى(٧/٨٧) وانظر«الضعيفة» (١٢٧٣)

ويجب أن لا يكون ذلك مبررًا لتعدي حدود الله، واتباع الشهوات، بحجة الخطبة، فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وعليهما أن يتحليا بالأخلاق الفاضلة، فلا ينطق أحدهما بكلمة تسيء إلى الآخر؛ كأن يتحدث الخاطب عن الدمامة والقبح، إذا كانت مخطوبته غير جميلة.

ومن أهم الضوابط للرؤية المشروعة :

١ - أن يكون القصد بالرؤية النكاح مع العزم على ذلك.

٢ - أن لا تكون الرؤيا بخلوة لنهيه ﷺ أن يخلو رجل بامرأة إلا ومعها محرم(١)، وقد توسع الناس في الخلو بالمخطوبة بما لا يبيحه الشرع.

٣ - أن يكون النظر لما يظهر غالبًا وتعرف به الحال ولو كُرر. ولعل بعض الصفات التي يريد أن يعرفها الخاطب تحصل عن طريق قريبات من النساء، والله أعلم.

من تباح خطبتها(٢) :

لا تباح خطبة المرأة إلا بشرطين :

الأول : أن تكون خالية من الموانع الشرعية.

الثانى : ألا يسبقه غيره بخطبة شرعية.

* ويحرم خطبة معتدة الغير سواء أكان عدتها من طلاق رجعى أو بائن سواء عدة وفاة أم طلاق لكن المعتدة من طلاق بائن تحرم خطبتها بالتصريح وتجوز بالتعريض

ويحرم خطبة الرجل على خطبة أخيه إذا وافقت تصريحا أما إذا رفضت فيجوز له خطبتها وأما إذا عرضت فقيل: يجوز وقيل :لا يجوز.

ويقول الشيخ الصابونى(٣) :

ما هو حكم خطبة النساء ؟

النساء فى حكم الخطبة على ثلاثة أقسام:

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) فقه المرأة المسلمة (ص : ١٨٤).

(٣) روائع البيان (١/ ٣٧٦-٣٧٧).

أحدها :التي تجوز خطبتها - تعريضا وتصريحا - وهي التي ليست في عصمة أحد من الأزواج، وليست في العدة، لأنه لما جاز نكاحها جازت خطبتها، ويستثنى من هذا الحكم صورة واحدة، وهي أن يخطب امرأة مخطوبة لقوله ﷺ: «لا يخطبن أحدكم على خطبة أخيه».

الثاني :التي لا تجوز خطبتها - لا تصريحًا ولا تعريضًا - وهي التي في عصمة الزوجية، فإن خطبتها وهي في عصمة آخر إفساد للعلاقة الزوجية وهو حرام، وكذلك حكم المطلقة رجعيًا فإنها في حكم المنكوحة.

الثالث: التي تجوز خطبتها تعريضًا لا تصريحًا وهي المعتدة في الوفاة، وهي التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ ومثلها المعتدة البائن المطلقة ثلاثا فيجوز التعريض لها دون التصريح.

والدليل على حرمة التصريح ما قاله الشافعي رحمه الله :

لمّا خُصص التعريض بعدم الجناح، وجب أن يكون التصريح بخلافه، وهذا الاستدلال دل عليه مفهوم المخالفة.

خطبة الصغير والصغيرة(١) :

أجاز جمهور العلماء لولي الصغيرة أن يقبل خطبتها، أو أن يخطب لها رجلًا كُفئًا؛ فقد عقد النبي ﷺ على السيدة عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين وقيل: سبع، وبنى بها وهي بنت تسع، فإذا كبرتْ هذه الصغيرة، وأصبحتْ فتاة بالغة رشيدة، فلها حق الاختيار بين الإبقاء على هذه الخطبة أو رفضها، فلابد أن تتلاقى إرادتها مع إرادة الولي في ذلك.

وفي بعض المجتمعات يتفق الآباء على تزويج صغير وصغيرة عندما يكبران، فإذا بلغا وأيدا هذا الاتفاق، فلا مانع من إتمام هذا الزواج على بركة الله.

المفاضلة والاختيار بين عدد من الخطاب(٢) :

إذا تقدم للفتاة أكثر من خاطب في وقت واحد، فإن لها ولوليها اختيار أفضلهم دينًا وأحسنهم سيرة، ويسترشد في ذلك باستخارة الله ﷻ واستشارة عباده الصالحين، فقد تقدّم

---

(١) (موسوعة الأسرة المسلمة) جمع وترتيب الأستاذ: علي بن نايف الشحود.

(٢) المصدر السابق.

معاوية بن أبي سفيان، وأبو الجهم لخطبة فاطمة بنت قيس في وقت واحد، فذهبت إلى النبي ﷺ تستشيره، فقال ﷺ : «أما معاوية فهو رجل تَرِبٌ -شديد الفقر- لا مال له، وأما أبوالجهم فرجل ضَرَّاب «كثير الضرب» للنساء، ولكن أسامة - يريد أن يرغبها في أسامة بن زيد - فأشارت بيدها، وقالت: أسامة. أسامة.. كأنها كرهت الزواج منه. فقال لها ﷺ: (طاعة الله، وطاعة رسوله خير لك). فقالت: فرضيتُ بأسامة، وتزوجته فاغتبطتُ به[١].

الاستخارة في الخطبة[٢]:

تُسَنُّ في الزواج الاستخارة، فقد كان رسول الله ﷺ يستخير ليعلم أصحابه الاستخارة في كل شيء، فعلى كل إنسان أن يستخيرالله سبحانه وتعالى في زواجه، ويطلب العون والرِّضا منه؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: لمّا انقضتْ عِدَّة زينب بنت جحش رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرْها عليَّ». قال زيد: فانطلقتُ، فقلتُ: يا زينبُ. أَبْشِرِي، أرسلني إليك رسول الله ﷺ يذكُرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أستأمر ربِّي. فقامت إلى مسجدها «أي: لتصلي» وجاء الرسول ﷺ فدخل بغير أمر[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كُلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تَقْدِر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر - ويذكر الأمر الذي يستخير فيه- خيرٌ لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقْدِرْه لي، ويَسِّرْه لي، ثم باركْ لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويذكر الأمر الذي يستخير فيه - شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقْدِرْ لِيَ الخير حيث كان، ثُمَّ ارضني به»[٤].

الاستشارة في الزواج[٥]:

إذا كان الإسلام يطلب من المرأة ووليها اختيار الرجل الصالح ذي الخلق الحسن،

---

(١) صحيح خرجه مسلم (١٤٨٠)

(٢) المصدر السابق.

(٣) صحيح خرجه النسائى (٣٢٣/٧)

(٤) البخارى (١١٦٦).

(٥) موسوعة الأسرة المسلمة.

الكفء، فلابُدَّ من التحقق والتدقيق في التعرُّف على الخاطب، ومعرفة كل ما يتعلَّق به.. والسبيل في ذلك: السؤال عنه بين أهله، أوفي مكان عمله، أو بين أصدقائه.

وكذلك على الفتاة ووليها استشارة الصالحين وأهل الخبرة قبل الموافقة، فما خاب من استخار، ولا ندم من استشار. فمن الصواب- إذا جاء خاطب - أن يأخذ ولي الأمر مهلة من الزمن؛ ليسأل عنه، ويستوثق منه؛ تفاديًا لحدوث التغرير، وصونًا للمرأة، وحفظًا لحقوقها.

الشفاعة في التَزويج[1]:

من المستحب أن يسعى المسلم لتزويج اثنين، ويوفق بينهما، إذا رأى صلاحهما، وعلم توافقهما وتماثلهما؛ طلبًا لإعفافهما، ففي ذلك طاعة لله، وله بذلك أجر، على أن يلتزم في كل ذلك بكل ما أمر الشرع من صدق وأمانة وغير ذلك.

ولذا فقد أرسلت السيدة خديجة رضي الله عنها نفيسة بنت مُنبه إلى النبي ﷺ- قبل بعثته - لتشفع في زواجهما، وكانت امرأة فطنة تجيد الكلام، وتحسن التصرف، فقالتْ له: يا محمد، ما يمنعك من الزواج، فيجيبها قائلًا: «ما عندي ما أتزَّوج به» فردت عليه قائلة: فإن كفيت ذلك، ودعيتَ إلى المال والجمال والشرف. فيسألها أن تفصح له عمن تقصد، فتخبره أنها خديجة، فتزوجها ﷺ، فكانت له نعم الزوجة، وكان لها نعم الزوج.

وهناك جانب سلبي للشفاعة، ويحدث عندما يلجأ الخاطب إلى اصطحاب من يشفع له من أهل التقوى، أو من أصحاب الجاه والنفوذ. وكثيرًا ما يقبل وليُّ الأمر تزويج من يلي أمرها مجاملة لهؤلاء الشفعاء والوسطاء دون العودة إليها، وفي ذلك ظلم للمرأة يجب الحذر منه، فلا يبدى الولي رأيه إلا بعد رأي مولاته، فإذا تشفَّع شافع لخاطب ليس أهلًا للقبول، فليعتذر إليه، ولا يقبل، فالله سبحانه سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ أم ضيَّع.

وقد شفع النبي ﷺ لمغيث عند بريرة أن تُبقي على رباط زواجهما؛ لعلمه بحبه لها. فقد تزوج مغيث بريرة وكانا عبدين، وكان مغيث أسود، وكان يحبها حُبًا شديدًا، فلما أُعتِقت بريرة، هام على وجهه يستغيث بمن يقربها منه، فلما رآه النبي ﷺ يمشي خلفها، ودموعه تجري على خديه، من فرط حبه لها، قال لها ﷺ: «لو راجعتيه فإنه أبو ولدك» فقالت: أتأمرني

---

(١)المصدر السابق.

يا رسول الله؟ فقال: «لا، إنما أشفع» فقالت: لا حاجة لي به. فقال لعمه: «يا عباس. ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغضها له»[(١)].

ما يترتب على الخطبة:[(٢)]

الإسلام دين القصد والاعتدال، فهو يحافظ على الأعراض، وفي نفس الوقت يعطي للزواج مقدماته التي تساعد على إنجاحه اجتماعيًا، ولذلك شرع الخطبة بوصفها مقدمة للنكاح؛ ليتعرف كل من الطرفين بالآخر في إطار من الحفظ والصيانة، وليستعد كل من الطرفين لاستقبال الحياة الجديدة في ضوء معرفته بشريك حياته.

ولأن الخطبة مجرد وعد بالزواج قد يتم وقد لا يتم، فإن الإسلام احتاط لذلك، وكان هذا في مصلحة المرأة؛ صيانة لها، وإبعادًا عن مواطن الشك والريبة فيها، فلا يحل للرجل من مخطوبته شيء، كما لا يحل للمرأة شيء من خطيبها، فكلاهما لم يزل أجنبيًا عن الآخر، فيحرم عليهما كل ما يحرم على الرجل والمرأة الأجنبيين.

فلا يحل النظر؛ لقوله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ النور: (٣٠، ٣١).

كما لا يحل اللمس في جميع صوره؛ لقوله ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[(٣)]. ولا يحل الخضوع بالقول أو ميوعة الكلام بينهما؛ لقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ولا يجوز للمخطوبة إبداء زينتها، أو إظهار شيء من جسدها للخاطب، ولا تحل الخلوة بينهما، ويجوز جلوسها في حشمة ووقار مع الخاطب في وجود مَحْرَم. قال ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم». فالخطبة في شريعتنا الإسلامية الغرّاء لا تحل أمرًا كان محظورًا قبلها.

---

(١) البخارى (٥٢٨٣).

(٢) موسوعة الأسرة المسلمة.

(٣) صحيح: خرجه الطبرانى (٢١١/٢٠) وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٥٠٤٥)

علاقة الخاطب بالمخطوبة وأهلها:(١)

الخطبة فترة تعارف وتقارب بين الخاطب وأهل مخطوبته؛ حتى يتم التواصل والمودة بينهما، فتتآلف القلوب، وتتقارب النفوس، وينشأ جو من العلاقات الطيبة التي ستصبح بحق مودة ورحمة بعد الزواج إن شاء الله.

وفترة الخِطبة فترة حساسة، وإذا غاب الجانب الشرعي، ولم يراعَ من كلا الطرفين، أصبحت الخطورة ماثلة أمام الجميع.

تصرفات خاطئة في فترة الخطوبة:

※دخول الخاطب بيت خطيبته، كأنه فرد من أفراده بمجرد الخطبة.

※جلوس الخاطب مع خطيبته، منفردًا بها، في بيتها أو غيره.

※خروجها معه للتنزه، أو الذهاب إلى بيته.

※تبادل الرسائل الغرامية والصور.

فكل هذا مرفوض ولا يليق بالمسلم ولا المسلمة، وعلى الخاطب أن يتعامل مع خطيبته، وأهلها بصورة يرضاها الله ورسوله ﷺ ومن ذلك:

※أن يزورها في بيت أهلها في وجود محرم وهي ملتزمة بزيّها الشرعي.

※أن يهديها بعض الهدايا.

※أن يسأل عنها، ويزور أهلها ويصلهم.

※أن يقبل دعوة أهلها إلى الطعام.

وعلى الخطيبين أن يتحدثا معًا - في وجود محرم - بما يحقق الود والطمأنينة، دون خوض في الأسرار، أو كشف للعورات، فكثيرًا ما يخطئ الخطيبان، فيبوح كل منهما للآخر بأسراره، وهذا خطأ كبير، فقد يحدث ما لا تُحمد عقباه، فيختلفان، ويفترقان، وقد يكون الخاطب على غير وازعٍ من الدين يمنعه من ظلم الآخرين، فيهدِّد خطيبته السابقة بما يحمل من وثائقَ قد تدينها.

وعلى الخطيبين أن يجتهدا لتكون فترة الخطبة وسطًا بين القصر والطول؛ بحيث يتمكن

---

(١) موسوعة الأسرة المسلمة.

كل منهما من الاطمئنان للآخر، وكلما قصرت المدة كان أفضل.

ومن الخطأ أن تكون فترة الخطبة طويلة بغير ضرورة أو بدون سبب قاهر، فمتى توافرت ظروف البناء فالأولى تعجيله.

فسخ الخطبة(١)

الخطبة وعد بالزواج بين طرفين، وليست عقدًا ملزمًا، والرجوع عنها لغير مبرر شرعي إخلاف للوعد، والشرع لم يحكم على من أخلف الوعد بعقوبة مادية، وإنما وكل أمره إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، فإذا قدم الخاطب المهر بعد الخطبة، ثم عدل عنها فله الحق في استرداده كاملا، أما الهدية فهي كالهبة، لا يحق للخاطب التارك لمخطوبته أن يستردها، قال ﷺ: «لا يحل لأحد يعطي عطيّةً، أو يهب هبة فيرجع فيها، إلا الوالد يعطي ولده»(٢).

وعند الأحناف أن للخاطب استرداد هداياه إن لم تتغير عن حالتها، فيسترد الإسورة والخاتم والعقد والساعة، ونحو ذلك، فإن لم تكن قائمة على حالتها؛ كأن تتغير بالزيادة أو النقصان؛ كالطعام أو القماش ونحوها، فليس للخاطب الحق في استردادها.

أما المالكية فقد أقاموا الحكم تبعًا لمن كان سببًا في العدول عن الخطبة، فإن كان العدول من جهة الخاطب فليس له شيء مما أهداه إليها، وإن كان العدول من جهتها فله الحق أن يسترد كل ما أهداه سواء كان باقيًا على حاله أو تغير أو هلك، فيعوض بدلًا منه.

وعند الشافعية ترد الهدية سواء كانت قائمة أو هالكة. فإن كانت قائمة رُدَّت بذاتها، وإن كانت هالكة رُدَّتْ قيمتها.

من تُخطَب إليه المرأة(٣):

خِطبة المرأة فى الأصل تكون إلى وليّها، وقد روي عن عروة أنّ النّبيّ ﷺ خطب عائشة رضي الله ﷻ عنها إلى أبي بكر رضي الله ﷻ عنه فقال له أبو بكر :إنّما أنا أخوك، فقال ﷺ

---

(١) موسوعة الأسرة المسلمة.

(٢) صحيح : خرجه أبو داود (٣٥٣٩) والترمذى (١٢٩٩) والنسائى (٨\٢٦٢) .

(٣) موسوعة الأسرة المسلمة. بتصرف.

له : «أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال»[(١)].

ويجوز أن تخطب المرأة الرّشيدة إلى نفسها، لحديث أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: لمّا مات أبو سلمة أرسل إليّ النبيّ ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يخطبني له، فقلت له : إنّ لي بنتًا وأنا غيور، فقال : «أمّا ابنتها فندعوا الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة»[(٢)].

وكذلك الرّواية الأخرى : إنّي امرأة غيرى وإنّي امرأة مصبية فقال :«أمّا قولك : إنّي امرأة غيرى فسأدعو الله لك فيذهب غيرتك، وأمّا قولك : إنّي امرأة مصبية فستكفين صبيانك»[(٣)].

جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح:

يجوز عرض المرأة نفسها على الرّجل وتعريفه رغبتها فيه، لصلاحه وفضله أو لعلمه وشرفه أو لخصلة من خصال الدّين، ولا غضاضة عليها في ذلك، بل ذلك يدلّ على فضلها؛ فقد أخرج البخاريّ من حديث ثابت البنانيّ قال : كنت عند أنس رضي الله عنه وعنده ابنة له، قال أنس : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت : يا رسول الله، ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس : ما أقلّ حياءها، واسوأتاه قال : هي خير منك رغبت في النّبيّ ﷺ فعرضت عليه نفسها.

ويجوز عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير:

يجوز عرض الإنسان بنته وغيرها من موليّاته على من يعتقد خيره وصلاحه، لما فيه من النّفع العائد على المعروضة عليه ولا استحياء في ذلك، ولا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوّجًا فقد أخرج البخاريّ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنّ عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه حين تأيّمت حفصة بنت عمر رضي الله عنهما من خنيس بن حذافة السّهميّ رضي الله عنه وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفّي بالمدينة - فقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أتيت عثمان بن عفّان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثمّ لقيني فقال : قد بدا لي أن لا

(١) صحيح : خرجه البخارى (٥٠٨١) .
(٢) صحيح خرجه البخارى (٥٠١٨) .
(٣) ضعيف : انظر ضعيف سنن النسائى (٣٢٥٤)

أتزوّج يومي هذا، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه فقلت : إن شئت زوّجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئًا، وكنت أوجد عليه منّي على عثمان، فلبثت ليالي، ثمّ خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إيّاه، فلقيني أبو بكر فقال : لعلّك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ؟ قال عمر : قلت : نعم، قال أبو بكر : فإنّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلاّ أنّي كنت علمت أنّ رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها.

الخِطبة على الخِطبة:[1]

قد تكون المرأة متوفرًا فيها شرط صحة الخِطبة. وهو كونها ممن تحل له في الحال، غير أنه عرض لها وهو أن غيره سبقه إلى خطبتها، ففي خِطبتها اعتداء على الخاطب الأول، وهذه الخطبة ورد النهي عنها، قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»**[2] وقال رسول الله ﷺ : **«لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»**[3].

فهذه الأحاديث تفيد تحريم الخطبة على الخطبة لظاهر النهي والتعبير بـ «لا يحل»، وإذا كان النهي مسلطًا على الخطبة على خطبة الغير منعًا لما يترتب عليها من إثارة النزاع وهذا يصدق من غير شك على من أجيبت خطبته وقبلت رغبته،أما من رفضت خطبته فلا يشملها النهي، ومثلها في ذلك ما إذا أذن الخاطب الأول للثاني كما صرحت به بعض الأحاديث، لأننا لو منعنا خطبتها لغير الأول لألحقنا بها الضرر البالغ، وهذا ما لا يقصده الشارع، ولأن الخطبة في هذه الحالة لا تسمى خطبة على خطبة، لأن المرأة لا تسمى حينئذ مخطوبة للخاطب الأول.

أما إذا لم يفصل في الخطبة الأولى برأي لا بقبول ولا برفض. وهي حالة التردد

---

(١) موسوعة الأسرة المسلمة.

(٢) صحيح: خرجه مسلم (١٤١٤)

(٣) صحيح : خرجه البخارى (٥١٤٤)

والسكوت فهل تدخل في ذلك ويكون منهيًا عنها أو لا؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

أولهما : وهو ما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك وغيرهما، أن الخطبة في هذه الحالة ممنوعة، لأن الأحاديث الناهية تتناولها حيث أن الأول يسمى خاطبًا والمرأة مخطوبة له، وهذا السكوت من جانبها وإن لم يدل على الرضى بالخاطب فهو لا يدل على الرفض، لاحتمال وجود أصل الرغبة، والسكوت للتحري عن الخاطب ليتحقق الاطمئنان الكامل والرغبة التامة، فإباحة الخِطبة الثانية في هذه الحالة قد يترتب عليها زوال تلك الرغبة ورفض خطبة الأول وهو نوع اعتداء عليه والله لا يحب المعتدين.

وثانيهما : وهو أحد الرأيين عن الشافعية إباحة هذه الخِطبة.

أثر هذه الخِطبة في العقد المترتب عليها:

إذا خطب شخص مخطوبة غيره وعقد عليها فهل يكون لهذه الخطبة المنهى عنها أثر في صحة العقد؟

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

* ذهب الحنفية والشافعية إلى أنها لا تؤثر في العقد قضاءً، على معنى أن القاضي لا يحكم بفسخه وينفذه، إنما أثرها ديني فقط حيث إنه ارتكب أمرًا منهيًا عنه فعقابه أخروي، لأن هذه المخالفة لم تكن في نفس العقد، بل في وسيلته وهي لا تؤثر فيه، لأنها ليست جزءًا من العقد ولا مقدمة لازمة فيه، فلو عقد شخص عقد الزواج دون أن يتقدم عليه خطبة كان عقده جائزًا شرعًا.

* وذهب المالكية في الرأي المشهور عنهم إلى التفصيل بين حالتي الدخول وعدمه، فيقولون: إن هذه الخِطبة تؤثر في العقد قبل الدخول لا بعده. بمعنى أن القاضي إذا علم به قبل الدخول فسخه، لأن هذا العاقد تعدى ما ندبه الشارع إليه، وإذا علم به بعد الدخول فلا فسخ، لأن العقد تأكد بالدخول فلا يجوز فسخه لما يترتب عليه من إضرار.

العدول عن الخطبة وما يترتب عليه:[١]

إذا عدل أحد الطرفين عن الخطبة أو كلاهما فما الأثر المترتب على ذلك بالنسبة لما قدمه الخاطب من مهر أو هدايا، ولما لحق أحد الطرفين من أضرار يعرف ذلك بالتفصيل الآتي:

أما بالنسبة لما قدمه الخاطب من مهر أو هدايا، فلا خلاف بين الفقهاء في أنه يجب رد ما قدمه من مهر قليلًا كان أو كثيرًا، لأن المهر وجب بالعقد، فهو حكم من أحكامه وأثر من آثاره، وما دام الزواج لم يوجد فلا حق لها في أخذ المهر، بل هو حق خالص للزوج، فإن كان قائمًا أخذه بعينه، وإن هلك أو استهلك أخذ مثله إن مثليًا أو قيمته إن كان قيميًا.

وأما ما قدمه من هدايا، فالفقهاء متفقون في الجملة على ردها وإن اختلفوا في التفصيل:

ذهب الشافعية إلى وجوب الرد مطلقًا باقية أو غير باقية، فإن كانت موجودة ردت بعينها، وإن هلكت أو استهلكت وجب رد مثلها أو قيمتها سواء كان العدول من قبله أو من قبل المخطوبة أو منهما معًا.

وذهب الحنفية إلى وجوب ردها إن كانت موجودة في يدها من غير زيادة متصلة بها لا يمكن فصلها، فإن هلكت كَعِقْد فُقد، أو ساعة تكسرت، أو استهلكت كطعام أكل أو ثوب لبس وبلي، أو زادت زيادة متصلة لا يمكن فصلها كقماش خيط ثوبًا، أو خرجت عن ملكها بأن تصرفت فيها ببيع أو هبة لا يجب ردها في جميع تلك الصور، لأنهم أعطوا الهدية حكم الهبة، والهبة يمتنع الرجوع فيها بموانع منها الهلاك والاستهلاك والخروج عن الملك والزيادة المتصلة التي لا يمكن فصلها.

والمالكية في أصل المذهب عندهم لا رجوع بشيء مما أهداه الخاطب ولو كان الرجوع من جهتها، ولكن الفتوى في المذهب برأي آخر عندهم هو الأوفق كما يقولون يفصلونه على الوجه الآتي:

---

(١) موسوعة المرأة المسلمة.

إن كان هناك عرف أو شرط بالرد وعدمه يعمل به، وإن لم يكن شرط ولا عرف، فإن كان العدول من الخاطب فلا يجوز له الرجوع في شيء من هداياه، لأنه آلمها بعدوله عن خطبتها، فلا يجمع عليها مع هذا الإيلام إيلامًا آخر. وإن كان العدول منها وجب عليها رد ما أخذته بعينه إن كان قائمًا أو مثله أو قيمته إن كان هالكًا، لأنه لا وجه لها في أخذه بعد أن آلمته بفسخ خطبته. ولأن ما قدمه لها لا يمكن اعتباره هبة مطلقة، بل هو هبة مقيدة فإنه لولا الخطبة الموصلة للزواج ما قدم لها شيئًا، فإذا لم يتحقق الزواج لم يتحقق الغرض الذي من أجله قدم الهدايا، والعدل يقضي بأن المتسبب في منع الزواج هو الذي يتحمل نتيجة عمله.

بدع ومنكرات عند الخطبة

أولا : قراءة الفاتحة عند الخطبة :

وهذا أمر ما أنزل الله به من سلطان ولكن أمر جرى عرف الناس عليه، ولم يذكر أو يرد عن أحد من لدن رسول الله ﷺ أو صحابته أو التابعين إلى تابعيهم أنه قرأ الفاتحة فلا يجوز اعتقاد ثبوتها أو القيد بها فى هذا الموطن لأن هذا من الإحداث فى الدين، وقد أخرج الإمام أحمد عن عائشة ﵂ مرفوعًا : «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

ويقول الإمام مالك ﵀ : من أحدث فى دين الله ما ليس منه فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة لأن الله ﷻ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

وإذا كان البعض يعتقد أن الخِطبة إلزام وعهد فمن المعروف أن العهود لا توثق بقراءة القرآن فعُلم بهذا أن قراءة الفاتحة عند الخطبة أو عند إبرام العهود والعقود من المحدثات التى لم يفعلها أحد من السلف ﵃.

ثانيا : لبس دبلة الخطوبة :

وهذا الأمر غير جائز لأنه تقليد أجنبى والنبى ﷺ يقول كما فى سنن أبى داود بسند حسن: «من تشبه بقوم فهو منهم»[٢]، هذا بجانب الاعتقاد الفاسد أنها تسبب محبة بين الزوجين فإنها تكون فى هذه الحالة «تميمة» وهى محرمة بل تصل لدرجة الشرك الأصغر إن كانت بهذه النية لقول النبى ﷺ : «إن الرقى والتمائم والتِوَلَة شرك»[٣]، فهى بجانب أنها تميمة تؤخذ أيضًا على أنها تولة، والتولة : شيء يعلقونه على الزوج يزعمون أن يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته وهذا شرك لأنه ليس بسبب شرعى ولا قدرى للمحبة.

---

(١)صحيح : خرجه مسلم (١٧١٨) .

(٢)حسن صحيح:(٤٠٣١).

(٣)صحيح: خرجه أبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :

والدبلة خاتم يشترى عند الزواج يوضع فى يد الزوج وإذا ألقاه الزوج قالت المرأة: إنه لا يحبها فهم يعتقدون فيه النفع والضرر ويقولون: إنه ما دام فى يد الزوج فإنه يعنى أن العلاقة بينهما ثابتة والعكس بالعكس.

فإذا وجدت هذه النية فإنه من الشرك الأصغر فإن المسبب للمحبة هو الله وأن لم توجد هذه النية، ففيه تشبه بالنصارى فإنها مأخوذة منهم، وإن كانت من الذهب فهى بالنسبة للرجال محظور ثالث وهو لبس الذهب.

فهى من الشرك أو مضاهاة للنصارى أو تحريم النوع إذا كانت للرجال.

وقال ابن باز رحمه الله ﷻ:

لا نعلم لهذا العمل - دبلة الخطوبة – أصلًا فى الشرع، والأولى ترك ذلك سواء كانت الدبلة من فضة أو غيرها.

لكن إذا كانت من الذهب فهى حرام على الرجال لأن الرسول ﷺ نهى الرجال عن التختم بالذهب.

وقال الشيخ صالح بن فوزان حفظه الله ﷻ :

هناك تقليد فاسد وقع فيه كثير من الناس اليوم فى أمور الزواج من أنه يشترى لها دبلة تلبسها ويكون هذا سببًا فى زعمهم فى عقد المحبة فى القلب وتآلف الزوجين فهذا من عقائد الجاهلية وهذا يكون من الشرك لأن التعلق بالحلقة والخيط والخاتم والدبلة فى أنها تجلب المودة أو تذهب العداوة بين الزوجين وهذا من الشرك لأن الأمر بيد الله.

ثالثا: إمساك الخاطب يد مخطوبته وإلباسها الخاتم أو الدبلة:

وهذا حرام بلا شك. فليس للخاطب أن يمس يد المخطوبة لأنها مازالت أجنبية عنه.

رابعا : زيارة الخاطب لمخطوبته كل يوم :

وهذا ما يفعله الخاطب فى هذه الأيام بل ويجلس معها الساعات الطوال يصوب إليها النظر وقد استقر فى نفسه قبولها ويكرره لا لأجل تحقق مدى قبوله لها ولكن ربما تغزلًا فيها وتلذذًا بجمالها ولا شك أن هذا لا يجوز لأنها لا تزال أجنبية عنه، فالأصل أنه لو

حصل القبول بعد الرؤية الشرعية حَرُم النظر إليها لأنه أبيح لحاجة وتعود أجنبية عنه حتى يعقد عليها.

خامسا : الزيارة فى المواسم والأعياد :

فالعرف الفاسد يحتم على الخاطب أو العاقد أن يتقدم بهدايا أو مال فى الفترة الممتدة بين الخِطبة والبناء فى أوقات معينة وهى ما تعرف بالمواسم كالمولد النبوى، الإسراء والمعراج، النصف من شعبان، عيد الفطر، عيد الأضحى، والهجرة وغير ذلك، وهذا كله مما يرهق الشباب ويثقل كاهله.

جاء فى فتاوى اللجنة الدائمة: تخصيص أيام معينة يهدى فيها الخاطب أو العاقد هدايا للعروس وذلك ما يسمونه (المواسم) وقد تكون بعض هذه المواسم غير شرعية بل هى أعياد مبتدعه وإرغام الزوج بهذه الهدايا يُثقل كاهله وقد تُسبب مشاحنات عند البعض إذا لم يقدمها أو لم يعتن ويغالي فى ثمنها وكل هذا لا يجوز.

علمًا بأن أصل التهادى مباح ومستحب، لكن بلا تخصيص مناسبات.

فعلى أولياء الأمور ألا يحملوا الشباب ما لا يطيقون بمثل هذه المواسم فلو اشترى الشاب شيئًا يلزم بيته كان أولى وأسرع فى إتمام الزواج.

سادسا: الخروج والخلوة بالمخطوبة :

فقد يتساهل أهل الفتاة فى خروج ودخول الخاطب ليل نهار بل ويصل الأمر إلى السماح لهما بالخروج بحجة أن يتعرف كل منهما على الآخر، بل قد يزداد الأمر سوءًا حيث يختلي الخطيب بمخطوبته ويحدث ما حرم الله بدافع من هوى النفس وطيش الشباب واشتعال الرغبة وصدق النبى ﷺ حيث قال كما فى مسند الإمام أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما «ولا يخلون رجل بإمراة إلا كان ثالثها الشيطان»[1]، وقال النبى ﷺ أيضًا :«لا يخلون رجل بإمراة إلا مع ذى محرم»[2].

وإطالة الخِطبة مع كثرة الخلوة وإشباع رغبة كلا الطرفين يفقد الرغبة فى إتمام عملية

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

الزواج. بل ويفقد الخطيب الثقة بمن خطبها لسهولة تفريطها فى نفسها ويخسر الطرف الأضعف وهم أهل المخطوبة ويا لعظم ما خسروا الشرف والكرامة.

فينبغى الحذر من خلوة الخاطب ممن خطبها حتى ولو صارت الخلوة عرفًا جرت عادات الناس عليه.

فكل عرف يتعارض مع شرع الله ﷻ حرام ومرفوض ولو أجمع الناس عليه فانتشار الخطأ وذيوعه ليس دليلًا على صحته.

❊ ❊ ❊

بدع ومنكرات ليلة البناء

أولا : إطلاع النساء على عورة العروس بحجة تهيئتها للزفاف:

وهذا حرام فلا يجوز أن تطلع المرأة على عورة المرأة لقول النبى ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأه إلى المرأة»(١) .

وعورة المرأة بالنسبة للمراة كعورة الرجل فى حق الرجل من السرة إلى الركبة، وعموم النساء الجاهلات لا يتحاشين كشف العورة أو بعضها والأم حاضرة أو الأخت أو البنت ويقلن هؤلاء ذوات قرابة، فلتعلم المرأه أنها إذا بلغت سبع سنين لم يجز لأمها ولا لأختها أن تنظر إلى عورتها.

وعلى هذا فلا يجوز قيام بعض أقارب الزوجة من النسوة بحلق عانة العروس فهذا من الأمور المستقبحة وأنهم يفعلون ذلك بحجة ألا تجرح العروس نفسها.

ثانيًا: ذهاب العروس إلى الكوافير (يعني الرجل) :

وهذا من أشد المنكرات التى أصبحت عادة لا تنكر، بلْ يُنكر على منْ هجرها ولا يخفى القدر الذى يراه ويلمسه الكوافير- وهو رجل فى الغالب - من العروس، ولا يخفى ما يحصل فى هذه الأماكن وفى هذه المناسبات.

فيا للعجب كيف سمحت الفتاة المسلمة أن تسلم جسدها لرجل أجنبى يعبث به؟ وكيف سمح أهلها وزوجها بهذا الأمر؟ أليس هذا من الدياثة؟!

وقد وجه سؤال إلى فضيلة الشيخ ابن عثيمين عن حكم الكوافيرة وحكم ما تقوم به من وضع مساحيق على الوجه وإزالة شعر الحاجبين وإزالة الشعور الداخلية وغير ذلك!

فأجاب فضيلة الشيخ: بعد أن قدم بمقدمة بين فيها أنه ينبغى علينا عدم مسايرة ومشابهة الأعداء ومن تشبه بقوم فهو منهم..... ثم قال فضيلته:

أرى أن هذه الكوافيرات فيها عدة محاذير:

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٣٣٨).

* المحذور الأول: ما تفعله الكوافيرات من التحلية بحلي الكفار في الشعر وغيره وهذه فيها مشابهة للكافرين ومن تشبه بقومٍ فهو منهم كما ثبت ذلك في الحديث[1].

* المحذور الثاني: أن عملهم كما ذكر السائل يكون فيه النمص، والنمص قد لعن النبي ﷺ فاعله فلعن النامصة والمتنمصة، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ﷻ ولا أعتقد أن مؤمنًا أو مؤمنة يرضى أن يفعل فعلًا يكون سببًا لطرده من رحمة الله.

* المحذور الثالث: أن في هذا إضاعة لمال كثير بدون فائدة.

* المحذور الرابع: ما تفعله الكوافيرات من هتك للعورات حيث تزيل الشعر من على أفخاذ المرأة وعلى ما حول قُبلها، ومن المعلوم أن النبي ﷺ نهى أن تنظر المرأة إلى عورة المرأة إلا إذا كان هناك حاجة ضرورية تدعو إلى النظر وليس هنا حاجة.

ثم قال فضيلته: وإنني أؤكد النصيحة على الرجال وعلى النساء ألا ينخدعوا في هذه الأمور وأرى أن تجب مقاطعة هذه الكوافيرات وأن تقتصر النساء على التجمل بما لا يكون مضرًا في الدين موقعًا في الحرام بالتشبه بالكفار.

وإذا أراد الله عز وجل المحبة بين الزوجين فإنها لا تحصل بمعاصي الله وإنما بطاعة الله عز وجل والتزام ما فيه الحياء والحشمة.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحمي شعبنا من كيد أعدائنا وأن يردنا على ما كان عليه سلفنا الصالح من الحشمة والحياء إنه جواد كريم والله الموفق. أ.هـ بتصرف.

ثالثا: تزين الزوجين بالمحرمات:

أولا: بالنسبة للزوجة:

أ- ما تفعله من نتف الحواجب: حتى تكون كالقوس أو الهلال:يفعلن ذلك تجملًا بزعمهن وهذا مما حرمه رسول الله ﷺ ولعن فاعله، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والواصلات والمستوصلات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن والمغيرات خلق الله».

فالواشمات: جمع واشمة اسم فاعل عن الوشم وهو غرز الإبرة ونحوها في الجلد حتى

---

(١) حسن صحيح : خرجه أبو داود (٤٠٣١).

يسيل الدم ثم حشوه بالكحل أو النيل فيخضر.

والمستوشمات: جمع مستوشمة وهى التى تطلب الوشم.

والنامصات: جمع متنمصة وهى التى تفعل النمص.

والنمص: ازالة شعر الوجه بالمنقاش وذكر الوجه للغالب لا للتقييد.

ويقال: إن النمص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما.

قال أبو داود فى السنن: النامصة التى تنقص الحاجب حتى ترفعه.

والمتفلجات للحسن: أى لأجل الحسن، والمتفلجات جمع متفلجة وهى التى تطلب الفلج وهو فرجة ما بين الثنايا والرباعيات.

والتفلج: أن يفرج بين المتلاصقين بالمبرد ونحوه.

ب- تدميم الأظافر وإطالتها: وهذه عادة قبيحة تسربت إلينا من فاجرات أوروبا حيث يقوم النساء بإطالة الأظافر مع وضع الصمغ الأحمر المسمى بالمونكير، وهذه فيه مخالفة للفطرة التى فطر الناس عليها.

ج- وصل الشعر أو ما يعرف بالباروكة:

فقد أخرج البخارى ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: سألت امرأة النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله،إن ابنتي أصابتها الحصبة فأمرق شعرها وأنا زوجتها أفأصل فيه؟ وفى رواية أصابتها حصبة فتمرق- سقط شعرها- أفأصله فقال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة».

وعند مسلم كذلك من حديث جابر بن عبد الله قال:«زجر النبى ﷺ أن تصل المرأة برأسها شيئا».

هذا بجانب تبرج العروس ليلة الزفاف وهذا حرام لا يجوز إذا كان يراها غير النساء أو المحارم وليعلم أن للعروس أن تتزين ما شاءت شريطة ألا يطلع عليها الأجانب.

بالنسبة للعريس:

أ- حلق اللحية فى هذه الليلة:قال الدكتور مصطفى مراد فى «مفتاح السعادة الزوجية»: ومن الأخطاء المحرمة حلق الزوج لحيته فى هذه الليلة على وجه الخصوص وحلقها حرام عند جمهور أهل العلم فى هذه الليلة وغيرها.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما فى «آداب الزفاف»:

يبتلى كثير من الرجال من التزين بحلق اللحية بحكم تقليدهم للأوروبيين الكفار حتى صار من العار عندهم أن يدخل الزوج على عروسه وهو غير حليق وفى ذلك مخالفات:

١) تغيير خلق الله: قال الله تعالى فى حق الشيطان: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ فهذا نص صريح فى أن تغيير خلق الله دون إذن منه تعالى إطاعة لأمر الشيطان وعصيان للرحمن جل جلاله. فلا جرم أن لعن رسول الله ﷺ المغيرات خلق الله للحسن كما سبق قريبًا ولا شك فى دخول حلق اللحية للحسن فى اللعن المذكور بجامع الاشتراك فى العلة كما لا يخفى.

وإنما قلت- والكلام للألبانى- دون إذن من الله تعالى- لكى لا يتوهم أنه يدخل فى التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها مما أذن فيه الشارع بل أستحبه أو أوجبه.

٢) مخالفة أمره :«انهكوا الشوارب وأعفوا اللحى»(١).

٣) التشبه بالكفار: لحديث أبى هريرة رضي الله عنه: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس»(٢).

٤) التشبه بالنساء:لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(٣).

قال الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما لا ريب فيه عند من سلمت فطرته وحسنت طويته أن كل دليل من هذه الأدلة الأربعة كاف لإثبات وجوب إعفاء اللحية وحرمة حلقها فكيف بها مجتمعة.

---

(١) صحيح : خرجه البخاري (٥٨٩٣).

(٢) صحيح : خرجه مسلم (٢٦٠).

(٣) صحيح : خرجه البخاري (٥٨٨٥).

ب- ومن المخالفات أيضًا التى يفعلها الزوج فى هذه الليلة وضع الحناء فى قدمه ويده؛ وهذا غير جائز بالنسبة للرجال إلا فى حال التداوي لأن هذه زينه لا تكون إلا للنساء فقط.

لكن يجوز للرجل إذا شاب شعر رأسه أو لحيته أن يستخدم الحناء فى صبغ شعر الرأس أو اللحية.

ج - جلوس العروسين على منصة - وهى ما تسمى بالكوشة أو المسرح - بين النساء والرجال:

وهذا خطأ كبير وهو محرم لأمور منها: أن فيه دخولًا على النساء إذا كانت هذه المنصة فى حضور مجالس النساء.وقد قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»[1].

وفيه التمكن من نظر الرجال إلى النساء بعضهم إلى بعض لاسيما وكلا الجنسين فى كامل زينته، بل هناك من الشباب من يحضر خصيصًا ليستمتع بمشاهدة العروس فوأسفاه على موت الرجولة والشهامة والنخوة فى قلوب كثير من الرجال حيث يجعلون محارمهن مشاعًا وعرضًا وكلًا مباحًا للقاصي قبل الداني.

وتناسى الجميع فى مثل هذه المناسبات قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور ٣٠:٣١].

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من الأمور المنكرة التى استحدثها الناس فى هذا الزمان وضع منصة للعروس بين النساء يجلس عليها زوجها بحضرة النساء السافرات المتبرجات وربما حضر معه غيره من أقاربه وأقاربها من الرجال. ولا يخفى على ذوي الفطرة السليمة والغيرة الدينية ما فى هذا العمل من الفساد الكبير وتمكن الرجال الأجانب من مشاهدة النساء الفاتنات المتبرجات وما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة. فالواجب منع ذلك والقضاء عليه حتمًا لأسباب الفتنة وصيانة للمجتمعات النسائية مما يخالف الشرع المطهر.

وإنى أنصح جميع إخوانى المسلمين بأن يتقوا الله ويلتزموا شرعه فى كل شيء وأن

---

(١) صحيح : خرجه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢).

يحذروا كل ما حرم الله عليهم وأن يبتعدوا عن أسباب الشر والفساد فى الأعراس وغيرها التماسا لرضى الله سبحانه وتعالى وتجنبًا لأسباب سخطه وعقابه.

ومن المخالفات القريبة من هذا : زف العريس مع العروس بين النساء والرجال، وقد وجه سؤال لفضيلة الشيخ ابن جبرين وفيه:

هل يجوز زف العريس مع العروس بين النساء فى الأفراح؟

فأجاب فضيلته: لا يجوز هذا الفعل فإنه دليل على نزع الحياء وتقليد لأهل الخنا والشر بل الأمر واضح فإن العروس تستحي أن تبرز أمام الناس فكيف تزف أمام الأشهاد.

د - تبرج النساء وخروجهن إلى مثل هذه المناسبات عرايا أو شبه عرايا:

وقد تكون المرأة مختمرة وتتبرج فى هذه الليلة بدعوى أنها ليلة العمر فهذا حرام وفاعلته ملعونة؛ لحديث النبى ﷺ :«صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد على مسيرة كذا وكذا»(١).

* وقوله ﷺ: «كاسيات عاريات» : أى كاسيات بنعمة الله عاريات عن شكرها، أو كاسيات ببعض الثياب عاريات البعض الآخر، أو كاسيات فى الظاهر عاريات فى الحقيقة لأن الثوب شفاف يظهر ما وراءه. «مميلات» : أى يعلمن غيرهن مشية التبختر والخيلاء. «مائلات» : أى يمشين مشية التبختر والخيلاء. «رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»: أى يعظمن شعورهن ويضعن فيها ما يعظمها حتى تصير كأسنمة البخت- أى الجمال.

ومن المخالفات فى الأفراح خروج النساء متعطرات:

ولتذكري يا أختاه حديث رسول الله ﷺ : «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى كذا وكذا»(٢) وفى رواية أخرى :«أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية»(٣).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٢) حسن : أخرجه أبو داود (٤١٧٣) والترمذي (٢٧٨٦) والنسائي (١١/١٩٨).

(٣) التخريج السابق .

قيام بعض النساء بالرقص فى الحفلات:

فمن أشد المنكرات رقص النساء على مرأى الرجال الأجانب وتمايل وتتكسر وتتحرك فى خلاعة وعدم حياء. وهذا بجانب أنها متبرجة سافرة تبدى مفاتنها، وبجانب وجود الموسيقى الصاخبة والتى تجعل المرأة والرجل فى حالة عدم اتزان، وغير ذلك من العوامل والتى تزيد من الشهوة وتساعد على الانحلال.

بل هناك طامة كبرى: وهو أنك تجد بعض الذكور وليس الرجال يتشبهون بالنساء فى رقص وغناء وتمايل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بل هناك طامة أشد وأكبر:وهو أن يلبس بعض الذكور من الشباب من المخنثين بعض بدل الرقص الخاصة بالراقصات الفاجرات ويحلقون شعورهم - إن كان لهم شعر - ويتمايلون كما تتمايل النسوان.

فهؤلاء مطرودين من رحمة الله كما أخبر بذلك النبي ﷺ:«لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»(١).

ومن مخالفات الأفراح ما يعرف بالزغاريد:

ويتسابق النساء فى مثل هذه المناسبات فى إطلاق الزغاريد، بل يتسابقن فى أيتهن أندى صوتًا وأطول نفسًا فكل هذا غير جائز، فإنه قد يغري بهم الفساق، وأمر المرأة مبني على الستر، والسلامة لا يعدلها شيء. وقد جاء فى فتاوى اللجنة الدائمة (١٩/١١٦) رقم (٣٦٢٧) أن الزغاريد فى حكم الغناء يعنى أنها لا تجوز.

الاختلاط:

والاختلاط هو اجتماع الرجال والنساء غير المحارم فى مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانعٍ يرفع الريبة والفساد، والعفة حجاب يمزقه الاختلاط، وقد حرم الإسلام الاختلاط والأدلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بآية وحديث لبيان المقصود ولعدم الإطالة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وهذا النداء لرجال الصدر الأول

---

(١) تقدم وهو في «الصحيح».

من صحابة الرسول ﷺ ممن لا تتطاول إليهم الأعناق أنهم إذا سألوا أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات أن يسألوهن من وراء حجاب بلا اختلاط.

ثم يأتي النبي ﷺ بعد ذلك ليبين ويشرع لنا عدم الاختلاط وأن هذا الأمر غير جائز حتى فى دور العبادة وهي أطهر بقاع الأرض مع أطهر قلوب وذلك لأداء أشرف العبادات، لحديث ابن عمر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ لما بنى المسجد جعل بابًا للنساء وقال: «لا يلج من هذا الباب من الرجال أحد»[١].

وعند البخارى[٢] من حديث أم سليم رضي الله عنها قالت: إن النساء فى عهد رسول الله ﷺ كنَّ إذا سلمن قمن وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال.

قال الحافظ : فى الحديث كراهة مخالطة الرجال للنساء فى الطرقات فضلًا عن البيوت.

المصافحة لغير المحارم:

ومصافحة الرجال للنساء الأجنبيات اللاتى يجوز لهم الزواج بهن حرام، وهى معصية عمت بها البلوى وصارت عرفًا اجتماعيًا سائرًا بين أغلب الناس وهو عرف فاسد يخالف ويحاد شرع الله ورسوله وفى مثل هذه المناسبات تجد هذا الأمر – المصافحة – على أشده بل هناك من الرجال من يتصدر المجلس ويسلم على كل الوفود أو امرأة تكون فى استقبال الناس وتسلم على الأضياف بما فيهم الرجال.

ولو أنكرت عليهم فعلهم وقلت: إن هذا حرام وغير جائز وأقمت عليهم الحجة بالبرهان والدليل اتهموك بالرجعية والتعقيد وقطع الرحم والتشكيك فى النوايا الحسنة، وللأسف فهذا من الأعراف الاجتماعية الفاسدة ومن باطل عادات الناس التى علت وطفت على كلام الله ورسوله ﷺ. فقد أخرج الطبرانى فى «الكبير» من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٣].

---

(١) خرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٣١٣).

(٢) (٨٦٦).

(٣) صحيح : انظر «صحيح الجامع» (٥٠٤٥).

وعند الطبرانى كذلك أن النبى ﷺ قال: «لا أمس أيدى النساء». وليس هناك من هو أطهر قلبًا من رسول الله ﷺ.

وفى «صحيح مسلم» من حديث عائشة ﵂ قالت: ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام[١].

وهل هناك أطهر قلبًا من قلب النبى ﷺ ؟! ومع ذلك يعلنها النبى ﷺ: «إنى لا أصافح النساء».

التصوير بالكاميرا أو الفيديو للعروسين وللحضور وسماع الأغانى والمعازف:

وقد حرم الإسلام علينا تصوير ذوات الأرواح وهو سبب لعدم دخول الملائكة البيت؛ لحديث عائشة ﵂ قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لى بقرام فيه تماثيل - وفى رواية أخرى - فيه الخيل ذوات الأجنحة - فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: «يا عائشة أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله»[٢].

وفى رواية: «يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» ثم قال: «إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة» قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين.

قال الحافظ فى «الفتح»:

* لا فرق فى تحريم الصور بين أن تكون الصورة بها ظل أو لا، ولا من أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منسوخة.

فتبين من هذا أن أصل التصوير محرم بإطلاق.

استئجار الراقصين والراقصات والمغنين والمغنيات:

استقدام المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات الى مثل هذه الأفراح والذين يرقصون ويغنون حتى ساعات متأخرة من الليل فلا يرحمون صراخ الصغير ولا تعب المريض ولا راحة المتعب ثم يصعد بعض السفهاء على المسرح ويلقي بالمال على رؤوس الراقصات وما علم هذا المسكين أنه سيسأل عن هذا المال من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وترى هذا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧١٣) ومسلم (١٨٦٦).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

الرجل يلقي بهذا المال أو يدفع نقوط (النقطة) وتجد أولاده فى أشد حاجة إلى هذا المال ولكن هذه هى ضريبة المظاهر الكاذبة.

ثم هناك كلمة لأولياء الأمور الذين استأجروا المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات. اعلموا أن كل من شاهد وسمع ما يغضب الله عز وجل فأنتم لكم نصيب فى هذا الإثم، كذلك فإن الله سائلكم عن هذا المال الذى دفعتموه لهؤلاء لحديث أبى برزة أنه ﷺ قال: **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟»** (١).

فليعلم هؤلاء الأباء والذين يسارعون فى عمل مثل هذه الأفراح الممنوعة الغير مشروعة أنهم موقوفون بين يدى الله يوم القيامة ومن عرف أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

هذا وقد وجه سؤال إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله جاء فه:

ومن المخالفات والأخطاء فى مثل هذه المناسبات ما يسمى بالنقطة:

وهي ما يدفعه بعض الأقارب والأصحاب من أموال فى أثناء الاحتفال بالزفاف ويقوم المغني أو الراقص أو الراقصة بإعلان هذا أمام الحاضرين. مما يدفع البعض إلى المسارعة أيهما يدفع أكثر لما فى ذلك من المفاخرة والمباهاة وحب العلو والظهور والتسميع، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، هذا فيه كسر لقلوب الفقراء والنظر إلى من يدفع بسخاء بعين الازدراء والحقد والحسد. والأولى إعطاء هذا المال أو الهدية إلى الزوجين سرًا ولا يخبر به أحدًا.

شرب الخمر والمخدرات:

ففى بعض الأفراح يجتمع الحضور على شرب الحشيش والبانجو والمخدرات والخمور وهذا حرام بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ولنعلم جميعًا أيها الأحبة أن من شؤم هذه المناسبات أن تنقلب هذه الأفراح إلى غم ونكد بعدما تلعب الخمر برؤوس الناس وتخامر عقولهم فتبدأ المشاحنات والمشاجرات ويسدل الستار على هذا الحفل الكئيب ويبيت العروسان

(١) حسن : أخرجه الترمذي (٢٤١٦).

وأهلهما فى نكد دائم وحسرة على هذه النهاية المؤلمة لليلة العمر كما يسمونها ومازلنا نلهج ونقول: ما أحلى الرجوع إلى السنة.

السهر فى الأفراح حتى ساعة متأخرة من الليل مع وجود السماعات والأغانى الصاخبة:

فمن المخالفات الظاهرة فى أفراح المسلمين اليوم وجود مكبرات الصوت الضخمة الصاخبة والتى تؤذي عباد الله. فلا يستطيع طالب أن يذاكر دروسه ولا يستطيع متعب أن ينام وكم من مريض فى حاجة لنوم ساعة ليستريح من آلام المرض ولكنهم بهذه المكبرات يحيلون بينه وبين ذلك.

والله عز وجل حرم أذية عباده فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ .

ويقول النبى ﷺ : «والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»(١) ، وبوائقه : أي شروره.

وقال أيضًا ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»(٢) .

وأي إيذاء من أن تدخل عليه فى بيته ما لا يريد فتقلق نومه وتحرم ولده من مذاكرته ودروسه وتؤذى مريضه.

وإذا كان الإسلام قد نهى عن رفع الصوت حتى ولو بالقرآن، فقد أخرج أبو داود وأحمد بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناجٍ ربه فلا يؤذين بعضكم بعضًا»(٣) – لا يرفع بعضكم على البعض فى القراءة – وهذا النهي وقع عند رفع أصواتهم بالذكر والقرآن فكيف إذا كان بغناء.

وما أدراك ما غناء اليوم فإن فيه ما فيه من كلمات تخدش الحياء وتهدم المروءة وتزيد

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٦) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٠١٨) .

(٣) صحيح : خرجه أبو داود (١٣٣٢).

من الشهوة بل ويصحبه الآلات الموسيقية الصاخبة التى تحرك وتهيج النفوس الضعيفة على التمايل والرقص.

*فضلًا عن السهر فى الأعراس، حتى أنه ليفوت على كثير من الحضور صلاة الفجر المفروضة وأي بركة فى زواج سبب فى ترك حاضريه عن صلاة الفجر.

ومن المعلوم أن السهر المباح مكروه فكيف بالسهر فى أمر مخالف شرعًا، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ :كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها (١).

قال ابن باز رحمه الله :لا يجوز السهر إذا ترتب عليه ترك صلاة الفجر ولو كان لتعليم القرآن.

الإسراف الباهظ فى حفلات العرس:

إذا نظرت إلى أفراح المسلمين المشروعة تجد أنها تمت بدون تكلف وكانت بكل بساطة غناء متزن، ودف لإعلان النكاح، وقدح كبير من اللبن إن تيسر وإنشاد للأشعار وإظهار البهجة والفرح والسرور.

فأين هذا مما يفعله اليوم الكثيرون بداية يجعلون الزواج والفرح على مراحل خطبة - شبكة - عقد زواج - ليلة البناء.

وفى كل مناسبة من هذه المناسبات يكون إسراف وإنفاق للأموال الضخمة وربما استقرضوها بالربا وذلك للرياء والمفاخرة. فإنهم يتكلفون مالا يطيقون ويتنافسون على ما لا يقدرون، يقترضون ويستلفون ويسألون ويلحون وعلى الأعراس والولائم ينفقون وبالترف يتظاهرون حتى تتراكم الديون وعن الوفاء يعجزون.

زد على ذلك إصرار البعض على إقامة مثل هذه الحفلات فى الفنادق فيجمع فى هذا بين الإسراف والتبذير من جهة ومن الإثم الحاصل من استجلاب المغنيين والمغنيات والاستمتاع على النغمات والألحان التى تهيج النفوس وتترك أثرها السيء فى القلوب. مع ما يرافق هذه الاجتماعات وتلك الحفلات من محرمات كاختلاط الرجال والنساء وهن شبه عاريات. وكل ذلك لإرضاء الناس ولو بغضب الله. وكذلك جعلنا من أفراحنا- بسبب

---

(١)صحيح : أخرجه البخاري (٥٤٧).

الإسراف - سبب في شقائنا كما جعلنا مآتمنا كذلك.

وهناك صورة أخرى من صور الإسراف والتبذير :

وهى تصميم العروس على شراء فستان الزفاف الأبيض الطويل وهو ذو ثمن غال جدًا وهذا من الإسراف فضلًا على أنه لا يلبس إلا هذه الليلة فقط. فى حين أنها لو لبست أي ثياب يتم الزفاف وقضى الأمر. بل يجوز لها أن تستعير ثوبًا لزفافها وشيئًا تتزين به لزوجها ثم بعد ذلك ترده فقد جاء فى السنة ما يدل على ذلك.

الإسراف فى وليمة العرس:

فقد أصبح الناس- بتحريض من جهلة النساء- يتنافسون فى إنفاق الأموال الطائلة لإعداد وليمة العرس بما يزيد عن حاجة المدعوين إليها وتكون النتيجة أن يلقى بالطعام في مواضع القمامة في حين لا يجد الفقير ما يسد به رمقه؟!

وحذر النبى ﷺ من الإسراف فقال: «**كلوا واشربوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة، إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[١].

وهناك مخالفة أخرى تفعل فى الولائم ألا وهى دعوة الأغنياء دون الفقراء:

لحديث النبى ﷺ : «**وشر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها المساكين ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[٢].

ومن البدع والأخطاء الجسيمة التى تفعل فى بعض المجتمعات:

خروج مجموعة من الرجال والنساء فى صورة زفة يحملون قطعة من القماش عليها دم البكارة:

ومن الخطأ الفادح الفاضح أن بعض الأقارب والجيران والضيوف ينتظرون أمام المنزل فإذا ما انتهى اللقاء بين الزوجين خرج الزوج ومعه قطعة قماش أو خرقة أو قميص نوم زوجته وعليه دم البكارة عندئذ ينطلق أهل الزوجة بالغناء والزغاريد ومعهم هذه الخرقة أو هذا القميص ويطوفون به فى الشوارع والطرقات.

---

(١) حسن : أخرجه النسائي (٦/٢٠٢) وابن ماجه (٣٦٠٥).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢).

يقول الشيخ على محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ فى كتابه «الإبداع فى مضار الابتداع» :

ومن الخطأ البين الطواف حول القرية بقميص العروس ملونًا بدم البكارة ولهم فى طوافهم بالقميص وحين فض البكارة كلام تخجل منه الإنسانية وقد ماتت هذه البدعة السيئة لدى الأغنياء والأوساط الراقية ولكنها باقية فى بعض القرى.

* ونظرًا لوقوف الأهل خارج المنزل وانتظارهم النتيجة للحكم على البنت يقوم الزوج بخطأ جسيم آخر وفعل فاضح يقدح برجولته حيث يقوم بفض غشاء البكارة بالإصبع، عن طريق إمساك امرأة برجل العروس اليمنى وإمساك أخرى بالرجل اليسرى وإعطاء الزوج قطعة قماش ليتم بها الذبح.

فهذا مع مخالفة الشرع والفطرة فيه ضرر على الزوجة حيث يحدث تهتكات وتمزقات وآلام لا حصر لها بجانب اطلاع النساء على عورة الزوجة بجانب خدش الحياء عند الزوجة وغير ذلك من الأضرار.

ومن الأخطاء التى تفعل نشر أسرار الفراش :

حيث يقوم البعض بسؤال الزوج بعد أول لقاء مع زوجته على الفراش بسؤاله عن الأحوال وكيف تم الجماع ويقوم هذا المسكين بشرح ما قام به ولا يتصور هذا المسكين أن كل ما يحكيه ينقلب إلى صورة فى ذهن المستمع ويتخيل هذه الزوجة بل ربما طاقت نفسه للوصول إليها.

وقد يُفعل هذا الأمر أيضًا بالنسبة للنساء حيث يكون فى استقبال العروس بعد هذا اللقاء مجموعة من النسوة ثم يسألنها عما حدث وتحكي العروس، ما علم الزوج والزوجة أن هذا الأمر مخالف للشرع.

لحديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى على امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[1].

ترك العروس الصلاة ليلة الزفاف:

فإنها تستعد لليلة زفافها من بعد صلاة الظهر عادة فتغتسل وتتزين وتضع المساحيق،

---

(١) صحيح : خرجه مسلم (١٤٣٧) .

وتلبس ثياب العرس وغير ذلك وربما نسيت الصلاة وهذا حرام بلا خلاف.

ومن المخالفات أيضًا ترك الزوج لصلاة الجماعة:

ترك الزوج الصلاة فى المسجد بعد البناء لمدة أسبوع وما فعل هذا إلا لفهم مغلوط مقلوب لقول النبى ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه قال: من السنة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب أقام عندها سبعًا ثم قسم وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثًا ثم قسم[1] أي أن الرجل إذا كان له أكثر من زوجة فإنه إذا تزوج البكر مكث عندها سبع ليال وإذا كانت ثيبًا ثلاثًا ثم يقسم بين زوجاته فى الأيام وليس فى الحديث أنه يمكث عند البكر سبع ليال وعند الثيب ثلاثًا دون الخروج لأداء الصلاة فى جماعة.

★ ★ ★

(١) البخاري (٥٢١٤).

وصية الشيخ الألباني : إلى الزوجين[١]

أولا : أن يتطاوعا ويتناصحا بطاعة الله، واتباع أحكامه الثابتة في الكتاب والسنة، ولا يقدما عليها تقليدًا أو عادة غلبت على الناس، أو مذهبًا فقد قال ﷻ : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ثانيا : أن يلتزم كل واحد منهما القيام بما فرض الله عليه من الواجبات والحقوق تجاه الآخر، فلا تطلب الزوجة - مثلًا - أن تساوي الرجل في جميع حقوقه، ولا يستغل الرجل ما فضله الله تعالى به عليها من السيادة والرياسة فيظلمها، ويضربها بدون حق، فقد قال الله ـ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وقد قال معاوية بن حيدة ﷺ : يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تقبح الوجه، ولا تضرب ولا تهجر إلا في البيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليهن»[٢].

وقال ﷺ: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين

(١) من كتاب (آداب الزفاف) لفضيلة الشيخ الألباني رحمه الله.
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٦٨).

يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(١).

فإذا هما عرفا ذلك وعملا به، أحياهما الله تبارك وتعالى حياة طيبة، وعاشا - ما عاشا معًا - في هناءة وسعادة، فقد قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ثالثا: وعلى المرأة بصورة خاصة أن تطيع زوجها فيما يأمرها به في حدود استطاعتها، فإن هذا مما فضل الله به الرجال على النساء كما في الآيتين السابقتين: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، وقد جاءت أحاديث كثيرة صحيحة مؤكدة لهذا المعنى، ومبينة بوضوح ما للمرأة، وما عليها إذا هي أطاعت زوجها أو عصته، فلا بد من إيراد بعضها، لعل فيها تذكيرًا لنساء زماننا، فقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الحديث الأول: «لا يحل لامرأة أن تصوم - وفي رواية: لا تصم المرأة - وزوجها شاهد إلا بإذنه غير رمضان، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»(٢).

الثاني: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح»، وفي رواية: «أو حتى ترجع»، وفي أخرى: «حتى يرضى عنها»(٣).

الثالث: «والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٩٦٨).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٩٥).
(٣) تقدم تخريجه.

وهي على قتب لم تمنعه من نفسها»[١].

الرابع :«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[٢].

الخامس :عن حصين بن محصن قال : حدثتني عمتي قالت : أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال : «أي هذه أذات بعل؟» قلت : نعم، قال : «كيف أنت له؟» قالت : ما آلوه : (أي لا أقصر في طاعته وخدمته) إلا ما عجزت عنه، قال : «فانظري أين أنت منه ؟ فإنما هو جنتك ونارك»[٣].

السادس :«إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) صحيح : انظر «صحيح الترغيب» (١٩٩٣٣) .

فصل في هديه في النكاح ومعاشرته ﷺ أهله

صحَّ عنه ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ، مِن دُنْيَاكُم: النِّسَاءُ، والطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ»[١] هذا لفظُ الحديث، ومن رواه «حُبِّبَ إِلَيَّ من دنياكم ثلاث»، فقد وهم، ولم يقل ﷺ: «ثلاث» والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تُضاف إليها.

وكان النساء والطيب أحبَّ شيء إليه، وكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وكان قد أُعطي قوة ثلاثين في الجماع وغيره، وأباح الله له من ذلك ما لم يُبحه لأحد من أمته.

وكان يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة، وأما المحبة فكان يقول: «اللهمَّ هذا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا لاَ أَمْلِكُ»[٢] فقيل: هو الحبُّ والجماع، ولا تجب التسوية في ذلك، لأنه مما لا يُملك.

وهل كان القَسْمُ واجبًا عليه، أو كان له معاشرتهن من غير قَسْم؟ على قولين للفقهاء.

فهو أكثر الأمة نساءً، قال ابن عباس: تزوجوا، فَإِنّ خيرَ هذه الأُمةِ أكثرها نساءً[٣].

وطلَّق ﷺ، وَراجَع، وآلى إيلاءً مؤقتًا بشهر، ولم يظاهر أبدًا، وأخطأ من قال: إنه ظاهر خطًا عظيمًا، وإنما ذكرته هنا تنبيهًا على قبح خطئه ونسبته إلى ما برَّأه الله منه.

وكانت سيرته مع أزواجه: حُسْنَ المعاشرة، وحُسْنَ الخلق.

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها، وكان إذا هوت شيئًا لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه في موضع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عَرقًا - وهو العَظْمُ الذي عليه لحم - أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨ . ١٩٩ . ٢٨٥) والنسائي (٧/ ٦١ . ٦٢).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٦/ ١٤٤) وأبو داود (٢١٣٤) والترمذي (١١٤٠) والنسائي (٧/ ٦٤) وفي «الكبرى» له (٥/ ٢٨١) وابن ماجه (١٩٧١).

(٣) البخاري (٥٠٦٩) عن سعيد بن جبير: قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء.

في حِجْرِها، ويقرأ القرآن ورأسه في حِجرِها، وربما كانت حائضًا، وكان يأمرها وهي حائض فَتَتَّزِرُ ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خُلُقه مع أهله أنه يمكِّنها من اللعب، ويريها الحبشة وهم يلعبون في مسجده، وهي متكئة على منكبيه تنظر، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة.

وكان إذا أراد سفرًا، أقرع بين نسائه (١)، فأيتهنّ خرج سهمها، خرج بها معه، ولم يقضِ للبواقي شيئًا، وإلى هذا ذهب الجمهور.

وكان يقول: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيرُكُم لأهلي» (٢)، وربما مدّ يده إلى بعض نسائه في حضرة باقيهن (٣).

وكان إذا صلى العصر، دَارَ على نسائه، فدنا منهن واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل، انقلب إلى بيت صاحبة النَّوبة، فخصَّها بالليل.

وقالت عائشة: كان لا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعضٍ في مُكْثِهِ عِنْدَهُنَّ في القَسْمِ، وقلَّ يومٌ إلا كان يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغَ التي هو في نوبتها، فيبيتَ عندها (٤).

وكان يَقْسِمُ لثمان منهن دون التاسعة، ووقع في «صحيح مسلم» (٥) من قول عطاء أن التي لم يكن يقسم لها هي صفية بنت حُيَيٍّ، وهو غلط مِن عطاء رَحِمَهُ اللهُ وإنما هي سودة، فإنها لما كَبِرَت وهبت نوبتها لعائشة (٦).

وكان ﷺ يقسِم لعائشة يومها ويومَ سودة، وسبب هذا الوهم -والله أعلم- أنه كان قد وَجَدَ على صفيَّة في شيء، فقالت لعائشة: هل لَكِ أن تُرضي رسول الله ﷺ عَنِّي، وأَهَبَ

---

(١) البخاري (٢٦٨٨) من حديث عائشة .

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وانظر «الصحيحة» (٢٨٥).

(٣) مسلم (١٤٦٢) عن أنس قال: كان للنبي ﷺ تسع نسوة... فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها. فكان في بيت عائشة، فجاءت زينب. فمد يده إليها.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٣٥) وصححه الألباني : .

(٥) مسلم (١٤٦٥).

(٦) البخاري (٥٢١٢) ومسلم (١٤٦٣) عن عائشة رضي الله عنها أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة.

لَكِ يومي؟ قالت: نعم، فقعدت عائشةُ إلى جنب النبي ﷺ في يوم صفية، فقال: «إِلَيْكِ عَنِّي يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ لَيسَ يَومَكِ» فقالَت: ذَلِكَ فَضلُ الله يُؤتيه من يَشاء وأخبرته بالخبرِ، فرضيَ عنها[(١)].

وإنما كانت وهبتها ذلك اليومَ وتلك النَّوبَة الخاصة، ويتعين ذلك، وإلا كان يكون القسم لسبع منهن، وهو خلاف الحديث الصحيح الذي لا ريب فيه أن القسم كان لثمانٍ، والله أعلم.

ولو اتفقت مثل هذه الواقعة لمن له أكثر من زوجتين، فوهبت إحداهن يومها للأخرى، فهل للزوج أن يُواليَ بين ليلة الموهوبة وليلتها الأصلية وإن لم تكن ليلة الواهبة تليها، أو يجب عليه أن يجعل ليلَتها هي الليلة التي كانت تستحقها الواهبة بعينها؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره.

وكان ﷺ يأتي أهلَه آخرَ الليل، وأوله، فكَانَ إذا جامع أول الليل، ربما اغتسل ونام، وربما توضأ ونام[(٢)].

وذكر أبو إسحاق السَّبيعي عن الأسود عن عائشة أنه كان ربما نام، ولم يَمسَّ ماء[(٣)] وهو غلط عند أئمة الحديث، وقد أشبعنا الكلام عليه في كتاب «تهذيب سنن أبي داود» وإيضاح علله ومشكلاته.

وكان يطوف على نسائه بغسل واحد[(٤)]، وربما اغتسل عند كل واحدة، فعل هذا وهذا.

وكان إذا سافر وَقَدِمَ، لم يطرُقْ أهله ليلاً[(٥)]، وكان ينهى عن ذلك[(٦)].

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٩٧٣).

(٢) البخاري (٢٨٨).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٢٢٨) والترمذي (١١٨) وابن ماجه (٥٨٣).

(٤) مسلم (٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) البخاري (١٨٠٠) ومسلم (١٩٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) البخاري (١٨٠١) ومسلم (٣/ ١٥٢٨) (١٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

المنهج النبوى فى التعامل مع النساء[١]

لقد أمر الله تعالى بأن يُعاشر النساء بالمعروف فقال جل ذكره: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، والمعروف كلمة جامعة لكل فعل وقول وخلق نبيل.

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «التفسير»: أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

وقال رسول الله ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» [٢]، وكان من أخلاقه ﷺ: أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ويضاحك نساءه.

لقد كان ﷺ القدوة الحسنة لأمته، والنموذج البشري الكامل قال جلّ ذكره: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ والحديث عن هديه ﷺ مع النساء حديث طويل متشعب ولا غرو فقد أوضح لأمته: «أنهن شقائق الرجال» [٣].

ولعلي أقصر حديثي عن هديه الشريف مع نسائه، أو بعبارة أخرى: كيف عاش ﷺ زوجًا؟ وكيف تعامل مع نسائه؟ وكيف راعى نفسياتهن؟ وماهي وصاياه وإرشاداته للرجال بضرورة رعاية حقهن زوجات، وأمهات لأولادهم؟ وحسبي أن أسوق بعض الأحاديث دون شرح أو تعليق فهي كافية في إيضاح المراد مكتفيا بالإشارة إلى بعض ماتدل عليه تلك الأحاديث الشريفة:

فقد أوصى بهن خيرًا في نصوص كثيرة: منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» [٤].

وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة

---

(١) للدكتور محمد على الغامدى، عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بجدة.

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي ٣٨٩٥ وابن ماجه (١٩٧٧) .

(٣) حسن : أخرجه أبو داود (٢٣٦) والترمذي (١١٣) .

(٤) حسن أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) .

خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها»[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خيارهم لنسائهم»[٢] وفي لفظ: «وألطفهم بأهله»[٣] .

وعن بهز قال: حدثني أبي عن جدي قال: قلت: يا رسول الله: نساؤنا ما نأتي منها و ما ندع؟ قال: «حرثك أنى شئت غير أن لا تقبح الوجه ولا تضرب وأطعمها إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت ولا تهجرها إلا في بيتها كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض إلا بما حل عليها»[٤] .

وخوّف ورهّب من تزوج بأكثر من واحدة ثم لم يعدل بينهن: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل»[٥] .

وأرشد بفعاله ومقاله إلى أهمية مراعاة ما طبعن عليه من الغيرة: عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: «غارت أمكم كلوا»[٦] فأكلوا فأمر حتى جاءت بقصعتها التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت» فقلت: بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي آخر[٧] .

وقالت أيضًا: التمست رسول الله ﷺ فأدخلت يدي في شعره فقال: «قد جاءك شيطانك؟» فقلت: أما لك شيطان؟ قال: «بلى»، ولكن الله أعانني عليه فأسلم[٨] .

---

(١) صحيح : انظر «صحيح الجامع» (١٩٤٤).

(٢) حسن صحيح : أخرجه الترمذي (١١٦٢) .

(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٢٦١٢) .

(٤) حسن صحيح : أخرجه أبو داود (٢١٤٣) .

(٥) صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٩٦٩) .

(٦) البخاري (٥٢٢٥) .

(٧) مسلم (٤٨٥) .

(٨) مسلم (٢٨١٥) .

وكان ﷺ وفيًا لنسائه غاية الوفاء حتى بعد وفاتهن: فعن عائشة ﵂ قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ لها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين.

كما كان عليه ﷺ يتيح لهن أن ينفذن شيئًا من غيرتهن بحيث لا يتجاوزن الحد المشروع، ويضفي على سلوكهن ذلك المرح والابتسامة.

فعن أبي سلمة قال: قالت عائشة ﵂: زارتنا سودة يومًا فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها حريرة أو قال خزيرة فقلت: كلي فأبت فقلت: لتأكلي أو لألطخن وجهك فأبت فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها تستقيد مني فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك، فإذا عمر ﵁ يقول: يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر فقال لنا رسول الله ﷺ: «قوما فاغسلا وجوهكما فلا أحسب عمر إلا داخلًا»(١).

بل إنه ﷺ بيّن لأمته أن اللهو واللعب مع الزوجة مما يثاب عليه الرجل، بل لا يعد من اللهو أصلًا.

ففي حديث عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاريين يرميان فمل أحدهما فجلس فقال الآخر: كسلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ولهو إلا أربعة خصال: مشي بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة»(٢). وكان يراعي فيهن حالهن والسن التي كان عليها بعضهن فعن عائشة ﵂ قالت: كنت ألعب بالبنات فربما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأين رسول الله ﷺ فررن، فيقول رسول الله ﷺ: «كما أنت وكما أنتن»(٣). وكان إذا بدر منهن شيء يسوؤه لم يكن يقابله إلا بالحكمة واللطف. فعن أنس بن مالك ﵁ قال: كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر وكان ذلك يومها فأبطت في المسير فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي

---

(١) الصحيحة (٣١٣١).

(٢) صحيح: انظر «صحيح الجامع» (٤٥٣٤).

(٣) البخاري (٦١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠).

تبكي وتقول: حملتني على بعير بطيء فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها فأبت إلا بكاء فغضب رسول الله ﷺ وتركها فقدمت فأتت عائشة فقالت: يومي هذا لك من رسول الله ﷺ إن أنت أرضيته عني فعمدت عائشة إلى خمارها وكانت صبغته بورس وزعفران فنضحته بشيء من ماء ثم جاءت حتى قعدت عند رأس رسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: «ما لك؟» فقالت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فعرف رسول الله ﷺ الحديث، فرضي عن صفية وانطلق إلى زينب فقال لها: «**إن صفية قد أعيا بها بعيرها فما عليك أن تعطيها بعيرك**» قالت زينب: أتعمد إلى بعيري فتعطيه اليهودية فهاجرها رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر فلم يقرب بيتها وعطلت زينب نفسها وعطلت بيتها وعمدت إلى السرير فأسندته إلى مؤخر البيت وأيست أن يأتيها رسول الله ﷺ فبينما هي ذات يوم إذا بوجس رسول الله ﷺ فدخل البيت فوضع السرير موضعه فقالت زينب: يا رسول الله جاريتي فلانة قد طهرت من حيضتها اليوم هي لك، فدخل عليها رسول الله ﷺ ورضي عنها»[(١)].

* * *

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (١٩٧٣).

هدي النبي ﷺ في تربية الزوجة

أيها الزوج الكريم:

لقد أمرنا الله تعالى برعاية الأهل والقيام عليهم، وأخبرنا أن القيامَ عليهم وأمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر هو وقايةٌ لهم من عذاب الله، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وتقع المسؤوليةُ على كل ذي مسئوليةٍ أيًّا كان من زوج أو أب أو أخ أو راعٍ يقومُ على رعايةِ أهله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله سائلٌ كلَّ راعٍ عما استرعاه، أحفِظ ذلك أم ضيع، حتى يسألَ الرجلَ على أهل بيته»(١).

فأهلُ بيتك أيها المسلمُ هي مسئوليةٌ ستسأل عنها يوم القيامةِ وتحاسبُ على التقصير فيها، لأنها أمانةٌ من ضمن الأماناتِ التي حُمِّلتهَا ونأت عن حملها السماواتِ والأرضِ والجبال.

عباد الله: إن الأسرةَ المسلمةَ ترتكز في بدايتها على شخصين كريمين، الزوجُ والزوجة، ونظرًا في التفريطِ الواضحِ في تربيةِ الزوجاتِ من قِبَل أزواجهن وكثرةِ إهمالهن والتفريطِ في شؤونهن الدينيةِ والتقصيرِ في تعليمهن، شاعت الفواحشُ في كثير من الزوجات، وانتشرت المنكراتُ في حياتهن، وكثُرة الخيانات مع أزواجهن، وعمّ الجهل في أوساطهن، وما ذاك إلا بسبب تفريطِ الرجالِ في تعليمهنِ أمورَ دينهن.

لقد كان النبي ﷺ يعلم زوجاتهِ أمورَ العقيدة، ويخبرهن بتوحيد الله وعظمته سبحانه، كان ﷺ فيما يقول لعائشةَ رضي الله عنها: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ»، فتقول له عائشة: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ

(١) حسن صحيح: انظر «صحيح الترغيب» (١٩٦٦).

يوم القيامةِ من حوسب يا رسولَ الله كيف تقولُ أي: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﷿ عُذّب، والله يقول عن صاحب اليمين الذي يُؤتَى كتابه بيمينه: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فيقول النبي ﷺ موضحًا ومعلمًا وشارحًا لها أمرًا من أمور العقيدة «**لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَاكِ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**» (١).

وكان مما يعلمه ﷺ لزوجاته الأذكارُ والاستعاذةَ من الشرور كأذكار الصباح والمساء، وكيف تستعيذُ بالله من الشرور.

عن عائشة ﵂ قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي ثم أشار إلى القمر، فقال: «**يا عائِشَةُ اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هذا، فإنَّ هذا هوَ الغاسِقُ إذا وَقَبَ**» (٢).

لقد فسر لها تلك الآية من سورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وأوضح لها المراد لما أخذ بيدها وأشار إلى هذا القمر، وأنه آية الليل في السماء، وأمرها أن تستعيذ بالله من شره؛ فإن الشرور تحدث في الليل كما تحدث في النهار.

وكان يربي ﷺ نساءه على الخوف من الله تعالى فإذا ظهر سحاب في السماء أو أقبلت ريح من هنا وهاهنا دخل وخرج وتغير لونه وانزعج، تقول عائشة ﵂ وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذلِكَ فِي وَجْهِهِ، فتقول له: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ ؟ فماذا كان رده ﷺ ؟ لقد انتهز هذا السؤال ليخوفها بالله، ويبين لها كيف يكون المؤمنُ في عدم أمنه من مكر الله، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا هذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**» (٣).

وهكذا يكون تخويف الزوجة بالله، وتوضيحُ عذابِ الله لها، وأن المسلمَ لا يأمن مكر الله جل وعلا، وحتى لا تستعجلَ الزوجةُ في الإجابة عن شيء أو تتسرعْ في الحكم على شيء كان من هدي النبي ﷺ في تربيته لزوجاته تحذيرهن من القول على الله بغير علم.

---

(١) البخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٦٦).

(٣) البخاري (٤٨٢٩).

وهنا يعلِّم الزوج زوجته مفهومًا مهمًا من المفاهيم الإسلاميةِ وقاعدةً من القواعد العظيمة في الدين، وهي: عدمُ جوازِ القولِ على الله بغير علم، أو الحكمِ على الأشياء بغير دليل شرعي.

فعن عائشة ﵂ قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(١).

قال الإمام النووي : أجمع علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، والجواب عن هذا الحديث: أنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة.

ونظرًا لكثرة آفات اللسان عند النساء؛ فإن على الزوجِ المسلمِ أن يراعي ذلك في زوجته، فإن الله تعالى قد ذكرهن داخلاتٍ في القوم وذكرهن منفصلاتٍ عنهم فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾.

فهؤلاء النساءِ داخلاتٍ في القوم، ثم كرر التنبيه سبحانه وخصهن بالنهي أيضًا، ولذلك ترى الغيبةَ والنميمةَ في أوساط النساء كثيرة، فماذا فعلْتَ أيها الزوجُ في موعظةِ ومقاومةِ هذه الأخلاق الرديئة.

إن النبي ﷺ لم يكن يرضى من زوجاته شيئًا ولو كان قليلًا يسيرًا، جاء في الحديث الصحيح عن عائشة ﵂، قالت: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي قَصِيرَةً ولم يكن الباعثُ لكلامها الازدراءُ والسخرية وإنما كان الغَيْرَة فقالَ لها موجهًا ومؤدبًا ومحذرًا: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِهَا الْبَحْرُ لَمَزَجَتْهُ»(٢) أي: لمزجته وطغت عليه من شدة وعظم هذه الكلمة قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا أي أنها مثلت له حركة أو قولًا فقالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي

(١) مسلم (٢٦٦٢).

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود (٤٨٧٥).

حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وكَذَا» أي ما يسرني أن أتحدث بعيبه.

وروى النسائي بإسناد صحيح في كتاب «عشرة النساء»، عن أنس ﷺ قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: ابنةُ يهودي أي أن حفصة قالت لصفية: هي ابنةُ يهودي فبكت صفية، فدخل عليها النبيّ ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يُبكيك؟» قالت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي، فقال النبيّ ﷺ: «إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي» - أي: إنك من سلالة موسى وهارون، فجدك موسى نبي، وأخوه هارونَ عمك نبي، وإنك لتحت نبي ﷺ فبم تفخر عليك، ثم قال: «اتقي الله يا حفصة»(١).

هذا هو النبي ﷺ في تعليمه لزوجاته وكيف يكون الموقف ممن زلَّ لسانها في حق أختها، ولو كان الدافع قويًا.

ومما ينبغي على الزوجِ المسلم في تربيته لزوجته: مقاومةَ ما يحصل لديها من المنكرات، مما تتخذه من اللباس أو الزينة ونحوِ ذلك، فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللهُ تعالى عن عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ: أنها اشترت نمرقة - أي ستارة - فيها تصاوير - من ذوات الأرواح - فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفت عائشة ﵂ في وجهه الكراهية، فقالت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ قال: «ما بال هذه النمرقة؟»، فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتتوسدها، فقال ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم»، ثم قال: «إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة»(٢).

وهكذا أنكر النبي ﷺ على عائشة بالفعل والقول، وليس بالضرب كما يفعل بعض الأزواج أو بتقبيح الوجه أو بالكلام الفاحش البذيء، وقارنوا يا عباد الله بين هذه التصرفات النبوية الشريفة اللبيبة، وبين ما يفعله بعض الناس اليوم، عندما يذهبون بزوجاتهم إلى السوق فيتركونهن في السوق ويعطونهن الأموال بناءً على طلبهن ورغبتهن، ثم تشتري المرأةُ ما تشتري من غير رقيب ولا حسيب من الأمور التي فيها منكراتٌ ومحرمات، من الألبسةِ التي فيها التصاويرِ أو صلبان، أو الآنية المطلية بالذهب والفضة، أو التماثيلِ من ذوات الأرواح

(١)صحيح : أخرجه الترمذي (٣٨٩٤) .

(٢)البخاري (٢١٠٥) ومسلم (٢١٠٧) .

لتوضع في البيوت للزينة، أو غيرِ ذلك من الأمور المحرمة، التي قد تُزين بها المرأةُ بيتها، والزوج ساكتٌ، بل إنه لا يتنبه فضلًا عن أن ينظر ويدقق، وليس هناك متابعةٌ ولا محاسبة، بل لم تعد القضيةُ قضيةَ تصاويرِ منقوشةٍ أو مرسومة، لقد تعدت المسألةُ إلى أمور محرمةٍ تدخُل البيوت، أمور فيها إهدارٌ للعرض الذي صانه الله، والشرفِ والكرامة التي جاءت بهما الشريعة، أمورٌ فيها إفساد للأولاد والبيت عمومًا، أشياءٌ من اللهو المحرم الذي يبعث عليه الشيطان، كل ذلك يدخل بيت الزوج عن طريق الزوجة أو غيرها، ولا يحرك ساكنًا، ولا يمنع منكرًا، فما هذه العيشة؟! وأي حياةٍ هذه؟! وعلى أيِّ شيء تقوم الأسرة ؟ ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾.

لقد كان رسول الله ﷺ يربي زوجاته على العبادة، كان يوقظهن ﷺ ويقول: «**أيقظوا صواحب الحجرات، أيقظوهن، ربَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة**»[(١)] هكذا كان ينذر ﷺ ويخوف، كان بيته شعلةً من النشاط الدائم في طاعة الله.. ذكرٌ بالنهار، وقيامٌ بالليل.. والآيات تتنزل على بيته وحجراته ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾.

وكانت المتابعة على العبادة، سواءً كانت بدنية أو مالية، فيقول ﷺ «**يا عائشة ! لا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك**»[(٢)].

أي :لا تبخلي بالصدقة وتمنعيها، إذًا: كانت المتابعة حتى في قضايا المستحبات، وليس فقط في قضايا الواجبات أو النهيِ عن المحرمات فقط.

وكان ﷺ يراعي أمور اللسان وفلتاته، حتى قضايا الفحش في الأعداء، فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت:

إنَّ اليهودَ أتوْا النبيَّ ﷺ فقالوا: السامُ عليك، قال: «وعليكم»، فقلت: السامُ عليكم ولعنكمُ اللهُ وغَضِبَ عليكم.

فقال رسولَ اللَّه ﷺ: «**مهلًا يا عائشة، عليكِ بالرفق، وإياكِ والعُنف أَوِ الفُحش**»، قالت: أَوَ لم

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٢١٩٦) .

(٢) البخاري (٢٥٩١) ومسلم (١٠٢٩) .

تَسمعْ ما قالوا؟ قال: «أَوَ لم تَسمعي ما قلتُ؟ ردَدْتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستَجاب لهم فيَّ»(١).

فحتى في الأعداء لا يكون الإنسان فاحشًا ولا متفحشًا إلا فيما دعت إليه المصلحة الشرعية الواضحة، كما حصل في بعض المواقف، أما أن يُطلق الإنسان لسانه في كل شيء فهذا مذموم، فلتُنَبِّه الزوجة حتى لا تكون متفحشةً في القول فتكونَ مذمومة أو مكروهة مبغوضة من خلق الله منبوذة.

لقد كان النبي ﷺ يعتني في ظل ما يعتني به الغَيْرَة، والغَيْرة أمر طبعي عند النساء، وهي: الحمية والأنفة، وقد كانت تربيته ﷺ لزوجاته في قضيةِ الغيرة تربيةً عظيمة، تدل على حكمته ﷺ، وعلاجِه للأمور بالرفق والتأني.

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين، فأرسلت إليه أخرى بصحفة فيها طعام، وكان ﷺ عند عائشة، فضربت عائشةُ يدَ رسول الله ﷺ فسقطت الصحفة فانكسرت، فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى، فجعل يجمع فيها الطعام الذي انسكب على الأرض، ويقول ﷺ لمن معه «غارت أمكم، غارت أمكم، كلوا»(٢).

فهذا تعليقه ﷺ: «غارت أمكم» إنه غاية العدل والهدوء والاتزان منه ﷺ في علاج هذا الأمر.

لقد كان ﷺ يراعي زوجاته، ويدقق في الملاحظة والعبارة والكلمات، كان يراعي مشاعر الزوجة ويعرف هل الزوجةُ راضيةٌ عليه أم ساخطة، هل هي متضايقة أو مسرورة، لم يكن ﷺ من نوع الرجال الذي لا يبالي بزوجته، أرضيت أم سخطت، أفرحت أم اغتمت، كلا! بل إنه ﷺ كان يتابع كل هذا في بيته ومع زوجاته.

ها هو يقول لعائشة رضي الله عنها: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذلِكَ؟ قَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غضْبَى

---

(١) البخاري (٦٠٢٤) ومسلم (٢١٦٥).

(٢) تقدم تخريجه.

قُلتِ: لاَ. وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ [١].

وكان ﷺ له مواقف طريفةٌ مع زوجاته في هذه المراعاة، كما حدَّث النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على النبيّ ﷺ، فسمع صوت عائشة عاليًا، وهي تقول: والله لقد علمت أن عليًا أحب إليك من أبي، فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها، وقال: يا ابنة فلانة! أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ؟! فأمسكه رسول الله، وخرج أبو بكر مغضبًا، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟» ثم استأذن أبو بكر بعد ذلك، وقد اصطلح رسول الله ﷺ وعائشة فقال: أدخلاني في السلم كما أدخلتماني في الحرب، فقال رسول الله: «قد فعلنا» [٢].

وقد كان من مراعاته لزوجاته ﷺ: إباحةُ اللهو البريء والمتعةِ المباحة للزوجة.. فكان يلاعبهن ويسامرهن ويلاطفهن، وكان يُسرِّب إلى عائشة جواري صغيراتِ السنِ في مثلِ سنها، فيلعبن معها باللعب، وكان ﷺ يتحاشى تنفير هؤلاء الضيوف من عند زوجته، وسابق زوجته ﷺ.

هكذا كانت ملاطفته ﷺ لزوجته، وهي جزء من تربيته ﷺ، فكان يراعي كل ذلك، اللهم اجعلنا من القائمين بحقوق أهلينا، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

★ ★ ★

(١) البخاري (٥٢٢٨) ومسلم (٢٤٣٩).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٩٩٩).

نصائح من القلب لكل عروسين

الحمد لله الخالق البارئ المصور.. والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله حبيبنا وقدوتنا ورحمة الله لنا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم:٤٥]. فقدرنا في هذه الحياة أن نكون شركاء مترابطين، ومن ثم كان من واجبات العبد أن يختار شريكًا صالحًا وإلا أتعبه الشريك وخسرت الشركة ! ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف ٣٩].

❊ أين الزوجة الأخت الحبيبة الصديقة الحليلة فى آن واحد ؟

فهي التي لم يطغها غناها ! فهي لم تنشأ على اللامبالاة أو على عدم تحمل المسؤولية، أو على الحياة السهلة المريحة المفسدة للعزم والهمة والجدية.. أو على العيشة المترفة المؤثرة فى نظرة الإنسان للحياة وللنعم حوله ورضاه بما قل أو كثر...؟ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴾ [الواقعة٤٥].فليست ممن قيل فيهم :

لا يشعرون بما في دينهم نقصوا ... جهلا وإن نقصت دنياهم شعروا

❊ أين التى تتحلى بالصبر الجميل والذكاء المتوقد والشفافية العاطفية، فهى رومانسية فى الحلال.

حيية لم تخضع لقول ولا ترى ... محاسنها يوما فيطمع طامع

وجال عليها درعها فتسترت به ... واحتوى ما تحتويه المدارع

❊ أين التي لم تلوثها السموم العلمانية من أمثال قولهم: (أين قوة الشخصية.... وأين المرأة المتساوية مع الرجل). ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ [البقرة١٧] فهي تعلم أن لكل خلقة ميزة وقسمًا مقسومًا من الرسالة في الحياة، وأنهما شركاء وليسا أعداء، وأن دعوة التساوي بينهما خلط للأوراق.

إذا كان ترك الدين يعني تقدمًا ... فيا نفس موتي قبل أن تتقدمي

* أين التي لم يجعلها التعليم والاحتكاك متكبرة أو مغرورة أو عالية الصوت أو صعبة الإنقياد. فهي هينة لينة سهلة قريبة دينة، تطيع بعلها بلا جدال، ما لم يكن في غير حلال. وإن رأت رأيًا واتسع المقام للتوضيح فلا حرج إن طلبت التوضيح، لكنها - أبدًا - لا تشغب ولا تقول فى كلامها ما يحكي مما يستحى ذكره.. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج٢٤].

* أين التي ترضى بالدين من بعلها، وتعلم أن حبه لها بعد ذلك والمودة بينهما والتفاهم والتلاقي العقلي والروحي هى أثمن ما في الوجود بعد الدين... وسُئل سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله ﷺ : «خير النساء أيسرهن مهورًا»[١] فقيل له : كيف تكون حسناء ورخيصة المهر ؟ فقال : يا هذا، انظر كيف قلت أهم يساومون في بهيمة لا تعقل؟! أم هي بضاعة طمع صاحبها يغلب على مطامع الناس؟! ثم قرأ : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾... إنها صلة إنسانية، وليس متاعًا يطلب مبتاعًا....

ويبقى الود هو العنوان....

وضمير الزوج يترنم عن الحبيبة القريبة :

رأيتُ بها بدرًا على الأرضِ ماشيا ... ولم أر بدرًا قط يمشي على الأرضِ

* أين التي تعلم أن الإسلام ليس بالوراثة بل يكتسب بالاستقامة على أمر الله تعالى وتطبق ذلك على نفسها قبل الآخرين. فهي تعرض عن الباطل لأنها تعلم أن الجنة غالية !

تركت نحوهم والله يعصمني ... من التقحّم في تلك الجرائم

* أين التى تعرف الفكر الإسلامى الصحيح وتعرف المعوج وتعرف المضاد للإسلام، وتستوعب ثقافة الآخر لترد عليه بمنطق الحق لا بمنطقه، لكن عن وعى بما يفهمه وما يهدمه. فهي تدرك مقولة شيخ الإسلام في تفسيره لسورة النور: العلم ما قام عليه الدليل، والنافع ما جاء به الرسول ﷺ.

* أين التي تطمح لدور مع كل من تطالها عيناها أو قلمها، ولا يسكتها إن سكتت إلا أمر الله تعالى بحسب الحال والمقام.. فهى نشطة.. لكنها تكف يديها إن كان الأمر يرجى له

---

(١) ضعيف : انظر «ضعيف الجامع» (٩٦٢) .

ذلك.. فتبحث عن أقارب زوجها ومعارفه لتكون لهم كما كانت الصالحات من نساء سلفنا لأهليهن علمًا وبرًا ورحمة ومعونة وإفادة وجلب منفعة أو دفع مضرة.. فكل الوقت والجهد والحب والألم للإسلام بحسب الحال.. فهي تقبل أن تهدي ما عليها وما لها لغيرها، وإن جلست حتى بلا أقراص الشعير ولا أثاث، كما فعلت الزهراء صلوات الله عليها..

فـــاطم الزهـــــراء أمـــــي، وأبي   قاصـــم الكفـــــر بـبـــــدر وحـــنين

* أين التي في كل يوم ترقى بنفسها درجة، فتطلب المزيد من العلم والخير.. من الحفظ والفهم والبذل..

* أين التي تبكي مع القرءان ودرر السنة، وتلين مع ذكر الله تعالى وتحلق مع سير السلف، فالتبتل والإخبات والتضرع أركان شغلها.....

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب٣٥] فحالها :

مـــا لي ســـوى قرعـــي لبابـــك حيلـــة   فلـــئن رددت فـــأي بـــاب أقـــرع ؟

فهي لا تعاني كما يعاني البعض من جهل شديد بعد سنوات في الإسلام.... ليس فقط جهلا بالشريعة بل بالغاية والطريق العملي ! فالجهل بالمطلوب وجدولته خلل... وتوفر البيئة المناسبة للعلم مع عدم استغلاها خيبة عظيمة، ويجب على العاقل تقدير النعمة قبل أن تزول! فلربما فقد الصحة التي تعينه على القراءة ولربما فقد الفراغ أو فقد المكتبة القيمة أو المعلم الناصح الشفوق! وهي لا تركن لدمعة الليل فقط أوتغتر بحالها، بل تعلم أنه يجب تفقد القلب واختباره ومعالجته والبحث عن سبل تصفيته.

* أين التي تقدر حياة المسلم العامل لدينه وما تمر به زوجته كثيرة الأضياف.. المضحية بنصيبها منه في أوقات كثيرة.. فلا تطالبه عنتًا بالعدل في مقام يقتضي الفضل ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ وتعلم أنه إن تحرك أو سكن أو غاب أو حضر فلله ورسوله.. فلتكن القائلة

(إذن لا يضيعنا) .

وهي تعينه على الوفاء بالتزاماته وتقلل الضغوط من حوله قدر الإمكان، بل وتمتص المشكلات البسيطة (مع الجيران أو في الحياة اليومية) وتبعدها عنه ولا تستهلك وقته وجهده قدر الإمكان، بل هي جزء من عمله، تراها شريكة ومديرة أعمال وموظفة ومساعدة له في الكبير والصغير...من حمل الأعباء الثقال إلى نسخ الأوراق وتنظيم الأبحاث والمؤشرات.. فتحيى بذلك ذكرى العبير :

ألا أنبيك عن زمن تولى ... فتذكره ودمعك في انسجام

ولها عند الله ما يطيب الخاطر ويبهج الناظر.

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

أين التي تتحمل زوجها إن كان حساسًا فترفق به فوق الرفق رفقًا، وتتحمل.. فهي زوجة بمعنى الكلمة..و لا تكثر الشكاية وتخشى الوعيد في «صحيح مسلم» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّلاَةَ يَوْمَ الْعِيدِ.... إلى أن قال ﷺ: ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بلالٍ فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ وَوَعَظَ النَّاسَ، وَذَكَّرَهُمْ ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ»، فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ «لِأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ(١)» قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ، فهي لا تكثر الشكاية ولا تكفر العشير، بل هي من يستحي معها المرء من خلقها الجميل.

إذا ما صديقي ساءني بفعاله ... ولم يك عما ساءني بمفيق

صبرت على الضَّرَّاء من سوء فعله ... مخافة أن أبقى بغير صديق

وهي تعلم أن الزوج ليس كاملًا وليس هو البداية والنهاية، قال شيخ الإسلام : ليس للخلق محبة أعظم محبة ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم ليس في الوجود ما

---

(١) (٧٩) .

يستحق يُحَبَّ لذاته من كل وجه إلا الله تعالى كل ما يُحَب سواه، فمحبته تَبَع لحُبِّه.

فأين هي...

نعود للرجل...

وإن كان ذكيًا فلا تكونن هي سطحية ولا هامشية.. ولا تكونن بمعزل عن مشكلات زوجها المادية والمعنوية وأحلامه وآماله وغاياته وأهدافه، بل تسأل عنها وتتبناها فهما فريق واحد في العمل لله تعالى...

لبيـــك إســـلامي مـــن الأعمـــاق   أنـــا لم أخـــن عهـــدي ولا ميثـــاقي

* أين التي إن وجدت زوجها غيورًا احترمت ما فيه ورجت بصبرها الجنة وما فيها.

والأصل أنها قمة : قانتة عفيفة ! ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

* أين التي إن كان بزوجها عيب كشيء من حزم زائد أو شيء من سخرية غير مقصودة ورأته يصلح نفسه أعانته ولم تتبرم فمن منا مبرأ من العيوب؟

مـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــط   ومـــن لـــه الحـــسنى فقـــط !

* أين التي تعين بعلها على برّه بأمه وترى ذلك دينا وقربى وتتحمل بنفس راضية...؟

* أين التي لا تأبه أن يطلق عليها أنها رجعية أو متشددة أو أو... ولا يهز فيها ذلك شعرة بل الحق حق، ولابد له من أعداء وهذه سنة الله.. فلا تنثني همتها ولا عقيدتها... ولا ترى لوم الناس شيئًا ذا بال.

قال منصور الفقيه:

اسمـــع فـهـــذا كـــلام   مـــا فيـــه والله عـلـــة

أقـــل مـــن كـــل شـــيء   مـــن لا يـــرى النـــاس قلـــة

* أين التي تصبر وتسعد.. وتسمو روحها إن عاشت أحيانًا - عملًا لا قولًا وأحلامًا - على زاد النبي ﷺ التمر، الماء، الخل، خبز الشعير، وإن جاءها خير من ذلك حمدت وشكرت وذكرت الله تعالى وذكرت حقه تعالى فيه... وخشيت الإسراف وراجعت نفسها وزوجها..

* أين التي لا تهتم بأساود زائلة.. بأثاث أو مسكن أو دابة أو مال أو وظيفة أو.. أو، فتقبل عملًا لا قولًا أن تعيش كما كان السادة الفضلاء نجوم هذه الأمة يفترشون الأرض أو إهاب الكبش، ويلتحفون ما يرق ويقصر، ويسكنون ما لا شئ فيه يرد البصر ولا غرف عندهم بل هى غرفة ! هي كل شيء فى البيت، ولا مال، بل قوت يوم، ولا جاه سوى عزة الإسلام.... ورغم ذلك :﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨] وليس معناه أنها لا تحتاج المال ولا تبحث عنه لتوظفه في الخير، لكن تضع في اعتبارها، أننا نحتاج المال كغيرنا، ولكن هل يقبل الحر أن يحوله المال لشخص حقير ! وهل يقبل أن يكون غنيًا ويترك الدعوة سنوات لجمع المال ! وهل تستقيم الدعوة مع الدعة أو مع إيثار السلامة!

ليس أمرُ المرءِ سهلا كلُّه ... إنَّما الأمرُ سهولٌ وحزونْ
تطلبُ الراحةَ في دارِ العنا ! ... خابَ من يطلبُ شيئًا لا يكونْ

* أين التي تعرف مكانها وفضلها فى دينها، وتعرف أفضل موضع للأنثى وخير مكان وخير نظر وخير معاملة، ومتى يستثنى «أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن»... وبالمثل: تعرف فضل الخروج إن كان فى سبيل الله ودور إذن الزوج فيه وثوابها عليه...

* أين التي تتنفس الإسلام.. ويمتلئ عقلها علمًا وقلبها خوفًا وورعًا.. وتتعلق بكتاب ربها وكلام نبيها ﷺ....

واغتنم ركعتين زلفى إلى اللـ ... ـه إذا كنت فارغًا مستريحا
وإذا ما هممت بالمنطق البا ... طل فاجعل مكانه تسبيحا
إنّ بعض السكوت خيرٌ من النطـ ... ـق وإن كنت بالكلام فصيحا

* أين التي تتذوق البيان وتحوم مع الأدب المشروع وتتزود منه، وتشعر بقلب شاعرة مؤمنة، وتعبر بخير ما حفظت ووعت من لسان العرب ! فيكون حال زوجها مع كلامها :

بالله لفظك هذا سال من عسل ... أم قد صببت على أفواهنا العسلا

* أين التي لا يطغى حزنها الفطري المفهوم (من إقبال زوجها على التعدد) على حبها لله ورسوله ﷺ، وفهمها لأهمية ذلك للدين وللدنيا.. لها ولزوجها ولأخواتها وللآخرين.. فتتذكر أن سيدات بيت النبوة - كن مع غيرتهن أحيانًا - الأصل فى حياتهن عدم المشاحنة، بل

يتعشين سويًا ثم ينصرفن تاركن صاحبة الغرفة مع الحبيب ﷺ ويحدوها تأمل سرعة فناء الدنيا فتصبر على تلك الأمور الزائلة كالتعدد وغيره :

من راقب الموت لم تكثر أمانيه ولم يكن طالبًا ما ليس يعنيه

وعنوان القبول : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

* أين التي لا تأبه أن سافرت - في الله ولله - مع زوجها، ولا ترتبط روحها لصيقة بأرض بل : (أرض الله واسعة) وتتذكر أن إبراهيم ﷺ سافر بزوجته وتركها ومضى، فلم تعترض.. فخلد الله ذكرها.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران٣٣]

نحن ما زلنا على درب هُدانا نرشد الناس وندعو ونحاول

*أين التي لا تشتكي من وعورة الطريق ولا قلة الرفاق ولا قسوة الأنفس ولا.. بل تعلم ما هو طريق الفردوس وما هو ثمن النجاة وما معوقاته الخارجية والداخلية في بيتها بل ومعوقاته النفسية ! ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] فتحتسب وتتفهم وتحاول وتقاوم.. بل وتبادر مضحية، فإن ذهب زوجها لبلاء أو جاءه البلاء فغاب أو أضير أو.. أو.. فهي نعم الزوجة المؤمنة والبلاء قدر مقدور :

فكم زوجة لما دهى الظلم بعلها بكت فبكى في الحجر منها وليدها

وإن شاءت فلها الحق في التطليق لكنها لا تساوم على إيمانها ولا تتنازل عنه، فإن طلقت فلرغبتها المشروعة في الزواج وعدم قدرتها على انتظار الغائب أو على تحمل المبتلى، لكنها لا تطلق لأنها استدبرت الطريق... ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت:٣٥].

*أين التي وإن كانت تشغف بالقراءة والسماع والمدارسة والسؤال والتحليل والاستنباط فهي مع ذلك أنثى ! تعرف كيف يكون بيتها جنة بأي إمكانيات، فلا تجهل كيف تعد الطعام والشراب والأثاث والثياب، ولا كيف تتزين وتتجمل وتسعد زوجها وتسعد به في الحلال

الجميل.. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٢].

* أين صاحبة المبدأ المسلمة عن وعي وفهم وانتماء وحماسة واقتناع.. فلها من كل شيء موقف ونظرة.. ولها في كل باب خير يد طولى أو جهد مبذول.. فتعلم مثلًا أهمية الرياضة للمسلمة وتصبر على ذلك وتواظب عليه بحساب واستمرار ونظام وتطوير لا كهواية ولعب ولهو ومرح فقط.. وبالمثل تعاملها مع الأجهزة الحديثة ومهارات تطوير الذات، وهي تعلم أن معدل الاهتمام بالإسلام يظهر في سلوك الإنسان! وأن الفعل أقوى دليل على الصدق ! فتختبر نفسها بنفسها...

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

* أين التي تستوعب أوامر الحبيب ﷺ ولا تقدم بين يديه ﷺ فحين يثبت أمر له بالإقدام في واقع معين نقدم وإن تقطعت أنفسنا... وحين يثبت أمر بأن نكون أجلاس بيوتنا أو نتبع شعاب الجبال نسكت وإن أغرتنا أنفسنا ولو تحت مسمى العمل للدين... فإن أمر الله فنحن لا مبيت لنا ولا قرار حتى يكون ما أراد الله تعالى منا :

فمــــنْ يطلــــبْ لقــــاءكَ أو يُــــردهُ فبــــالحرمينِ أو أقــــصى الثغــــورِ

* أين التي تتذوق الظلال الوارفة في ظلال القرءان وأمثاله ولا تتمالك نفسها ولا عبراتها ولا كلماتها.. وتنطق بها تصرفاتها بعد ذلك.. فلا يكون متعة فكرية فقط !

* أين الودود.. العؤود التي إذا ظلمت قالت: (هذي يدي في يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى)، فهي من تسترضي الرجل وإن أخطأ، فهي القلب الكبير.

أن النــساء ربيــع لنــا ونعــم الربيــع مــا زوجــة المــرء إلا حــصن العفــاف

وجه طليق وعــين يقظــى وقلــب ولــوع كأنها حــين تــشدو نجــم جــلاه الطلــوع

* أين التي تعلم أن الإلتزام ليس قرين العبوس والتجهم والضيق بل هي مع الآخرين كما كان النبي ﷺ مع الآخرين (كلٌ حسب حاله).. ومع زوجها كما كانت سيدات بيت النبوة

مع خير الخلق... ولا تقول إلا خيرًا..فهي مرحة هاشة باشة ضحوك مع زوجها ابتغاء مرضاة الله.......

زوجة صالحة في المنزل فهي كنز فاخر للرجل

قد تحلت بحلى الخجل فهو يغنيها عن لبس الحلى

* أين التي تفهم كيف تعامل زوجًا داعيًا إلى الله أو مسؤولًا عن عائلة بمساحة مترامية الأطراف فهو قائد لهم كما كان أصحاب الدعوات، فما دور زوجة الإمام !.. زوجة القائد المربي !...

* أين التي لها رؤية سياسية فتعي وتفهم أين نحن ومن نحن وماذا يراد بنا وتهتم بذلك أو تسأل لتعلم وتفهم..

التي تكون لديها موقف عقدي من وسائل الإعلام....!

* أين التي تتحمل وتستوعب وتسعد إن كان الحق أن تكمل عمرها فى كهف أو فى قصر سواء عندها حلوها ومرها.. أنسها ووحشتها..

* أين التي لا تشغل نفسها بلغو الفكر والاهتمام ولغو الكلام ولغو الشعور والعمل، فلا تكون ثرثارة فى شؤون الزينة مقتصدة فى شؤون الجد والواقع والواجب.

* أين التي تبيع كل شيء إذ تبين لها أن الحق في البيع..! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

* أين التي لا تشبع من العلم والذكر والخير، ولا تلهو إلا بالمباح، وبقدر ما يشرع، فلا تتسامر مع النسوة طيلة النهار فى : أكلوا وأكلنا وبنوا وبنينا واشتروا واشترينا.. بل لا تقبل ذلك! ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ فهي في شغل ! فهي غريبة ! وهكذا يكون حال الإسلام وأهله في آخر الزمان كما أخبر ﷺ. يهمها تحري حالها في زمن الفتن..يهمها التعلم للتحقق من التوحيد وصحة الاعتقاد ليصح اليقين والإيمان، فلا تكون على بدعة وهي لا تدري، ثم يهمها إشغال القلب بالآخرة. و تلك هي الكياسة !

※أين التي تتحمل الآخرين وإن كانوا سيئين أو منافقين أو جاحدين لو كان هناك مصلحة نبهنا إليها الشارع الحكيم.. فهي مع زوجها واعية مدركة متفهمة، والجنة نصيبهما... فقد كتب الله لهما الزيجة هنا وهناك فلا فرقة إن شاء الله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

أين هى ؟؟؟

الصفات التي يجب توافرها في الزوج المسلم

* أن يكون صاحب دين:

لقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ فالزوج صاحب الدين هو الذي إذا أحب زوجته أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[١].

فصاحب الدين لا يظلم إذا غضب ولا يهجر بغير سبب ولا يسيء معاملة زوجته ولا يكون سببًا في فتنة أهله عن طريق إدخال المنكرات وآلات اللهو في البيت بل يعمل بقول النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[٢] فينبغي لولي المرأة أن ينظر في دين الرجل وأخلاقه لأن المرأة تصير بالنكاح مرقوقة ومتى زوجها وليّها من ظالم أو تاركًا للصلاة أو فاسقًا أو مبتدعًا أو شارب خمر أو مخدرات فقد جنى على دينها وتعرض لسخط الله لأنه كان سبب لقطع الرحم بسبب سوء الاختيار.

قال رجل للحسن : قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوِّجها؟ قال: ممَّن يتقي الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ :

وقد جاء موسى عليه السلام إلى صالح مدين غريبًا طريدًا خائفًا وحيدًا جائعًا عريانًا فأنكحه ابنته لما تحقق من دينه ورأى من حاله وأعرض عما سوى ذلك.

ومما لا شك فيه أن التساهل في عدم الاهتمام بتدين الخاطب أساس الضياع والشقاء في الدنيا والآخرة، فينبغي الحرص على صاحب الدين وإن كان فقيرًا.

---

(١) صحيح: الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجة (١٩٦٧)، و (الصحيحة):(١٠٢٢).

(٢) صحيح: الترمذي (٣٨٩٥) ، وأبو داود (٤٨٩٩) ،والصحيحة (٢٨٥).

أن يكون حاملا لقدر من كتاب الله ﷻ :

فلقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي. فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا. فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟». قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «اذْهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا ؟». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ :لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا. قَالَ: «انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ». فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِى - قَالَ سَهْلٌ: مَا لَهُ رِدَاءٌ - فَلَهَا نِصْفُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ». فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ ثُمَّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ». قَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا. عَدَّدَهَا. قَالَ: «أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟». قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»(١).

*أن يكون من بيئة كريمة :

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ قال : «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا»(٢).

*أن يكون رفيقًا لطيفًا بأهله ؛ حسن الخلق:

فقد أخرج مسلم من حديث سُفْيَانُ عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ أَبِى الْجَهْمِ بْنِ صُخَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ:سمِعْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ تَقُولُ: إِنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا ثَلاَثًا فَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُكْنَى وَلاَ نَفَقَةً قَالَتْ: قَالَ لِى رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِى»، فَآذَنْتُهُ فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو جَهْمٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ

---

(١) البخاري (٥٠٣٠) .

(٢) البخاري (٣٣٥٣) ، ومسلم (٢٦٣٨) .

ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا أُسَامَةُ أُسَامَةُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : «طَاعَةُ اللهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ». قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ[(١)].

فحذرها النبي ﷺ من أن تتزوج من أبي جهم لأنه ضرَّاب للنساء. فعلى المسلمة أن تحرص حرصًا كبيرًا على التأكد من حُسن خُلق الخاطب ولا تقصر في هذا الأمر، فإن الزوج إن كان سيئ الأخلاق قبيح المعاملة ساءت الحياة الزوجية. واعلموا أيها الأحبة: أن أساس الخُلق : الحلم والتواضع والكرم والرحمة.

※أن يكون مستطيعًا للباءة بنوعيها :

وهي القدرة على الجماع وعلى مؤن الزواج وتكاليف المعيشة ؛ فلقد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «**أما معاوية فصعلوك لا مال له**» ولقد حث النبي ﷺ الشباب على الزواج عند استطاعتهم الباءة، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاء»[(٢)].

※أن يكون قويًا أمينًا:

قال تعالى : ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ .

فالرجل الغير أمين يضرب المرأة ويهينها، فأين هي كلمة الله إذًا فلا يحل له أن يضربها بغير جريرة، ولا يحل له أن يهجرها بغير جريرة وينبغي أن يتلطف معها.

وهذا كله داخل تحت الأمانة ومن يفعل فهو خائن لأنه أخذها بكلمة الله فهو إما أن يعاشرها بالمعروف أو يسرحها بإحسان، فالمرأة تبذل مجهود غير طبيعي من تربية الأولاد وترتيب البيت وتعليم الأولاد والله ﷻ أعطاك القوامة وأعطاك من سعة الصدر لما يسع أربعة نسوة، فكيف لا تصبر على امرأة واحدة، إذًا هناك خلل.

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم :

يجب على ولي المرأة أن يتقي الله فيمن يزوجها به وأن يراعي خصال الزوج فلا يزوجها

---

(١) مسلم (١٤٨٠) .

(٢) البخارى (٥٠٦٥).

ممن ساء خلقه أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها؛ فإن النكاح يشبه الرق والاحتياط في حقها أهم؛ لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال.

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَان»(١).

فالمرأة عند زوجها تشبه الأسير والرقيق فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة.

*أن يكون كفؤًا:

ومعنى الكفاءة : المساواة والمماثلة، ومنه قوله ﷺ : «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»(٢).

فالكفاءة : هي المساواة والتقارب بين الزوج والزوجة في المستوى الديني والأخلاقي والاجتماعي والمادي ولا ريب أن تكافؤ الزوجين من الأسباب الأساسية في نجاح الزواج وعدم التكافؤ يُحدث نوعًا من النفرة ويسبب الفسخ والشقاق،وخلاصة القول فى المسألة:

إن أسس الكفاءة بين الزوجين هي الدين والخلق، كما قال الله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وكما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». وفي حديث أبي هريرة، رضي الله عنه أن النبي قال: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَه ودِينَهُ فَزَوِّجُوهُ» (٣).

* * *

(١) حسن : ابن ماجة (١٨٥١)، والإرواء (١٩٩٧) .

(٢) صحيح: أبو داود (٢٧٥١)، وصحيح الجامع (٦٧١٢).

(٣) تقدم تخريجه.

الصفات التي يجب توافرها في الزوجة المسلمة

أولا: أن تكون صالحة ذات دين:

لقولهِ تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ ولحديث رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[(١)].

وقد أخرج الطبراني في «الكبير» من حديث عبد الله بن سلام أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النِّسَاءِ تَسُرُّكَ إِذَا أَبْصَرْتَ، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَ، وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكِ»[(٢)].

فمن تحلت بهذه الصفات كانت مطيعة لله ورسولهِ ﷺ ومن فعلت ذلك فهي في الجنة فهنيئًا لهذه الزوجة العفيفة.

فهذه بعض صفات المؤمنات الممدوحات مع أزواجهن :صالحات بعمل الخير والإحسان إلى الأزواج، مطيعات لأزواجهنَّ فيما لا يسخط الله، محافظات على أنفسها في غيبة أزواجهنَّ، محافظات على ما خلفهُ الأزواج من أموال.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ : وهو بمعنى الدعاء لكن لا يراد حقيقته، فالدين هو العنصر الأساسي في اختيار الزوجة، ذلك أن الزوجة سكن لزوجها وحرثُ لهُ وهي مهوى فؤاده وربَّة بيته وأم أولاده، عنها يأخذون صفاتهم وطباعهم فإن لم تكن على قدر عظيم من الدين والخلق فشل الزوج في تكوين أسرة مسلمة صالحة.

أما إذا كانت ذات خلقٍ ودين كانت أمينة على زوجها في ماله وعرضه وشرفه، عفيفة في نفسها ولسانها، حسنة لعشرة زوجها فضمنت لهُ سعادتهُ وللأولاد تربية فاضلة وللأسرة شرفها وسمعتها، فاللائق بذي المروءة والرأي أن يجعل ذوات الدين مطمح النظر وغاية

(١) البخاري (٥٠٩٠).

(٢) صحيح: صحيح الجامع (٣٢٩٩).

البُغية لأن جمال الخُلُقِ أبقى من جمال الخَلْقِ، وغنى النفس أولى من غنى المال، والعبرة في الخصال لا الأشكال وفي الخلال لا الأموال وصدق ربنا حيث قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وقد حث النبي ﷺ على الزواج من المرأه الصالحة وبينّ أنها خير متاع الدنيا، فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(١).

ثانيًا: أن تكون ولودًا:

فقد ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة من تحبيب بطلب الذرية الصالحة وحثٍ علي التكاثر في النسل بما يحقق الغرض الأسمى من الزواج والمتمثل في استمرار النوع البشري ودوام عمارة الأرض.

فقد قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

ولحديث معقل بن يسار قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لاَ تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: «لاَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»(٢).

ملحوظة: كيف تعرف أنها ولود؟

وتعرف الولود بالنظر إلي حالها في كمال جسمها وسلامة صحتها من الأمراض التي تمنع الحمل أو الولادة وبالنظر إلى حال أمها وقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعمّاتها وخالاتها المتزوجات فإن كُنَّ ممن عادتهن الحمل والولادة كانت (في الغالب) مثلهن.

ثالثًا: أن تكون ودودًا :

وهي المرأة التي تتودد إلى زوجها وتتحبب إليه وتبذل وسعها في مرضاته.

والودود: هي التي تقبل علي زوجها فتحيطه بالمودة والحب والرعاية وتحرص على

---

(١) مسلم (١٤٦٧) .

(٢) حسن صحيح: أبو داود (٢٠٥٠)، والإرواء (١٧٨٤).

طاعته ومرضاته ليتحقق بها الهدف الأساسي من الزواج وهو السكن.

وقد وردت أحاديث عديدة تؤكد على ضرورة مراعاة هذه الصفة في المرأة:

لحديث معقل بن يسار أن النبي ﷺ قال: «تزوجوا الودودَ الولودَ فإني مكاثر بكم الأمم»، والمرأة الودود تكون مطيعة لزوجها لا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:أيُّ النساءِ خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»،ولحديث أبي أُذينة الصدفي أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ»[1].

ولحديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول لا أذوق غُمضًا حتى ترضى»[2].

والمرأة الودود هي المرأه التي يُعهدُ منها: التوددُ إلى زوجها والتحبب إليه، وبذل ما بوسعها من أجل مرضاته لذا تكون معروفة باعتدال المزاج وهدوء الأعصاب بعيدة عن الانحرافات النفسية والعصبية تحنو على ولدها وراعية لحق زوجها، أما إذا لم تكن المرأة كذلك كثر نشوزها وترفَّعتْ على زوجها وصعب قيادها لشراسة خلقها مما يفسد الحياة الزوجية بل ويدمرها بعد استحالة تحقق السكن النفسي والروحي للزوج بسببها.

رابعًا: أن تكون بكرًا :

حتى تكون المحبة بينهما أقوى والصلة أوثق، إذ البكر مجبولةٌ على الأنس بأول أليف لها وهذا يحمي الأسرة من كثير مما يُنغصُ عليها عيشها ويُكدّر صفوها وبذا نفهم السِّر الإلهي في جعل نساء الجنة أبكارًا، وقد وردت في الحث على انتقاء البكر أحاديث كثيرة منها:حديث عبد الرحمن بن سالم بن عتبه عن أبيه قال :

قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ»[3].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٨٤٩).

(٢) صحيح الجامع :(٢٦٠٤).

(٣) ابن ماجة (١٨٦١).

مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا». تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا.

وحديث علقمة قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللهِ بِمِنًى فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلاَ نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح صحيح مسلم» :

فيه استحباب نكاح الشابة لأنها المحصِّلة لمقاصد النكاح فإنها ألذ استمتاعًا وأطيب نكهة وأرغب في الاستمتاع الذي هو مقصود النكاح وأحسن عشرة وأفكه محادثة وأجمل منظرًا وألين ملمسًا وأقرب إلى أن يعوّدها زوجُها الأخلاق التي يرتضيها.

أخي الكريم وبعد هذه الجملة من الأحاديث التي تحث على التزوج من البكر لِما تمتاز به البكر من:

* كثرة الملاطفة لزوجها وملاعبتها له ومرحها معه.

* عذوبة ريقها وطيب فمها بما يحقق لزوجها متعةً عظيمة وحب معاشرتها،كما أن عذوبة الأفواه تفيد حسن كلامها وقلة بذائتها وفحشها مع زوجها؛ وذلك لكثرة حيائها لأنها لم تخالط زوجا قبله.

* كونها ولودًا حيث لم يسبق لها الحمل والولادة.

* رضاها باليسير من الجماع والمال والمؤنة ونحو ذلك – لأن هذا ما وجدته ولم تعرف غيره ولكونها (بسبب حداثة سنها) أقل طمعًا وأسرع قناعة فلا ترهق زوجها ما لا يطيق لكثرة مطالبها.

* كونها أقل خبًا (أي مكرًا وخداعًا) لِمَا جُبِلَتْ عليه من براءة القصد وسذاجة الفكر فهي في الغالب غُفْلٌ لا تزال على فطرتها لا تعرف حيلة ولا تحسن مكرًا.

ومع كلٍ فإنه يجوز للرجل اختيار الثيب إذا توفرّ لديه من الأسباب ما يدعوه إلى ذلك: كطلب مصاهرة الصالحين أو جبر من توفي عنها زوجها أو لإعالة أيتام أو لكونها خير معين

(١) مسلم (١٤٠٠).

علي تربية أولاده أو أخواته الصغار كما حَدَث لجابر: فقد روى الإمام مسلم من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فِى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَلَقِيتُ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِكْرٌ أَمْ ثَيِّبٌ». قُلْتُ: ثَيِّبٌ. قَالَ: «فَهَلاَّ بِكْرًا تُلاَعِبُهَا»[١] .وفي رواية: «فأين أنت من العذارى ولِعابها ؟».

وفي رواية البخاري: قَالَ: هَلَكَ أَبِى وَتَرَكَ سَبْعَ - أَوْ تِسْعَ - بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ ؟». قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا». قُلْتُ: ثَيِّبًا. قَالَ: «هَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ، أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ». قُلْتُ: هَلَكَ أَبِى فَتَرَكَ سَبْعَ - أَوْ تِسْعَ - بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ. قَالَ: «فَبَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ»[٢] .

قال صاحب «عون المعبود» في التعليق على حديث جابر:

وفيه دليل علي استحباب نكاح الأبكار إلا المقتضى لنكاح الثيب كما وقع لجابر، فجابر مات أبوه وترك له تسع أخوات يتيمات يحتجن منه إلي رعاية وعطف وخدمة فكان من الموائم له أن يتزوج ثيبًا تقوم علي أمرهن وتفي بشأنهن.

خامسًا: أن تكون جميلة حسنة الوجه:

هذا بجانب الدين، لتحصل بها للزوج العِفة ويتم إسعاد النفس، ومن هنا كان جزاء المؤمنين في الجنة الحور العين وهن غاية الحسن والجمال.

والجمال وإن لم يكن أساسي لكنه أمر معتبر، لذا ندب الشارع إلي مُراعاة أسباب الألفة فأباح النظر إلي المخطوبة؛ لحديث المُغيرة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما»[٣] .

قال الأعمش: كلُّ تزويج يقع من غير نظر فآخره هم وغم.

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج أمرأةً من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «أنظرت إليها؟»، قال: لا، قال:

---

(١) مسلم (٧١٥).

(٢) البخارى (٦٣٨٧).

(٣) الترمذى (١٠٨٧)، والنسائى (٣٢٣٥)، وصحيح الجامع (٨٥٩).

«فاذهبْ فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا» [(١)].

قال «صاحب عون المعبود»: يؤخذ من الأحاديث استحباب تزوج الجميلة إلا إذا كانت الجميلة غيرَ ديِّنه والتي أدنى منها جمالًا متدينة فتقدم ذات الدين. أما إذا تساوتا في الدين فالجميلة أولى.

والجمال بالنسبة للمرأة ما لم يكن محصنًا بالنشأة الدينية والتربية القويمة والأصل العريق قد يصبح وبالًا عليها إذ يغري الفسَّاق بالطمع فيها ويهوِّنُ عليها التفريط بشرفها مما يؤدي بها إلى التردي في هوّة الفاحشة دون مبالاة بما يعود علي الأسرة من دمار وما يلوث سمعتها من عارٍ وشنار وقد كان بعض السلف يفضل الدميمة ذات الدين علي الجميلة حتى لا تشغله الجميلة عن طاعة الله.

يقول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :

ومن المعروف أن جمال المرأة جمال حسي وجمال معنوي.

فالجمال الحسي: كمال الخِلقة؛ لأن المرأة كلما كانت جميلة المنظر عذبة المنطق قرَّت العين بالنظر إليها وأصغت الأذنُ إلي منطقها فينفتح لها القلب وينشرح لها الصدر وتسكن إليها النفس قال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

والجمال المعنوي: كمال الدين والخُلق فكلما كانت المرأة أدين وأكمل خُلقًا كانت أحب إلي النفس فالمرأة ذات الدين قائمة بأمر الله حافظة لحقوق زوجها وفراشه وأولاده وماله مُعينة له علي طاعة الله تعالى إن نسي ذكرته وإن تثاقل نشَّطته، وإن غضب أرضته.

❊فإذا أمكن تحصيل امرأة يتحقق فيها جمال الظاهر وجمال الباطن فقد تمت سعادة الرجل، وينبغي علي المرأة ألا تتفاخر علي الزوج بجمالها ولا تزدريه لقبحه.

سادسًا: أن تكون ذات حسب:

والحسب: هو الشرف بالآباء والأقارب، مأخوذ من الحِساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدَّدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها فيُحكم لمن زاد عدده علي غيره، فينبغي أن

---

(١) مسلم (١٤٢٤).

تكون حسيبة كريمة العنصر حسنةُ المنبت لأن من اتصفت بذلك فإنها تكون حميدة الطباع ودودة للزوج رحيمة بالولد حريصة علي صلاح الأسرة وصيانة شرفُ البيت وفي كل الأحوال فإن أصالة الشرف وحسن المنبت أمرٌ مرغوب ومطلبٌ محمود؛ لحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١).

والحق الذي ينبغي أن يُصار إليه أن حسب المرء لا يكون بكثرة ماله ووفرة رعائه بل بنبل أصله وحسن منبته وكريم عنصره.

سابعًا: أن تكون عفيفة محتشمة:

فينبغي أن تكون من وقع الاختيار عليها عفيفة محتشمة ذات أخلاق فاضلة لا يُعرف عنها سفور أو تبرج بحيث لا يحجزها حياؤها عن إبراز مفاتن جسدها أمام كل ناظر، فالنبي ﷺ حذر من هذا الصنف وبيَّن أنهن من أهل النار.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُختِ المائلة لا يدخلنَ الجنةَ ولا يجدنَ ريحها، وإن ريحها لتوجدُ من مسيرة كذا وكذا**» (٢).

فعليك أخي الحبيب إذا أردت السعادة فى الدنيا والآخرة أن تبحث عن العفيفة المحتشمة التي تعينك على أمر دينك.

وذكر بعض العلماء هذه الصفات بطريقة أخرى، فقال: كيف تختار شريك الحياة؟!

عرفنا مما سبق أنه يجب علينا أن نضع أربعة أهداف أمامنا ليكون زواجنا كاملًا وهذه الأهداف الأربعة هي: النسل، والإمتاع النفسي والجسدي، وبلوغ الكمال الإنساني، والتعاون على بناء الحياة، هذه الأهداف الأربعة قد نصل إليها جميعها وقد نحرم بعضها إما بشيء خارج عن إرادة الزوجين كالنسل وذلك أن العقم يعود غالبًا إلى أسباب خلقية (بفتح

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم (٢١٢٨).

الخاء وتسكين اللام) وقد يعود التقصير في بلوغ الأهداف السابقة إلى أسباب من فعلنا كسوء الاختيار والانحراف الخلقي والجهل بطبيعة الحياة الزوجية. إلخ وهذا ما نحن بصدد بيان السبل التي تساعدنا على تجنبه.

أول ما يجب على كل من الرجل والمرأة معرفته هو مناط الاختيار. أعني ما الصفات التي يجب أن تتحلى بها المرأة حتى يرغب الرجل في الزواج بها؟ وما الصفات التي يجب أن يتحلى بها الرجل حتى ترغب المرأة في الزواج منه؟ وفيما يلي بعض صفات هي مناط الاختيار عند الناس جميعًا سنورد بحول الله كل صفة مبينين القيمة الحقيقية لها وأثرها في الحياة الزوجية.

أولًا: الأصل أو المعدن أو الأرومة:

لو نظرت إلى مجموعة مختارة من جميع أجناس الأرض وأشكالها لوجدت أنهم يختلفون في مظهرهم وخلقتهم اختلافًا بينًا فهناك الطويل والقصير والألوان على اختلاف درجاتها من الأسود والأبيض والأصفر. وهناك اختلاف الأشكال والملامح والقسمات. بل ليس هناك إنسان في الأرض يشبه إنسانًا آخر من كل وجه بل لا بد أن يكون هناك اختلاف ما، ولذلك لا تشبه بصمة أصبع بصمة أخرى أبدًا.

وهذا الاختلاف الظاهري الشكلي يبدو تافهًا جدًا وقليلًا جدًا إذا قارناه بالاختلاف النفسي والخلقي فنفوس الناس وصفاتهم الداخلية الخلقية تختلف اختلافًا عظيمًا جدًا. وأصدق وصف لاختلاف الناس هو قول الرسول ﷺ: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

وفي الحديث فوائد عظيمة جدًا أهمها: أن كرم الأصل في الجاهلية يساعد على التحلي الكامل بأخلاق الإسلام والقيام بتعاليمه.

فالإنسان (خامة) منها النوع الجيد جدًا الذي يتشكل بسهولة ومن الناس خامات رديئة كالفضة المغشوشة أو المعدن المخلوط الذي لا يصلح مهما حاولت صناعته لشيء.

وهناك فارق عظيم بين كرم الأصل، ونقاوته وشهرة العائلة والقبيلة فقد يشتهر غير الكرام وإنما المقصود المعدن البشري.

والحق إن معرفة معادن الناس شيء عسير جدًا ولا يفهمه إلا صيرفي ماهر وهذا لا يستطيعه كل الناس ولكن الضابط في هذا هو اشتهار الناس بأخلاق معينة وصفات معروفة، قد تكون هذه الشهرة مبنية على معرفة حقيقية وحوادث ووقائع تفيد العلم اليقيني، وقد تكون مبنية على دعايات وإشاعات كاذبة.

فالناس يقولون: هؤلاء القوم كرماء شجعان، وأولئك بخلاء جبناء، وهؤلاء القوم تغلبهم نساؤهم، وأولئك يهينون زوجاتهم، وهؤلاء القوم نساؤهم عفيفات محصنات وأولئك نساؤهم مستهترات خليعات وهكذا.

المهم أن أخلاق الشعوب والقبائل والفصائل مختلفة متباينة ولذلك وجب علينا النظر في أصول الناس قبل الإقدام على الزواج.

وهذه القاعدة بالطبع قاعدة أغلبية وليست قاعدة كلية حتمية فقد يوجد الشجاع من القوم الجبناء، وقد توجد العفيفة المحصنة في القوم الذين لا يأبهون لميل نسائهم وانحراف رجالهم وعلى كل حال فالنظر في الأصول أمر دقيق جليل، ولا يجوز أن نأخذه على وجه العصبية والجاهلية وإنما يجب أن نأخذه على الأمر بحسن الاختيار، فبعض الشعوب وبعض القبائل يرفعون أنفسهم ويتعصبون لها على وجه التعصب والجهل والجاهلية ويمنعون أنفسهم ونساءهم من زواج الآخرين على زعم أنهم خير منهم وقد يكون عند الآخرين من الصفات النفسية والخلقية الطيبة ما ليس عند أولئك.

فنظرنا نحو الأصل يجب أن يكون هو النظر نحو(الخامة) والمعدن: الخامة التي تتوافر فيها الصفات الإنسانية الطيبة.

باختصار يجب أن يبحث الرجل عن المرأة (الإنسان) ويجب أن تبحث المرأة عن الرجل (الإنسان).

انظر عندما خطب أبو طلحة وهو مشرك كافر امرأة من المسلمين هي أم سليم قالت له:يا أبا طلحة والله ما مثلك يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة ولا تحل لي فإن تسلم فهو مهري!!. فقول هذه المرأة الفقيهة:والله ما مثلك يرد معناه: أن الرجل فيه الصفات الإنسانية التي تطمح المرأة في وجودها في الرجل ولكن منعها من الموافقة كفر. باختصار

ليكون بحثنا أولًا عن الإنسان.

ثانيًا: الدين:

الدين هو المنهاج الرباني الذي أنزل ليجعل من الإنسان إنسانًا كاملًا في صفاته وأخلاقه وليجعل معاملته وتصرفاته في هذه الدنيا على أكمل الوجوه التي تحقق العدل والسعادة، وهذا الدين إذا التقى مع المعدن الإنساني الطيب ووافق القبول صنع الأعاجيب ولكنه إذا صادف المعدن الهش المغشوش صنع في صاحبه بالقدر الذي يحتمله ويطيقه إذا توفر القبول أيضًا.

والتدين الحقيقي شيء خفي لأن حقيقة الدين تتعلق بالقلوب أعظم مما تعلق بالظواهر دلالات وعلامات على الدين ولكنها ليست دلالات ظنية فليس كل من أعفى لحيته، وقص شاربه، ووقف في صفوف الصلاة مع المسلمين كان متدينًا مؤمنًا بل هذه ظواهر قد تدل على هذا وقد يكون هذا نوعًا من النفاق والمجاراة والاعتياد لا يغني قليلًا أو كثيرًا في حقيقة الدين.

وكذلك بالنسبة للمرأة أيضًا فمع أن الحجاب فريضة إسلامية وظاهره يدل على الصلاح والدين والفقه إلا أنه ليس دليلًا قطعيًا على ذلك ولكنه ظاهر فقط قد يكون نوعًا من النفاق والمجاراة والعادة أيضًا.

والذي نعنيه هنا في اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة البحث عن الدين الحقيقي أو كما قلنا آنفًا الدين الحقيقي لا يعمل على وجه القطع ولكن بغلبة الظن، وأداء الشعائر والحفاظ عليها قرائن ظاهرية إذ ضممنا بعضها بعضها إلى بعض قد نحصل على نتيجة حقيقية. وهذا أقوله حتى لا يتعثر بعض الشباب بالقشرة الخارجية لبعض الفتيات، ولا تتعثر أيضًا بعض الفتيات الطيبات الصالحات بالقشور الخارجية لبعض الرجال.

ولذلك كان سؤال عمر بن الخطاب عن الرجال هو التعامل بالدينار والدرهم. فقد سأل رجلًا فقال: هل تعرف فلانًا؟ قال: نعم. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم؟ قال: لا. قال: إذن لا تعرفه.

فمعرفة الدين الحقيقي لا يكون إلا بالمواقف والتعامل ومن أحرج المواقف التي تظهر

الرجال المعاملة بالدينار والدرهم لأن النفوس مجبولة على حب المال فإذا تغلب الدين ومراقبة الله على النفس في هذه القضية دل هذا على وجود الدين. ولذلك يجب علينا في البحث عن الزواج أن نبحث عن حقيقة الدين وأن نأخذ من مجموع التصرفات والمعاملات هاديًا ومرشدا إلى معرفة دين الرجل والمرأة.

ثالثا: الحب:

يعلق كثير من راغبي الزواج أهمية بالغة على وجود الحب قبل الزواج. ويجعله بعضهم شرطًا أساسيًا للزواج الناجح ويصمون الزواج الذي يعقد قبل الحب، بالفشل. وهذا الكلام يصدر عن هوى أو عن جهل بحقائق الزواج، وطبيعة الحياة بين الرجل والمرأة.

ويختلف مفهوم الناس لكلمة الحب اختلافًا كبيرًا فبينما تصدق هذه الكلمة على ميل القلب الفطري والغريزي والمكتسب نحو شيء ما كحب الأبناء لآبائهم والعكس وميل الرجل الغريزي نحو المرأة والعكس، وكذلك على ميل الإنسان لبعض المحبوبات من المطعومات والملبوسات والمرئيات.

أقول: بينما تطلق اللفظة في اللغة على ميل القلب وراحته إلى شيء ما فإن هذه اللفظة تستعمل خطأ على الممارسات (الجنسية) خاصة بين الرجل والمرأة وخاصة في مجال العلاقات الآثمة وهذا منتهى الإفساد لهذه الكلمة الطيبة والتبديل لمعناها، فالاسم الصحيح للعلاقات الآثمة هو الزنا والبغاء.

ووضع الكلمات الطاهرة الطيبة على المعاني الفاسدة يفسد اللغة والذوق وكذلك يهدم الدين والأخلاق ولذلك فإننا نرى أنه لا يجوز استعمال هذه اللفظة (الحب) إلا في معناها الصحيح.

والذين يسعون قبل عقد العقد الشرعي، والخطبة الشرعية إلى الحصول على الحب بمعناه الفاسد إنما يكتبون بأيديهم فساد حياتهم الزوجية ويهدمون أهم عامل من عوامل الحب الحقيقي بين الزوجين وهو الوفاء والإخلاص (وقد تكلمنا عن هذا مفصلًا في بحث البكارة).

ولا يتصور وجود الوفاء والإخلاص إلا بالطهارة والاستقامة الخلقية قبل الزواج وبعده.

بخلاف ذلك فالمرأة تسعد وتحب أن تكون مأخوذة ومحبوبة والرجل يجد سعادة فائقة إذا كان عند زوجته هو الرجل الوحيد في الدنيا، وأنه لا رجل غيره. وما زال ولن يزال الرجل يتألم وتتجرح كبرياؤه لو مدحت امرأته رجلًا غيره أو حتى استظرفت غيره أو استحسنت منه شيئًا.

والمعرفة الواسعة للرجل بالمرأة التي يريد الزواج بها وكذلك معرفة الفتاة معرفة كاملة أو شبه كاملة بالرجل الذي تريد الزواج به يفقد الزواج أحلى قضية فيه وهو هذا الاضطراب والخوف اللذيذ من ملاقاة المجهول فبالرغم من أن الإسلام أوجب على الرجل النظر إلى المرأة قبل الزواج وجعل رضا المرأة شرطًا في صحة العقد فإن النظر والرضا لا يعني أكثر من الاطمئنان إلى (الشكل) المطلوب، ويبقى الموضوع شيئًا آخر تمامًا، والذين يريدون معرفة المرأة معرفة تامة قبل الزواج إنما يفرغون الزواج من معناه الحقيقي.

وباختصار يجب أن نفهم الحب بمعناه الحقيقي لغة وشرعًا، ويجب أن نبني البيوت على الحقائق لا على الأوهام والأماني التي يمني كل من الراغبين في الزواج بها أحدهما الآخر.

ولا بأس بتاتًا أن يميل قلب رجل إلى امرأة يسمع عن صفاتها وأخلاقها وشمائلها وكذلك لا تعجب إذا أحبت امرأة رجلًا شاهدت وعلمت من صفاته وشمائله ما يدعوها إلى الزواج منه.

ولكن لا يجوز بتاتًا -إذا أردنا زوجًا سليمًا صحيحًا- أن تكون هناك ثمة علاقة بين رجل وامرأة يريدان الزواج أكثر من معرفة الصفات الحقيقية التي سيبني عليها الزواج، والعلاقات الآثمة التي تسبق الزواج ستكون حتمًا هي العامل الأول في هدم السعادة الزوجية.

ويحسن هنا أن نشير إلى أن عقد الزواج الشرعي وإن كان يبيح للرجل الاستمتاع الكامل بزوجته فإنه لا يحسن هذا قبل إعلان (الدخول) الشرعي لما يترتب على هذا الإعلان من حقوق شرعية لكل من الرجل والمرأة سيأتي تفصيلها في مكانها من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

والحب الكامل بين رجل وامرأة لا يمكن تصوره إلا بعد الزواج حيث تتاح الفرصة للمنافع المتبادلة ولترجمة الإخلاص والوفاء والتفاني في خدمة الغير إلى واقع فعلي.

وأما قبل الزواج فإن الحب غالبًا لا يكون إلا مجرد الميل الغريزي بين الرجل والمرأة، وقد يزيد من إشعال هذا الحب تلك الأماني الجميلة والأحلام المعسولة التي يمطر بها القادمان على الزواج أحدهما الآخر فأحلام اليقظة وبناء الآمال العريضة وإظهار التفاني والإخلاص الذي يقدمه كل من الرجل للمرأة والمرأة للرجل قبل الزواج تشعل الحب وتؤكد ميل القلب ولكن حرارة الحياة وجديتها ورتابة الحياة الزوجية وطول الألف والعشرة تهدم هذه الآمال والأحلام إذا لم يكن عند الزوجين المفهوم الصحيح لمعنى الحياة الزوجية، ولذلك يفاجأ كثيرًا من الأزواج (الواقع المر) بعد دخول الحياة الزوجية ويرون تبدلًا عظيمًا في أخلاق شريكة الحياة وقد يسأل كل منهما نفسه: هل هذا حقًا هو الإنسان الذي عرفته قبل الزواج؟! وذلك أنهم بنوا حياتهم على الأحلام والأماني لا على الواقع، ولذلك فالتعويل على هذه الأحلام هو من الغباء، والمجتمع المختلط قد يسر لكل من الرجل والمرأة التعرف والتقلب والصحبة والزمالة، ويسر أيضًا الخلوة الفاحشة، ولقد كانت ضريبة هذا هو النفور من الزواج وهدم الحياة الزوجية الحقيقية ففي الإحصائيات التي أخذت على طلاب بعض الجامعات ثبت أن أكثر من ٩٠ بالمائة منهم لا يفكرون بتاتًا في زواج زميلة له في الجامعة وذلك أن الاختلاط الكامل بين الطلاب أفقد المرأة أخص صفاتها وأحظاها عند الرجل وهو شعور الرجل أنه قد فاز بشيء عزيز مكنون.

ومهما قيل عن هذا الشعور بأنه بدائي أو أنه شعور بالامتلاك والمرأة ليست سلعة و. و. إلخ. فإن الحقيقة أن الرجل بفطرته ما زال يشترط في المرأة أن تكون متاعًا خاصًا به وحده وأن تكون خالصة له من دون الناس.

رابعا: المال والغنى:

من الصفات التي لا غنى عنها مطلقًا، ولا اختلاف عليها بين الناس هو اشتراط الغنى في المتقدم للزواج، وأقل الغنى هو الكفاف والقيام بواجبات الزوجية.

وقد فسر العلماء حديث الرسول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»

الحديث. أن المقصود بالباءة هو نفقات الزواج وإمكان إعاشة الرجل للمرأة.

والإسلام يشترط في صحة عقد النكاح واستمرار قدرة الرجل على الإنفاق.

ولكن الناس ينظرون في الرجل الآن إلى كثرة المال لا مجرد الكفاف والغنى عن الناس وذلك بعد تعاظم الحياة المادية، وانفتاح الأساليب المذهلة للاستمتاع بالحياة واقتناء الزينة التي لا تقف عند حد في أثمانها أو أشكالها. والمسلمون فقط من يسألون عن طالب الزواج الغني كيف اكتسب ماله؟.

وذلك بعد أن فسدت وسائل الكسب في العصر الراهن وأصبحت المقامرات والرياء وبيع الأعراض والذمم والرشاوي من أعظم وسائل الكسب في هذه الجاهلية الحديثة. ولا شك أن كل فتاة تريد السعادة الحقيقية يجب أن تعلم من أين اكتسب المتقدم للزواج بها ماله. فالرجل الشريف العفيف نظيف اليد هو أولى الناس بأن يؤسس بيتًا قائمًا على الاستقرار والسعادة، وأصحاب الدخول والأموال القذرة يتعاملون مع زوجاتهم بنفس تعاملهم مع الدينار والدرهم ويقدرونهم بقدر منافعهم المادية فقط.

باختصار تصبح المرأة عندهم كالسلعة تمامًا. تفقد قيمتها بالقدم (وبروز الموديل الجديد) وبنضوب المنافع المادية وقد كان من علامات الشرف (علو المكانة والمنزلة) في الجاهلية القديمة الكسب.

وذلك أن المتكسب المكافح العامل لا يقارن مطلقًا مع العاجز الكسول العالة على غيره. ولذلك كان من أقسى أنواع الذم في الجاهلية هذا السب:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي المطعوم المكسو. وقد أتلفت الحياة الحاضرة قيمة الإنسان الحقيقية وذلك بالتوظيف الحكومي.

فالوظائف الحكومية الهرمية والتي يراعي فيها كثيرًا الغش والنفاق والمحسوبية، رفعت أناسًا يستحقون الوضع، ووضعت أناسًا يستحقون الرفعة، وأصبحت السمة الغالبة أن نرى كل إنسان في غير موضعه بل لا نكاد أن نرى إنسانًا في موضعه الصحيح من هذا الهرم الوظيفي المغشوش.

ولذلك فالتعويل على معرفة القيمة الحقيقية للإنسان من خلال الحسب والمال أصبحت لاغية تمامًا في عصر اختلطت فيه موازين الكسب والتوظيف، ومع ذلك لن نعدم أيضًا التقييم الحقيقي للرجال الذين يلتزمون بالعفاف وطهارة اليد.

وليس اشتراط الغنى بالنسبة للمرأة مطلوبًا على النحو الذي يطالب به الرجل وخاصة في المجتمعات التي يستطيع الرجال أن يكسبوا ما يكفيهم بسهولة ويسر، ولكن في المجتمعات الفقيرة، حيث يصبح عمل المرأة وكسبها ومالها جزءًا أساسيًا للمعيشة أصبحت المرأة مطالبة بالمشاركة والمساهمة اللازمة في نفقات العيش.

وهذا من أعظم فساد الحياة ومن أعظم البلاء الذي وفد إلينا من الحضارة الغربية المادية، وبذلك أصبح أمام المرأة عبئان: عبء الحمل والولادة وتربية الأولاد والعناية بشئون المنزل، وعبء الخروج للتكسب والإنفاق.

والعجيب أن الذين يؤيدون خروج المرأة للعمل خارج البيت ليسوا قطعًا من الأمهات الذين لهم بيوت آمنة مستقرة وأولاد وإنما هم في جميع بقاع العالم إما أن يكن زوجات فاشلات أو عوانس مغبونات، وأما الأمهات الحقيقيات والزوجات الناجحات في كل بقاع العالم فيصرخن بأعلى أصواتهن أنه من الظلم للمرأة أن تطالب بوظيفتين وظيفة الفطرة (الحمل والإرضاع والتربية) ووظيفة المجتمع الظالم والقوانين الجائرة (المساهمة في نفقات الأسرة وما يسمى ببناء المجتمع الاقتصادي) وبالطبع فالرجال الذين لا يتسمون بالإنصاف والخلق يجادلون في خروج المرأة للعمل لمرض قلوبهم وإرضاء شهواتهم لا لنفع المرأة ونهضة المجتمع.

ولكن المشكلة الحقيقية في كل ذلك أن المجتمعات التي قطعت شوطًا بعيدًا وراء الحضارة المادية قد جعلت خروج المرأة للعمل ضرورة حتمية أمام من يريد الزواج وذلك أن نفقات السكن والمعيشة لا يكفي لها راتب الزوج في المعتاد، وبذلك أصبح الشاب في خيار أن يستمر بلا زواج سنوات طويلة أو يعيش بما لا يتلاءم مع وضعه الاجتماعي والأخلاقي ويتزوج أو أن يتزوج من امرأة عاملة أو موظفة.

والذين يغامرون أو يغرون ويتزوجون من امرأة موظفة أو عاملة فهم يغامرون بسعادتهم

واستقرار أسرهم، فالمرأة التي تدفع من راتبها على زوجها وأولادها لا يمكن أن تكون زوجة كاملة مطلقًا اللهم إلا إذا تحلت بأخلاق هائلة من الكرم وضبط النفس وعدم المن بالفضل، وهي صفات نادرة جدًا في هذه الأيام.

وعلى كل حال ليعلم الرجال الذين يمدون أيديهم لزوجاتهم أن هذا يجب أن يكون عن طيب نفس تمامًا، وليحذر أن يكون هذا وسيلة من وسائل الاستذلال مستقبلًا.

وقد عرفت عشرات الحالات لإخوان وأصدقاء كثيرين فشلت حياتهم الزوجية بسبب عمل وكسب زوجاتهم. هذا عدا المتاعب الهائلة التي تسببها امرأة عاملة منهكة لزوجها وأسرتها وذلك بما تلقيه في بيتها من هموم العمل ومتاعبه ومشكلاته. ولا يمكن أن نتصور بتاتًا كيف يمكن أن يكون هناك أسرة سعيدة حقًا في ظلال امرأة عاملة منهكة.

وأما الغنى الوراثي أو الذي حازته بغير طريق العمل اليومي فهو من المغريات لكثير من الرجال الذين يريدون الثروة السهلة الميسرة.

وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك من أسباب طمع الرجال في النساء كما قال: «تنكح المرأة لأربع»، وعد من ذلك المال فيجب أن نعلم أيضًا أن هذا المال لا يجوز أن يكون مسوغًا للزواج بالمرأة إلا إذا كان في يد امرأة عفيفة كريمة النفس تنفق منه على بيتها ولا تمن بإنفاقها.

هذا إذا كان الرجل راغبًا في الزواج بالمرأة الغنية لا لأجل مالها فقط.

أما إذا كان لا رغبة له إلا المال فقط وقد عبر إلى هذا المال بطريق الزواج فهذا شأن آخر.

وما أظن أن عقد الزواج بهذه النية يكون صحيحًا مشروعًا، ولعل هذا أشبه بالنصب والاحتيال. وتحتاج المرأة الغنية أيضًا التي تريد الزواج إلى أن تتريث طويلًا في قبول المتقدم لها حتى تتحقق أنه يريد من الزواج أمورًا أخرى غير ثروتها وغناها.

خامسًا: الأخلاق:

عرفنا أننا يجب أن نبحث قبل الزواج عن (المعدن) النقي للإنسان وهذا المعدن صناعة إلهية ليست كسبية كما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال لزيد الخير: **«إن فيك**

لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة»، قال: يا رسول الله خصلتان جبلت عليهما أم تخلقت بهما؟ قال: «بل جبلت عليهما[١]» الحديث.

وهذا يعني أن هذا الصحابي قد خلق حليمًا متأنيًا قبل أن يكون مسلمًا وهذه المعادن البشرية تتفاوت نقاوة وجودة.

ثم الدين وعرفنا أن المقصود بالدين حقيقة الدين لا ظاهره فقط والدين عاصم من الظلم والانحراف ومقيم للزوجين -إن أقاماه- على سنن الخير والسعادة والصلاح.

وإذا اجتمعت هاتان الصفتان في رجل أو امرأة صنعت الأعاجيب فنقاوة المعدن إذا صادفت فقه الدين وتشربت أحكامه أخرج هذا ثمارًا طيبة من الخلق الكامل والعفة والطهارة والاتزان والصدق والوفاء والتفاني في خدمة الآخرين والاعتراف بالجميل.

وهذه الصفات كلها صفات لازمة ضرورية في الزوجين لكل زواج ناجح، وذلك أن الشذوذ والانحراف أو التقلب والتذبذب أو الجحود ونكران الجميل أو الكذب أو التعالي.

واحدة من هذه الصفات في أحد الزوجين كافية لهدم السعادة الزوجية ومورثة للشقاء والهموم، ونحن نكشف عن طبيعة معدن الإنسان (رجلًا كان أو امرأة) وطبيعة دينه بمعرفة هذه الأخلاق؛ فالأخلاق الطيبة هي نتاج طيب للمعدن الطيب والدين الصحيح السليم، وأما الأخلاق الخبيثة فهي أيضًا نتاج خبيث للمعدن الخبيث والدين الكاذب أو الدين الباطل. ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

فعلى تفسير النكاح هنا بالزواج يكون المعنى لا يرغب في الزواج ممن اشتهرت بالزنا إلا مثيلها في هذا الخلق الذميم أو مشرك لا يقيم وزنًا للأخلاق، وكذلك العكس لا ترغب المرأة في الزواج من رجل اشتهر بالفسق والفجور إلا أن تكون على شاكلته أو تكون مشركة لا دين يردعها عن مثل هذا النكاح.

وأعم من هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ والآية على تفسير الطيبات والخبيثات بالزوجات، وعلى

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٨) .

تفسير الطيبين والخبيثين بالأزواج، والخبث والطيبة هنا أوصاف للأخلاق الذميمة والطيبة وهذه الأخلاق كما أسلفنا القول ثمار للمعدن والدين.

سادسًا: الجمال:

الجمال هو الصفة التي يبحث عنها كل من الرجل والمرأة عند الآخر. وهذه الصفة الظاهرية لها أثر عجيب في دوام العشرة وبقاء الألفة وبالرغم من أن الإنسان من حيث هو إنسان مخلوق في أحسن تقويم فإن التفاضل بين البشر في هذه الصفة متفاوت لدرجة كبيرة جدًا.

ومع أن الناس أيضًا يتفقون على خطوط رئيسية للجمال إلا أنهم يختلفون أيضًا في الحكم على تفصيلاته وتفريعاته ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل[1]». وترك النبي صلوات الله وسلامه عليه مسألة ما يدعو الرجل إلى الزواج من امرأة متروكًا إلى الشخص.

ولقد شدد النبي ﷺ في هذه الناحية أعني اشتراط الجمال أو على الأقل اشتراط القبول لشكل المرأة ووجهها فقد جاء في الحديث الصحيح أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه خطب امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ:«هل نظرت إليها؟» قال: لا. قال: «اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» [2].

وهذا أمر يقتضي الوجوب في الحديث الآخر إذا خطب أحدكم امرأة فلينظر إليها ومعلوم أن النظر هنا بحث عن الجمال والشكل. وليس عيبًا ولا منافيا للدين والخلق والإحسان أن يرغب رجل عن زواج امرأة لأنها دميمة فقد جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وقالت: إني أهب لك نفسي فرفع إليها نظره ثم ألقاه إلى الأرض وسكت ورغب النبي عن نكاحها لأنها لم تكن جميلة.

حتى أنه قام صحابي بجوار النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٢٠٨٢) .

(٢) تقدم تخريجه .

فزوجنيها. فزوجه النبي ﷺ إياها على أن يعلمها سورًا من القرآن[(١)] وكذلك ليس منافيًا للدين والإحسان والخلق الكامل أن يشاهد رجل امرأة جميلة فيرغب في الزواج منها لذلك، وقد فعل هذا سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه فما تزوج جويرية بنت الحارث رضي الله عنها إلا لملاحتها وجمالها بعد أن رآها في السبي وكان زواجه منها خيرًا عميمًا على أهلها جميعًا.

وما يريده الرجل في المرأة تريده أيضًا المرأة في الرجل وإن كانت المرأة بوجه عام مطلوبة لا طالبة إلا أنها أيضًا تنتظر أن يتقدم إليها الوسيم الجميل ولا ينافي الخلق الطيب والاستقامة للمرأة المسلمة أن ترفض رجلًا ليس بجميل وإن كان على دين وخلق، وقد فرق رسول الله ﷺ بين قيس بن شماس وزوجته لأنها كرهته لدمامته، وكذلك لا ينافي تقواها ودينها أن تطلب وترجو أن يتقدم إليها الوسيم الجميل.

وهذا الذي قدمنا بأدلته نسوقه للذين يظنون أن الدين لا يقيم اعتبارًا لهذه القضية التي يظنونها من نتاج الفكر المادي وأهل الشهوات والدنيا. وهذا الفهم فهم خاطئ سخيف لأحكام الدين في هذه القضية.

ومع ذلك يجب علينا أن نضع قضية الجمال مكانها من حيث مجموع الصفات المثالية التي يبحث عن توفرها في الزوج الصالح والزوجة الصالحة، فالجمال حقًا شكل وظاهر ومع ذلك فهو مراد ومطلوب ومحبوب ومرغوب دينًا وطبعًا وإن كان الجمال في ذاته صفة وهبية من الخالق سبحانه وتعالى ولا كسب للإنسان غالبًا فيه ولكننا أيضًا شرعًا ودينًا في حرية وإباحة للتخير والمفاضلة وهذا من رحمة الله وتوفيقه.

ولكن المنهي عنه شرعًا أن تغلب هذا الظاهر على الجوهر الأساسي للإنسان من الأصل والدين. بل يجب علينا أن نضع الجمال في المستوى والحد اللائق به والمتناسب مع الصفات العامة التي يجب علينا مراعاتها في اختيار شريك الحياة.

سابعًا: البكارة:

البكارة من (الصفات) المحببة في الزواج لدى الرجل والمرأة (يقال رجل بكر وامرأة بكر

---

(١) تقدم تخريجه .

أي لم يسبق لهما زواج).

وهذه الحالة نسميها صفة تجاوزًا. وقد جاء على لسان الرسول ﷺ الحض على زواج البكر كما في حديث جابر في «الصحيحين»(١) أن الرسول ﷺ سأله: «ماذا تزوجت؟» قال: ثيبًا يا رسول الله (والثيب هي المرأة التي سبق لها زواج) فقال له الرسول: «هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك».

وفي الحديث التعليل لزواج البكر بأنه للملاعبة والسبب أن البكر التي لم يسبق لها زواج تتفتح طاقاتها النفسية والعاطفية والجسدية على لقائها الأول مع الرجل سواء كان لقاء شرعيًا أم سفاحًا، وشتان بين ما يخلقه لقاء النكاح ولقاء السفاح.

فلقاء النكاح يورث الحب والألفة والتراحم ولقاء السفاح يورث البغضاء والندم والشعور بالإثم والألم من مواجهة المستقبل ويعرض المرأة إلى الاستذلال سواء تزوجت برجل آخر أو تزوجت بمن واقعها سفاحًا.

وقد كان فعل الرب حازمًا مع المرأة إذ جعل غشاء البكارة خاتمًا ودليلًا على الطهارة والعفة وذلك أن رحم المرأة هو مستقر الولد، وأولاد السفاح من أعظم الفساد في الأرض.

والفلسفات المادية والحديثة والدراسات النفسية وخاصة المنحى (الفرويدي) قد هون من شأن العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة زاعمًا أنه ينبغي أن ينظر إليه كالنظر إلى الطعام والشراب وأنه لا يجوز أن نحيطه بسياج الأخلاق والدين والتقاليد والعادات التي تحدد من إشباع الإنسان في هذه الناحية.

وزاعمًا أيضًا أن الجنس هي الغريزة التي يدور الوجود كله عليها فالسموات والأرض والبشر ما خلقوا إلا لممارسة الجنس وإذا كان هذا هو غاية خلقهم فلا يجوز أن توضع حدود وعقبات أمام هذه الغاية.

هذه هي خلاصة العقيدة الفرويدية التي صبغت وجه الحضارة الحديثة وكان لها أعظم الأثر في الثورة الجنسية التي يعيشها العالم في هذا العصر الراهن.

وبالرغم من هذه الفلسفة الخائنة المغلوطة فإن الانحراف ما زال في جميع المجتمعات

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٩٧) ومسلم (٧١٥).

على السواء ينظر إليه باحتقار وازدراء حتى تلك المجتمعات المادية التي تركت الدين منذ مدة طويلة؛ وذلك أن نداء الفطرة ما زال يأبى هذا الانحراف ونحن -المسلمين -الذين لم تتدنس نفوسنا بعد، وما زال الدين حيًا في نفوسنا يدعونا إلى الاستقامة والعفة، نمجد الفضيلة والعفاف ونزدري السقوط والانحراف.

المهم أن البكارة شيء محبب وصفة من الصفات التي يحرص عليها اللهم إلا إذا كانت هناك مصالح في الزواج ترجح صفة أخرى كما أقر رسول الله جابرًا الذي تزوج ثيبًا عندما قال: إن أبي قتل شهيدًا في أحد وترك تسع بنات فلم أرد أن أضيف إليهن واحدة مثلهن وإنما أحببت أن أتزوج ثيبًا تقوم عليهن وتمشطهن. فقال له الرسول ﷺ: «فنعم إذن»[1].

والشاهد أن المرأة البكر أحظى لدى زوج يريد امرأة تبحث عن كنف ومرشد ورجل قوام عليها وهذه الحاجة الفطرية في المرأة عمومًا ولكنها في البكر أشد.

ويبدو أن هذه القضية عكسية تمامًا في الرجل البكر فهو أشد مراسًا وأقسى طباعًا في معاملة زوجته وإن كان أحلى عشرة وأبهج حياة.

وأما الرجل الثيب فإنه أطوع للمرأة وأضعف أمام رغباتها ولكنه مع ذلك أنكد عشرة وخاصة كلما تقدمت به السن وعلاه الشيب ولا يظنن ظان أن الضعف والطواعية للمرأة من أسباب سعادتها ولكنه في الحقيقة من أسباب شقائها وتعاستها. وهذا من قوانين الفطرة الصارمة التي لا تتخلف.

فالواجب علينا إذن أن نضع هذه الصفة (البكارة) في مكانها الصحيح أيضًا من الصفات المثالية التي ننشدها في الرجل والمرأة ولتعلم الفتاة أن مستقبل حياتها الزوجية مرهون بالمحافظة على الخاتم الذي وضعه الخالق البارئ، وأن التفريط في هذا الشيء العزيز الذي لا يرتق هو بمثابة خسارة لا تعوض.

وإذا كان على المرأة أن تبحث عن الرجل البكر أيضًا فيجب أن يكون أيضًا بحيث يصلح مرشدًا وهاديًا وقوامًا، ولذلك فزواج الأقران (الذين في سن واحدة) من أفشل الزواج لأن الأسرة لا ينتظم أمرها إذا كان الزوجان ندين. وقانون الفطرة أن تسعد المرأة

---

(١) تقدم تخريجه .

فيمن تجد عنده مع الحب والحنان والعطف والرعاية والقوامة والرجولة.

فالقوامة والرجولة صفتان أساسيتان لزواج سليم. وكذلك على الذين يتزوجون امرأة ثيبًا ألا يتعلقوا بمستقبل وهمي من التطبع والامتاع النفسي والجسدي الذي يوجد لدى الأبكار وأن يعلق أمله فقط بالمنافع الممكنة من هذا الزواج وليس بالمنافع المستحيلة.

وكذلك يستحسن أن تنصرف الفتاة عن زواج قرنها ومساويها في السن ما أمكن إلا أن تكون على استعداد للتنازل أحيانًا عن فهمها وعلمها ورأيها مع تحققها أنه صواب حفاظًا على حياتها الزوجية.

وأما اللاتي يقدمن للزواج من كبار السن من الرجال فيجب عليهن أيضًا أن تعرف الممكن الذي يستطيع الرجل أن يقدمه للمرأة من مال ومتاع ونحوه أو من فضائل أخروية كأن تقبل الزواج برجل كبير احتسابًا لله لخدمته ورحمة لشيخوخته، وكما يفعل من يتزوج امرأة ليرعى عيالها أو يؤنس وحدتها ووحشتها، فليس الزواج للمنافع المادية الدنيوية فقط. لكنه أيضًا مجال واسع للمنافع الأخروية وطلب الحسنات والثواب والأجر من الله سبحانه وتعالى. والمهم أن الإنسان إذا عرف هدفه وغايته ولم يطالب بالمستحيل استراح وأراح وإنما إذا تعلق بالأوهام وطالب بالمستحيل وأقدم على الأمور بجهل عواقبها خاب أمله وضل سعيه.

ثامنًا: الشرف والحسب:

جاء في الحديث الصحيح أن الحسب أحد الأسباب التي تغري الرجال بالزواج من النساء. والحسيبة هي المرأة الشريفة ذات المكانة والمنزلة، والشرف هنا يعني العلو والرفعة (ويستعمل الشرف عرفًا الآن بمعنى العفة وهو استعمال غير سليم) ولا يلزم من وجود الحسب وجود المال والغنى فالشرف والحسب يعني الشهرة والرفعة والسيادة وكان الناس وخاصة في جاهلية العرب يشتهرون ويبلغون أعظم منازل الشرف ولا مال لهم وإنما لكرم أصولهم وكريم شمائلهم وأخلاقهم.

فحاتم الطائي مثلًا كان سيدًا في قومه. ولم يكن غنيًا، وبنو هاشم كانوا في القمة من أقوامهم شرفًا وحسبًا ولم يكونوا أغنياء بمعنى الثراء والمال وكانت العرب تقدس الأخلاق

وتعتني بالأصول القبلية ولا تقيس شرف الناس إلا بذلك، ولقد تغيرت هذه الموازين في جاهليتنا الحديثة وأصبح المال والثراء والمركز الوظيفي هي مقومات الشرف والمكانة وإليها ينسب الحسب في الوقت الراهن.

وأما العناية بالأصول والقبائل فما زال معمولًا بها في البوادي أو القبائل التي تحضرت حديثًا، وكلما أوغل المجتمع في التحضر الحديث هدمت هذه الأعراف والتقاليد.

وقد ناقشنا في البند السابق النظرة الصحيحة للثراء والغنى وما منزلة ذلك في زواج سعيد مثالي وعليه فالحسب الآن مرتبط بالنظرة إلى المال والمركز الوظيفي.

وأما الأعراف البدوية أو المتحضرة حديثًا فبالرغم من أنها امتداد لأعراف الجاهلية القديمة إلا أن هناك جوانب من الحق في هذه الأعراف والتقاليد لا ينبغي أن نساعد على محوها فبعض القبائل فقدت سمتها وباءت بالعار لدى القبائل لما كانت تمارسه من دعارة وسقوط خلقي وانحراف، وكان الامتناع عن الزواج والمصاهرة بهذه الأصول فيها جانب من جوانب الحق، كما أن قبائل (النَوَر والغَجَر) الطوافة لا يخفى على مطلع الأساليب التي كانت تتكسب بها من الدعارة والعرافة والسرقة ونحو ذلك، وكان وما زال الامتناع عن المصاهرة بهذه الأصول شيئًا مقررًا في الشريعة، وإن كانت وسائل الإعلام في بعض الدول تعمل جاهدة الآن على محو هذه التقاليد وهذا لإفساح المجال نهائيًا أمام الانحراف.

والإسلام وإن جاء يدعو الناس إلى أن أصلهم واحد وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى إلا أنه أخبر أيضًا بالأمر بالتنافس في الفضائل والبعد عن الرذائل والتقوى التي جاء الإسلام بالأمر بتحصيلها لا تحصل إلا إذا رافق الدين طبعًا نقيًا، ونفسًا صافية وخلقًا مساعدًا وعلى كل حال ينبغي أن نضع الأحساب في موضعها الصحيح فالحسب والشرف بالمعنى الصحيح ينبغي أن يكون هو المعدن الطيب والخلق الكريم والدين (وقد ناقشنا هذا فيما سبق) وأما الشهرة التي انبنت على شيء آخر فهي بما لا يقيد به في الحسب والشرف.

والمرأة الحسيبة إذا لم يكن لها من الدين والخلق ما يعصمها عن التعالي على زوجها فإن ذلك سيؤدي حتمًا إلى النشوز أو التبعية وانهيار دور الرجل في بيته وكلاهما مدمر للحياة الاجتماعية.

فالمرأة المتعالية عن زوجها (الناشز) لا يمكن أن يوصف زواجها بأنه ناجح أو أنها سعيدة. وكذلك المرأة التي تملك رجلًا قد تخلى عن دوره في منزله من حيث القوامة والرجولة لا يمكن أن تعيش سعيدة أيضًا وأشقى الرجال من يعيش مع امرأة متعالية عليه وغير راضي بذلك وكذلك من يعيش مع امرأة متعالية عليه وهو راض بذلك.

والرجل الحسيب لا شك أنه أحظى لدى المرأة وأحب إليها من رجل عاطل عن ذلك، ولكن هذا الحسب إذا لم يزينه الخلق الكريم والدين الصحيح فإنه ينقلب إلى إذلال للمرأة وتعالٍ عليها وذلك إذا لم تسامه شرفًا ومكانة.

والنفوس في تطبعها بطابع الإسلام وتخلقها بأخلاقه ليست سواء ولذلك رأينا كيف رفضت زينب بنت جحش ﵂ الزواج بأسامة وتزوجته كارهة ثم ضايقته حتى طلقها وما ذلك إلا لنفاستها عليه ونزول مكانته عندها وذلك بالرغم من كونه بكرًا ولم تكن كذلك وعلى كل حال فيجب أن نراعي تلك الموازين كلها الخاصة بالحسب والمنزلة الاجتماعية عندما نقدم على الزواج. والإسلام فيه حل لكل هذه المشكلات ولكن نعيد القول ثانيًا ليست كل النفوس سواء في التزامها بآداب الإسلام وأخلاقه، ونحن نتعامل مع البشر وللبشر قصورهم بآداب الإسلام وأخلاقه، ونحن نتعامل مع البشر وللبشر قصورهم وعجزهم وضعفهم وتقاليدهم وأعرافهم، وبالرغم من أن الدين يجب أن يصلح كل هذه الأمور إلا أن الدين ليس ضربة لازب، في إصلاح كل النفوس في كل الأحوال وكل الظروف، ولا نستطيع أن ننفي الدين عن رجل يسرت له امرأة متدينة صالحة ولكنها دميمة فقيرة لا حسب لها فأبى الزواج منها. وكذلك لا نستطيع أن ننفي الدين عن امرأة تقدم لها رجل مسلم صالح ولكنه دميم فقير لا حسب له فقالت لا أستطيع الزواج منه.

ولذلك وضعنا كل هذه الاعتبارات والصفات التي أسميناها (مثالية) في الرجل والمرأة ليعلم إخواننا الشباب والشابات كيف يختارون لأنفسهم ومتى يقبلون ومتى يرفضون.

* * *

صفات يحبها الرجل في زوجته

هذه صفات يريدها الرجل بل ويرغبها ويطمح أن تكون في زوجته تعمل بها وتتصف بها :

١- طاعة الله سبحانه وتعالى في السر والعلن، وطاعة رسوله ﷺ،وأن تكون صالحة.

٢- أن تحفظه في نفسها وماله في حالة غيابه.

٣- أن تسره إذا نظر إليها، وذلك بجمالها الجسماني والروحي والعقلي، فكلما كانت المرأة أنيقة جميلة في مظهرها كلما ازدادت جاذبيتها لزوجها وزاد تعلقه بها.

٤- أن لا تخرج من البيت إلا بإذنه.

٥- الرجل يحب زوجته مبتسمة دائمًا.

٦- أن تكون المرأة شاكرة لزوجها، فهي تشكر الله على نعمة الزواج الذي أعانها على إحصان نفسها ورزقت بسببه الولد، وصارت أمًا.

٧- أن تختار الوقت المناسب والطريقة المناسبة عند طلبها أمر تريده وتخشى أن يرفضه الزوج بأسلوب حسن وأن تختار الكلمات المناسبة التي لها وقع في النفس.

٨- أن تكون ذات خلق حسن.

٩- أن لا تخرج من المنزل متبرجة.

١٠- أن لا ترفع صوتها على زوجها إذا جادلته.

١١-أن تكون صابرة على فقر زوجها إن كان فقيرًا، شاكرة لغناء زوجها إن كان غنيًا.

١٢- أن تحث الزوج على صلة والدية وأصدقائه وأرحامه.

١٣- أن تحب الخير وتسعى جاهدة الى نشره.

١٤- أن تتحلى بالصدق وأن تبتعد عن الكذب.

١٥- أن تربي أبناءها على محبة الله ورسوله ﷺ، وأن تربيهم كذلك على احترام والدهم وطاعته وأن لا تساعدهم على أمر يكرهه الزوج وعلى الاستمرار في الأخطاء.

١٦- أن تبتعد عن الغضب والانفعال.

١٧- أن لا تسخر من الآخرين وأن لا تستهزئ بهم.

١٨- أن تكون متواضعة بعيدة عن الكبر والفخر والخيلاء

١٩- أن تغض بصرها إذا خرجت من المنزل

٢٠- أن تكون زاهدة في الدنيا مقبلة على الآخرة ترجوا لقاء الله.

٢١- أن تكون متوكلة على الله في السر والعلن، غير ساخطة ولا يائسة.

٢٢- أن تحافظ على ما فرضه الله عليها من العبادات.

٢٣- أن تعترف بأن زوجها هو سيدها، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾.

٢٤- أن تعلم بأن حق الزوج عليها عظيم، وأعظم من حقها على زوجها.

٢٥- أن لا تتردد في الاعتراف بالخطأ، بل تسرع بالاعتراف وتوضح الأسباب دعت إلى ذلك.

٢٦- أن تكون ذاكرة لله، يلهج لسانها دائمًا بذكر الله.

٢٧- أن لا تمانع أن يجامعها زوجها بالطريقة التي يرغب والكيفية التي يريد ما عدا في الدبر.

٢٨- أن تكون مطالبها في حدود طاقة زوجها فلا تثقل عليه وأن ترضى بالقليل.

٢٩- أن لا تكون مغرورة بشبابها وجمالها وعلمها وعملها فكل ذلك زائل.

٣٠- أن تكون من المتطهرات نظيفة في بدنها وملابسها ومظهرها وأناقتها.

٣١- أن تطيعه إذا أمرها بأمر ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ﷺ.

٣٢- إذا أعطته شيء لا تمنه عليه.

٣٣- أن لا تصوم صوم التطوع إلا بإذنه.

٣٤- أن لا تسمح لأحد بالدخول بمنزله في حالة غيابه إلا بإذنه إذا كان من غير محارمها، لأن ذلك موطن شبهة.

٣٥- أن لا تصف غيرها لزوجها،لأن ذلك خطر عظيم على كيان الأسرة.

٣٦- أن تتصف بالحياء.

٣٧- أن لا تمانع إذا دعاها لفراشه.

٣٨- أن لا تسأل زوجها الطلاق،فإن ذلك محرم عليها.

٣٩- أن تقدم مطالب زوجها وأوامره على غيره حتى على والديها.

٤٠- أن لا تضع ثيابها في غير بيت زوجها.

٤١- أن تبتعد عن التشبه بالرجال.

٤٢- أن تذكر زوجها بدعاء الجماع إذا نسي.

٤٣- أن لا تنشر أسرار الزوجية في الاستمتاع الجنسي،ولا تصف ذلك لبنات جنسها.

٤٤- أن لا تؤذي زوجها.

٤٥- يرغب الرجل في زوجته أن تلاعبه، قال رسول الله ﷺ لجابر رضي الله عنه: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»[1].

٤٦- إذا فرغا من الجماع يغتسلا معًا،لأن ذلك يزيد من أواصر الحب بينهما، قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، تختلف أيدينا فيه، من الجنابة»[2].

٤٧- أن لا تنفق من ماله إلا بإذنه.

٤٨- إذا كرهت خلقًا في زوجها فعليها بالصبر، فقد تجد فيه خلقًا آخر أحسن وأجمل، قد لا تجده عند غيره إذا طلقها.

٤٩- أن تحفظ عورتها إلا من زوجها.

٥٠- أن تعرف ما يريد ويشتهيه زوجها من الطعام،وما هي أكلته المفضلة.

٥١- أن تكون ذات دين قائمة بأمر الله حافظة لحقوق زوجها وفراشه وأولاده وماله، معينة له على طاعة الله، إن نسي ذكرته وإن تثاقل نشطته وإن غضب أرضته.

٥٢- أن تشعر الرجل بأنه مهم لديها وأنها في حاجة إليه وأن مكانته عندها توازي الماء والطعام، فمتى شعر الرجل بأن زوجته محتاجة إليه زاد قربًا منها، ومتى شعر بأنها تتجاهله وأنها في غنى عنه، سواء الغنى المالي أو الفكري، فإن نفسه تملها.

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٥٠) ومسلم (٣٢١) .

٥٣- أن تبتعد عن تذكير الزوج بأخطائه وهفواته، بل تسعى دائمًا إلى استرجاع الذكريات الجميلة التي مرت بهما والتي لها وقع حسن في نفسيهما.

٥٤- أن تظهر حبها ومدى احترامها وتقديرها لأهل زوجها، وتشعره بذلك، وتدعو لهم أمامه وفي غيابه، وتشعر زوجها كم هي سعيدة بمعرفتها لأهله، لأن جفاءها لأهله يولد بينها وبين زوجها العديد من المشاكل التي تهدد الحياة الزوجية.

٥٥- أن تسعى إلى تلمس ما يحبه زوجها من ملبس ومأكل وسلوك، وأن تحاول ممارسة ذلك لأن فيه زيادة لحب الزوج لزوجته وتعلقه بها.

٥٦- أن تودعه إذا خرج خارج المنزل بالعبارات المحببة إلى نفسه، وتوصله إلى باب الدار وهذا يبين مدى اهتمامها بزوجها،ومدى تعلقها به.

٥٧- إذا عاد من خارج المنزل تستقبله بالترحاب والبشاشة والطاعة وأن تحاول تخفيف متاعب العمل عنه.

٥٨- أن تظهر حبها لزوجها سواء في سلوكها أو قولها وبأي طريقة مناسبة تراها.

٥٩- أن تؤثر زوجها على أقرب الناس إليها، حتى لو كان ذلك والدها.

٦٠- إذا أراد الكلام تسكت، وتعطيه الفرصة للكلام، وأن تصغي إليه، وهذا يشعر الرجل بأن زوجته مهتمة به.

٦١- أن تبتعد عن تكرار الخطأ، لأنها إذا كررت الخطأ سوف يقل احترامها عند زوجها.

٦٢- أن لا تمدح رجلًا أجنبيًا أمام زوجها إلا لصفة دينية في ذلك الرجل، لأن ذلك يثير غيرة الرجل ويولد العديد من المشاكل الأسرية، وقد يصرف نظر الزوج عن زوجته.

٦٣- أن تحتفظ بسره ولا تفشي به وهذا من باب الأمانة.

٦٤- أن لا تنشغل بشيء في حالة وجود زوجها معها، كأن تقرأ مجلة أو تستمع الى المذياع، بل تشعر الزوج بأنها معه قلبًا وقالبًا وروحًا.

٦٥- أن تكون قليلة الكلام،وأن لا تكون ثرثارة، وقديمًا قالوا: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب [١].

---

(١) وهذا ليس على إطلاقه، فهناك مقامات وأحوال يكون فيها الكلام أفضل من السكوت والعكس.

٦٦- أن تستغل وقتها بما ينفعها في الدنيا والآخرة، بحيث تقضي على وقت الفراغ بما هو نافع ومندوب، وأن تبتعد عن استغلال وقتها بالقيل والقال والثرثرة والنميمة والغيبة.

٦٧- أن لا تتباها بما ليس عندها.

٦٨- أن تكون ملازمة لقراءة القرآن الكريم والكتب العلمية النافعة، كأن يكون لها وردٌ يوميّ.

٦٩- أن تجتنب الزينة والطيب إذا خرجت خارج المنزل.

٧٠- أن تكون داعية إلى الله سبحانه وتعالى وإلى رسوله ﷺ تدعو زوجها أولًا ثم أسرتها ثم مجتمعها المحيط بها، من جاراتها وصديقاتها وأقاربها.

٧١- أن تحترم الزوجة رأي زوجها، وهذا من باب اللياقة والاحترام.

٧٢- أن تهتم بهندام زوجها ومظهره الخارجي إذا خرج من المنزل لمقابلة أصدقائه، لأنهم ينظرون إلى ملابسه فإذا رأوها نظيفة ردوا ذلك لزوجته واعتبروها مصدر نظافته والعكس.

٧٣- أن تعطي زوجها جميع حقوق القوامة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى عليها بنفس راضية وهمة واضحة بدون كسل أو مماطلة وبالمعروف.

٧٤- أن تبتعد عن البدع والسحر والسحرة والمشعوذين لأن ذلك يخرج من الملة وهو طريق للضياع والهلاك في الدنيا والآخرة.

٧٥- أن تقدم كل شي في البيت بيدها وتحت رعايتها، كالطعام مثلًا، وأن لا تجعل الخادمة تطبخ وكذلك التي تقدم الطعام،لأن اتكال المرأة على الخادمة يدمر الحياة الزوجية ويقضي عليها ويشتت الأسرة.

٧٦- أن تجتنب الموضة التي تخرج المرأة عن حشمتها وآدابها الإسلامية الحميدة.

٧٧- أن ترضي زوجها إذا غضب عليها بأسرع وقت ممكن حتى لا تتسع المشاكل ويتعود عليها الطرفين وتألفها الأسرة.

٧٨- أن تجيد التعامل مع زوجها أولًا ومع الناس الآخرين ثانيًا.

٧٩- أن تكون الزوجة قدوة حسنة عند زميلاتها وصديقاتها، يضرب بها المثل في هندامها وكلامها ورزانتها وأدبها وأخلاقها.

٨٠- أن تلتزم بالحجاب الإسلامي الشرعي،وتتجنب لبس البرقع والنقاب وغير ذلك مما انتشر في الوقت الحاضر.

٨١- أن تكون بسيطة، غير متكلفة، في لبسها ومظهرها وزينتها.

٨٢- أن لاتسمح للآخرين بالتدخل في حياتها الزوجية، وإذا حدثت مشاكل في حياتها الزوجية، تسعى إلى حلها بدون تدخل الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء.

٨٣- إذا سافر زوجها لأي سبب من الأسباب، تدعوا له بالخير والسلامة، وأن تحفظه في غيابه، وإذا قام بالاتصال معها عبر الهاتف لاتنكد عليه بما يقلق باله، كأن تقول له خبرًاسيئًا، إنما المطلوب منها أن تسرع إلى طمأنته ومداعبته وبث السرور على مسامعه، وأن تختار الكلمات الجميلة التي تحثه على سرعة اللقاء.

٨٤- أن تستشير زوجها في أمورها الخاصة والعامة، وأن تزرع الثقة في زوجها وذلك باستشارتها له في أمورها التجارية (إذا كانت صاحبة مال خاص بها)، لأن ذلك يزيد من ثقة واحترام زوجها لها.

٨٥- أن تراعي شعور زوجها، وأن تبتعد عما يؤذيه من قول أو فعل أو خلق سيئ.

٨٦- أن تحبب لزوجها وتظهر صدق مودتها له، والحياة الزوجية التي بدون كلمات طيبة جميلة وعبارات دافئة، تعتبر حياة قد فارقتها السعادة الزوجية.

٨٧- أن تشارك زوجها في التفكير في صلاح الحياة الزوجية وبذل الحلول لعمران البيت.

٨٨- أن لا تتزين بزينة فاتنة تظهر بها محاسن جسمها لغير زوجها من الرجال، حتى لوالدها وإخوانها.

٨٩- إذا قدم لها هدية تشكره، وتظهر حبها وفرحها لهذه الهدية، حتى وإن كانت ليست بالهدية الثمينة أو المناسبة لميولها ورغبتها، لأن ذلك الفرح يثبت محبتها لدى الزوج، وإذا ردت الهدية أو تذمرت منها فإن ذلك يسرع بالفرقة والحقد والبغض بين الزوجين.

٩٠- أن تكون ذات جمال حسي وهو كمال الخلقة، وذات جمال معنوي وهو كمال الدين والخلق، فكلما كانت المرأة أدين وأكمل خلقًا كلما كان أحب إلى النفس وأسلم عاقبة.

٩١- أن تجتهد في معرفة نفسية زوجها ومزاجيته، متى يفرح، ومتى يحزن ومتى يغضب ومتى يضحك ومتى يبكي، لأن ذلك يجنبها الكثير والكثير من المشاكل الزوجية.

٩٢- أن تقدم النصح والإرشاد لزوجها، وأن يأخذ الزوج برأيها، ورسول الله ﷺ قدوتنا فقد كان يأخذ برأي زوجاته في مواقف عديدة.

٩٣- أن تتودد لزوجها وتحترمه، ولا تتأخر عن شيء يجب أن تتقدم فيه، ولا تتقدم في شيء يجب أن تتأخر فيه.

٩٤- أن تعرف عيوبها، وأن تحاول إصلاحها، وأن تقبل من الزوج إيضاح عيوبها، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (رحم الله امرءًا أهدى إليَّ عيوبي)، وفي ذلك صلاح للأسرة.

٩٥- أن تبادل زوجها الاحترام والتقدير بكل معانيه.

٩٦- أن تكون شخصيتها متميزة، بعيدة عن تقليد الآخرين، سواء في لبسها أو قولها أو سلوكها بوجه عام.

٩٧- أن تكون واقعية في كل أمورها.

٩٨- أن تخرج مع زوجها للنزهة في حدود الضوابط الشرعية، وأن تحاول إدخال الفرح والسرور على أسرتها.

٩٩- الكلمة الحلوة هي مفتاح القلب، والزوج يزيد حبًا لزوجته كلما قالت له كلمة حلوة ذات معنى ومغزى عاطفي، خاصة عندما يعلم الزوج بأن هذه الكلمة الجميلة منبعثة بصدق من قلب محب.

* * *

العشْرة بين الزوجين

حقوق الزوج على زوجته

أختي الزوجة إن لزوجك عليك حقوقًا كثيرة، منها :

١- طاعته في المعروف :

ودليل هذا الحق قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤] فعليك أيتها الزوجة طاعة زوجك بالمعروف، في غير معصية الله تعالى أو رسوله ﷺ، وكذلك تكون الطاعة في الأمر المقدور عليه بلا مشقة ففي الحديث : «إنما الطاعة في المعروف»[١].

٢- أن تسلمي نفسك له متى شاء :

فمن حقوقه أن تسلمي له نفسك، ما لم يكن هناك عذر كمرض أو نفاس أو حيض ونحوه، واعلمي أن النشوز وعدم تلبية طلب الزوج إذا دعاك عقوبته شديدة ففي الحديث قال ﷺ: «إذا دَعَا الرَّجُل امرأته إلى فِراشِه فَلم تَأت فَباتَ غَضبانًا عَليهَا لَعنَتها الملائكة حَتى تُصبح»[٢] وقال ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ»[٣].

٣- صوني عرضه واحفظي شرفه :

واحذري من خيانته، فأنت مؤتمنة على كل أموره. وتذكري أن الله تعالى امتدح الحافظات فقال تعالى : ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: من الآية ٣٤] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٤٥) ومسلم (١٨٤٠) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٣٧) ومسلم (١٤٣٦) .

(٣) حسن صحيح : أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣) وأحمد (٣٨١/٤) .

وقال ﷺ : «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»[1].

٤-لا تدخلي بيته من لا يرغب في دخوله :

فقد قال ﷺ : «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ»[2].

وقال ﷺ : «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»[3]. وفي لفظ لمسلم : «وهو شاهد».

قال النووي رحمه الله :

فى هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج بالإذن فى بيته إلا بإذنه وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به أما لو علمت رضا الزوج ذلك فلا حرج عليها كمن جرت عادته بإدخال الضيفان موضعًا معدًا لهم سواء كان حاضرًا أم غائبًا فلا يفتقر إدخالهم إلى إذن خاص لذلك وحاصله أنه لا بد من اعتبار إذنه تفصيلًا أو إجمالًا.

٥- حافظي على ماله ولا تنفقي بغير إذنه :

فأنت راعية فيه ومسؤولة عنه، قال ﷺ: «والمرأة رَاعية في بَيت زَوجِها وهي مَسؤولةٌ عَن رَعِيتَها» متفق عليه. وقال «لَا تُنْفِقُ امْرَأَةٌ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَلَا الطَّعَامُ قَالَ ذَاكَ أَفْضَلُ أَمْوَالِنَا» رواه الترمذي

قال الإمام البغوي رحمه الله : أجمع العلماء على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج شيئًا من بيت زوجها إلا بإذنه فإن فعلت فهي مأزورة غير مأجورة.

٦- ربي أولاده تربية صالحة :

وكوني لهم الأم الحنونة والمربية الناصحة، كوني مربية ناجحة، وقومي بواجبك فقد يكون

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (١٩٠٥) والترمذي (١١٦٣) وابن ماجه (١٨٥١) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥١٩٥) .

(٣) تقدم تخريجه .

الزوج بعيدًا أو منشغلًا بأعماله فلا تهملي أنت أولادك وفلذات كبدك...

٧- الزمي بيتك:

ولا تخرج منه إلا بإذنه ورضاه لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٨- إذا طلب منك السفر معه فلبي رغبته وسافري معه ما لم يضر بك السفر:

ولتكوني أنيسته في حله وترحاله: السفر معه إذا شاء ذلك ولوكانت قد اشترطت عليه في عقدها عدم السفر بها؛ إذ سفرها معه من طاعته الواجبة عليها.

٩- استئذانه في صوم التطوع إذا كان حاضرًا غير مسافر:

نعم لا تصومي تطوعًا وهو حاضر حتى يأذن لك، فقد قال ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» متفق عليه.

قال النووي رحمه الله: وسبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع ولا واجب على التراخي...

١٠- شكره وعدم كفران إحسانه:

من حقوق الزوج أن تشكره المرأة على ما يقوم به من أعمال تجاهها، وتحذر من كفران العشير، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن وتكفرن»(٢).

١١- ومن الحقوق إبداء النصح والتوجيه:

فمتى رأيت من زوجك تقصيرًا في طاعة الله فعليك النصح والتوجيه بقدر ما تستطيعين.

واعلمي أنه لا يجوز البقاء مع زوج لا يصلي ولو كانت أخلاقه حسنه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٨١١) والترمذي (١٩٥٤).

تـحذير :

احذري أيتها الزوجة من طلب الطلاق والفراق من زوجك من غير ما بأس ففي الحديث : قال ﷺ : «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»(١) رواه الترمذي.

احذري من رفع الصوت وبذاءة اللسان ولا تؤذي زوجك ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»(٢) .

* * *

(١) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٢٢٦) والترمذي (١١٨٧) وابن ماجه (٢٠٥٥) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي (١١٧٤) وابن ماجه (٢٠١٤) .

حق الزوجة على زوجها

وللزوجة على زوجها حقوق كثيرة من أهمها:

١- وقايتها من النار:

وذلك بحثها وأخذها على الخير ونهيها عن الشر قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وكذلك حثها على الصلاة خاصة فقد قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه:٣٢] وكما سبق أن الزوجة التي لا يصلي زوجها يجب تركه ومفارقة كذلك هنا من لا تصلي لا يجوز البقاء معها. ..

ومن وقاية الأهل: أن تحثهم على الالتزام بالحجاب والعفة.

٢- النفقة عليها:

النفقة على الزوجة وكسوتها من الحقوق الواجبة على الزوجة والتي فرط فيها الكثير من الناس، وقد قال ﷺ لمن سأله عن حق الزوجة عليه: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**»[(١)] .

وتكون النفقة بالمعروف وما هو متعارف عليه في البلد مع الحذر من المال الحرام.

* والنفقة على الزوجة فيها أجر عظيم فقد قال رسول ﷺ: «**إذا أنفق الرجل فهي له صدقة**»[(٢)] متفق عليه وذلك إذا كان يريد بها وجه الله تعالى ويحسن النية فيها.

٣- عدم ضربها بغير سبب:

ضرب الزوجة لا يجوز إلا للحاجة مثل لو نشزت وترفعت على زوجها، ويكون ضربًا

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١١٧٤) وابن ماجه (٢٠١٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥) ومسلم (١٠٠٢).

خفيفًا، وقد أباح تعالى الضرب فقال : ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء: من الآية٣٤] ولا يكون في الوجه قال ﷺ: «وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»[١] .

٤- لا تهجرها إلا في البيت :

لا تهجر زوجتك في غير البيت فتخرج وتغيب عنها أو تتركها في بيت أهلها، ويكون هذا الهجر بينكما ولا يحس بكم الأولاد حتى لا يحصل هناك شيء من الحساسيات، وتأثر الأولاد عندما يرون الأب يضرب أو يهجر أمهم وقال ﷺ : «وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» .

٥- ولا تقل قبح الله وجهك :

عليك أيها الزوج أن تراعي مشاعر زوجتك وأن تتلفظ معها باللفظ الحسن ولا تجرح المشاعر وتأتى بألفاظ قبيحة لا تليق، قال ﷺ : «وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»[٣].

٦- العدل بين الزوجات :

يجب على الزوج أن يعدل بين أزواجه، ويكون العدل في أموركثيرة،منها: الطعام والشراب والكسوة والسكن والمبيت، ولا يلزم القسم فيما لا يملك من الحب ونحوه، وقد حذر ﷺ من عدم العدل فقال : «من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقطًا أو مائل» .

٧- عدم نشر سرها :

من حقوق الزوجة على زوجها أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيبًا فيها ؛ إذ هو الأمين عليها والمطالب برعايتها، وأعظم المنكرات نشر ما يدور بينهما حال الجماع ونحوه، لقوله

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) صحيح : أخرجه الترمذي (١١٤١) .

ﷺ: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(١).

٨- مساعدتها في بيتها :

وهو من أمور المستحبة والتي تسعد الزوجة، وتريحها من عناء البيت، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت كأحدكم يخيط ثوبه و يعمل كأحدكم(٢).

وفى رواية : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاة (٣).

٩- مساعدتها في تربية الأبناء :

الكثير من الأزواج يترك عبء الأولاد على أمهم ولا يهتم بهم وهذا بلا شك لا يصح منه بل الواجب على الزوجين التعاون على تربية الأبناء التربية الصحيحة.

١٠- السماح لها بالخروج إذا احتاجت لذلك :

على الزوج أن يسمح لزوجته بالخروج إذا احتاجت إليه كزيارة أهلها وأقاربها وجيرانها وكذلك إذا استأذنته بالخروج إلى صلاة الجماعة وكان خروجها شرعيًا بحيث لا تمس طيبًا ولا تخرج بزينة تفتن بها الرجال فمن السنة أن يأذن لها ولكنه ينبغي أن ينصحها بأن صلاتها في بيتها أفضل لها.

١١-الغيرة عليها :

أن يغار عليها في دينها وعرضها، إن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم، وإن تمكنها منه يدل دلالة فعلية على رسوخه في مقام الرجولة الحقة والشريفة. ولا يعني ذلك سوء الظن بالمرأة والتفتيش عنها وراء كل جريمة دون ريبة. فعن جابر بن عتيك قال: قال

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٣٧) .

(٢) صحيح: انظر «صحيح الجامع» (٤٩٣٧) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٦) .

رسول الله ﷺ: «إن من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة»(١).

١٢- إشباع رغباتها الجنسية :

فللمرأة غرائز وشهوات جنسية يجب على الزوج إشباعها حتى لا تلجأ للحرام، وكثير من الأزواج لا يهتم إلا بنفسه ورغبته الجنسية فمتى ارتاح ترك الزوجة وهذا خطأ، فيجب أن ينتظر حتى تقضي نهمتها...

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب على الرجل أن يطأ زوجته بالمعروف؛ وهو من أوكد حقها عليه: أعظم من إطعامها.

والوطء الواجب قيل: إنه واجب في كل أربعة أشهر مرة. وقيل: بقدر حاجتها وقدرته ؛ كما يطعمها بقدر حاجتها وقدرته. وهذا أصح القولين.اهـ

١٣- شكرها على ما تقوم به من أعمال :

فعلى الزوج أن يقوم بشكر زوجته على ما تقوم به من خدمة وتربية لأولاده، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(٢).

١٤- تحمل الأذى والصبر على ما يصدر من أمور :

على الزوج أن يتحمل أذى زوجته ويتغافل عن كثير مما يبدر منها رحمة بها وشفقة عليها وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف فقال : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] .

تحـذير : أيها الزوج احذر من :

* السهر خارج المنزل :

فكثير من الأزواج لا يطيق الجلوس في المنزل فتراه دائم السهر والخروج مما يسبب المشاكل الزوجية، الكثير لا يبالي بمشاعر الزوجة فيتركها وحيدة بين جدران غرفتها، وهذا ليس من المعاشرة بالمعروف... وقد قال ﷺ لذلك الصحابي الذي يقوم الليل ويصوم النهار: «إن لأهلك عليك حقًا»(٣).

---

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٢٦٥٩) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٧٤) .

فلتحذر من السهر لساعات طويلة وتترك زوجتك وحدها.

*احذر من الغيبة الطويلة في السفر.

قد يسافر الزوج لطلب الرزق أو أمور أخرى، ولكن عليه أن يراعي في سفره أن يكون قصيرًا قدر المستطاع، فمتى قضى أمره رجع إلى أهله قال ﷺ : **«السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من وجهه، فليعجل الرجوع إلى أهله»** . ولعل ستة أشهر تكون مناسبًا للغيبة، وذلك لأن عمر رضي الله عنه مَر على بيت من بيوتات المسلمين فسمع امرأة من داخل البيت تنشد:

تطاول هذا الليل وازور جانبه ... وأرقني أن لا صحيح ألاعبه
ألاعبه طورًا وطورًا كأنما ... بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه
يُسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه
فوالله لولا الله لاشيء غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكنني أخشى رقيبًا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني ... وإكرام بعلي أن تنال مواتبه

فسأل عمر عنها قيل له : إن زوجها غائب في سبيل الله تعالى، فبعث إلى زوجها حتى أعاده إليها، ثم دخل على ابنته حفصة فسألها : كم تصبر المرأة على زوجها ؟ قال : سبحان الله، مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟! فقالت : خمسة أشهر، ستة أشهر، فوقف عمر وقال: لا يغيب رجل عن أهله أكثر من ستة أشهر.

ولكن قد تضطر الظروف الزوج إلى الإقامة مدة طويلة، لظروف معينة، فلا بأس إذا لم يضر ذلك بالزوجة، وتكون راضية. وفقكما الله للحياة السعيدة.

* * *

صحيح : أخرجه ابن ماجه (٢٨٨٢) .

الحقوق المشتركة بين الزوجين

١- حق المبيت والقسم بين الزوجات[١]:

حق المبيت، والمراد بحق المبيت: إعفاف الرجل لامرأته، وإعفاف المرأة لزوجها، وهذا الحق ينبغي أن يحفظه كلٌ من الزوجين للآخر.

وقال بعض العلماء: إن المقصود من النكاح إعفاف الرجل لنفسه وإعفاف المرأة نفسها، ولذلك قال النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج»[٢].

فلا يُغض البصر عن حرمات الله ولا يحصن عن حدود الله ومحارمه، إلا إذا أحسنت المرأة التبعُّل لزوجها، والعكس، ما حفظ الزوج زوجته وتقرب إلى الله بحفظها عن الحرام إلا كتب الله له بذلك أجرًا، ومن هنا قال ﷺ: «وفي بِضع أَحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له بها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر[٣]».

فالواجب على الزوج أن يُعين زوجته على ذلك، والواجب على الزوجة أن تعين زوجها على ذلك، بتهيئة الأسباب، فالمرأة تتجمل وتتكامل لزوجها حتى تغِضّه وتُعِفّه، كذلك الرجل يتجمل ويتزين لامرأته حتى يعفها.

ولذلك قال ﷺ: «صدق سلمان»[٤] أي: أن لزوجك عليك حقًا، لأنه لما رأى أم الدرداء غير متجملة، مبتذلة في ثيابها، سألها عن ذلك فأخبرته أن أبا الدرداء لا حاجة له بها، فلما أتى أبو الدرداء وعظه.

كذلك أيضًا الرجل يهيئ من نفسه فيحفظ زوجته، فلا يسهر كثيرًا خارج البيت، ولا يأتي

---

(١) من محاضرة للشيخ محمد الشنقيطي.

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (١٠٠٦) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٦٨).

في ساعات تعبه ونصبه خاملًا كسلانًا لكي يضيع حق أهله، ويحرمهم الحنان ويحرمهم الإعفاف والإحصان عما حرم الله ﷻ عليهم، فلذلك ينبغي على كلا الزوجين لتحقيق هذا الحق تهيئة الأسباب، ويكون الرجل مرتبًا لأوقاته، فساعات الأهل للأهل، وساعات العمل للعمل، ولكل ذي حقٍ حقه، ولذلك يوصي العلماء دائمًا بترتيب الأوقات.

قال العلماء: يجب على الرجل أن يصيب امرأته، واختلفوا في الأمد.

قال بعض العلماء: يجب عليه أن يصيبها كل أربع ليالٍ مرة، لأن الله أعطى الرجل أربع زوجات، ونصيبها عند التعدد أن يكون لها ليلةٌ من الأربع.

ولذلك قالوا: يصيبها في أربع، ولذلك لما جاءت المرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قالت له: يا أمير المؤمنين! زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، فقال لها: بارك الله لك في بعلك، أثنى على بعلها خيرًا.

فمضت ثم رجعت، فقالت: يا أمير المؤمنين! زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، فقال لها: من زوجك؟

قالت: فلان، قال: جزاك الله خيرًا، أعلمتينا خيره أو عرفتينا فضله، فمضت ثم رجعت، فقالت: يا أمير المؤمنين! زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وهذا يدل على كمال السلف الصالح والأدب والحياء والخجل، ما أجمل النساء إذا حفظن الحياء والخجل، تكمل المرأة. لذلك يقول العلماء: إن الحياء كالغطاء للحلوى، فإذا تكشفت سقط عليها الذباب، كذلك المرأة إذا لبست الحياء كمُلت، وأصبحت سرًا ثمينًا ودرة مصونة، فاستحت أن تؤذي زوجها بذكره مباشرةً أنه يسيء إليها.

قال بعض العلماء: إما أنها حيية والحياء خير، وإما أنها كريمة لا تريد أن تنتقص زوجها عند عمر، فالمهم أنه قال كعب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! إن الزوجة تشتكي زوجها، ولا تظنون أن عمر كان غافلًا، إنما كان عمر ذكيًا فطنًا، وإنما أراد أنه يصبّر المرأة ويصرفها، وهذا دأب عمر، أنه دائمًا يدرأ بالشبهات، حتى لما جاء يشتكي الزبرقان من الحطيئة، فهذا منهج عمر دائمًا يوري ويبعد الناس عن المشاكل؛ لأنه كلما كان الناس يصطلحون فيما بينهم كلما كان ذلك أفضل، ولا يلجئهم دائمًا إلى الشكوى والفصل بينهم، وهذا منهج

معروف في تدبير الناس، المقصود قال لكعب : أما وإنك قد فطنت لهما فلا يقضي بينهما إلا أنت. فجيء بالرجل، فقالت المرأة: ألهى خليلي عن فراش مسجده وليله نهاره ما يرقده ولست في أمر النساء أحمده.

ما قالت: زوجي يفعل كذا، إنما قالت: ألهى خليلي عن فراش مسجده..، وذكرت محاسنه وفضائله: ليله نهاره ما يرقده، ولست في أمر النساء أحمده، حتى لما يقال: لست أحمده في أمر النساء، قد يكون هذا نقص في الكمال، ولا يقتضي طعنًا.

فقال زوجها:

زهدني في فرشها ما قد نــزل في ســورة النحــل وفي السبع الطوال إني امرؤ قد رابــني وجـــل

أي رابني الخوف من الله، وذكرت الآخرة، وقرأت كتاب الله، فأقامني على الآخرة، حتى كأني أراها رأي عيان، فزهدتني النار وما فيها من الأغلال، وزهدتني الجنة وما فيها من النعيم في هذا المتاع الزائل والنعيم الحائل.

فقال ﷺ وأرضاه: إن لها عليك حقًا يا رجل تصيبها في أربعٍ لمن عقل فالزم بذا ودع عنك العلل لابد من يومٍ في أربع، لا نقبل عذرًا، وليس من حقك، إن لها عليك حقًا يا رجل تصيبها في أربعٍ لمن عقل كن عاقلًا لبيبًا، هذه امرأة أمانةٌ في عنقك، حقٌ واجبٌ عليك.

وقال بعض العلماء: لا يجب على الرجل أن يصيب امرأته، ويترك هذا إلى نشاطه وقوته، وإنما يتقيد بالأربعة الأشهر، فإذا مضت الأربعة الأشهر يكون آثمًا وظالمًا؛ لأنها مدة الإيلاء.

وفي الحقيقة القول الأول قوي، أنه في كل أربع ليالٍ مرة، لأن هذا له أصلٌ من الشرع، وتكون مدة الإيلاء غاية ما يُترك له الرجل في المعاشرة، بحيث يجوز للمرأة أن تشتكيه وأن تتظلم، خاصةً إذا حلف أنه لا يطأ المرأة، وهذا الوطء يُترك للإنسان بنشاطه، كما ذكر العلماء أنه لا يفرض على الرجل أن يُبالغ.

ولكن ذكر أهل العلم أنه إذا وجدت الموانع في المرأة، كنقصان الجمال، ويكون الرجل مالًا لزوجته، أو غير مقبلٍ عليها، قالوا: إنه أفضل ما يكون في حسن الإحسان إلى الزوجة

في مثل هذا، لأن المرأة إذا كانت ناقصة الجمال، كانت إصابته لها أكثر ما تكون لله، وخوفًا من الله، وحفظًا لحق الله في أمة الله، فإذا أراها ذلك وحرص على حفظها من الحرام، فهذا من أبلغ ما يكون، أما إذا كانت ذات جمال، فإنه في هذه الحالة يكون فطريًا. لكن إذا كانت المرأة غير جميلة، كان بعض العلماء يقول: إن الإنسان يكره نفسه ويغالب نفسه حتى يعظم أجره، لأن النبي ﷺ قال: «وفي بضعِ امرأة أحدكم صدقة»[1]. فأخبر ﷺ: أنها من الصدقة، فالمرأة إذا كانت ناقصة الجمال وكان الرجل يرى فيها دمامة خلقة فعليه أن يتذكر ما فيها من الخير والبر...

٢- حق المعاشرة بالمعروف:

فأما حق العشرة بالمعروف، فإنه لا سعادة للمسلمين ولا طمأنينة لهم في بيوتهم إلا إذا قامت على العشرة بالمعروف، وهذا الحق أمر الله ﷻ به؛ لما فيه من صلاح أمر الزوج والزوجة، ولما فيه من السعادة لهما، وهو الاختبار الحقيقي للزوج وللزوجة، قال الله في كتابه المبين: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩].

وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، ولذلك قال العلماء: المعاشرة بالمعروف حقّ واجب، يأثم تاركه، ويثاب فاعله، وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق:٢].

والمعاشرة بالمعروف، تستلزم أمورًا لا بد منها، وهذه الأمور تكون في قلب الإنسان، فيما بينه وبين الله، وتكون في قوله وكلماته وما يصدر منه من عباراته، وتكون منه في تصرفاته وأفعاله.

وهناك جوانب للمعاشرة بالمعروف منها:

الأول - وهو أهمها -: النية الصالحة، فلن يستطيع الرجل أن يعاشر امرأته بالمعروف ولن تستطيع المرأة أن تعاشر زوجها بالمعروف إلا إذا غيّب كلٌّ منهما نية صالحة، وهذا هو الذي عناه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣١] فالله إذا اطلع على قلب الرجل واطلع على قلب المرأة ووجد كلًا منهما يبيّت

---

(١) تقدم تخريجه.

النية الصالحة وفّق الله كلًا منهما في ظاهره وتصرفاته وأفعاله.

وهكذا المرأة تغيب في قلبها نية الخير للزوج، وما إن تتغير هذه النية حتى يغير الله ما بالزوجين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] فإذا غيّر الزوج أو الزوجة نيتهما غير الله حالهما من الخير إلى الشر ومن الحسن إلى الأسوأ....

الأمر الثاني للعشرة بالمعروف: قول الخير، فكما أن الإنسان ينبغي أن يغيّب في قلبه النية الطيبة حتى يعاشر بالمعروف ينبغي أن يكون قوله موافقًا لمرضاة الله ﷻ.

قال بعض العلماء: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] المعروف: كل ما وافق شرع الله ﷻ، والمنكر: كل ما خالف شرع الله، فإذا أراد أن يعاشر زوجته بالمعروف، فعليه أن يتقي الله فيما يقول، وكذلك على المرأة أن تتقي الله فيما تقول.

وجعل العلماء المحاور التي تكون بها العشرة بالمعروف في الأقوال بين الزوجين في أحوال: الأول: في النداء، إذا نادى الزوج الزوجة، وإذا نادت الزوجة زوجها. الثاني: في الطلب عند الحاجة، تطلب منه أو يطلب منها. والثالث: عند المحاورة، والكلام، والحديث، والمباسطة. والرابع: عند الخلاف والنقاش.

الحالة الأولى : عند النداء. إذا نادت المرأة بعلها فإنه ينبغي لكل من الزوجين أن يحسن النداء، كان رسول الله ﷺ ينادي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيقول: «يا عائش!»

قال العلماء: إن هذا اللفظ يدل على الإكرام والملاطفة، وحسن التبعُّل من رسول الله ﷺ لأهله.

فالغلظة والوحشية في النداء بأسلوب القسر والقهر من الرجل أو بأسلوب السخرية والتهكم من المرأة تفسد المحبة، وتقطع أواصر الألفة بين الزوج والزوجة...

ومن الأخطاء كذلك أن الزوجة تختار لزوجها كلمة تنتقصه أو تحقِّره بها، فمن أكرم ما يكون في النداء النداء بالكنية، فهذا من أفضل ما يكون.

وقال العلماء: إنه ما من زوج يألف ويعتاد نداء زوجته بالملاطفة إلا قابلته المرأة بمثل ذلك وأحسن، فإن النساء جبلن على الملاطفة، وجبلت على حب الدعة والرحمة والألفة، فإذا قابلها الزوج بذلك قابلته بما هو أحسن وأفضل.

الحالة الثانية :عند الطلب. إذا خاطب الرجل امرأته عند الطلب وأراد منها أمرًا، يطلب ذلك منها بأسلوبٍ لا يشعرها بالخدمة والإذلال والامتهان والانتقاص، والمرأة إذا طلبت من بعلها شيئًا لا تجحفه ولا تؤذيه ولا تضره، ولا تختار الكلمات والألفاظ التي تقلقه وتزعجه، فهذا مما يحفظ اللسان، ويعين على العشرة بالمعروف في الكلمات، كذلك أيضًا قال ﷺ لأم المؤمنين ﵂، وهو في المسجد: «ناوليني الخُمْرَة»، قالت: إني حائض، قال: «إن حيضتك ليست في يدك»[1].

فانظر إلى رسول الأمة ﷺ، يسأل حاجته من أم المؤمنين، فلما اعتذرت، اعتذرت بالعذر الشرعي، وما قالت: لا أستطيع إبهامًا، أو معللة عدم استطاعتها بشيءٍ مجهول، وإنما قالت: إني حائض، فبماذا تأمرني؟ وماذا تريد؟ وكيف أفعل؟ فقال: «إن حيضتك ليست في يدك»، أي إذا ناولتنيها فإن دخول اليد ليس كدخول الكل.

الحالة الثالثة :حالة الحديث والمباسطة، فلا ينبغي للمرأة ولا ينبغي للرجل أن يُحدِّث كلٌ منهما الآخر في وقتٍ لا يتناسبُ فيه الحديث؛ فهذا كله مما يحدث السآمة والملل، ويخالف العشرة بالمعروف التي أمر الله ﷻ بها، وقالوا: إذا باسط الرجل امرأته فليتخير أحسن الألفاظ، وإذا قص لها تخير أحسن القصص وأفضلها، مما يحسن وقعه ويطيب أثره.

الحالة الرابعة :عند الخصومة والنزاع، فمن العشرة بالمعروف إذا وقع الخلاف بين الرجل والمرأة أن يحدد الخلاف بينه وبين امرأته، وأن يبين لها الخطأ إن أخطأت بأسلوبٍ بعيدٍ عن التعنيف والتقريع إذا أراد أن يقرّرها، وبعد أن تقر وتعترف إن شاء وبخها وإن شاء عفا عنها، أما أن يبادرها بالهجوم مباشرة قبل أن يبين لها خطأها فإن هذا مما يقطع الألفة والمحبة ويمنع من العشرة بالمعروف؛ لأنها تحس وكأنها مظلومة.

والأفضل والأكمل: أن الرجل إذا عتب على امرأته شيئًا أن يتلطف في بيان خطئها، كان رسول الله ﷺ يعلم متى تكون أم المؤمنين عائشة ﵂ راضيةً عنه ومتى تكون ساخطة، فإن كانت راضيةً عنه قالت: (ورب محمد)، وإن كان في نفسها شيئًا قالت ﵂ (ورب إبراهيم)، فعلم ﷺ أنها ما اختارت الحلف.

---

(1) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٨) .

٣- حق الإرث :

ويثبت في الزواج الصحيح إذا مات أحد الزوجين حال قيام الرابطة الزوجية حقيقة أو حكمًا بأن كانت الزوجة في العدة.

وقد حدد القرآن هذا الحق في الآية الكريمة : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

٤- التعاون بين الزوجين :

ويكون التعاون بين الزوجين في أمور :

١- التعاون على أمور الدين فيعين كل واحد الآخرة على الطاعات وترك المنكرات، فيأمر الزوج زوجته بالصلاة، وكذلك الزوجة.

٢- التعاون على أمور التربية فلا يلقي الواحد على الآخر أعباء تربية الأبناء، بل الواجب التعاون على ذلك.

٣- التعاون على المعيشة، فإذا كانت الزوجة موظفة مثلًا فعليها أن تعين زوجها حتى تسير الأمور الأسرية على الوجه المطلوب.

* * *

خلافات الزوجين

الحمد لله الذي خلق فسوَّى وقَدَّر فهدى، أحمده سبحانه وهو أهل الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله النبيُّ المصطفى والعبد المجتبى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد: فاعلم - وفقك الله - أن مِن أعظم نعم الله وآياته أن البيت هو المأوى والسَّكَن؛ في ظله تلتقي النفوس على المودة والرحمة، والحصانة والطهر، وكريم العيش والستر.. في كَنَفه تنشأ الطفولة، ويترعرع الأحداث وتمتد وشائج القربى، وتتقوّى أواصر التكافل.

ترتبط النفوس بالنفوس.. وتتعانق القلوب بالقلوب: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

في هذه الروابط المتماسكة، والبيوتات العامرة، تنمو الخصال الكريمة، وينشأ الرجال الذين يُؤتمنون على أعظم الأمانات، ويُرَبَّى النساء اللاتي يقمن على أعرق الأصول.

من أسباب الخلاف بين الزوجين:

غير أن واقع الحياة وطبيعة البشر - كما خلقهم الله سبحانه، وهو أعلم بمن خلق - قد يكون فيها حالات لا تؤثِّر فيها التوجيهات، ولا تتأصَّل فيها المودَّة والسَّكَن، مما قد يصبح معه التمسُّك برباط الزوجية عَنَتًا ومشقةً، فلا يتحقق فيه المقصود ولا يحصل به صلاح النشء؟ وهذه الحالات من الاضطراب، وعدم التوافق، وقد تكون بواعثها داخلية أو خارجية.

فقد ينبعثُ من: تَدخُّل غيرِ حكيم من أولياء الزوجين أو أقاربهما، أو تَتبع للصغير والكبير من أمورهما، وقد يصل الحال من بعض الأولياء وكُبَراءِ الأسرة إلى فرض السَّيطرة على من يَلُونَ أمرهم، مما قد يقود إلى الترافع إلى المحاكم؛ فتفشو الأسرار وتنكشف الأستار، وما

كان ذلك إلا لأمرٍ صغيرٍ أو شيء حقير؛ قاد إليه التدخُل غير المناسب، والبعد عن الحكمة، والتعجل والتسرُّع، وتصديق الشائعات وقالة السوء.

وقد يكون منبع المشكلة: قلة البصيرة في الدين والجهل بأحكام الشريعة السمحة، وتراكم العادات السيئة والتمسك بالآراء الكليلة.

فيظن بعض الأزواج - مثلًا - أن التهديد بالطلاق أو التلفظ به هو الحل الصحيح للخلافات الزوجية والمشكلات الأسرية، فلا يعرف في المخاطبات سوى ألفاظ الطلاق، في مدخله ومخرجه، وفي أمره ونهيه، بل في شأنه كله، وما درى أنه بهذا قد اتَّخذ آيات الله هزوًا؛ يأثم في فعله ويهدم بيته ويخسر أهله.

هل هذا هو الفقه في الدِّين أيها المسلمون ؟!.

إن طلاق السُّنة الذي أباحته الشريعة لا يقصد منه قطع حبال الزوجية، بل قد يقال إنه إيقاف لهذه العلاقة. ومرحلة تريُّثٍ وتدبر ومعالجة: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

[الطلاق: ١ - ٢].

هذا هو التشريع. بل إن الأمر ليس مقتصرًا على هذا، إن طلاق السُّنة هو الوسيلة الأخيرة في المعالجة وتسبق ذلك وسائل كثيرة.

من وسائل علاج الاختلاف بين الزوجين :

أخي المسلم، أختي المسلمة:

حينما تظهر أمارات الخلاف وبوادر النشوز أو الشقاق فليس الطلاق أو التهديد به هو العلاج.

إن أهم ما يُطلب في المعالجة: الصبر والتحمُّل، ومعرفة الاختلاف في المدارك والعقول، والتفاوت في الطباع. مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثير من الأمور، ولا تكون المصلحة والخير دائمًا فيما يحب ويشتهي؛ بل قد يكون الخير فيما لا يحب ولا يشتهي: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. ولكن حينما يبدو الخلل ويظهر في الأواصر تحلل، ويبدو من المرأة نشوز وتَعَالٍ على طبيعتها وتوجهٍ إلى الخروج عن وظيفتها؛ حيث تَظْهر مبادئ النفرة، ويتكشَّف التقصير في حقوق الزوج والتنكر لفضائل البعل، فعلاج هذا في الإسلام صريح، ليس فيه ذكر للطلاق لا بالتصريح ولا بالتلميح. يقول الله - سبحانه - في مُحكَم التنزيل: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

يكون العلاج: بالوعظ والتوجيه وبيان الخطأ، والتذكير بالحقوق، والتخويف من غضب الله ومَقْتِه، مع سلوك مسلك الكَيَاسة والأناة ترغيبًا وترهيبًا.

وقد يكون الهجر في المضجع والصدود، مقابلًا للتعالي والنشوز، ولاحظوا أنه هَجر في المضجع وليس هجرًا عن المضجع.. إنه هَجْر في المضجع وليس هجرًا في البيت.. ليس أمام الأسرة أو الأبناء أو أمام الغرباء.

الغرض هو المعالجة وليس التشهير أو الإذلال أو كشف الأسرار والأستار، ولكنه مقابلة للنشوز والتعالي بهجر وصدود يقود إلى التضامن والتساوي. وقد تكون المعالجة بالقصد إلى شيء من القسوة والخشونة فهناك أجناس من الناس لا تغني في تقويمهم العشرة الحسنة والمناصحة اللطيفة، إنهم أجناس قد يبطرهم التلطف والحلم.. فإذا لاحت القسوة سكن الجامح وهدأ المهتاج.

نعم، قد يكون اللجوء إلى شيء من العنف دواءً ناجعًا، ولماذا لا يلجأ إليه وقد حصل التنكُّر للوظيفة والخروج عن الطبيعة؟

ومن المعلوم لدى كل عاقلٍ أن القسوة إذا كانت تعيد للبيت نظامه وتماسكه، وتردُّ للعائلة ألفتها ومودَّتها فهو خير من الطلاق والفراق بلا مِراء؛ إنه علاج إيجابي تأديبي معنوي، ليس للتشفي ولا للانتقام؛ وإنما يستزل به ما نشز، ويقوم به ما اضطرب.

وإذا خافت الزوجة الجفوة والإعراض من زوجها فإن القرآن الكريم يرشد إلى العلاج بقوله: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، العلاج: بالصلح والمصالحة، وليس بالطلاق ولا بالفسخ. وقد

يكون بالتنازل عن بعض الحقوق المالية أو الشخصية محافظة على عقدة النكاح، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ الصلح خير من الشقاق والجفوة والنشوز والطلاق.

أخي المسلم أختي المسلمة:

هذا عرض سريع، وتذكير موجز، بجانب من جوانب، الفقه في دين الله والسير على أحكامه، فأين منه المسلمون؟

أين تحكيم الحكمين في الشقاق بين الزوجين؟ لماذا ينصرف المصلحون عن هذا العلاج؟ هل هو زهد في إصلاح ذات، أو هو رغبة في تشتيت الأسرة وتفريق الأولاد؟.

إنك لا ترى إلا سفهًا وجورًا، وبعدًا عن الخوف من الله ومراقبته، وهجرًا لكثير من أحكامه وتلاعبًا في حدوده..

أخرج ابن ماجه وابن حبان وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما بال أحدكم يلعب بحدود الله وأنا بين أظهركم**»(١).

الوسيلة الأخيرة في معالجة الاختلاف:

عندما تفشل جميع الوسائل في علاج الاختلاف، ويصبح الإبقاء على رباط الزوجية شاقًا وعسيرًا بحيث لا تحقَّق معه الأهداف والحكم الجليلة التي أرادها الله - تعالى - فمن سماحة التشريع وتمام أحكامه أن جعل مخرجًا من هذه الضائقة، غير أن كثيرًا من المسلمين يجهلون طلاق السُنةَ الذي أباحته الشريعة، وصاروا يتلفَّظون بالطلاق من غير مراعاة لحِدود الله وشرعه.

إن الطلاق في الحيض محرم، وطلاق الثلاث محرم والطلاق في الطهر الذي حصل فيه وطء محرم، فكل هذه الأنواع طلاق بدعي محرم يأثم صاحبه، ولكنه يقع طلاقًا في أصح أقوال أهل العلم.

أما طلاق السنة الذي يجب أن يفقهه المسلمون فهو: الطلاق طلقةً واحدة، في طُهر لم يحصل فيه وطء، أو الطلاق أثناء الحمل.

إنَّ الطلاق على هذه الصفة علاج؛ حيث تحصل فترات يكون فيها التريُّث والمراجعة.

---

(١) سنن ابن ماجه (٢٠١٧)، صحيح ابن حبان (٤٢٦٥).

المطلِّق على هذه الصفة يحتاج إلى فترة ينتظر فيها مجيء الطُّهر، ومَن يدري.. فقد تتغير النفوس، وتستيقظ القلوب، ويحدث الله من أمره ما شاء.

وفترة العِدَّة - سواءً كانت عِدة بالحيض أو الأشهر أو وضع الحمل - فرصة للمعاودة والمحاسبة قد يوصل معها ما انقطع من حبل المودة ورباط الزوجية.

ومما يجهله المسلمون: أن المرأة إذا طلقت رجعيًا فعليها أن تبقى في بيت الزوج، لا تخرج ولا تُخرج.

بل إن الله جعله بيتًا لها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ تأكيدًا لحقهن في الإقامة. فإقامتها في بيت زوجها سبيل لمراجعتها، وفتح أملٍ في استثارة عواطف المودة، وتذكير بالحياة المشتركة. فالزوجة في هذه الحالة تبدو بعيدة في حكم الطلاق، لكنها قريبة من مرأى العين.

وهل يراد بهذا إلا تهدئة العاصفة، وتحريك الضمائر، ومراجعة المواقف، والتأني في دراسة أحوال البيت والأطفال وشؤون الأسرة: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

فاتقوا الله أيها المسلمون.. وحافظوا على بيوتكم، وتعرفوا على أحكام دينكم، وأقيموا حدود الله ولا تتجاوزوها، وأصلحوا ذات بينكم.

* * *

آداب وأحكام المعاشرة الزوجية

(الجماع)

إن الإسلام لم يهمل هذا الجانب من جوانب الحياة، الذي قد يحسبه بعض الناس أبعد ما يكون عن الدين واهتماماته، بل قد يتوهم بعض الناس أنه ينظر إلى الجنس وما يتصل به على أنه رجس من عمل الشيطان، وأن نظرة الإسلام إلى الجنس كنظرة الرهبانية إليه.

والواقع أن الإسلام قد عني بهذا الجانب الفطري من حياة الإنسان، ووضع فيه من القواعد والأحكام والتوجيهات ما يضمن أداءه لوظيفته، في غير غلو ولا كبت ولا انحراف.

وحسبنا ما جاء في سورة البقرة حول هذا الموضوع في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣].

وقد حفلت كتب التفسير والحديث والفقه والآداب وغيرها بالكثير مما يتصل بهذا الجانب، ولم ير علماء المسلمين أي بأس في الحديث عن هذا الموضوع ما دام في إطار العلم والتعليم، وقد شاع بين المسلمين كافة هذا القول: لا حياء في الدين، أي في تعلمه وتعليمه، أيًا كان موضوعه.

والإسلام قد جاء لكل الأجناس، ولكل الطبقات، ولكل البيئات، ولكل العصور ولكل الأحوال، فلا ينبغي أن تتحكم في فقهه وفتاويه وتوجيه أحكامه أذواق أو تقاليد أقوام معينين، في بيئة معينة، كبيئة المسلمين العرب أو الشرقيين، فنحجر بذلك ما وسع الله، ونعسر ما يسر الدين، ونمنع الناس مما لم يمنعهم الشرع منه، بنصوصه الثوابت المحكمات.. ومن هنا أطالب الأخوة الغيورين الذين يسارعون إلى الإفتاء بالمنع والتحريم

فيما لم يألفوه، أو تستشنعه أنفسهم بحكم نشأتهم وتربيتهم الخاصة، أن يتبينوا ويتثبتوا قبل الجزم بالحكم، وخصوصًا عند الإيجاب أو التحريم، وألا يأخذوا الأحكام من كتب الوعظ والرقائق، ولا من ألسنة أهل الوعظ والترغيب والترهيب، فكثيرًا ما ينقصها التحقيق والتدقيق، وقلما تخلوا من التهويل والمبالغات إلا من رحم ربك.

كما لا ينبغي عند اختلاف العلماء أن يلتزموا المذهب الأشد في ذلك أخذًا بالأحوط، فقد يكون الأخذ بالأيسر هو الأولى، لأنه الأقوى دليلًا، أو لأنه الأوفق بروح الشريعة، وحاجات الناس، وذكر في متن «تنوير الأبصار» وشرحه «الدر المختار» من كتب الحنفية جواز أن ينظر الرجل من امرأته إلى ما ظهر منها وما بطن، ولو إلى فرجها، بشهوة وبغير شهوة.

قال في «الدر»: والأولى تركه، لأنه يورث النسيان، وأضاف آخرون أنه يضعف البصر. فعللها بتعليلات غير شرعية، إذ لم يجيء بها نص من كتاب ولا من سنة، وهي مردودة من الناحية العلمية، فليس هناك أي ارتباط منطقي ولا واقعي بين السبب والنتيجة.

واستدل في «الهداية» لأولوية الترك بحديث «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ما استطاع، ولا يتجردان تجرد العيرين» أي الحمارين.

قال: وكان ابن عمر يقول: الأولى أن ينظر ليكون أبلغ في تحصيل اللذة.

قال العلامة ابن عابدين: لكن في «شرح الهداية» للعيني: أن هذا لم يثبت عن ابن عمر بسند صحيح ولا ضعيف.

قال: وعن أبي يوسف: سألت أبا حنيفة عن الرجل يمس فرج امرأته، وهي تمس فرجه، ليتحرك عليها، هل ترى بذلك بأسًا؟ قال: لا، وأرجو أن يعظم الأجر. «حاشية رد المحتار على الدر المختار» (٥/٢٣٤).

ولعله يشير إلى الحديث الصحيح: «وفي بضع أحدكم صدقة». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «نعم، أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر. أتحتسبون الشر، ولا تحتسبون الخير؟!». رواه مسلم.

أما الحديث الذي استدل به في «الهداية» فلا حجة فيه، لأنه ضعيف. رواه ابن ماجه في

النكاح (١٩٢١) وضعفه البوصيري في «الزوائد»، وضعفه الحافظ العراقي أيضًا لضعف أسانيده كلها، وكذلك ضعفه الألباني في «إرواء الغليل» رقم (٢٠٠٩).

وحتى لو قبلنا تساهل السيوطي الذي رمز للحديث السابق بالحسن في جامعه الصغير لكثرة طرقه، فإنه لا يفيد أكثر من الكراهة التنزيهية التي تزول لأدنى حاجة.

وفي مجتمع مثل المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية نجد أن لهم عادات في اللقاء الجنسي بين الزوجين، تخالف ما درجنا عليه في أوطاننا مثل التعري عند الجماع، أو نظر الرجل إلى فرج امرأته، أو لعب المرأة بذكر زوجها وتقبيله ونحو ذلك مما قد يدفعهم إليه ما أصيبوا به من برود جنسي نتيجة لانتشار الإباحية والتحلل والعري، مما يجعل الرجل وربما المرأة أيضًا في حاجة إلى مثيرات غير عادية. فهذه أشياء قد تنكرها أنفسنا، وتنفر منها قلوبنا، وتستسخفها عقولنا، ولكن هذا شيء وتحريمها باسم الدين شيء آخر.

ولا ينبغي أن يقال في شيء: حرام، إلا أن يوجد في القرآن والسنة الصحيحة، النص الصريح على حرمته، وإلا، فالأصل الإباحة.

ولا نجد هنا النص الصحيح الصريح الدال على حرمة هذا السلوك مع الأزواج، وحديث: «احفظ عورتك إلا عن زوجتك وما ملكت يمينك» ولقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]. يدل على جواز ذلك.

وهذا ما ذهب إليه، وشدد النكير على من خالفه الإمام ابن حزم، حيث لم يصح لديه نص يمنع من ذلك، ولهذا لم يجد فيه أي كراهة أصلًا. فقال في «المحلى»:

وحلال للرجل أن ينظر إلى فرج امرأته، زوجته وأمته التي يحل له وطؤها، وكذلك لهما أن ينظرا إلى فرجه، لا كراهية في ذلك أصلًا.

برهان ذلك الأخبار المشهورة من طريق عائشة، وأم سلمة، وميمونة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أنهن كن يغتسلن مع رسول الله ﷺ، من الجنابة من إناء واحد. انظر «المحلى» (١/٢٦٧ و٢٨٣ ٢٨٩).

وفي خبر ميمونة بيان أنه عليه الصلاة والسلام كان بغير مئزر، لأن في خبرها أنه عليه الصلاة والسلام أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله انظر «المحلى» (٢٦٧/١ و٢٨٣ ٢٨٩)، فبطل بعد هذا أن يلتفت إلى رأي أحد.

ومن العجب أن يبيح بعض المتكلفين من أهل الجهل وطء الفرج ويمنع من النظر إليه، ويكفي في هذا قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

فأمر ﷻ بحفظ الفرج إلا على الزوجة، وملك اليمين، فلا ملامة في ذلك، وهذا عموم في رؤيته ولمسه ومخالطته.

وما نعلم للمخالف تعلقًا إلا بأثر سخيف عن امرأة مجهولة عن أم المؤمنين: «ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط».

والواقع أن الإسلام لم يغفل هذا الجانب الحساس من حياة الإنسان، وحياة الأسرة، وكان له في ذلك أوامره ونواهيه، سواء منها ما كان له طبيعة الوصايا الأخلاقية، أم كان له طبيعة القوانين الإلزامية.

وأول ما قرره الإسلام في هذا الجانب هو الاعتراف بفطرية الدافع الجنسي وأصالته، وإدانة الاتجاهات المتطرفة التي تميل إلى مصادرته، أو اعتباره قذرًا وتلوثًا. ولهذا منع الذين أرادوا قطع الشهوة الجنسية نهائيًا بالاختصاء من أصحابه، وقال لآخرين أرادوا اعتزال النساء وترك الزواج: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني».

كما قرر بعد الزواج حق كل من الزوجين في الاستجابة لهذا الدافع، ورغب في العمل الجنسي إلى حد اعتباره عبادة وقربة إلى الله تعالى، حيث جاء في الحديث الصحيح: «وفي بضع أحدكم (أي فرجه) صدقة». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «نعم. أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر. كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر، أتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير؟». رواه مسلم.

ولكن الإسلام راعى أن الزوج بمقتضى الفطرة والعادة هو الطالب لهذه الناحية والمرأة

هي المطلوبة. وأنه أشد شوقًا إليها، وأقل صبرًا عنها، على خلاف ما يشيع بعض الناس أن شهوة المرأة أقوى من الرجل، فقد أثبت الواقع خلاف ذلك.. وهو عين ما أثبته الشرع.

(أ) ولهذا أوجب على الزوجة أن تستجيب للزوج إذا دعاها إلى فراشه، ولا تتخلف عنه كما في الحديث: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته وإن كانت على التنور**»

(ب) وحذرها أن ترفض طلبه بغير عذر، فيبيت وهو ساخط عليها، وقد يكون مفرطًا في شهوته وشبقه، فتدفعه دفعًا إلى سلوك منحرف أو التفكير فيه، أو القلق والتوتر على الأقل، «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

وهذا كله ما لم يكن لديها عذر معتبر من مرض أو إرهاق، أو مانع شرعي، أو غير ذلك.

وعلى الزوج أن يراعي ذلك، فإن الله سبحانه - وهو خالق العباد ورازقهم وهاديهم- أسقط حقوقه عليهم إلى بدل أو إلى غير بدل، عند العذر، فعلى عباده أن يقتدوا به في ذلك.

(ج) وتتمة لذلك نهاها أن تتطوع بالصيام وهو حاضر إلا بإذنه، لأن حقه أولى بالرعاية من ثواب صيام النافلة، وفي الحديث المتفق عليه: «**لا تصوم المرأة وزوجها شاهد إلا بإذنه**» والمراد صوم التطوع بالاتفاق كما جاء ذلك في حديث آخر.

والإسلام حين راعى قوة الشهوة عند الرجل، لم ينس جانب المرأة، وحقها الفطري في الإشباع بوصفها أنثى. ولهذا قال لمن كان يصوم النهار ويقوم الليل من أصحابه مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**إن لبدنك عليك حقًا، وإن لأهلك (أي امرأتك) عليك حقًا**».

قال الإمام الغزالي: ينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة، فهو أعدل، إذ عدد النساء أربع (أي الحد الأقصى الجائز) فجاز التأخير إلى هذا الحد. نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين. فإن تحصينها واجب عليه.

ومما لفت الإسلام إليه النظر ألا يكون كل هم الرجل قضاء وطره هو دون أي اهتمام بأحاسيس امرأته ورغبتها. ولهذا روي في الحديث الترغيب في التمهيد للاتصال الجنسي بما يشوق إليه من المداعبة والقبلات ونحوها، حتى لا يكون مجرد لقاء حيواني محض.

ولم يجد أئمة الإسلام وفقهاؤه العظام بأسًا أو تأثمًا في التنبيه على هذه الناحية التي قد يغفل عنها بعض الأزواج. فهذا حجة الإسلام، إمام الفقه والتصوف، أبو حامد الغزالي يذكر ذلك

في «إحيائه» - الذي كتبه ليرسم فيه الطريق لأهل الورع والتقوى، والسالكين طريق الجنة - بعض آداب الجماع فيقول: يستحب أن يبدأ باسم الله تعالى والدعاء. قال عليه الصلاة والسلام: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإن كان بينهما ولد، لم يضره الشيطان**». (وليغط نفسه وأهله بثوب... وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل. قال ﷺ: «**لا يقعن أحدكم على امرأته، كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول**». قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «**القبلة والكلام**». وقال: «**ثلاث من العجز في الرجل**» وذكر منها: «**أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها (أي يجامعها) قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها، قبل أن تقضي حاجتها منه**».

قال الغزالي: ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضًا نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر، فتهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها. والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقًا إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال ألذ عندها ولا يشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي.

وبعد الغزالي، نجد الإمام السلفي الورع التقي أبا عبد الله بن القيم يذكر في كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» هديه ﷺ في الجماع. ولا يجد في ذكر ذلك حرجًا دينيًا، ولا عيبًا أخلاقيًا، ولا نقصًا اجتماعيًا، كما قد يفهم بعض الناس في عصرنا. ومن عباراته: "أما الجماع والباءة فكان هديه فيه أكمل هدى، يحفظ به الصحة، ويتم به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التي وضع لأجلها. فإن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور، هي مقاصده الأصلية:

أحدهما: حفظ النسل، ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

والثالث: قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه وحدها هي الفائدة التي في الجنة.

قال: ومن منافعه: غض البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل

ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه، في دنياه وأخراه، وينفع المرأة. ولذلك كان ﷺ يتعاهده ويحبه، ويقول: «**حبب إلي من دنياكم النساء والطيب**».

وفي كتاب «الزهد» للإمام أحمد في هذا الحديث زيادة لطيفة وهي: «**أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن**».

وحث أمته على التزويج فقال: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم**». وقال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج**».، ولما تزوج جابر ثيبًا قال له: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك**».

ثم قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما ينبغي تقديمه على الجماع ملاعبة المرأة وتقبيلها ومص لسانها. وكان رسول الله ﷺ يلاعب أهله، ويقبلها. وروى أبو داود: أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمص لسانها. ويذكر عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل المداعبة.

وهذا كله يدلنا على أن فقهاء الإسلام لم يكونوا رجعيين ولا متزمتين في معالجة هذه القضايا، بل كانوا بتعبير عصرنا تقدميين واقعيين. وخلاصة القول: إن الإسلام عنى بتنظيم الناحية الجنسية بين الزوجين، ولم يهملها حتى إن القرآن الكريم ذكرها في موضعين من سورة البقرة التي عنيت بشئون الأسرة:

أحدهما: في أثناء آيات الصيام وما يتعلق به حيث يقول تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وليس هناك أجمل ولا أبلغ ولا أصدق من التعبير عن الصلة بين الزوجين من قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ بكل ما توجبه عبارة (اللباس) من معاني الستر والوقاية والدفء والملاصقة والزينة والجمال.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ

وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد جاءت الأحاديث النبوية تفسر الاعتزال في الآية الأولى بأنه اجتناب الجماع فقط دون ما عداه من القبلة والمعانقة والمباشرة ونحوها من ألوان الاستمتاع، كما تفسر معنى ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ بأن المراد: على أي وضع أو أي كيفية اخترتموها مادام في موضع الحرث، وهو القبل كما أشارت الآية الكريمة. وليس هناك عناية بهذا الأمر أكثر من أن يذكر قصدًا في دستور الإسلام وهو القرآن الكريم.

آداب عامة ينبغي مراعاتها

الاستحداد: حلق العانة:

ويقصد به حلق الشعر الذي ينبت على الأعضاء التناسلية في الذكر والأنثى، وقد اكتشف العلم الحديث عدة فوائد لوجود الشعر حول الأعضاء التناسلية، ومنها:

المحافظة على الجلد في المناطق المحيطة بالشعر.

المساعدة على نمو الأوعية الدموية خلال الاستثارة الجنسية.

حماية منطقة الفرج من التعرض المباشر للأضرار الخارجية.

حكم الاستحداد هو سنة من سنن الهدى لقوله ﷺ: «الفطرة خمس الاختتان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط» متفق عليه.

وذهب ابن العربي المالكي إلى وجوب الاستحداد.

والحكمة من الاستحداد: المحافظة على صحة الجسم وقوته وسلامته، لأن تكاثر الشعر في هذه المناطق يسبب الكثير من الالتهابات الجلدية التي تضر بالجسم، والاستحداد في ذاته نظافة وطهارة.

المدة التي لا ينبغي تجاوزها في الاستحداد في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة أن لا تترك أكثر

من أربعين ليلة. رواه مسلم.

نتف الإبط:

السنة نتف الإبط كما سبق ذكره في الحديث، ومن لم يستطع ومن لم يحتمل نتفه فيجوز له حلقه.

الحكمة منه الآباط محل للرائحة الكريهة التي تنتج عن تكاثر ملايين البكتيريا في هذه المنطقة غزيرة العرق، وإزالة الشعر منها يسهل تنظيف الجلد ومسام العرق.

حكمه هو سنة من سنن الإسلام.

الختان:

هو قطع الجلدة التي على رأس العضو التناسلي في الذكر.

حكمه: الختان واجب على الذكور شرعًا.

فائدته: بقطع القلفة نتخلص من بعض الإفرازات الدهنية الشحمية التي تفرزها القلفة والتي بتراكمها تتعفن وينشأ عنها روائح مقززة كريهة وبقطع القلفة (الختان) تقل إصابة الشاب بالأمراض التناسلية الزهرية، لأن القلفة هي المكان المحبب والمفضل لجراثيم الزهري وتقل احتمالات الإصابة بالسرطان، حيث ثبت أن السرطان كثير الحدوث في الأشخاص الغير مختونين، بينما تجده نادرًا في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الدينية (كالمسلمين) الختان، وختان الأطفال يجنبهم التبول الليلي اللاإرادي، والختان يقلل من اللجوء إلى العادة السرية؛ لأن وجود القلفة وإفرازاتها يثير الأعصاب التناسلية حول قاعدة الحشفة فيدعو المراهق إلى مداعبتها والاتجاه إلى ممارسة العادة السرية، المختونون تطول مدة الجماع عندهم أكثر من غير المختونين، لذلك فهم أكثر استمتاعًا باللذة، وأكثر إمتاعًا للنساء.

الاستنجاء:

هو تنظيف القبل والدبر بعد خروج البول أو الغائط.

حكمه: واجب على كل مسلم.

الحكمة منه إزالة القاذورات والروائح الكريهة وملايين الجراثيم والميكروبات التي

تتجمع في مثل هذه الأماكن، مما يحد من انتشار الأمراض والأوبئة.

الغسل:

وهو تعميم البدن بالماء بعد الممارسة الجنسية.

أركانه: النية بالقلب. غسل جميع أعضاء البدن.

كيفيته: استحضار النية في القلب. غسل مواضع الاستنجاء. غسل مواضع الوضوء، ما عدا الرجلين فيؤخرهما حتى ينتهي من غسل جسمه كله، تخليل شعر الرأس واللحية بالماء، وإفاضة الماء على الرأس ثلاث مرات. غسل الشق الأيمن للجسد ثم الأيسر. غسل القدمين.

الزواج المبكر:

يقول د. فريدريك كوهن في كتابه (حياتنا الجنسية):

كان البشر في الماضي يتزوجون باكرًا وكان ذلك حلًّا صحيحًا للمشكلة الجنسية أما اليوم فقد أخذ سن الزواج يتأخر..... فالحكومات التي ستنجح في نص قوانين تسهل بها الزواج الباكر ستكون الحكومات الجديرة بالتقدير لأنها تكتشف بذلك أعظم حل لمشكلة الجنس في عصرنا هذا. اهـ.

والإسلام قد احترم هذه الغريزة ولم يعرف لها سنًا بل حث الشباب على المسارعة في الزواج مادام مستطيعًا له، وجعل قضاء المسلم لوطره منها عبادة وقربة إلى الله سبحانه فقال رسول الله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟**» قالوا: بلى قال: «**فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر**».

الزواج ليس جنسًا فقط:

ولا شك أن الزواج ليس علاقة جنسية فحسب، فعلى الرغم من تلك الأهمية العظمى للعلاقة الجنسية فلابد أن يعلم الزوجان أن السعادة الزوجية تقوم على حسن العشرة والمودة والصداقة بين الزوجين؛ لذا فإنه في كثير من الأحيان تتوقف العلاقة الجنسية إلا أن السعادة الزوجية والوفاء وحسن العهد لا يتوقف شيء منها.

الطريق الفطري للجنس:

إن المعاشرة الزوجية بين الزوجين في الإسلام هي السبيل الرباني السوي لإفراغ الطاقة الجنسية الكامنة في كل من الرجل والمرأة وهذه الطاقة هي المحور الأساسي في حياة البشرية وهي من الخطورة بمكان إن لم تكبح جماحها وتضبط بضوابط الشرع من حلال وحرام.

يقول بعض مفكري الغرب: إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية.

والزواج هو الطريق الفطري لإفراغ تلك الطاقة، لذا فإنه كلما كان مبكرًا كانت حماية المجتمع من أضرارها متيقنة وهذا واضح حتى للكافرين.

الاستعداد ليوم الزفاف

إن من أهم ما يتعلق بنجاح حياتك مع زوجك نظافتك الباطنة والظاهرة وسوف يأتي الحديث عن النوعين وعن نظافة منزلك أيضًا إلا أن ما نؤكد عليه هنا هو نظافتك الباطنة بمعنى نظافة بدنك الذي وهبك الله إياه وجعل متعة زوجك فيه.

وقد قال أحد الفطناء: ليس ينفر الإنسان من شيء في العالم أكثر مما ينفر من المرأة القذرة.

وقال البرقوقي: جمال المرأة وتجملها مدرجة ميل الرجل وافتتانه بها وقوام الزينة النظافة.

ويدعى للعروسين في ليلة الزفاف:

فأما الوالد فيقول: اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما، هكذا دعا رسول الله ﷺ لعلي وفاطمة.

وأما النساء اللائي يجهزن العروس فيقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، هكذا قال من جهزن عائشة رضي الله عنها.

وأما كل من أراد الدعاء فيقول: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير، هكذا

كان يقول رسول الله ﷺ إذا رفأ إنسانًا.

ولا يقول بالرفاء والبنين لورود النهي عن ذلك.

ويعلن النكاح بالغناء والضرب بالدف والوليمة وتفصيل ذلك في مظانه.

آداب ليلة الزفاف:

ليلة الزفاف لها طعم خاص ولها آداب مرعية وردت أصولها في السنة فمن ذلك:

- ملاطفة الزوجة بمقدمات تقذف في نفسها الأنس بزوجها قبل تحقيق الرغبة الجنسية مثل تقديم الكأس الذي يشرب منه الزوج لتشرب عقبه كما فعل رسول الله ﷺ مع عائشة رضي الله عنها عندما أتي بقدح فيه لبن.

- وضع الزوج يده على رأس الزوجة والدعاء لقوله ﷺ: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادمًا، فليأخذ بناصيتها وليسم الله عز وجل وليدع بالبركة وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه، وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك».

- إن بدءا حياتهما بصلاة ركعتين يؤم فيهما الزوج امرأته لورود ذلك عن جماعة من السلف الصالح فحسن.

- ثم يقترب الزوج من امرأته فيداعبها مداعبة لطيفة بلمسات من يده ثم قبلات وعناق ونحو ذلك، ويبدأ في خلع ملابسه بتدرج لئلا يفجأ عروسه، ثم يتولى هو خلع ملابسها برفق مع الاستمرار في المداعبة، وسوف يأتي توسع في ذلك في مبحث الإثارة الجنسية.

تقول ماري ستوب وهي متخصصة في علم النفس:

ويجب على الرجل أن يتجرد هو من ثيابه أيضًا، بشكل لا يدعو إلى العجب بل بشكل عادي وبصورة تدريجية لأنه لا يجوز مطلقًا أن تكون الزوجة عارية وهو بكامل ثيابه.

قد يفتر الرجل وربما حصل للرجل فتور لسبب من الأسباب، وهنا يأتي دور المرأة العاقلة الحصيفة في إزالة أسباب ذلك وتهدئة الزوج ومعاونته.

ومما يروى في ذلك أن أم سلمة بنت يعقوب المخزومية كانت ثيبًا ذات مال وفير وتزوجت من السفاح إذ كان فقيرًا، فلما دخل عليها وجدها على منصة وكل عضو من أعضائها مكلل بالجوهر، فحاول مواقعتها على تلك الحال فلم يقدر، فأزالت الجوهر

وغيرت لباسها فلم يستطع أيضًا، فآنسته وقالت: لا يضرك هذا، فلم يزل هذا شأن الرجل ولم يزل طول ليلته يعالجها إلى أن واقعها وحظيت عنده.

ثم يدعو الرجل بالدعاء المأثور: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»، ولا بأس أن تدعو به المرأة أيضًا.

وإلى هنا وصلنا للعملية الجنسية والتي لا شك لها لون خاص في تلك الليلة، لاسيما إن كان أحد الزوجين بكرًا أو كلاهما، ولذا سوف نتكلم عن العلاقة الجنسية على وجه العموم ثم نخصص الحديث عن فض البكارة.

ليلة البناء وفض البكارة:

فض البكارة:

بعض الهمجيين ورعاع الناس يفضون البكارة بالإصبع بعد لفه بمنديل وذلك قبل دخول الزوج بزوجه لكي يبرهنوا على شرف ابنتهم بالدماء الناتجة عن تلك العملية الوحشية وهذا كله مناف للشريعة بل للفطرة السليمة أصلًا، وكثيرًا ما يؤدي إلى نزيف حاد يصل إلى الوفاة.

ولو سلك الزوجان المسلك الفطري لتمت إزالة البكارة بدون ألم ولا صراخ، بل ربما لم ينزل مع ذلك شيء من الدماء أصلًا، لأن سبب نزول الدم هو حدوث تهتك في الأنسجة، فكلما كانت العملية برفق ولين قَلَّ أو انعدم خروج الدم، وكلما كانت بشدة وعنف زاد خروج الدم مما يؤدي إلى نزيف قد يحتاج لإنقاذ طبي وزاد ألم المرأة وتأخر برؤها، وكان لذلك الأثر السيئ على نفسية العروس وربما كرهت الجماع كلية.

ذكر البعض أن أفضل وضع جنسي لإزالة البكارة بعد المداعبات طبعًا: أن تستلقي المرأة على ظهرها وتطوي فخذيها وهما منفرجان إلى أن يلتصقا بكتفيها.

وكذلك إذا استلقت ووضعت تحتها وسادة، تساعد على ارتفاع الفرج فيسهل الدخول.

وقيل: يستلقي الرجل على ظهره وتتوازن المرأة على قضيبه المنتصب وتأتي بحركات تسمح لها بدخول القضيب فيها بكل هدوء ودقة، وهذا الوضع يفيد بعض الرجال المتعبين ويقال: إنه أول ما استعمله الإنسان من الأوضاع.

وذكر بعضهم أن الرجل إذا أراد فض البكارة، يأخذ ذكره بشماله، لأن مسه ذكره بيمينه لا

يجوز، ويداعب الفرج به وعلى وجه الخصوص البظر، ثم يدخله برفق (ولابأس أن يستخدم هو أيضًا شيئًا من الكريمات أو يضع عليه شيئًا من ريقه ويقوم بالحركة الميكانيكية التي تهيج المرأة ويتلذذ هو بها إلا إذا شعر أن عروسه متألمة بسبب الغشاء) حتى ينزل، فإذا أحس بالإنزال أدخل يده تحت وركها وهزها، فإن لذلك لذة للزوجين، وعلى الزوجة أن تضم فرجها على الذكر عند انقباضات الإنزال وتشده شدًا لما في ذلك من اللذة لزوجها (ربما يتعذر ذلك في الأيام الأولى بسبب ألم الغشاء)، ثم عليه أن يمهلها حتى تنزل هي وتقضي لذتها، وقيل إن علامة ذلك أن تعرق، وتلتصق بزوجها، وتسترخي مفاصلها، وعلى الزوج أن يستمر في مداعبته وتقبيله لها ومعانقتها.

وبعض الأغشية يصعب فضه من أول ليلة لأن لها أنواعًا منها المطاطي والمثقوب وغيرها، وقد يكون السبب في عدم خبرة الزوج أو عدم قدرته تلك الليلة، فليس هناك ما يقلق وعلى الزوجين إهمال الانشغال بذلك إلا إذا طال الأمر فلابد من مراجعة الطب فقد يحتاج الأمر لعملية لفتح الغشاء، وبعض النساء لا تزول بكارتها إلا بالولادة، لأن الحمل قد يحدث عن طريق الفتحة الصغيرة التي ينزل منها دم الحيض.

وعلى المرأة الاهتمام بنفسها بعد فض بكارتها بالجلوس في حمامات مائية دافئة مع الملح أو المطهرات المأمونة، والادهان بالكريمات أو زيت الزيتون بعد استشارة الطبيبة حتى يزول الألم الناتج عن تمزق الغشاء ويصبح الأمر طبيعيًا.

كل ما قدمناه له دور هام بالنسبة للمرأة إلا أنه في بداية الحياة الزوجية مع البكر لاشك أن حياءها وعدم خبرتها لا يمكناها من تطبيق ما تقدم، ولكن مع مرور الوقت سوف تتمكن منه.

وأحب أن أنوه هنا بشيء من عجائب الله في خلقه وهو أن غشاء البكارة لا يوجد إلا في الإنسان وأما سائر الحيوانات فليس لها غشاء بكارة، لأن ذكرها لا يهمه هل هي بكر أم لا.

وإن أراد الإنسان أن يعرف هل أنثى الحيوان حامل أم لا ينظر لها إذا أراد الذكر إتيانها فإن ضربته ورفضت المواقعة فهي حامل، وإلا فلا، بخلاف الإنسان لأن الجماع له ليس للإنجاب فقط وإنما يلحق به أمور أخرى كثيرة.

الاستعداد للجماع:

إن عملية الجماع تكون عفوية غير مخطط لها مسبقًا ولكن على المرأة أن تكون مستعدة دائمًا لتلبية نداء زوجها لها مادام قد اقترب موعده أو قد وصل بيته، كما أنها تعرف بمعاشرته الاحتمال الأغلب لوصوله إليها كأن يكون في الوقت المعهود وهو قبل نوم الليل، ويلحق بها بقية الأوقات الثلاثة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾.

إزالة الشعر:

والاستعداد العام يكون باهتمامها بنظافتها كما سبق التنبيه عليه لاسيما إزالة الشعر من الجسد جملة ماعدا الحاجبين وعلى وجه الخصوص من العانة والدبر وتولي ذلك اهتمامًا خاصًا وتطهر هذه الأماكن وتطيبها مع الاحتراز من بعض المعطرات الضارة التي قد تؤدي إلى التهابات في الرحم، وأصل ذلك حديث رسول الله ﷺ: «خذي فرصة ممسكة فتطهري بها»، يعني عند الاغتسال من الحيض.

وتكون إزالة الشعر في عامة الجسم بما يسميه العوام الحلاوة فهي أفضل الطرق مع كونها مؤلمة ويمكن عن طريق النورة وهي البودرة أو الكريمات المزيلة للشعر وتأثيرها على الجلد غير محمود، أما منطقة الفرج وما جاورها فبالموسى وهو ما يسمى في السنة بالاستحداد.

وكان رسول الله ﷺ يحث المسافر على عدم الدخول على زوجه فجأة بل يمهلها حتى تمتشط وتستحد تهيؤًا له واستعدادًا لاستقباله.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ في حديثه عن خصال الفطرة التفرقة بين شعر الإبط وشعر العانة فالأول بالنتف والثاني بالاستحداد، واتباع السنة أولى.

الملابس والطيب:

ويضاف إليه لبس الملابس الخليعة المثيرة، واستخدام الطيب، واستعمال السواك للأسنان، وكذا الفرشاة والمعجون لإضفاء رائحة جميلة على الفم، ولتحرص المرأة على تنظيف اللسان أيضًا ونهايات اللثة التي يتجمع فيها الأطعمة، ولا يلتفت إليها كثير من

الناس، وقد يحتاج الفم للعلاج في بعض حالات البخر أو الرائحة الكريهة للفم بسبب تلف في بعض الأسنان أو عيوب في الأنف أو البطن، ولابد من الحرص على إزالة ذلك.

المكان المناسب:

وكذا تهيئة المكان المعد للجماع مثل غرفة النوم مثلًا وذلك بترتيبها وتجهيز الفراش الوثير بقدر الاستطاعة وتطييبها بالعطور الفواحة أو البخور.

كذلك تجهيز بعض المناشف الصغيرة لمسح المني أو المذي الزائد الذي يفقد الطرفين الاحتكاك المطلوب لكمال الاستمتاع، وهي مسألة هامة جدًّا يغفل عنها كثير من الأزواج.

العرض الحلال:

ثم على المرأة أن تعرض نفسها على زوجها بعد ملاحظتها لحالته العامة وقد روي في ذلك حديث عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المسوفات» قيل: وما المسوفات؟ قال: «الرجل يدعو امرأته إلى فراشه فتقول: سوف سوف حتى تغلبه عينه فينام»، وقال النبي ﷺ: «لا يحل لامرأة تبيت ليلة لا تعرض نفسها على زوجها» قالوا: وكيف تعرض نفسها قال: «تنزع ثيابها وتدخل في فراشه حتى تلصق جلدها بجلده».

نية هامة:

وعلى الزوجين أيضًا أن ينويا بجماعهما أن يرزقهما الله ولدًا صالحًا يكثر به الإسلام ويكون من العلماء الصالحين.

هدف الأنوثة الأول:

وتقول الكاتبة الغربية في كتابها «كيف تصبحين امرأة» عن نفسها ونقلًا عن الطبيب والجراح والعالم النفساني:

ثبت علميًا أن ممارسة الجنس ممارسة صحيحة تزود المرأة وكذلك تزود الرجل بزاد عاطفي وروحي يعينهما ويريحهما جسمانيًا وينسيهما هموم الدنيا ولو لفترة ويتيح لهما نومًا عميقًا هادئًا يحفظ لهما نضارتهما أطول مدة ممكنة.

وتقول: إن الانسجام والتوافق (تعني في العلاقة الجنسية على وجه الخصوص) هما هدف الأنوثة الأول وشغلها الشاغل وعليك أن تبذلي أقصى ما تستطيعين من جهد

للوصول إليهما.

مقدمات الجماع وطرق الإثارة:

وهذه الطرق والمقدمات تعمل على إثارة الشهوة إلى الحد الذي تتم معه العملية الجنسية على الوجه الأكمل فتتم اللذة المطلوبة ويخرج المني بتمامه، وتؤدي إلى إفراز المني من الرجل والمرأة وهو مادة لزجة تساعد على الإيلاج وبها مواد مطهرة تساعد على الحفاظ على حياة الحيوانات المنوية داخل الرحم.

وقد أجمع علماء الفرس وحكماء الهند العارفين بأحوال الباءة على أن إثارة الشهوة واستكمال المتعة لا يكون إلا بالموافقة التامة من المرأة وتصنعها لبعلها في وقت نشاطه بما تتم به شهوته وتكمل متعته من التودد والتملق والإقبال عليه والمثول بين يديه في الهيئات العجيبة والزينة المستظرفة التي تحرك ذوي الانكسار والفتور وتزيد ذوي النشاط نشاطا.

قضاء الشهوة عبادة:

وعندما يقبل المسلم على معاشرة أهله يقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، كما حث على ذلك رسول الله ﷺ، ولا بأس أن تقولها المسلمة أيضًا، ونلمح في ذلك استشعار جانب التعبد في قضاء الشهوة وذلك أمر مهم ليكون كل حال المسلم بتصحيح نواياه عبادة وقربة لرب العالمين ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

ويصحح المسلم والمسلمة نيتهما باستحضار أهمية تلك العلاقة في كف كل منهما عن الحرام والتطلع إليه، ودورها في عقد أواصر المودة بينهما وما لذلك من أهمية في استقرار البيت ودوام الأسرة، كما ينويان بذلك المساهمة في إعمار الأرض وبقاء النوع البشري بالذرية الصالحة التي تنشر دين الله وتنادي بعبادته وتوحيده في أرجاء الأرض وهو الهدف الذي خلق الله له الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وتلك الذرية تكون امتدادًا لهما وأجرًا باقيًا في ميزان حسناتهما.

قدرة الرجل الجنسية ودور المرأة:

على المرأة أن تكيف نفسها مع قدرة زوجها الجنسية إلا في الحالات التي لا علاج لها

كأن يكون الزوج مجبوب الذكر أي مقطوع العضو أو مخنثًا أو خصيًا أما الحالات التي يرجى لها علاج فيمكن أن تصبر لعل الله يشفيه مثل:

العنة:

وهي عدم القدرة على الانتصاب مطلقًا، وهي حالة مرضية تتطلب العلاج، وبعضها قد يكون عضويًا متعلقًا بأمراض أخرى مثل: السكر أو الدرن أو القلب أو بسبب تأثير بعض العقاقير الطبية مثل: المهدئات وبعض أدوية الضغط أو بسبب تعاطي الخمور والمخدرات والإفراط في التدخين، وربما كانت نفسية وقتية كأن تكون بسبب وفاة عزيز أو وجود خلافات زوجية أو كره الزوج لزوجته.

دور المرأة في إذهابها كبير بمحاولة إزالة أسبابها إن أمكن وتشجيعها زوجها وصبرها عليه وعدم جرح شعوره بإظهار تضررها إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وهي على كل حال سبب شرعي لطلب الفراق إن لم يصل إليها مطلقًا، أما إن استطاع جماعها مرة ثم عجز بعد ذلك فليس لها طلب مفارقته على قول جمع من العلماء.

السحر والعين:

وينتبه أن السحر والعين يكون لهما دخل كبير في تلك المسألة وهو ما يسمى بالربط، فأحيانًا تربط المرأة عن زوجها وأحيانًا يربط الزوج عن امرأته، وقد ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ سحره اليهود فكان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، وقد بينت في كتاب السيرة أن اليهود أرادوا ربطه عن عائشة رضي الله عنها وقد مكث في مرضه ستة أشهر حتى عافاه الله، وفي تلك الحالات يهرع المسلم للدعاء والرقية الشرعية لعل الله يرفع ما ألم به وإن مع الصبر الفرج ومع العسر اليسر.

ومن الأمور التي ينبغي للمرأة أن تتكيف معها:

حجم العضو: قد يكون صغر ذكر الرجل مؤثرًا تأثيرًا شديدًا على استمتاع المرأة وقد ثبت في «الصحيح» أن امرأة رفاعة عندما طلقها وتزوجت غيره أتت رسول الله ﷺ شاكية زوجها الجديد فقالت: والله يا رسول الله ما معه إلا مثل هدبة الثوب تعني صغر ذكره فقال رسول الله ﷺ: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة، لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»، يعني

جماعه لها.

وعلى المرأة أن تصبر في مثل هذه الحالة وتحاول أن تجعله يشبعها عن طريق الملاعبة الطويلة وإدخال الأصبع ونحو ذلك.

أما كبر العضو فقد يؤدي إلى ألم المرأة وربما احتاج إلى توسيع في فتحة فرجها، أما من جهة الطول فإن كان طويلًا بحيث يدق جدار الرحم فيؤلم المرأة فعليها أن تجعل الدخول غير كامل ويكفي فيه الثلث أو الثلثان حسب ارتياح الطرفين.

وقد ذكر الإمام أبو محمد ابن حزم في طوق الحمامة أن رجلًا ببغداد تزوج من فتاة فاستعجل أمره في ليلة الزفاف فرأت الفتاة كبر عضوه فنفرت منه وأبت الرجوع إليه حتى الموت، قال: ولو انتظر صاحبنا حتى لانت فتاته وهدأ غزاله لقرت عينه وسعدت حاله.

أسباب البرودة الجنسية في النساء:

هناك عوامل عديدة تمنع النساء من الحصول على النشوة القصوى في الجماع، مما يجعلها بارده جنسيًا ومنها:

١ـ العوامل المرضية العضوية.

٢ـ الالتهابات الحوضية، الختان (الطهارة) بطريقة خاطئة صحيًا وشرعيًا، وبتر البظر والشفرتين.

٣ـ الاضطرابات الهرمونية.

٤ـ المشاكل النفسية - قلق - توتر عصبي - اكتئاب - إحباط - ملل - ضيق - عصبية.

٥ـ الذكريات المؤلمة وممارسة الفتيات العادة السرية بعد مشاهدة الأفلام الخلاعية المثيرة للشهوة.

٦ـ الإدمان على العادات السرية قبل الزواج عند الزوج مما يؤدي إلى سرعة القذف.

٧ـ تعاطي بعض العقاقير الكيميائية.

٨ـ المهدئات، المنومات، مضادات الاكتئاب، حبوب منع الحمل، الأدوية الهرمونية.

٩ـ الشعور بالألم أثناء الجماع.

١٠ـ العلاقة العائلية المضطربة.

١١- الخيانة الزوجية.

١٢- تقدم العمر، عدم الخبرة الجنسية، الجهل الجنسي.

١٣- الفشل العشوائي.

١٤- التجارب الجنسية الصادمة، مثل التعرض للاغتصاب في سن مبكرة.

١٥- سوء التفاهم بين الشريكين وانعدام فرص الحوار الزوجي.

١٦- قسوة الزوج، إساءة التصرف، الإدمان على الخمر والمخدرات.

١٧- عدم القيام بالمداعبة الزوجية والتمهيد الفسيولوجي الجيد قبل الإيلاج.

أنواع البرودة الجنسية:

وتشمل اضطرابات العطل الجنسي في الزوجات:

١- فقدان الرغبة الجنسية - قلة الليبدو - الأولى والثانوي وعطل الاهتمام بالجنس أو الشعور الجنسي.

٢- عطل الاستثارة الجنسية، وعدم القدرة على التجاوب الفسيولوجي مع مداعبات الزوج.

٣- عطل الذروة وعدم القدرة على الحصول على الأورجازم.

٤- عسر الجماع أو الشعور بالألم أثناء العلاقة الزوجية.

٥- التشنج المهبلي.

٦- عدم الحصول على رضى في العلاقات الجنسية بسبب قصور الزوج عن تلبية رغبة زوجته، أو بسبب الإحباط النفسي أو المقارنة مع ما تراه الزوجات على الشاشة من أفلام البورنو الجنسية والمغالاة في الأوهام بالنسبة للأورجازم، وقد تشاهد بعض النساء في الأفلام الأوروبية الشقراوات الممثلات القادرات على الحصول على عدة رعشات أو الوصول على الأورجازم المتعدد في العلاقة الواحدة.

ما ينفر الرجل من زوجته:

وقام بعض علماء الاجتماع في إحدى جامعات أمريكا بعمل استطلاع عما ينفر الرجل من زوجته خاصة من الناحية الجنسية فكانت الأسباب التالية:

رائحة النَفَس الكريهة أو وجود بقايا طعام في الأسنان بسبب عدم تنظيف الفم بانتظام.

رائحة المهبل الكريهة بسبب إهمال العناية بغسل وتنظيف الفرج أو إهمال استبدال الملابس الداخلية بانتظام أو بسبب التهابات مهبلية لم تعالج.

روائح الأكل عمومًا كالبصل والثوم.

الأظافر المتسخة غير المهذبة.

غزارة شعر الجسم بسبب إهمال إزالته بالمزيلات المعروفة.

غزارة شعر العانة.

الملابس الرديئة غير الأنيقة.

ارتداء ملابس داخلية قطنية غير أنيقة على الرغم من كونها جيدة لامتصاص العرق إلا أنها لابد من استبدالها لأنها تضعف انجذاب الرجل.

الإفراط في عمل الزينة كوضع كمية كبيرة من المساحيق على الوجه.

إهمال العناية بالشعر من غسيل وتمشيط.

اتساخ السرة أو ما يشابهها بسبب إهمال العناية في الاستحمام.

رائحة العرق الكريهة وينتبه لبعض الأطعمة التي يكون لها دور في ذلك كالحلبة مثلًا.

عدم الاستعداد للجماع بصفة عامة.

منفرات الجنس في الزوجات:

تشكو بعض النساء هروب أزواجهن من العلاقة الزوجية ليلًا ويعتقد بأن سبب ذلك هو مشكلة جمالية. مثل كبر حجم الأنف أو صغر حجم الصدر أو بروز الكرش أو ظهور النمش والكلف وبالرغم أنهن يرغبن في العلاقة الزوجية ويستمتعن بها إلا أنهن يرتكبن أخطاء عديدة تجعل الزوج ينفر بشدة من العلاقة الزوجية ومن هذه الأشياء المنفرة:

عدم الاهتمام بنظافة الجسم: مما يؤدي لظهور روائح كريهة منفره وظهور حب الشباب والدمامل - بسبب الوساخة - اتساخ في البطن والسرة وعدم الاهتمام بنظافة الأظافر أو تهذيبها وعدم الاهتمام بإزالة الشعر الزائد من الجسم والوجه والشفتان والصدر والظهر.

عدم الاهتمام بالزينة: عدم الاهتمام بتجميل الشعر وتمشيطه وتلوينه أو الشعر المنكوش أو القذر قد يكون منفرًا بشكله ورائحته وعدم الاهتمام بالمكياج الذي يزين الزوجة.

إهمال الملابس المثيرة للزوج: فالأمثال تقول: لبس البوصة تبقى عروسة... ولبس الخنفسة تبقى ست النسا... لبس الخشبة تبقى عجبة.

فإهمال الزوجة للملابس الجميلة الأنيقة والمثيرة وارتدائها مريلة المطبخ قد تنفر الزوج وتدمر رغبته الجنسية لأن الزوج يستثار بالنظر للمرأة الجميلة

انبعاث الروائح الكريهة: سواء من الفم والأسنان بسبب إهمال النظافة بالفرشاة والمعجون أو رائحة الإفرازات المهبلية المنفرة التي قد تستلزم المراجعة الطبية للعلاج أو لغزارة شعر العانة وعدم الاستحمام ورائحة العرق الرديئة، النكد الزوجي المستمر، ومطالب الزوجة الكثيرة ساعة الجماع تجعل الزوج ينفر من الزوجة.

جملة من آداب الجماع:

إن على المرأة أن تتفهم قضايا الجنس تفهمًا كاملًا وتجتهد فيما يجعلها في توافق جنسي تام مع زوجها.

والجماع هو إيلاج ذكر الرجل في فرج المرأة، ويوجب الغسل منه ما يوجب الحد وهو دخول الحشفة وهو المعبر عنه في حديث رسول الله ﷺ: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل**».

بعض مفاتيح الجماع الطيب:

أولًا: أهم وصفة للسعادة الزوجية الحقيقية هي تقوى الله على علم من قبل كلا الزوجين.

ثانيًا: القيلولة مهمة جدًا في هذا الجانب فقد وردت آثار في الحث عليها وهي من أحسن الأمور المعينة على كمال الاستمتاع والانسجام والنشاط والصفاء الذهني في هذا الأمر خاصة لمن يريدون أن يقوموا بهذا الأمر بعد صلاة العشاء. على أنه لم يسمح للحليلة أن تتمنع ولو قليلًا في أي وقت من نهار أو ليل - في غير الصوم الواجب - عن دعوة حليلها لها إلى الفراش حتى ولو كانت مشغولة في إنضاج الطعام يدل على هذا ما ورد في الحديث الصحيح: «**وإن كانت على رأس تنور**».

ثالثًا: أن تكون وجبة العشاء خفيفة وقبل أذان العشاء. تقوم الأم بإنامة أطفالها قبل صلاة

العشاء يوميًا فذلك مهم جدًّا لنفسية الرجل ونفسيتها هي.

رابعًا: أن يبدأ في وقت مبكر فإن كان الرجل يريد ذلك بعد صلاة العشاء بدأ بعد الصلاة مباشرة وسيعلما ميزة البدء المبكر إذا جرباه.

خامسًا: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين بأن من التقديم للنفس: التسمية قبل الجماع.

سادسًا: يستحسن أن لا يكون النور مطفئًا لأن ذلك يسبب النعاس وبالتالي قلة النشاط والاستمتاع.

سابعًا: من حق الحليلة أن لا يعجلها زوجها ولكن يداعبها بالكلام الجميل، الصادق و... و...، ويستحسن أن يشمل ذلك كل موضع من الجسم بلا استثناء لمدة ساعة أو أكثر حتى تصل إلى ما وصل إليه هو أو أكثر منه وإن استطاع أن يوصلها للذروة عدة مرات بالمداعبة فذلك أحسن وأحفظ للمرأة وأعف لبصرها وأدوم للمودة والألفة والمحبة وأعظم أجرًا له إن شاء الله.

فإن قضى بعض حاجته قبلها لم يجز له أن يتولى عنها ولكن يداعبها حتى تقضي حاجتها.

وإن أراد أن يجامعها أكثر من مرة فعليه أن يوضئ فرجه بين كل جماعين لما ورد أن النبي ﷺ أمر بذلك.

أما إن كان عنده أكثر من حليلة وأراد أن يأتي الأخرى في نفس الليلة اغتسل قبل إتيانها لما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

تنبيه:

لا يجوز للزوجين أن يظهرا صوتيهما بما يجعل غيرهما يسمع «والحياء شعبة من الإيمان».

ولا يجوز أن يتحدثا بما كان بينهما فقد ورد أن النبي ﷺ شبه من يفعل وتفعل ذلك بالشيطان يأتي الشيطانة في الطريق.

بالإضافة إلى ما ورد عن أن النبي ﷺ قال: «الشياع حرام». ضعيف.

الشياع: هو الافتخار بالجماع.

عن قيس بن طلق عن أبيه قال سأل رجل النبي ﷺ قال: أرأيت الرجل يكون له في امرأته حاجة قال: «ليس لها منعة وإن كانت على رأس تنور».

وعن قيس بن طلق عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها كما يجب أن يقضي حاجته».

ومن هنا عليك أيها الرجل أن تستمتع بزوجتك في كل جسمها ما عدا الدبر.

أما الزوجة فلها أن تستمتع بجسد زوجها في كل مواضعه وأن يفعلا أي شيء يثير شهوتها فكل الجسم حلال إلا الإيلاج في الدبر.

ترتيبات الجماع الممتع؟!

١. التهيؤ، والاستعداد الجيد: من عدم وجود منغصات نفسية أو اجتماعية، أو إرهاق بدني أو أي عارض يحول دون التركيز الكامل في الممارسة الجنسية، مع استحضار النية وتلاوة الدعاء المأثور.

٢. المداعبة والملاعبة التي تشمل أشكالًا كثيرة، وفنونًا واسعة. وإن هذه المداعبة جزء أساسي في تحقيق اللذة عند المرأة، والرجل.

٣. مرحلة الجماع: وله أوضاعه المختلفة والمتنوعة، والتي تتناسب مع ظروف وأحوال الرجل والمرأة، وغرض هذه الأوضاع وهدفها تحقيق الإدخال على أفضل وجه، ويلاحظ أن متعة الرجل ووصوله إلى اللذة يكون أسرع من المرأة ـ في أغلب الأحيان ـ ولذلك فإن عليه ألا يستعجل القذف، وأن يتأنى ـ حتى لو قذف ـ ويستمر في البقاء داخل المهبل مع المداعبة والملاطفة حتى تشعر الزوجة أنها قضت وطرها، ويسألها عن ذلك، ولا يقوم عنها إلا إذا اطمئن أن هذا قد حدث.

٤. إذا هم الزوج بالقيام عن الزوجة قبل أن تقضي وطرها فعليها أن تطلب منه أن يبقى، ويستمر، وألا تعتبر هذا عيبًا أو قلة حياء، فالنتائج المترتبة على عدم الشعور باللذة الجنسية أكبر وأهم من أن نتعامل معها باستخفاف، أو نصمت عنها بدافع الحياء الذي يكون هنا مذمومًا؛ لأنه في غير موضعه، بل ونلوم فاعله لأنه أخطأ في حق نفسه، وشريكه.

٥. لا بأس من معاودة الجماع مرة أخرى ـ بعد وقت معقول ـ يحتاجه الزوج لاستعادة

القدرة على الانتصاب، ويحتاجه الزوجان للتهيؤ من جديد لجماع جديد، والرسول ﷺ أوصى بالوضوء، وربما غسل الرجل لأعضائه بما يجعله أنشط وأقدر على المعاودة.

أكمل لذات الجماع:

ومن الأمور التي تساعد على كمال اللذة في الجماع التجرد الكامل لدى البعض:

قال أحدهم:

واحذر من الجماع في الثياب فهو من الجهل بلا ارتياب

بل كل ما عليها صاح فانزع وكن ملاعبًا لها لا تفزع

وفي أحيان أخرى يلذ الجماع من وراء بعض الملابس كالسراويل الداخلية بتأخيرها قليلًا عن الفرج حتى يمكن الإيلاج فإن لذلك طعمًا خاصًا لدى البعض، أو بالاستعانة بعض الملابس الداخلية الحديثة مثل المشدات التي يترك فيها مكان فرج المرأة مفتوحًا.

وعلى كل فإن هذا الأمر يرجع للأذواق!!!

وقد وردت أحاديث في التستر أثناء الجماع لا تثبت، والحرص على التلذذ أولى من الأخذ بها احتياطًا.

وقيل في قوله سبحانه: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ أنه كناية عن اجتماعهما متجردين فيكون كل منهما لباسًا للآخر قال الشاعر:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباسا

ينبغي لكل من الزوجين الحرص على إخفاء ما فيهما من عيوب بقدر المستطاع.

وقيل عرضت الخيزران على المهدي فقال لها: يا جارية، إنك لمنية المتمني ولكنك حمشة الساقين، فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أحوجُ ما تكون إليهما لا تراهما، تقصد عند جماعه لها.

المداعبات النهائية ضرورية:

أما عن الملاعبة النهائية التي تعقب العملية الجنسية فهي شيء ضروري رغم أن الكثيرين يهملونها، إذ يجب أن لا ينفصل الزوجان مباشرة بعد الجماع، بل يظلا متعانقين، لأن الزوج

يحس أن زوجته تريد أن تبقى في حوزته عاطفيًا وجسديًا وأنها ما زالت متوترة، كما أن الشكر المتبادل بينهما يزيد الروابط العاطفية قوة. أي أن لهذه الملاعبة النهائية أثرها في تثبيت العلاقات الزوجية وتحقيق سعادة الزوجين معًا.

والطريق إلى اللذة الجنسية الكاملة الحلال سهل وميسور بإذن الله.

والحالة المزاجية من قلق أو سرور أو غير ذلك لها دخل كبير في الوصول إلى اللذة والشعور بها، كذلك الإرهاق البدني والذهني، وكذلك المناخ المحيط بعملية الممارسة: المكان، الإضاءة، التهيؤ. نوع وكمّ المداعبة القبلية والبعدية له دور هام أيضًا. مستوى الثقة والانسجام بين الزوجين، وتشاركهما في التفاعل والتعامل مع أحداث الحياة أيضًا عليه معول هام.

المداعبات الزوجية في الشريعة والطب:

المتدبر للقرآن والسنة يجد الاهتمام بالعلاقات الأسرية واضحًا، بما فيها العلاقات الزوجية على الفراش.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وفي هذه الآية وجوب أن يمتع الرجل زوجته كما استمتع هو أيضًا ويوصلها للنشوة كما يريد أن يصل هو، ولا يكون أنانيًا همه نفسه فقط.

ومن الآيات المتعلقة بهذا الأمر قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾.

يلاحظ أنه بدأ بهن فقال ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾.

وكثير من الأطباء المتخصصين يعلمون أهمية أن يعكس الزوجين وضعيتهما بحيث يكون الزوج مستلقيًا على ظهره والزوجة فوقه أثناء الجماع حتى تقضي وطرها فهذه الطريقة تؤخر النشوة عند الرجل بينما تسرعها عند المرأة. فإذا قضت وطرها يعكسان الوضعية بحيث تصير الزوجة مستلقية على ظهرها والزوج فوقها.

الوضوء والاغتسال:

وإذا جامع الرجل امرأته فالأفضل أن يتوضأ إن أراد العود، لقول رسول الله ﷺ: «إنه

أنشط للعود».

ويفضل لهما ألا يناما إلا على وضوء ولو اغتسلا فهو أفضل، وكذا لا يأكلان ولا يشربان إلا إذا توضآ، وفي وجوب ذلك خلاف.

ويراجع لهذه الأمور كتب الفقه للاستزادة والتفصيل لضيق المجال هنا.

تحريم الدبر:

ويحرم إتيان المرأة في دبرها يعني الإيلاج داخل الشرج وقد جاء في الحديث أنها اللوطية الصغرى وورد فيه وعيد شديد إلا أن بعض العلماء أجازه لعدم ثبوت الحديث لديهم واستنادًا للعموم والقياس يكون مباحًا، وثبت فعله عن بعض السلف، أما وقد صح النص بتحريمه فالقول الصحيح هو ما وافق هذا النص .

وعلى المرأة إذا أراد منها زوجها ذلك أن تعامله برفق احترامًا لهذا الخلاف وتدله على سؤال العلماء فيه، وتنبهه إلى أضراره الطبية، وتقدر رغبته في ذلك الاستمتاع بحثه على مداعبتها في المنطقة من غير إيلاج فقد يكون مولعًا بهذا المكان ويعشقه لعوامل اجتماعية ونفسية، ثم إذا بلغت به الشهوة منزلتها أولج في المكان المباح.

احذري الحيض:

ومن آداب ليلة الزفاف أن تحذر العروس أن تكون في وقت احتمال الحيض لأن ذلك مؤلم للرجل حيث يحرم منها في بدء حياته معها وقد قال بعضهم في ذلك شعرًا:

فـــــارس مــــاض بحربتــــــه درب بـــــالطعن في الظلــــم

رام أن يـــــدمي فريــــسته فــــاتقته مــــن دم بــــدم

المعاشرة الجنسية أثناء الحيض والنفاس:

وهذه الفقرة ذات أهمية خاصة حيث يحرم الرجل فيها من أعظم متعة في الجماع وهي الإيلاج في الفرج وكذا تحرم المرأة بدرجة أقل لعدة أمور منها ما قدمناه من اختلاف طبيعة كل من الرجل والمرأة حيال الإيلاج، وكذا ما يعتري المرأة من ضعف في الشهوة وقت حيضها كناحية فسيولوجية، بالإضافة لانشغال فكرها بآلام الحيض وضعف جسدها بما فقد

من دم، لذا فعلى المرأة أن تهتم بزوجها وتحاول إشباعه جنسيًا في تلك الفترة لا سيما لو كانت هي الوحيدة عنده، وعلى الرجل ألا يغفل إمتاع امرأته أيضًا في تلك الفترة.

وقد قال رسول الله ﷺ: «افعلوا كل شيء إلا النكاح».

وعن مجاهد قال: لا بأس أن تؤتى الحائض بين فخذيها أو في سرتها.

وعن مجاهد أيضًا قال: تقبل وتدبر إلا الدُّبر والمحيض. رواهما الدارمي وغيره.

وقال في المدونة: سئل مالك عن الحائض أيجامعها زوجها فيما دون الفرج فيما بين فخذيها قال: لا ولكن شأنه بأعلاها. قال قوله عندنا شأنه بأعلاها أن يجامعها في أعلاها إن شاء في أعكانها وإن شاء في بطنها وإن شاء فيما شاء مما هو أعلاها.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض، وله أن يستمني بيدها وأن يستمتع بما يشتهي سوى الوقاع.

وقال الإمام المناوي: وله الاستمتاع بجميع بدنها حتى ظاهر حلقة الدبر أما إدخال الذكر فيه فحرام.

وقال الحكم رَحِمَهُ اللهُ: لا بأس أن تضعه على الفرج ولا تدخله، يعني الذكر.

وقال الحسن: على بطنها وبين فخذيها.

ويحل للرجل إتيان أهله متى انقطع عنها الدم الأسود سواء دم الحيض أو النفاس ولا دخل للمدة ولا للدم الخفيف الذي كغسالة اللحم أو الصفرة والكدرة على خلاف بين العلماء يراجع له كتاب «إسعاف النساء بفصل الصفرة عن الدماء»، ويكفي أن تغسل فرجها فقط وليس الاغتسال شرطًا في ذلك على خلاف أيضًا بين العلماء.

ومن إحسان الرجل للمرأة أن يصبر عليها إلى قبيل الأربعين ولو طهرت من اليوم التالي لولادها حتى تأخذ راحتها الكافية إلا إذا رغبت ووجدت في نفسها نشاطًا.

كفارة إتيان الحائض:

وإذا أتى الرجل امرأته وهي حائض أو نفساء فأولج في فرجها فليتب إلى الله لأنه أتى حرامًا مع ضرره الطبي عليه، ويلزمه الكفارة وهي التصدق بدينار إذا كان الدم عبيطًا أي غليظًا كثيرًا، وبنصف دينار إن كان في أواخره كما جاء في الحديث عن ابن عباس، وليس

على المرأة شيء ولكن عليها ألا تطيعه وتنصحه فإن غصبها أو ألزمها فليس عليها حرج إن شاء الله.

المعاشرة الجنسية أثناء الصيام:

أما في حالة الصيام فالذي يحرم هو الإيلاج بالاتفاق ويلزمه القضاء والكفارة، واختلف في الإنزال بدون إيلاج وليس هذا مجال الإسهاب إلا أن على المرأة ألا تمتنع من زوجها من شيء وهي صائمة إلا من إيلاجه في حال صيام رمضان أو نذر محدد فقط لئلا يبطل صومها أما غير ذلك من مباشرة وتقبيل ومعانقة وعبث بها بيده أو بذكره فعليها الاستسلام له.

عن عائشة قالت: أهوى إليَّ رسول الله ﷺ ليقبلني فقلت: إني صائمة فقال: وأنا صائم فأهوى إليَّ فقبلني.

وثبت أنه ﷺ كان يقبل ويباشر وهو صائم وهو أقدر الناس على ترك ذلك لأنه ﷺ أملكهم لإربه ومع ذلك فعله ليدلل على جوازه.

وسئلت عائشة رضي الله عنها: ما يحل للرجل من امرأته وهو صائم، فقالت: كل شيء إلا الجماع.

ولتحذر المرأة أن تتحدث بما يجرى بينها وبين بعلها وليحذر الرجل أن يفعل مثل ذلك فقد ورد الوعيد الشديد عليه:

عن أبي سعيد مرفوعًا: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته أو تفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه».

وقد جاء في بعض ألفاظه: «أن مثله ومثلها إن فعلا ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون».

الجماع بحضرة الأطفال:

ومن الآداب المرعية التي يجب التنبه لها ألا يكون الجماع أو إظهار العورة بالتجرد الكامل أو العبث الجنسي بحضرة أحد من الأطفال ولا يستثنى من ذلك إلا من كان لا يعي وهو الطفل حتى ثلاث سنوات كحد أقصى.

وقد روي أن ابن عمر كان إذا أراد الجماع أخرج الرضيع.

وجاء في كتاب «صارح طفلك عن الجنس» الذي ألفته جمعية دراسات الطفولة بأمريكا:

أما مشاركة الأطفال للوالدين في غرفة النوم فأمر لا يتسم بالحكمة على الإطلاق، إن الأطفال لا يكونون نيامًا عندما يبدون كذلك حتى من هم في سن الثانية أو الثالثة وهم قد يرتعبون عند الإحساس بمظاهر النشاط الجنسي للوالدين في الفراش.

★ ★ ★

التربية في المفهوم الإسلامي

تربية الأبناء اليوم تتعرض لمخاطر كثيرة:

منها: تقصير الأبوين المكلفين قبل غيرهما في تربية أبنائهما.

ومنها: قصور التعليم الحالي الذي أغفل جوانب مهمة في تربية الأولاد ولم يحط الإحاطة الشاملة التي تلبي حاجة الإنسان الروحية والفكرية والخلقية والجسدية.

ومنها: ترك المجال أمام دعاة الغزو الفكري والأخلاقي لبث سمومهم وترويج أفكارهم ليعملوا على هدم أخلاق الناشئين وتحطيم قيم أبناء الجيل.

ومنها: تقليد بعض المربين للمناهج الغربية والأخذ بكل نظرياتها من غير تمحيص ولا تحقيق في الوقت الذي أثبتت دراسات المحققين والنقاد قصور المناهج الغربية وتناقضها وخوائها الروحي وحاجتها الماسة إلى الإصلاح والتعديل.

ومنها: الغفلة عن مصادر المنهج الإسلامي في التربية والذي يولي تربية الأولاد أهمية بالغة ويمتاز عن غيره من النظريات بالشمول والتوازن والواقعية ووحدة التلقي.

هذه الأسباب وغيرها أدت ولا تزال تؤدي دورها في إضاعة عقول أبنائنا وإبعادهم عن قيمهم وأخلاقهم.

وإذا أصـــيب القـــوم في أخلاقهـــم فـــأقم علـــيهم مأتمـــا وعـــويلا

إن البعد عن مصادر ثقافتنا وهجر أساليب تربيتنا والانسياق وراء النظريات المستوردة سيورث أبناءنا ضعف الإرادة وفراغ العقل وخواء الروح...

إن العودة إلى معين التربية الإسلامية وعودة الأبوين والأسرة لتولي مسؤوليتهما تجاه أبنائهم وعودة المربين المسلمين للأخذ بأساليب التربية الإسلامية الصحيحة التي تعني بتربية النفوس عنايتها بتربية العقول والأجسام هو الطريق الصحيح الذي يصنع الجيل الصاعد والمجتمع الفاضل والأمة الخيرة.

كيف نربي أبناءنا تربية صالحة سؤال يهم كل الآباء والمربين ولابد من الإجابة عليه

مسترشدين بتوجيهات الإسلام وهديه وما كتبه العلماء وذكره أهل الاختصاص في التربية والتعليم كيف نربي أبناءنا تربية صالحة؟ سؤال يضع الآباء والمربين عند مسؤوليتهم الكبرى التي ألزمهم الإسلام بها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

دور الآباء والأمهات في تربية الأبناء:

يحمل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الأبناء بالدرجة الأولى ويخصهما قبل غيرهما بهذا الواجب قال الله تعالى حاضًا الوالدين على تربية الأبناء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير. رواه الحاكم في مستدركه.

قال المفسرون في الآية: قوا أنفسكم أي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه وقال مقاتل: أن يؤدب المسلم نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

هدف تربية الناشئ في الإسلام

تحدث الكثير من الكتاب والباحثين عن هدف تربية الفرد المسلم، فذكروا كلامًا كثيرًا وتفصيلًا مفيدًا في هذا المجال، ويمكن أن نلخص أقوالهم في القول التالي: يتضح أن لتربية الفرد في الإسلام هدفًا واحدًا واضحًا ومحددًا، وهو: إعداده لعبادة الله سبحانه وتعالى. وغني عن القول هنا أن من شمول الدين الإسلامي أنه لم يقتصر العبادة على الصلاة والصوم والحج، بل جعل كل عمل يقوم به المسلم ويريد به وجه الله عباده .

السبل المعينة على تربية الأولاد

هناك سبل معينة على تربية الأولاد، وأمور يجدر بنا مراعاتها، وينبغي لنا سلوكها مع فلذات الأكباد، فمن ذلك ما يلي[1]:

(١) انظر: تحفة المودود ص ١٤٦ــ ١٤٨ وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ص ٩ــ١١ وأخلاقنا الاجتماعية ص ١٥٦ــ ١٥٧ وأدب المسلم لمحمد سعيد مبيّض ص ١٦١ــ ١٦٣ وتذكير العباد بحقوق

١- العناية باختيار الزوجة الصالحة: فلا يليق بالإنسان أن يقدم على الزواج إلا بعد استخارة الله عز وجل واستشارة أهل الخبرة والمعرفة؛ فالزوجة هي أم الأولاد، وسينشؤون على أخلاقها وطباعها، ثم إن لها في الغالب تأثيرًا على الزوج نفسه؛ لذلك قيل: المرء على دين زوجته؛ لما يستنزله الميل إليها من المتابعة، ويجتذبه الحب لها من الموافقة، فلا يجد إلى المخالفة سبيلًا، ولا إلى المباينة والمشاقة طريقًا[1].

قال أكثم بن صيفي لولده: يا بنيّ! لا يَحمِلَنّكم جمال النساء عن صراحة النسب؛ فإن المناكحَ الكريمةَ مدرجةٌ للشرف[1].

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات مَنْ لا تُسَبُّون بها[2].

وأنشد الرياشي[2]:

فـأول إحـساني إلـيكم تَخَيُّـري لماجـدة الأعـراق بـادٍ عفافُهـا

٢- سؤال الله الذريةَ الصالحة: فهذا العمل دأب الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وكما حكى عن الصالحين أن من صفاتهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣- الفرح بمقدم الأولاد، والحذر من تسخطهم: فالأولاد هبة من الله عزّ وجل واللائق بالمسلم أن يفرح بما وهبه الله، سواء كان ذلك ذكرًا أم أنثى، ولا ينبغي للمسلم أن يتسخط بمقدمهم، أو أن يضيق بهم ذرعًا، أو أن يخاف أن يثقلوا كاهله بالنفقات؛ فالله عز وجل هو

العباد ص ١٨_ ٢٣ و ٦٦_ ٧٧ وأثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع د. عبد الله قادري ص ١٦٨_ ١٨٩ والمسؤولية في الإسلام د. عبد الله قادري ص ٩٩_١١٩ وشخصية المسلم كما يصوغها الكتاب والسنة د. محمد علي الهاشمي ص ٩٣_ ١٠٦ ونظرات في الأسرة المسلمة ص ١٥٥_ ١٧٠ والأولاد وتربيتهم في الإسلام لمحمد المقبل ص ١٣١_ ١٣٦

(١) أدب الدنيا والدين، ص ١٣٢

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ١٣٢

الذي تكفل برزقهم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] .

كما يحرم على المسلم أن يتسخط بالبنات، ويحزن لمقدمهن، فما أجدره بالبعد عن ذلك؛ حتى يسلم من التشبه بأخلاق الجاهلية، وينجو من الاعتراض على قدر الله، ومن ردِّ هبته عز وجل .

ففضل البنات لا يخفى، فهن البنات، وهن الأخوات، وهن الزوجات، وهن الأمهات، وهن كما قيل نصف المجتمع، ويلدن النصف الآخر، فهن المجتمع بأكمله.

ومما يدل على فضلهن أن الله عز وجل سمى إتيانهن هبةً، وقدمهن على الذكور، فقال عز وجل : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] .

وقال ﷺ : «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن سترًا له من النار»[١] .

وقال: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن إلا دخل الجنة»[٢].

٤- **الاستعانة بالله على تربيتهم:** فإذا أعان الله العبد على أولاده، وسدده ووفقه أفلح وأنجح، وإن خُذل ووكل إلى نفسه فإنه سيخسر ويكون عمله وبالًا عليه، ٥- **الدعاء للأولاد، وتجنب الدعاء عليهم:** فإن كانوا صالحين دعى لهم بالثبات والمزيد، وإن كانوا طالحين دعى لهم بالهداية والتسديد.

والحذر كلَّ الحذرِ من الدعاء عليهم؛ فإنهم إذا فسدوا وانحرفوا فإن الوالدين أولُ من يكتوي بذلك.

٦- **تسميتهم بأسماء حسنة:** فالذي يجدر بالوالدين أن يسموا أولادهم أسماءً إسلاميةً عربيةً حسنةً، وأن يحذروا من تسميتهم بالأسماء الممنوعة، أو الأسماء المكروهة، أو المشعرة بالقبح، فالأسماء تستمر مع الأبناء طيلة العمر، وتؤثر بهم، وبأخلاقهم.

قال ابن القيم رحمه الله : فقلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا إلا وهو على مسمى قبيح كما قيل:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٨) ، ومسلم (٢٦٢٩) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد ٤٣/٣.

وقـــلّ إن أبـــصرت عينـــاك ذا لقـــبٍ إلا ومـــعناه لـــو فكّـــرت في لقبـــه

والله سبحانه بحكمته في قضائه وقدره يلهم النفوس أن تضع الأسماء على حسب مسمياتها ؛ لتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه كما تناسبت بين الأسباب ومسبباتها.

قال أبو الفتح ابن جني: ولقد مر بي دهرٌ وأنا أسمع الاسم لا أدري معناه، فآخذ معناه من لفظه، ثم أكتشفه، فإذا هو ذلك بعينه، أو قريب منه.

فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: وأنا يقع لي كثيرًا [١].

وقال ابن القيم رحمه الله : وبالجملة فالأخلاق والأعمال، والأفعال القبيحة - تستدعي أسماءً تناسبها، وأضدادها تستدعي أسماءً تناسبها، وكما أن ذلك ثابت في أسماء الأوصاف فهو كذلك في أسماء الأعلام، وما سمي: رسول اللهﷺ محمدًا وأحمد إلا لكثرة خصال الحمد فيه؛ ولهذا كان لواء الحمد بيده، وأمته الحمّادون، وهو أعظم الخلق حمدًا لربه تعالى لهذا أمر رسول اللهﷺ بتحسين الأسماء فقال: «حسّنوا أسماءكم»[٢] فإن صاحب الاسم الحسن قد يستحيي من اسمه، وقد يحمله اسمه على فعل ما يناسبه، وترك ما يضاده؛ ولهذا ترى أكثر السفل أسماؤهم تناسبهم، وأكثر العِلْيَة أسماؤهم تناسبهم، وبالله التوفيق [٣].

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد حفظه الله : فعلى المسلمين عامة، وعلى أهل هذه الجزيرة العربية خاصة العناية في تسمية مواليدهم بما لا ينابذ الشريعة بوجه، ولا يخرج عن سنن لغة العرب؛ حتى إذا أتى إلى بلادهم الوافد، أو خرج منها القاطن فلا يسمع الآخرون إلا: عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، وأحمد، وعائشة، وفاطمة، وهكذا من الأسماء الشرعية في قائمة يطول ذكرها زخرت بها كتب السير والتراجم.

أما تلك الأسماء الأعجمية المولدة لأمم الكفر المرفوضة لغة وشرعًا، والتي قد بلغ الحال من شدة الشغف بها التكني بأسماء الإناث منها، وهذه معصية المجاهرة مضافة إلى معصية التسمية بها فاللهم لا شماتة.

---

(١) تحفة المودود، ص ٩٢.

(٢) ضعيف: أبو داود (٤٩٤٨) .

(٣) تحفة المودود، ص ٩٢.

ومنها: إنديرا، جاكلين، ديانا، سوزان ومعناها الإبرة، أو المحرقة فالي، فكتوريا، كلوريا، لارا، لندا، مايا، منوليا، هايدي، يارا.

وتلك الأسماء الأعجمية فارسية أو تركية، أو بربرية: مرفت، جودت، حقي، فوزي، شيرهان، شيرين، نيفين.

وتلك التافهة الهمل: زوزو، فيفي، ميمي.

وتلك الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة: أحلام، أريج، تغريد، غادة، فاتن، هيام[1].

وما أجمل قول البيحاني في منظومته[2]:

سم الذي جئتِ به محمدًا ... أو طاهرًا أو مصطفى أو أحمدا

نعم وإن شئت فعبد الله ... لكي يعيش تحت لطف الله

والبنتَ سمها بأم هاني ... لا باسم فيروز ولا اسمهان

٧- تكنيتهم بكنى طيبة في الصغر: كأن يكنى الولد بأبي عبد الله، أو أبي أحمد أو غير ذلك؛ حتى لا تسبق إليهم الألقاب السيئة، فتستمر معهم طيلة العمر؛ فقد كان السلف الصالح يُكَنُّون أولادهم وهم صغار، فتبقى معهم هذه الكنى حتى فراق الدنيا، وكتب التراجم والسير زاخرة بذلك.

٨- غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد: فمما يجب بل هو أوجب شيء على الوالدين أن يحرصوا كل الحرص، على هذا الأمر، وأن يتعاهدوه بالسقي والرعاية، كأن يعلم الوالد أولاده منذ الصغر أن ينطقوا بالشهادتين، وأن يستظهروها، وينمي في قلوبهم محبة الله عز وجل، وأن ما بِنَا من نعمة فمنه وحده، ويعلمهم أيضًا أن الله في السماء، وأنه سميع بصير، ليس كمثله شيء، إلى غير ذلك من أمور العقيدة، وهكذا يوجههم إذا كبروا إلى قراءة كتب العقيدة المناسبة لهم.

٩- غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في نفوسهم: فيحرص الوالد على تربيتهم على التقوى، والحلم، والصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والبر، والصلة، والجهاد، والعلم؛

---

(١) تسمية المولود، ص ٦ ـ ٧.

(٢) تربية البنين، منظومة البيحاني، ص ٢٠

حتى يَشِبُّوا متعشقين للبطولة، محبين لمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق.

١٠- تجنيبهم الأخلاق الرذيلة، وتقبيحها في نفوسهم: فيُكَرِّه الوالد لهم الكذب، والخيانة، والحسد، والحقد، والغيبة، والنميمة، والأخذ من الآخرين، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والجبن، والأثرة، وغيرها من سفاسف الأخلاق ومرذولها؛ حتى ينشأوا مبغضين لها، نافرين منها.

١١- تعليمهم الأمور المستحسنة، وتدريبهم عليها: كتشميت العاطس، وكتمان التثاؤب، والأكل باليمين، وآداب قضاء الحاجة، وآداب السلام ورده، وآداب الرد على الهاتف، واستقبال الضيوف، والتكلم بالعربية وغير ذلك.

فإذا تدرب الولد على هذه الآداب والأخلاق، والأمور المستحسنة منذ الصغر - ألفها وأصبحت سجية له؛ فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه، ويشب على ما عُوِّد عليه كما قيل:

وينشأ ناشئُ الفتيان منا ... على ما كان عوَّده أبوه

وكما قيل:

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قوَّمته الخشبُ

وكما قال صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه ناظرًا مورقًا ... بعد الذي قد كان من يبسه

١٢- الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة: فمما ينبغي للوالدين مراعاته أن يحرصا على انتقاء العبارات الحسنة المقبولة الطيبة، البعيدة عن الاسفاف في مخاطبة الأولاد، وأن يربأوا بأنفسهم عن السب، والشتم، واللجاج وغير ذلك من العبارات البذيئة المقذعة.

فإذا أعجب الوالدين شيءٌ من عمل الأولاد على سبيل المثال قالا: ما شاء الله، وإذا رأيا ما يثير الاهتمام قالا: سبحان الله، الله أكبر، وإذا أحسن الأولاد قالا لهم: بارك الله فيكم، أحسنتم، وإذا أخطأوا قالا: لا يا بني، ما هكذا، إلى غير ذلك من العبارات المقبولة الحسنة؛

حتى يألف الأولاد ذلك، فتعفَّ ألسنتهم عن السباب والتفحش.

١٣- **الحرص على تحفيظ الأولاد كتاب الله:** فهذا العمل من أجلِّ الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الوالدان؛ فالاشتغال بحفظه، والعمل به اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب، ثم إن فيه حفظًا لأوقاتهم، وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثَّر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفَجَّر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

١٤- **تحصينهم بالأذكار الشرعية:** وذلك بإلقائها إليهم إن كانوا صغارًا، وتحفيظهم إيّاها إن كانوا مميزين، وتبيين فضلها، وتعويدهم على الاستمرار عليها.

١٥- **الحرص على مسألة التربية بالقدوة:** فهذه مسألة مهمة، فينبغي للوالدين أن يكونا قدوةً للأولاد في الصدق، والاستقامة، وغير ذلك، وأن يتمثلا ما يقولانه.

ومن الأمور المستحسنة في ذلك أن يقوم الوالدان بالصلاة أمام الأولاد؛ حتى يتعلم الأولاد الصلاة عمليًا من الوالدين، وهذا من الحِكَم التي شرعت لأجلها صلاة النافلة في البيت.

ومن ذلك كظم الغيظ، وحسن استقبال الضيوف، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وغير ذلك.

١٦- **الحذر من التناقض:** فلا يليق بالوالدين أن يأمرا الأولاد بأمر ثم يعملا بخلافه، فالتناقض كما مر يفقد النصائح أثرها.

١٧- **الوفاء بالوعد:** وهو داخل فيما مضى إلا أنه أفرد لأهميته، ولكثرة وقوع الناس في الخلف فيه، فكثير من الوالدين إذا أراد التخلص من إحراج أحد الأولاد وعده بالوعود الكثيرة، فيعده بشراء الحلوى، أو بالذهاب إلى الحديقة، أو بشراء دراجة، أو غير ذلك، وربما لا يقوم الوالد بذلك أبدًا، مما يجعل الولد ينشأ على إلف ذلك الخلق الرذيل.

فالذي يليق بالوالد، بل ويجب عليه إذا وعد أحدًا من أبنائه وعدًا - أن يتمه ويفي به، وإن حال بينه وبين إتمامه حائل اعتذر من الولد، وبيَّن له مسوغاتِ ذلك.

١٨- **إبعاد المنكرات وأجهزة الفساد عن الأولاد:** فمما يجب على الوالد تجاه أولاده أن يحميهم من المنكرات، وأن يطهر بيته منها، حتى يحافظ على سلامة فِطَر الأولاد،

وعقائدهم، وأخلاقهم.

١٩- **إيجاد البدائل المناسبة للأولاد:** فكما أنه يجب على الوالدين إبعاد المنكرات فكذلك يجدر بهم أن يوجدوا البدائل المناسبة المباحة، سواء من الألعاب، أو الأجهزة التي تجمع بين المتعة والفائدة، حتى يجد الأولاد ما يشغلون به وقت فراغهم.

٢٠- **تجنيبهم أسباب الانحراف الجنسي:** وذلك بإبعاد أجهزة الفساد عنهم، وتجنيبهم مطالعة القصص الغرامية، والمجلات الخليعة، التي يروّج لها تجار الغرائز والأعراض، وعدم السماح لهم بسماع الأغاني، أو الإطلاع على الكتب الجنسية التي تبحث في التاسليات صراحة، وتشعل مخازن البارود الكامنة فيهم[(١)] .

٢١- **تجنيبهم الزينة الفارهة والميوعة القاتلة:** فينبغي للوالد أن يمنع أولاده من الإفراط في التجمل، والمبالغة في التأنق والتطيب، وأن ينهاهم عن التعري والتكشف، والتشبه بأعداء الله الكافرين؛ لأن هذه الأعمال تتسبب في قتل مروءتهم، وإفساد طباعهم، وتقود إلى إغواء الآخرين وفتنتهم، وتدعو إلى جر الأولاد إلى الفاحشة والرذيلة، خصوصًا إذا كانوا صغارًا، أو ذوي منظر حسن.

٢٢- **تعويدهم على الخشونة والرجولة، والجد والاجتهاد، وتجنيبهم الكسل والبطالة والراحة والدعة:** فلا يليق بالأب أن يعود أولاده على الكسل والراحة والبطالة والدعة، بل عليه أن يأخذهم بأضدادها، ولا يريحهم إلا بما يجم أنفسهم للشغل؛ فإن للكسل والبطالة عواقبَ سوءٍ، ومغبةَ ندمٍ، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا، وإما في العقبى، وإما فيهما؛ فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى - لا يوصل إليها إلاعلى جسر من التعب[(٢)] .

فالراحة تعقبها الحسرة، والتعب يُعْقِبُ الراحة، وصدق من قال:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

٢٣- **ومما ينبغي في ذلك تعويدهم الانتباه آخر الليل:** فإنه وقت الغنائم، وتفريقِ

---

(١) انظر: الانحرافات الجنسية وأمراضها، د: فايز الحاج، ص ٦٦.

(٢) انظر: تحفة المودود، ص ١٤٦.

الجوائز، فمستقل، ومستكثر، ومحروم، فمن اعتاده صغيرًا سهل عليه كبيرًا [١].

٢٤- **تجنيبهم فضول الطعام، والكلام، والمنام، ومخالطة الأنام:** فإن الخسارة في هذه الفضلات، وهي تُفوِّت على العبد خير دنياه وآخرته، ولهذا قيل: من أكل كثيرًا شرب كثيرًا؛ فنام كثيرًا، فخسر كثيرًا.

٢٥- **تشويقهم للذهاب إلى المسجد صغارًا وحملهم على الصلاة فيه كبارًا:** كأن يعمد الوالد إلى تشويق أولاده للذهاب للمسجد قبل تمام السابعة من أعمارهم، فيشوقهم قبل ذلك بأسبوع بأنه سيذهب بالولد إلى المسجد، ثم يذهب به، ويحرص على ضبطه فيه، ولا يسمح له بأن يكثر الحركة ويشغل المصلين، أما إذا كبروا فإنه يجب عليه أن يقوم عليهم، وأن يأمرهم بالصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين، وأن يحرص على هذا الأمر، ويصطبر عليه.

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

٢٦- **مراقبة ميول الولد، وتنمية مواهبه، وتوجيهه لما يناسبه:** بحيث يجد في المنزل ما ينمي مواهبه ويصقلها، ويعدها للبناء والإفادة، ويجد من يوجهه إلى ما يناسبه ويلائمه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي، وما هو مُسْتَعِدٌّ له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له، فلا يحمله على غيره ما كان مأذونًا فيه شرعًا؛ فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه، وفاته ما هو مهيأ له، فإذا رآه حسن الفهم، صحيح الإدراك، جيد الحفظ، واعيًا - فهذه علامات قبوله، وتهيّئه للعلم؛ لينقشه في لوح قلبه ما دام خاليًا، وإن رآه ميالًا للتجارة والبيع والشراء أو لأي صنعةٍ مباحة فليمكنه منها؛ فكل ميسر لما خلق له [٢].

٢٧- **تنمية الجرأة الأدبية في نفس الولد:** وذلك بإشعاره بقيمته، وزرع الثقة في نفسه؛

---

(١) انظر: تحفة المودود، ص ١٤٦.

(٢) انظر: تحفة المودود، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

حتى يعيش كريمًا شجاعًا صريحًا جريئًا في آرائه، في حدود الأدب واللياقة، بعيدًا عن الإسفاف والصفاقة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلًا من التردد، والخوف، والهوان، والذلة، والصغار[1] .

٢٨- استشارة الأولاد: كاستشارتهم ببعض الأمور المتعلقة بالمنزل أو غير ذلك، واستخراج ما لديهم من أفكار، كأخذ رأيهم في أثاث المنزل، أو لون السيارة التي سيشتريها الأب، أو أخذ رأيهم في مكان الرحلة أو موعدها، ثم يوازن الوالد بين آرائهم، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدي مسوغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأي، وهكذا.

ومن ذلك إعطاؤهم الحرية في اختيار حقائبهم، أو دفاترهم، أو ما شاكل ذلك؛ فإن كان ثم محذور شرعي فيما يختارونه بيّنهُ لهم.

فكم في هذا العمل من زرع للثقة في نفوس الأولاد، وكم فيه من إشعار لهم بقيمتهم، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم.

٢٩- تعويد الولد على القيام ببعض المسؤوليات: كالإشراف على الأسرة في حالة غياب ولي الأمر، وكتعويده على الصرف، والاستقلالية المالية، وذلك بمنحه مصروفًا ماليًا كل شهر أو أسبوع؛ ليقوم بالصرف منه على نفسه وبيته.

٣٠- تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية: وذلك بحثهم على المساهمة في خدمة دينهم، وإخوانهم المسلمين، إما بالجهاد في سبيل الله، أو بالدعوة إلى الله، أو إغاثة الملهوفين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين، أو التعاون مع جمعيات البر، وغيرها.

٣١- التدريب على اتخاذ القرار: كأن يعمد الأب إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ، وفي المواقف المحرجة، التي تحتاج إلى حسم الأمر، والمبادرة في اتخاذ القرار، وتحمُّل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجعه وشد على يده، وإن أخطأ قوّمه وسدده بلطف؛ فهذا مما يعوده على مواجهة الحياة، والتعامل مع المواقف المحرجة.

٣٢- فهم طبائع الأولاد ونفسياتهم: وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من الذوق، وسبر

---

(١) انظر: المراهقون، د: عبد العزيز النغيمشي، ص ٤٨.

الحال، ودقة النظر.

وإذا وفِّق المربي لتلك الأمور، وعامل أولاده بذلك المقتضى كان حريًا بأن يحسن تربيتهم، وأن يسير بهم على الطريقة المثلى.

٣٣- **تقدير مراحل العمر للأولاد:** فالولد يكبر، وينمو تفكيره، فلا بدّ أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده، وألا يعامل على أنه صغير دائمًا، ولا يعامل أيضًا وهو صغير على أنه كبير؛ فيطالب بما يطالب به الكبار، ويعاتب كما يعاتبون، ويعاقب كما يعاقبون.

٣٤- **تلافي مواجهة الأولاد مباشرة** وذلك قدر المستطاع خصوصًا في مرحلة المراهقة، بل ينبغي أن يقادوا عبر الإقناع، والمناقشة الحرة، والحوار الهادئ البناء، الذي يجمع بين العقل والعاطفة.

٣٥- **الجلوس مع الأولاد:** فمما ينبغي للأب مهما كان له من شغل أن يخصص وقتًا يجلس فيه مع الأولاد، يؤنسهم فيه، ويسليهم، ويعلمهم ما يحتاجون إليه، ويقص عليهم القصص الهادفة؛ لأن اقتراب الولد من أبويه ضروري جدًّا؛ وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرب؛ فالآباء الذين يقتربون من أولادهم؛ ويجلسون معهم، ويمازحونهم -يجدون ثمار ذلك على أولادهم، حيث تستقر أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

أما الآباء الذين تشغلهم الدنيا عن أولادهم فإنهم يجدون غبَّ ذلك على الأولاد، فينشأ الأولاد وقد اسودت الدنيا أمامهم، لا يعرفون مواجهة الحياة، فيتنكبون الصراط، ويحيدون عن جادة الصواب، وربما تسبب ذلك في كراهية الأولاد للوالدين، وربما قادهم ذلك إلى الهروب من المنزل، والانحدار في هاوية الفساد.

٣٦- **العدل بين الأولاد:** فما قامت السموات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية، كالعطف، والحنان، وغير ذلك.

٣٧- **إشباع عواطفهم:** فمما ينبغي مراعاته مع الأولاد إشباع عواطفهم، وإشعارهم

بالعطف، والرحمة، والحنان؛ حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك، فيبحثوا عنه خارج المنزل؛ فالكلمة الطيبة، واللمسة الحانية، والبسمة الصادقة، وما جرى مجرى ذلك له أثره البالغ في نفوس الأولاد.

٣٨- **النفقة عليهم بالمعروف**: وذلك بكفايتهم، والقيام على حوائجهم؛ حتى لا يضطروا إلى البحث عن المال خارج المنزل.

٣٩- **إشاعة الإيثار بينهم**: وذلك بتقوية روح التعاون بينهم، وتثبيت أواصر المحبة فيهم، وتعويدهم على السخاء، والشعور بالآخرين، حتى لا ينشأ الواحد منهم فرديًا لا هم له إلا نفسه.

ثم إن تربيتهم على تلك الخلال تقضي على كثير من المشكلات التي تحدث داخل البيوت.

٤٠- **الإصغاء إليهم إذا تحدثوا وإشعارهم بأهمية كلامهم**: بدلًا من الانشغال عنهم، والإشاحة بالوجه وترك الإنصات لهم.

فالذي يجدر بالوالد إذا تحدث ولده خصوصًا الصغير أن يصغي له تمامًا، وأن يبدي اهتمامه بحديثه، كأن تظهر علامات التعجب على وجهه، أو يبدي بعض الأصوات أو الحركات التي تدل على الإصغاء والاهتمام والإعجاب، كأن يقول: رائع، حسن، صحيح، أو أن يقوم بالهمهمة، وتحريك الرأس وتصويبه، وتصعيده، أو أن يجيب على أسئلته أو غير ذلك، فمثل هذا العمل له آثار إيجابية كثيرة منها:

أ- أن هذا العمل يعلم الولد الطلاقة في الكلام.

ب- يساعده على ترتيب أفكاره وتسلسلها.

ج- يدربه على الإصغاء، وفهم ما يسمعه من الآخرين.

د- أنه ينمي شخصية الولد، ويصقلها.

هـ - يقوي ذاكرته، ويعينه على استرجاع ما مضى.

و - يزيده قربًا من والده [1].

---

(١) انظر: مشكلات تربوية في حياة طفلك، لمحمد رشيد العويد، ص ٣٧ _ ٤١

٤١- تفقد أحوال الأولاد، ومراقبتهم من بعد: ومن ذلك ما يلي:

أ- ملاحظتهم في أداء الشعائر التعبدية من صلاة، ووضوء، ونحوها.

ب - مراقبة الهاتف المنزلي.

ج- النظر في جيوبهم وأدراجهم من حيث لا يشعرون، كأن ينظر في أدراجهم إذا ذهبوا للمدرسة، أو ينظر في جيوبهم إذا ناموا، ثم يتصرف بعد ذلك بما يراه مناسبًا.

د - السؤال عن أصحابهم.

هـ - مراقبة ما يقرؤونه، وتحذيرهم من الكتب التي تفسد أديانهم، وأخلاقهم، وإرشادهم إلى الكتب النافعة.

٤٢- إكرام الصحبة الصالحة للولد: وذلك بتشجيع الولد على صحبتهم، وحثه على الاستمرار معهم، ويحسن استقبالهم إذا زاروا الولد، بل والمبادرة إلى استزارتهم، وتهيئة ما يلزم لهم من تيسيرات مادية ومعنوية، كأن يكرمهم بما يلائمهم، ويحرص على استقبالهم بالبشر والترحاب، ويشعرهم بقيمتهم، ويبادلهم أطراف الحديث، ويسألهم عن أحوالهم وأحوال ذويهم وأهليهم.

فهذا الصنيع يشعر الأصحاب بمنزلتهم، ويشعر الولد بقيمته واعتباره، كما أنه حافز للولد على طاعة والديه واحترامهما، كما أنه حافز له على التمسك بهؤلاء، والبعد عن رفقة السوء.

أما النفور من الصحبة الصالحة للولد والجفاء في معاملتهم فلا يليق، ولا ينبغي؛ لأنه يشعر الولد بعدم قبولهم والرضا عنهم، فيسعى لمقاطعتهم، أو يتخفى في علاقته بهم، أو يتركهم، فيقع فريسة لأصحاب السوء.

٤٣- مراعاة الحكمة في إنقاذ الولد من رفقة السوء: فلا ينبغي للوالد أن يبادر إلى العنف واستعمال الشدة منذ البداية، فلا يسارع إلى إهانتهم أمام ولده، أو طردهم إذا زاروه لأول مرة، لأن الولد متعلق بهم، ومقتنع بصحبته لهم.

بل ينبغي للأب أن يتدرج في ذلك، فيبدأ بإقناع ولده بسوء صحبته، وضررهم عليه، ثم يقوم بعد ذلك بتهديده وتخويفه وإشعاره بأنه ساعٍ لتخليصه منهم، وأنه سيذهب إلى أولياء أمورهم كي يبعدوا أبناءهم عنه، فإذا حذر ابنه وسلك معه ما يستطيع، وأعيته الحيلة في

ذلك، ورأى أن بقاءه معهم ضرر محقق فهناك يسعى لتخليصه منهم بما يراه مناسبًا.

٤٤- التغافل لا الغفلة عن بعض ما يصدر من الأولاد من عبث أو طيش: فذلك نمط من أنماط التربية، وهو مبدأ يأخذ به العقلاء في تعاملهم مع أولادهم ومع الناس عمومًا؛ فالعاقل لا يستقصي، ولا يُشْعِر من تحت يده أو من يتعامل معهم بأنه يعلم عنهم كل صغيرة وكبيرة؛ لأنه إذا استقصى، وأشعرهم بأنه يعلم عنهم كل شيء ذهبت هيبته من قلوبهم.

لـــــيس الغـــــبي بـــــسيد في قومـــــه لـــــكن ســـــيد قومـــــه المتغـــــابي

ثم إن تغافله يعينه على تقديم النصح بقالب غير مباشر، من باب: إياك أعني واسمعي يا جاره، ومن باب: ما بال أقوام. وربما كان ذلك أبلغ وأوقع.

٤٥- البعد عن تضخيم الأخطاء: فمما يجدر بالوالدين أن يأخذوا به ألا يضخموا الأخطاء، ويعطوها أكبر من حجمها، بل عليهم أن ينزلوها منازلها، وأن يدركوا أنه لا يخلو أحد من الأخطاء، فجميع البيوت تقع فيها الأخطاء فمقل ومستكثر؛ فكسر الزجاج، أو بعض الأواني، أو العبث ببعض مرافق المنزل، ونحو ذلك لا يترتب عليه كبير فساد؛ فكل الناس يعانون من ذلك.

٤٦- اصطناع المرونة في التربية: فإذا اشتدت الأم على الولد لان الأب، وإذا عنّف الأب لانت الأم؛ فقد يقع الوالد على سبيل المثال في خطأ فيؤنبه والده تأنيبًا يجعله يتوارى؛ خوفًا من العقاب الصارم، فتأتي الأم، وتطيب خاطره، وتوضح له خطأه برفق، عندئذ يشعر الولد بأنهما على صواب، فيقبل من الأب تأنيبه، ويحفظ للأم معروفها، والنتيجة أنه سيتجنب الخطأ مرة أخرى[1].

٤٧- التربية بالعقوبة: فالأصل في تربية الأولاد لزوم الرفق واللين إلا أن العقوبة قد يحتاج إليها المربي، بشرط ألا تكون ناشئة عن سورة جهل، أو ثورة غضب، وألا يُلجأ إليها إلا في أضيق الحدود، وألا يؤدب الولد على خطأ ارتكبه للمرة الأولى، وألا يؤدبه على خطأ أحدث له ألمًا، وألا يكون أمام الآخرين.

ومن أنواع العقوبة العقاب النفسي، كقطع المديح، أو إشعار الولد بعدم الرضا، أو توبيخه

(١) انظر: رسائل إلى ابنتي، ص ٧٨ـ ٧٩.

أو غير ذلك.

ومنها العقاب البدني الذي يؤلمه ولا يضره.

٤٨- **إعطاء الأولاد فرصة للتصحيح:** فمما ينبغي للوالد مراعاته في التربية أن يعطي أولاده فرصة للتصحيح إذا أخطأوا، حتى ينهضوا للأمثل، ويرتقوا للأفضل، ويتخذوا من الخطأ سبيلًا للصواب؛ فالصغير يسهل قياده، ويهون انقياده.

فلا ينبغي للوالد أن يأخذ موقفًا واحدًا من أحد أولاده، فيجعله ذريعة لوصمه وعيبه، كأن يسرق مرة فيناديه باسم السارق دائمًا، دون أن يعطيه فرصة للتصحيح وهكذا

٤٩- **الحرص على أن يكون التفاهم قائمًا بين الوالدين:** فعلى الوالدين أن يحرصا كل الحرص عليه، وأن يسلكا كافة السبل الموصلة إليه، وعليهما أن يجتنبا الوسائل المفضية للشقاق، ويبتعدا عن عتاب بعضهما لبعض أمام الأولاد؛ حتى يتوفر الهدوء في البيت، وتسود الألفة فيه، فيجد الأولاد فيه الراحة والسكن، والأنس والسرور، فيتعلقوا بالبيت أكثر من الشارع.

٥٠- **تقوى الله في حالة الطلاق:** فإذا لم يحصل بين الوالدين وفاق، وقدر الله بينهما الطلاق فعليهما بتقوى الله، وألا يجعلا الأولاد ضحية.

لعنادهما وشقاقهما، وألا يغري كلُّ واحد منهما بالآخر، بل عليهما أن يعينا الأبناء على كل خير، ويوصي كل واحد منهما الأولاد ببر الآخر، بدلًا من التحريش، وإيغار الصدور، وتبادل التهم، وتأليب الأولاد، وإلا فإن النتيجة الحتمية في الغالب أن الأولاد يتمردون على الجميع، والوالدان هما السبب في ذلك؛ فلا يلوما إلا أنفسهما، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:

فلا تَغْضَبَنْ من سيرةٍ أنت سرتَها وأول راضٍ سُنَّةً من يسيرها

٥١- **العناية باختيار المدارس المناسبة للأولاد، والحرص على متابعتهم في المدارس:** فعلى الوالد أن يحرص كل الحرص على اختيار المدارس المناسبة لأولاده من حيثُ طلابها، وإدارتها، ومدرسوها، ومناهجها، والتي تُعنى باستقامة طلابها، وتهتم بأخلاقهم، وشمائلهم، قولًا وعملًا؛ لأن الأغلب أن الولد إنما يختار أصدقاءه من المدرسة من أبناء صفه الذين يشاكلونه في المزاج والطبيعة.

وعلى الوالد أن يقوم بمتابعة الأولاد في المدارس باستمرار، حتى يتأكد بنفسه من صلاح الولد واستقامته، ولئلا يفاجأ في يوم من الأيام بأن ولده على خلاف ما كان يتوقعه ويؤمله، ولأجل أن يدرك الولد بأن والده وراءه يسأل عنه ويتابعه.

٥٢- **إقامة الحلقات العلمية داخل البيوت:** بحيث تعقد تلك الحلقات في مواعيد محددة، ويقرأ فيها بعض الكتب الملائمة للأولاد، فيتعلمون بذلك القراءة، وحسن الاستماع، وأدب الحوار.

٥٣- **إقامة المسابقات الثقافية بين الأولاد، ووضع الجوائز والحوافز لها:** فذلك العمل مما يشحذ هممهم، ويحرك أذهانهم، ويدربهم على البحث والنظر في كتب أهل العلم، ويُعِدُّهم للرقي في مستوياتهم.

٥٤- **تكوين مكتبة منزلية ميسرة:** تحتوي على كتب وأشرطة ملائمة لسنِّهم ومداركهم، فالمكتبة من أعظم روافد الثقافة.

٥٥- **اصطحاب الأولاد لمجالس الذكر:** كالمحاضرات، والندوات التي تعقد في المساجد وغيرها؛ فهي مما يثري الولد بالمعلومات، ويمده بالخير، ويعده لمواجهة الحياة، ويجيب على أسئلته التي تتردد في ذهنه.

كما أنها تغذيه بالإيمان، وتربط على قلبه، وتربيه على أدب الاستماع.

٥٦- **الرحلة مع الأولاد:** إما إلى مكة المكرمة، أو المدينة النبوية، أو غيرها من الأماكن المباحة، حتى يتعرف الوالد على الأولاد أكثر وأكثر، ولأجل أن يُجمَّهم، ويشرح صدورهم، ويكسبهم خبرات جديدة، إلى غير ذلك من فوائد السفر التي لا تخفى.

٥٧- **ربطهم بالسلف الصالح في الاقتداء والاهتداء:** حتى يسيروا على خطاهم، ويترسموا منهجهم، ولكي يجدوا فيهم القدوة الصالحة التي يجدر بهم أن يقتدوا بها، فإن كان لدى الولد ميول إلى العلم وجد من يقتدي به، وإن كان شجاعًا مقدامًا وجد من يترسم خطاه، وإن كان كسولًا وجد في سيرة السلف ما يبعث فيه الروح، وعلو الهمة، وهكذا.

فسير السلف الصالح حافلة بكل خير، فما أروع أن يرتبط المسلم بهم، وأن يحذو حذوهم، بدلًا من الاقتداء بالهابطين والهازلين من اللاعبين، والمطربين، والمنحرفين،

وغيرهم.

٥٨- العناية بتعليم البنات ما يحتجن إليه من أمور دينهن ودنياهن: فكم من الناس من فرط في هذا الحق، وكم من النساء من يجهلن على سبيل المثال أحكام الحيض والنفاس ومسائل الدماء عمومًا، بالرغم من أنه يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام وهما الصلاة،والصيام، بل والحج، وكم من النساء من تجهل إقامة الصلاة على الوجه المطلوب.

فينبغي أن يُعنى كل والد بتعليم بناته أمور دينهن، كما ينبغي أن يُعَلَّمْنَ أمور حياتهن الخاصة من كيٍ، وغسيل، وطبخ، وخياطة، وتدبير للمنزل، وغير ذلك.

وبذلك يَكُنَّ على أتم استعداد لاستقبال الحياة الزوجية.

٥٩- منع البنات من الخروج وحدهن: سواء للسوق، أو للطبيب، أو غير ذلك، بل لا بد من وجود المحرم معهن، وألا يخرجن إلا للحاجة الملحة.

٦٠- منع البنات من التشبه بالرجال، ومنع البنين من التشبه بالنساء.

٦١ منع الأولاد بنين وبنات من التشبه بالكفار.

٦٢- منع البنين من الاختلاط بالنساء، ومنع البنات من الاختلاط بالرجال: بل ينبغي أن يعيش الابن في محيط الذكور، والبنت في محيط الإناث، خصوصًا إذا بدأ الابن أو البنت بالتميز.

٦٣- العناية بصحة الأولاد: فكم من الناس من قد فرط بهذا الأمر، ولم يرعَهُ حق رعايته؛ فالأولاد أمانة، ومن الأمانة أن يعتني الوالد بصحتهم، خصوصًا وهم صغار؛ لأن كثيرًا من العاهات والأمراض تبدأ مع الأولاد وهم صغار، فإذا أُهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم، وربما قضت عليهم.

ومما يحسن بالوالدين في هذا الصدد أن يقوموا على شؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة، أو إذا ولدوا وهم معاقون، أو مصابون ببعض التشوهات الخلقية، أوما شاكل ذلك؛ فحريٌّ بالوالدين أن يقوموا على رعاية الأولاد، وأن يحسنوا تربيتهم، وأن يشعروهم بمكانتهم، كما يحسن بالوالدين أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يحذروا كل الحذر من التسخط والاعتراض على قضاء الله.

بل عليهم أن يحمدوا الله على ما آتاهم، وأن يتحروا الخيرة فيما قضاه الله، فربما كانت الخيرة خفية، وربما أن الله يرحم الأسرة جميعها، ويدرُّ عليها الأرزاق، ويدفع عنها صنوف البلايا بسبب هؤلاء المساكين.

٦٤- **عدم استعجال النتائج في التربية**: فعلى الوالد إذا بذل مستطاعه لولده، وبين له وحذره ونصح له واستنفذ كل طاقته ألا يستعجل النتائج، بل عليه أن يصبر، ويصابر، ويستمر في دعائه لولده وحرصه عليه؛ فلربما استجاب الولد بعد حين، وادَّكر بعد أمة.

٦٥- **الحذر من اليأس**: فإذا ما رأى الوالد من أولاده إعراضًا أو نفورًا أو تماديًا فعليه ألا ييأس من صلاحهم واستقامتهم؛ فاليأس من روح الله ليس من صفات المؤمنين، بل عليه أن ينتظر الفرج من الله عز وجل فلعل نفحةً من نفحات الرحيم الكريم ترد الولد إلى رشده، وتُقْصِرُه عن غيّه.

٦٦- **اليقين بأن التربية الصالحة لا تذهب سدىً**: فلو لم يأتِ الإنسان من نصحه لأولاده وحرصه على هدايتهم وصلاحهم إلا أن يكون أعذرَ إلى الله بذلك.

فالنصح ثمرته مضمونة بكل حال؛ فإما أن يستقيم الأولاد في الحال، وإما أن يفكروا في ذلك، وإما أن يُقْصِروا بسببه عن التمادي في الباطل، أو أن يُعْذِرَ الإنسان إلى الله كما مرّ .

بل كثيرًا ما يصلح الأولاد بعد وفاة والدهم الذي ربّاهم على الفضائل؛ حيث لم يدَّكِروا إلا بعد أمّة.

٦٧- **إعانة الأولاد على البر**: فبر الوالدين وإن كان واجبًا على الأبناء إلا أنه يجدر بالآباء أن يعينوا أبناءهم على البر، وأن يشجعوهم، وألا يقفوا حجر عثرة أمامهم.

٦٨- **حفظ الجميل للأبناء**: فمما يحسن بالوالدين أن يحفظوا الجميل للأبناء، وأن يشكروهم عليه، ويذكروهم به؛ حتى ينبعث الأولاد للبر والإحسان، ويستمروا عليه.

٦٩- **التغاضي عن بعض الحقوق**: فيحسن بالوالدين أن يتغاضوا عن بعض حقوقهم، وألا يطالبوا أولادهم بكل شيء، بل يحسن بهم أن يوفروا لهم ما يعدهم للكمال، والعلم، وسائر الفضائل خصوصًا إذا كان الوالد في نشاطه، والأولاد في حال إقبال على العلم، والقرآن، وسائر الفضائل، وهم في مقتبل أعمارهم. فإذا أخذ الوالدان بهذه السيرة كان

الأولاد على مقربة من الكمال، والفضل، والعلم، والصلاح.

ولا ريب أن الوالد في هذه الحالة سيجني تلك الثمار في حياته وبعد مماته.

٧٠- **استشارة من لديه خبرة بالتربية:** من العلماء، والدعاة، والمعلمين، والمربين، ممن لديهم خبرةٌ في التربية، وسبرٌ لأحوال الشباب، وتفهم لأوضاعهم، وما يحيط بهم، وما يدور في أذهانهم، فحبذا استشارتهم، والاستنارة برأيهم في هذا الصدد، فهذا الأمر يعين على تربية الأولاد.

٧١- **قراءة الكتب المفيدة في التربية:** فهي مما يعين على تربية الأولاد؛ لأنها ناتجةٌ عن تجربة، وممارسة، وخبرة، وعصارة فكر، ونتاج تمحيص وبحث.

ومن تلك التي يجدر بالمسلم اقتناؤها والإفادة منها ما يلي:

العيال لابن أبي الدنيا.

تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم.

المسؤولية في الإسلام د.عبد الله قادري.

أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع د.عبد الله قادري.

تذكير العباد بحقوق الأولاد للشيخ عبد الله الجار الله.

الأولاد وتربيتهم في الإسلام لمحمد المقبل.

نظرات في الأسرة المسلمة للدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله ناصح علوان.

٧٢- **استحضار فضائل التربية في الدنيا والآخرة:** فهذا مما يعين الوالد على الصبر والتحمل، فإذا صلح الأولاد كانوا قرةَ عينٍ له في الدنيا، وسببًا لإيصال الأجر له بعد موته، ولو لم يأته من ذلك إلا أن يكفى شرهم، ويسلم من تبعتهم.

٧٣- **استحضار عواقب الإهمال والتفريط في تربية الأولاد:** فالأولاد أولاده، ولن ينفك عنهم بحال من الأحوال، والعرب تقول: أنفك منك وإن ذن، وتقول: عيصك منك وإن كان أشبًا .

فإذا أهملهم وقصر في تربيتهم كانوا شجىً في حلقه في هذه الدنيا، وكانوا سببًا لتعرضه

للعقاب في العقبى.

٧٤- وخلاصة القول في تربية الأولاد: أن يسعى الوالد في جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم عاجلًا وآجلًا.

* * *

مسؤولية الآباء نحو تربية أبنائهم

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾

ثم يقول: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا وأضعتني وليدًا فأضعتك شيخًا.

والسؤال الذي يفرض نفسه: من المسؤول عن انحراف الأبناء؟ يحمل الإسلام الأبوين ومن يقوم مقامهما مسؤولية انحراف الأبناء ومن الأدلة القوية على ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[(١)].

ومن تمام مسؤولية الأبوين عن تربية أبنائهما محاسبتهما على التقصير في حقهما فقد روى النسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعًا قول الرسول ﷺ «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[(٢)].

وفي الحديث المتفق عليه «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الإمام راع ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[(٣)].

هذه مسؤولية الآباء والأمهات نحو أبنائهم والتي لا يمكن أن تعوض بغيرهم وقد أثبتت

---

(١) صحيح: البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).
(٢) حسن: صحيح الجامع (١٧٧٤).
(٣) صحيح: البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

الدراسات الميدانية أن غالب انحراف الناشئين يرجع إلى انحراف المربي والقيم على التربية وصدق القائل:

وينـــشأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا علـــى مـــا كـــان عـــوده أبـــوه
ومـــا دان الفـــتى بحجـــى ولكـــن يعـــوده التـــدين أقربـــوه

فالحذر الحذر من ترك الأبناء لتربية الخادمات والحذر كل الحذر من ترك المحاضن الأجنبية والمدارس التبشيرية تحتضن أبناءنا وتربيهم وفق مناهجها فإن علماء التربية يؤكدون أن أكثر من ٩٠ % من تربية الطفل إنما تتشكل من خلال التربية والبيئة التي يعيش فيها الطفل.

* * *

حقوق الولد على والديه

ما هي الحقوق المشروعة للولد على والديه؟ وما علاقة هذه الحقوق بالتربية؟ عدد العلماء كثيرًا من هذه الحقوق وأهمها عشرون حقًا:

الحق الأول:

اختيار الزوجة الصالحة لأنها مظنة الولد الصالح والسعي للزواج من ذات الدين لتكون أمًّا مربية تقية طاهرة عفيفة تعين أبناءها على التربية الصالحة لقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١).

ورغب الإسلام في المرأة الولود الودود فقال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »(٢).

ومن هنا يرى علماء التربية أن دور الأم في تربية الطفل يسبق دور الأب وذلك لكثرة ملازمتها للطفل منذ تكوينه جنينًا في بطنها حتى يكبر. وصدق الشاعر حافظ إبراهيم إذ يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

الحق الثاني:

اتباع السنة في المعاشرة الزوجية وطلب الولد الصالح.

وذلك بذكر الأدعية التي تحصن المولود وهو نطفة من الشيطان الرجيم عملًا بقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري: «أما لو أن أحدكم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ثم قدر أن يكون بينهما في ذلك وقضى ولد لم يضره شيطان أبدًا»(٣). وهذا جانب من جوانب التربية الروحية المبكرة للطفل قبل ولادته.

---

(١) صحيح: البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (١٤٦٦).

(٢) حسن: أبو داود (٢٠٥٠).

(٣) صحيح: البخاري (١٤١) ومسلم (١٤٣٤).

وفي طلب الولد الصالح يعلمنا الله سبحانه وتعالى هذا الدعاء ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

الحق الثالث:

إتباع السنة في استقبال المولود من رفع الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى وتحنيكه بالتمر والدعاء له وحلق رأسه و العقيقة عنه وتسميته بأحب الأسماء وختانه.. وذلك للأدلة التالية:

روى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان»(١).

وعن التحنيك بالتمر والدعاء له جاء في «الصحيحين» عن أبي موسى ﷺ قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي(٢).

وعن استحباب الحلق والتصدق بوزنه فضة ما رواه الإمام مالك في «الموطأ»(٣) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر رأس حسين وحسن وزينب وأم كلثوم فتصدقت بزنة ذلك فضة.

وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

الحق الرابع: الرضا بقسمة الله من الذكور والإناث وعدم تسخط البنات لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ولتكريم الأنثى في الإسلام جعل الله سبحانه وتعالى اسمها مقدمًا على اسم الذكر فقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾.

وأكد الرسول ﷺ عنايته بالمرأة منذ الولادة فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين-

---

(١) موضوع: ضعيف الجامع (٥٨٨١).

(٢) صحيح: البخاري (٥٤٦٧) ومسلم (٢١٤٥).

(٣) (٩٤٦-٩٤٧).

وضم أصابعه»(١) وفي ذلك من التربية والتوجيه لاقتلاع العادات الجاهلية ما لا يخفى.

الحق الخامس: أن يختار له مرضعة صالحة إن فقد أمه.

وأفضل الرضاعة ما كانت حولين كاملين لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾.

ولقد أثبتت البحوث العلمية والصحية أن فترة عامين ضرورية لينمو الطفل نموًا طبيعيًا سليمًا من الوجهتين الصحية والنفسية.

وأكد الأطباء أهمية الرضاعة الطبيعية بقولهم: إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه فإن في إلقامه ثدي أمه عظيم النفع جدا في دفع ما يؤذيه.

الحق السادس: أن تحضن الأم ابنها وخاصة مرحلة المهد والطفولة المبكرة ولا تتركه للخادمات والمربيات وذلك لأن الأم مع رضاعة وليدها بالحليب ترضعه العطف والحنان الذي لا يملكه غيرها، ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في إرجاع موسى إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن قال الله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ويرى العلماء أن الطفل يحس بالأمن كلما ألصقته الأم إلى صدرها.

الحق السابع: أن يعلمه والداه كتاب الله عز وجل ثم ما يلزم من العلوم الضرورية الدينية والدنيوية.. وقد أخرج الطبراني وابن النجار عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه»(٢).

والوالدان اللذان يهتمان بتعليم أولادهما القرآن لهما الثواب العظيم أخرج أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس الله والديه تاجًا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس»(٣).

ولا شك أن تربية الأطفال على القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهم من شأنه أن يوسع

(١) صحيح: مسلم (٢٦٣١).
(٢) ضعيف: ضعيف الجامع (٢٥/١).
(٣) ضعيف: أبو داود (١٤٥٣).

مداركهم ويزودهم بالحكمة والهداية والنور قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ وقد أدرك المسلمون السابقون أهمية التربية على القرآن فتسابقوا في هذا الميدان وتنافسوا، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر ويقول سهل التستري فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين.

الحق الثامن: ألا يرزقه إلا طيبًا من الكسب الحلال لقول الرسول ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه»(١).

وما يغذى به الأولاد ينبغي أن يكون حلالًا لقول الرسول ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «أطب مطعمك تجب دعوتك»(٢).

فيعود الطفل على أكل الحلال وكسب الحلال وإنفاق الحلال حتى ينشأ على التوسط والاعتدال بعيدًا عن الإسراف والتقتير.

الحق التاسع: أن يعلمه الصلاة ويعوده عليها لقول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود يقول الرسول ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»(٣) فيؤمر الصبي بالصلاة في سن السابعة وهي بداية مرحلة التعليم التي نبه إليها الإسلام ويؤخذ بالنصح والتوجيه إذا قصر في صلاته حتى سن العاشرة فإن تهاون في هذه المرحلة جاز لوالده استخدام الضرب تأديبًا له على ما فرط في جنب الله.

ويشجع الطفل في هذه السن على صلاة الجماعة وحضور صلاة الجمعة والعيدين ومن أنجح الوسائل في تحبيب الأطفال لصلاة الجماعة اصطحاب الأب لأبنائه وأخذهم معه

(١) صحيح: الترمذي (٢٤١٧).
(٢) ضعيف: الضعيفة (١٨١٢).
(٣) حسن: أبو داود (٤٩٥).

لأداء صلاة الجماعة في المسجد.

من أمثلة ذلك ما كان من فعله ﷺ مع علي بن أبي طالب حينما دعاه إلى الإسلام وعمره لم يتجاوز العاشرة فأسلم ولازمه في الخروج إلى الصلاة مستخفيًا في شعاب مكة حتى عن أهله وأبيه.

الحق العاشر: أن يدربه على الصوم:

وهذا من العمل المستحب إذ يرى جمهور العلماء أنه لا يجب على من دون سن البلوغ ولكن يستحب للتمرين..

أخرج البخاري ومسلم عن الربيع بنت معوذ قالت: أرسل رسول الله ﷺ صبيحة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان صائمًا فليتم صومه ومن كان أصبح مفطرًا فليصم بقية يومه فكنا نصومه بعد ذلك ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن- أي الصوف- فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار[١]

قال الحافظ ابن حجر معلقًا: وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام كما تقدم. والصوم من الوجهة التربوية يغرس في النفس البشرية حقيقة الإخلاص لله تعالى ومراقبته في السر وتقوية الإرادة وكبح جماح الشهوات ويؤمر به الأطفال عند طاقتهم منذ السابعة وبالتدريج.

الحق الحادي عشر: تربية البنات على الحجاب:

تعود البنت على لبس الحجاب منذ الطفولة ليكون لها شرفًا وحفظًا ويرى العلماء أن تعود البنت على لبس الحجاب في سن السابعة قياسًا على حديث الأمر بالصلاة.

ومن فوائد الحجاب للبنت صيانتها والحفاظ، على عفتها وشرفها ويدخل في دائرة الحجاب إبعاد البنت عن الاختلاط بالأجانب.. قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ

---

(١) صحيح: البخارى (١٩٦٠) ومسلم (١١٣٦).

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

ومن أسف لما أهمل الحجاب وسمح بالاختلاط بين الجنسين وقع ما حذر منه الإسلام من هتك الأعراض وضياع الشرف وانتشار الفساد والوقوع في الحرام.

ويخاطب الله المؤمنات جميعًا فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ وينهى الله المؤمنات عن التبرج ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

الحق الثاني عشر: أن يعلم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول وقد جاء هذا التوجيه في القرآن الكريم بأسلوب تربوي متدرج فطلب من الأطفال وهم صغار أن يستأذنوا في ثلاث أوقات مهمة:

١- من قبل صلاة الفجر.

٢- ووقت الظهيرة عند القيلولة .

٣- وبعد صلاة العشاء.

فإذا بلغ الأولاد سن البلوغ وجب عليهم الاستئذان في البيت للدخول على والديهم في كل وقت قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وفي تربية الأولاد على هذه الآداب تعويد لهم على غض البصر عن العورات وحفظ لهم من أسباب الإثارات التي قد تسبب لهم بعض الأضرار النفسية والاجتماعية والخلقية.

الحق الثالث عشر: أن يعدل الوالدان بين أولادهم:

فلا يفضل أحد على أحد ولا يميز الذكور على الإناث، والعدل بين الأولاد مطلوب في

جميع الحالات سواء كان في العطاء أو في المحبة والقبلة أو في تقديم الهدايا والهبات والوصية أو في المعاملة فإنه يلزم الوالدين معاملة أولادهم بالعدل والمساواة.

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده- يعني الذكور عليها- أدخله الله الجنة»(١).

وبهذا العدل يستقيم أمر الأسرة وتنشأ المحبة بين الجميع وتغرس الثقة بين أفراد الأسرة فلا مكان للأحقاد والبغضاء عندئذ وفي الحديث المتفق عليه يقول الرسول ﷺ: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»(٢).

الحق الرابع عشر: تخير الصحبة الصالحة لهم لان الصاحب ساحب والقرين بالمقارن يقتدي. وقد حث الإسلام على صحبة الصالحين والأخيار وحذر من صحبة الأشرار وفي الحديث الصحيح: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»(٣).

وفي تخير الأصحاب الصالحين للأبناء حماية لهم من الوقوع في الانحراف والبعد بهم عن مزالق السوء ومهاوي الردى. ولقد أحسن من قال:

واختر من الأصحاب كل مرشد ... إن القرين بالقرين يقتدي

فصحبة الأخيار للقلب دواء ... تزيد للقلب نشاطًا وقوى

وصحبة الأشرار داء وعمى ... تزيد للقلب السقيم سقما

الحق الخامس عشر: توفير أسباب اللهو واللعب المفيد من سباحة ورماية وركوب الخيل وما جرى مجراهم في النفع جاء في «سنن الترمذي» عن ابن جرير بسنده عن علي رضي الله عنه قال: ما جمع النبي ﷺ أبويه إلا لسعد قال: «ارم فداك أبي وأمي أيها الغلام الحزور»(٤) وفي صحيح الجامع عن أبي العالية أن رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون فقال رسول الله صلى اله عليه وسلم: «ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»(٥) ولهذا الجانب أهمية

---

(١) ضعيف :ابوداود (٥١٤٦) .

(٢) صحيح : البخارى (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٢) .

(٣) حسن: ابوداود (٤٨٣٢) والترمذى (٢٣٩٥) .

(٤) ضعيف : الترمذى (٢٨٢٩) .

(٥) صحيح : البخاري (٢٨٩٩) .

بالغة في التربية فهو يكسب الأطفال الثقة بأنفسهم فيشبوا على تعلم مهارات كثيرة تكون أساسًا لكثير من الأنشطة الحياتية إذا كبروا. وهناك فائدة أخرى مهمة في توفير الوالدين والمربين الألعاب بين يدي الأطفال وهي تفريغ طاقاتهم المكبوتة وتوجيهها الوجهة الصحيحة وصرفهم عن اللهو الحرام والسلوك الخاطئ.

الحق السادس عشر: أن يعوله حتى سن الرشد:

فعن أم سلمة ﵂ قالت: قلت: يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أجر إن أنفقت عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا- أي يتفرقون في طلب القوت هكذا وهكذا- إنما هم بني فقال: «نعم لك أجر ما أنفقت» رواه البخاري ومسلم.(١)

ولا يخفى ما في ذاك من فوائد تربوية إذ فيه حسن إعداد الأطفال ليتجاوبوا مع التربية في سن الصغر فلا ينشغلوا عن ذلك بطعامهم وشرابهم. ومن أجل ذلك قال العلماء: ويلزم الوالدين إن كانا أغنياء أن ينفقا على أولادهما حتى ما بعد الرشد إن كانوا فقراء.

الحق السابع عشر: من حق الأولاد على والديهم الرحمة وما يتفرع عنها من حب وحنان وعطف.

روى أحمد في مسنده عن أم سلمة ﵂ قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا إذ قال الخادم: إن فاطمة وعليًا ﵄ بالسدة قالت: فقال لي قومي فتنحي عن أهل بيتي .

قالت: قمت فتنحيت في البيت قريبًا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليًا وأغدق عليهم خميصة سوداء وقال: «اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي»

قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله. فقال: «وأنت».(٢)

وفي الحديث فوائد تربوية عظيمة منها:

ضرب المثل الحسن في معاملة الأب لأولاده وأحفاده وزوج بنته ومنها أن الرحمة مع أفراد الأسرة ولا سيما الصغار مصدر سدادة وسرور.

---

(١) صحيح :البخاري (١٤٦٧) ومسلم (١٠٠١) .

(٢) ضعيف : احمد (٢٩٦/٦) .

ومنها: أن العطف على الصغار يولد فيهم حب آبائهم والسير على منهاجهم وطريقتهم ويجنبهم مخاطر العقوق والتمرد.

ومنها: الحرص بين أفراد الأسرة على التهادي ودعاء رب الأسرة لأهله وأولاده وأحفاده بالخير وسؤال الجنة لهم وإعاذتهم من النار.

ومنها: أن تقبيل الأطفال له أثر فعال في تحريك مشاعرهم وتسكين غضبهم وهو دليل رحمة ومحبة للطفل ودليل تواضع من المربي معهم.

الحق الثامن عشر: من حق الأولاد التأديب:

روى البخاري في التاريخ والبيهقي عن أيوب بن موسى القرشي[1] عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «ما نحل والد ولدًا نحلًا أفضل من أدب حسن» ونحل: أعطى.

وروى الطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين»[2]

ومن هنا قال العلماء: إذا بلغ الولد ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة يضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه.

* * *

(١) ضعيف : الترمذي (١٩٥٢).
(٢) ضعيف : الضعفية (١٨٨٧).

من صور تأديب الأولاد

من واجب الآباء والأمهات والمربين تعليم الأطفال منذ الصغر النطق بكلمة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وإفهامهم معناها عندما يكبرون: لا معبود بحق إلا الله .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في أحكام المولود: فإذا كان وقت نطقهم أي الأطفال فليلقنوا :لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا.

ومن أساليب التأديب غرس محبة الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وتعويدهم أن يسألوا الله وحده ويستعينوا به وحده لقول الرسول ﷺ لابن عمه: «وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله »[(١)]

ومن تأديب الأولاد تعويدهم على الصدق قولًا وعملًا بأن لا نكذب عليهم ولو مازحين وإذا وعدناهم فلنوف بوعدنا لما ورد في صحيح البخاري ومسلم من تحذير الرسول ﷺ من الكذب: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان».[(٢)]

ومن صور التأديب غرس العقيدة الصحيحة في الله وأسمائه وصفاته والتأكيد على قضية الإيمان والتوحيد والتحذير من الشرك لأنه الظلم العظيم.

ومن معاني التأديب غرس عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره وغرس عقيدة اليوم الآخر وما فيه من حساب وصراط وجنة ونار

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد كان غلامًا صغيرًا. قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[(٣)].

---

(١) صحيح : الترمذي (٢٥١٦) .

(٢) صحيح : البخاري (٣٣)ومسلم (٥٩) .

(٣) تقدم تخريجة

ومن وسائل التأديب: تعويد الأطفال على الآداب الاجتماعية كآداب الطعام والشراب وآداب السلام وآداب المجلس وآداب العطاس والتثاؤب وآداب النوم والآداب مع الوالدين والأخوة والآداب مع الجيران.

ومن أدب البنين والبنات تحذيرهم من تشبه البنات بالرجال وتشبه الأولاد بالنساء سواء كان في الملبس أو في الحركة فإن ذلك من الاسترجال المنافي للأنوثة عند الفتيات ومن الميوعة والتخنث المنافي للرجولة عند الأولاد.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال.(١)

الحق التاسع عشر: تعليم الولد أحكام المراهق والبلوغ:

فيعلم الولد هذه الأحكام أو ما يسمى بالثقافة الجنسية سواء كان الولد ذكرًا أم أنثى فيعرف الصبي إذا بلغ الحلم وهو السن الذي يتراوح ما بين ١٢ إلى ١٥ سنة أنه إذا نزل منه مني ذو دفق وشهوة فقد أصبح بالغًا ومكلفًا شرعًا يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف ويجب على الأم أن تصارح ابنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلامًا ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ أصبحت بالغة ومكلفة شرعًا يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف.

روى الإمام أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقال: ليس عليها غسل حتى تنزل كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل(٢).

ويعلم الولد أن نزول المني على سبيل الدفق والشهوة يوجب الغسل وتعلم الفتاة أن انقطاع مدة الحيض والنفاس يوجب الغسل على المرأة ويعلم كل منهما فرائض الغسل وسننه وكيفيته.

وجانب التربية الجنسية جانب مهم يكمل صورة التربية الشاملة التي دعا إليها الإسلام

---

(١) صحيح : البخاري (٥٨٨٥) .

(٢) حسن : ابن ماجه (٦٠٢) .

والتي تستوعب الإنسان في كل جزئياته.

الحق العشرون: أن يبحث الوالدان لولدهما عن الزوجة الصالحة ولبنتهما عن الزوج الصالح وينفقا على زواجهما إن كانا غنيين وقد حث الرسول ﷺ على زواج الشباب في سن مبكرة فقال في الحديث الصحيح: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».[1]

* * *

(١) صحيح : البخاري(٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠) .

صفات المربي

ما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها المربون من أمهات وآباء ومعلمين؟

هناك صفات أساسية تلزم كل مرب يباشر التربية والتعليم لأبنائه أو لغيرهم. من ذلك:

١- **الحلم والأناة**: وهما من الصفات التي يحبهما الله ولهما تأثير تربوي كبير، أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد قيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة »[1].

٢- **الرفق واللين**: أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه »[2].

٣- **الرحمة**: صفة من صفات المربي الناجح وهي من الوالدين لأبنائهما أخص ورحمة الأولاد من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نموًّا قويًّا سويًّا فإذا فقد الأولاد المحبة نشئوا منحرفين في المجتمع لا يتعاونون مع أفراده ولا يندمجون في وسطه.

روى الإمام البخاري في «صحيحه» عن قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها[3].

وفي «صحيح البخاري» أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم»[4].

٤- **ومن صفات المربي الناجح** أمًّا كان أو أبًا أو من يقوم مقامهما البعد عن الغضب لما له من آثار سلبية في العملية التربوية فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن رجلًا طلب من الرسول ﷺ أن يوصيه فقال له: «لا تغضب»[5] ثلاث مرات يكررها عليه.

---

(١) صحيح: مسلم (١٨).

(٢) صحيح: البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٢٥٩٣).

(٣) صحيح: البخاري (٥٩٩٦) ومسلم (٥٤٣).

(٤) صحيح: البخاري (٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨).

(٥) صحيح: البخاري (٦١١٦).

٥- **ومن ذلك المرونة ولين الجانب والأخذ بالتيسير الذي أباحه الشرع** ففي الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل»[(١)].

٦- **الأخذ بأيسر الأمرين ما لم يكن إثمًا** لما ورد في الحديث المتفق عليه: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى».

وأيسر الأمرين يكون في الأمور المباحة والمشروعة، فيتخير المربي في تعامله مع أبنائه وطلابه أحسن الأساليب وأفضل الأوقات وأحسن الألفاظ والعبارات وأرق التوجيهات ليصل إلى عقولهم بأقل جهد وأقصر طريق.

٧- **ومن صفات المربي الناجح الاعتدال والتوسط** في التوجيه والتربية والتعامل لأن الغلو والتطرف والتشدد لا مكان له في دين الإسلام ففي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد من غضب يومئذ فقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة»[(٢)].

٨- **ومن صفات المربي الناجح القدوة الحسنة** وعدم مخالفة الفعل للقول قال الله تعالى في حق الرسول ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

هذه أهم الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلى بها المربي المسلم وما حازها أحد من المربين إلا كان قدوة حسنة يبني الرجال ويصنع الأبطال.

وها هي أمثلة حية من اهتمام السلف الصالح بأبنائهم: لقد كان المثل الأعلى للسلف

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٤٨٨).

(٢) صحيح: البخاري (٧٠٢) ومسلم (٤٦٦).

الصالح ﷺ رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ أنه قال: رأيت النبي ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين ﷺ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل ﷺ فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال «صدق الله عز وجل: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»(١).

وفي حديث مسلم عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم(٢) أي يدعو لهم بالبركة ويحنكهم، ومنهم من بال في حجره فإذا استحيا آباؤهم من ذلك وهموا أن يأخذوا الطفل من حجره قال لهم: «لا تزرموا الصبي بوله»(٣) أي لا تقطعوا عليه بوله.

وحث الرسول ﷺ على تربية البنات خاصة فقال: «ما من مسلم يكون له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه- أو صحبهما- إلا أدخلتاه الجنة»(٤).

وقد أدرك صحابة رسول الله ﷺ هذا الاهتمام بالأبناء فهذا عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا نهى الناس عن أمر دعا أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإنما ينظر الناس إليكم نظر الطير إلى اللحم فإن وقعتم وقع الناس وإن هبتم هاب الناس وإنه والله لا يقع أحد منكم في شيء نهيت الناس عنه إلا أضعف له العقوبة لمكانه مني.

قال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. يقصد بذلك أنه يكثر من الدعاء لولده في الصلاة.

وقال أحد الصالحين: يا بني إني لأستكثر من الصلاة لأجلك، وكان سهل التستري يتعهد ولده وهو في صلبه فيباشر إلى العمل الصالح رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح فيقول إني لأعهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى علي في عالم الذر وإني لأرعى أولادي من هذا الوقت إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور.

هكذا كان السلف الصالح ﷺ يتعهدون أبناءهم رجاء أن يكونوا طائعين لله وخير خلف لهم.

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٧٧٤).

(٢) صحيح: مسلم (٢٨٦).

(٣) صحيح: ابن ماجه (٥٢٨).

(٤) حسن: ابن ماجه (٣٦٧٠).

الاهتمام بالولد قبل الحمل

يبدأ الاهتمام بالمولود من مرحلة سابقة لولادته، وذلك باختيار الزوجة الصالحة فقد قال رسول الله ﷺ ناصحًا ومعلمًا لمن أراد الزواج: « فاظفر بذات الدين تربت يداك »[(١)].

وكذلك بالنسبة للمرأة عليها أن تختار الزوج المناسب ممن يتقدم لخطبتها فتحرص على ذي الدين والخلق، فقد قال ﷺ موجهًا أولياء النساء: « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »[(٢)].

الاهتمام بالولد أثناء الحمل

إن المسلم ليعجب لعظمة هذا الدين فهو دين الرحمة والبر، فكما اهتم بالولد قبل خلقه كما أسلفنا فكذلك اهتم اهتمامًا بالغًا به أثناء حمله جنينًا في بطن أمه فقد شرع للحامل أن تفطر في رمضان من أجل جنينها. قال رسول الله ﷺ «إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة. والصوم عن المسافر والمرضع والحبلى »[(٣)].

وينبغي للأم أن تدعو لجنينها وتسأل الله له أن يكون صالحًا خيرًا وأن ينفع الله به والديه وعامة المسلمين فمن الدعاء المستجاب دعاء الوالد لولده.

الاهتمام بالمولود بعد الولادة

بعد ولادة المولود يستحب للوالد أو الولي ومن حوله أمور منها:

١- استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة: فبمجرد الولادة تزف البشرى للأهل والأقارب فيدخل السرور على الجميع بهذه المناسبة السارة وقد قال الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ﴾.

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) حسن: أبو داود (٢٤٠٨) والترمذي (٧١٥) وغيرهما .

(٣) تقدم تخريجه .

أما التهنئة فلم يرد عن الرسول ﷺ نص خاص بها إلا ما قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ، يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم[(١)].

وعن أبي بكر بن المنذر أنه قال: روينا عن الحسن البصري: أن رجلًا جاء إليه، وعنده رجل قد ولد له غلام، فقال له يهنيك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أفارس هو أم حمار؟ فقال الرجل: فكيف نقول، قال: قل: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب ورزقت بره، وبلغ أشده.

٢- التأذين في أذن المولود:

قال أبو رافع رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة والحكمة من ذلك - والله أعلم- أن يكون الأذان وهو متضمن لتعظيم الله والشهادتين أول ما يطرق سمع المولود، وكذلك تحصيلًا لما للآذان من تأثير على الشيطان في طرده وإبعاده عن هذا المولود الجديد الذي يحرص على إيذائه وإغوائه وذلك مصداقًا للحديث: «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين»[(٢)].

٣- التحنيك:

ومن السنن التي ينبغي أن تفعل حين استقبال المولود سنة التحنيك وهي تليين التمرة بمضغها أو تليينها بطريقة مناسبة ودلك حنك (المولود بها. وذلك بوضع جزء من التمر اللين على الإصبع وإدخال الإصبع في فم المولود، ثم تحريكه يمينًا وشمالًا حركة لطيفة، حتى يبلغ الفم كله بالمادة (تمر أو سكر أو عسل) حيث إنه إذا لم يتيسر التمر فيحنك بأي مادة حلوة.

قال أبو موسى: ولد لي غلام، فأتيت النبي، ﷺ، فسماه إبراهيم. وحنكه بتمر، ودعا له بالبركة، ودفعه إلي .

وللتحنيك أثر صحي يتحدث عنه الأطباء فيقول أحدهم وهو الدكتور فاروق مساهل في مقال له في مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) ما نصه: و التحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية

---

(١) صحيح: مسلم (٢٨٦) .

(٢) صحيح: البخارى (١٢٢٢) ومسلم (٣٨٩) .

طبية مكثت البشرية أربعة عشر قرنًا من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثي الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين:

١- إذا نقصت كمية السكر في الدم (بالجوع).

٢- إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم.

٤- التسمية:

ومن حق المولود على الوالد تسميته باسم حسن فعن أبي وهب الخثعمي قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة»[1].

والتسمية من حق الأب وله أن يترك أمر التسمية للأم وله كذلك أن يوكل أمر تسمية المولود للجد أو الجدة أو غيرهما.

وكان رسول الله ﷺ يتفاءل بالأسماء الحسنة فقد ذكر ابن القيم في «تحفة الودود بأحكام المولود»: أن الرسول ﷺ لما رأى سهيل بن عمرو مقبلًا يوم صلح الحديبية، قال: «سهل أمركم»، وانتهى في مسيرة إلى جبلين، فسأل عن اسمهما، فقال: مخز وفاضح، فعدل عنهما ولم يسلك بينهما.

وكذلك كان من هديه ﷺ تغيير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة فقد غير اسم عاصية بجميلة، واسم أصرم بزرعةَ، قال أبو داود في «السنن»: وغير النبيﷺ اسم العاص وعزيز وغفلة وشيطان والحكم وغراب، وشهاب فسماه هشامًا، سمى حربًا أسلم[2].

وسمي المضطجع المنبعث، وأرض غفرة خضرة، وشعب الضلالة سماه شعب الهداية، وبني الزنية سماهم بنو الرشدة.

٥- العقيقة:

وهي الشاة التي تذبح عنه يوم السابع من ولادته. للحديث الذي يرويه سلمان بن عمار

---

(١) صحيح: أبو داود (٤٩٥٠) دون قوله: «تسموا بأسماء الانبياء».

(٢) صحيح: أبو داود (٤٩٥٦).

الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة»[2].

وهي سنة مستحبة على القول الراجح من أقوال أهل العلم.

أما وقت ذبحها فهو اليوم السابع من ولادة الطفل، فإن لم يتيسر في اليوم السابع جاز في أي يوم من الأيام والله تعالى أعلم.

ويجزئ منها ما يجزئ للأضحية، فمن الضأن ما لا يقل عمرها عن ستة أشهر ومن المعز ما لا يقل عن سنه، وأن تكون سليمة من العيوب.

٦- حلق رأس المولود والتصدق بوزنه فضة:

ولهذا الأمر فوائد جمة منها أن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له، وفتحًا لمسام الرأس وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع، وكذلك فإن في التصدق بوزنه فضة فائدة ظاهرة.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة.

٧- الختان:

وهو قطع القلفة (أي الجلدة) التي تحيط برأس الذكر، والمتدلية فوق فتحة الأنثى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط[3].

والختان واجب في حق الذكور، مستحب في حق الإناث والله تعالى أعلم.

- ولهذه السنن والأعمال المتعلقة بالمولود حكم وفوائد تربوية فرفع الأذان والإقامة في

---

(١) صحيح: أبو داود (٢٨٣٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

أذن المولود إشعار له بالشهادة والتوحيد والإسلام الذي هو دين الفطرة ودين آبائه وأجداده.. وفيه طرد للشيطان الذي يتربص بالإنسان منذ ولادته لإفساده.

- وفي الدعاء للمولود طلب الصلاح والخير له ليبقى هذا الصلاح نافعًا له ولوالديه لقوله ﷺ: «وولد صالح يدعو له»(١).

- وفي تحنيك المولود بالتمر إشارة إلى أهمية التمر كغذاء رئيسي للتنشئة السليمة وفيه تقوية لعضلات فم المولود ليقوم بالرضاعة على أحسن وجه.

- وفي حلق رأسه تقوية له وفتح لمسام رأسه وتقوية لحاسة البصر والشم والسمع.

- وفي التصدق بشعر رأسه فضة إشارة إلى ضرورة التكافل الاجتماعي والتراحم بين المسلمين والقضاء على أسباب الفقر والحاجة.

- وفي حكمة العقيقة فوائد منها التقرب إلى الله وشكره على نعمة الولد.

- إظهار الفرح والسرور بتكاثر نسل المسلمين.

- إظهار روح المحبة والتراحم بين المسلمين.

- دفع مصارع السوء والمصائب لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

وفي تسمية المولود بأحب الأسماء إليه وتكنيته ما ينمي فيه شعور التكريم والاحترام وينمي فيه قوة الشخصية لاستشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار وفيه أيضًا ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بأحب الأسماء إليه.

وفي حكمة الختان يتخلص المرء من المفرزات الدهنية والتفسخات ويقلل من خطر الإصابة بالسرطان وسلس البول والتهيجات الجنسية وغير ذلك من الحكم.

هذه هي أهم الآداب التي ينبغي للوالد أو الولي أن يحرص عليها ويفعلها في أول ولادة المولود. ولكن هناك بعض الأخطاء التي تقع عند استقباله نورد بعضها بإيجاز:

١- كتابة أو قراءة آيات من القرآن للمرأة لتسهيل الولادة: فإن بعضًا من المسلمين يقومون بقراءة آيات معينة أو كتابتها وتعليقها على المرأة، أو كتابتها ثم محوها واسقائها للمرأة أو رشها على بطن المرأة وفرجها لتسهيل الولادة وهذا كله باطل لم يصح عن رسول الله ﷺ ،

(١) صحيح: مسلم (١٦٣١).

وإنما الواجب على المرأة التي تعاني من آلام الولادة أن تلجأ إلى الله ليخفف عنها ما تجد من آلام وينفس عنها كربتها. وهذا لا يتعارض مع الرقية الشرعية.

٢- الاستبشار والفرح بولادة الذكر دون الأنثى: وهذه من عادات الجاهلية التي حاربها الإسلام، فقد قال عز وجل واصفا أهل هذه الحالة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقد يبالغ بعض الجهلة في هذا الأمر ويسخط على زوجته لأنها لا تلد إلا البنات وقد يطلقها من أجل ذلك مع أن الأمر- لو كان هذا الجاهل يعقل- أولا وأخيرًا بيد الله عز وجل فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع وقد قال عز من قائل: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾. فنسأل الله الهداية لجميع المسلمين.

٣- تسمية المواليد بأسماء غير لائقة: كالأسماء ذات المعاني القبيحة أو أسماء المشهورين من المنحرفين من المغنين والمغنيات أو مشاهير الكفار، مع أن تسمية المولود باسم حسن حق له على وليه.

ومن الأخطاء المتعلقة بالتسمية كذلك تأخير التسمية إلى ما بعد الأسبوع الأول.

٤- ترك ذبح العقيقة عن المولود مع القدرة عليها: فإن العقيقة من هدي المصطفى ﷺ، وفي اتباع هديه ﷺ الخير كل الخير.

٥- عدم الالتزام بالعدد المحدد للعقيقة: فبعض من يعق يدعو لطعام العقيقة كل من يعرف فيذبح عشرين رأسًا من الأغنام فهذه زيادة غير مشروعة، والبعض قد ينقص عن ذلك فيذبح ذبيحة واحدة عن الذكر وهي مخالفة للمشروع أيضًا، فينبغي أن نلتزم بسنة الرسول ﷺ دون زيادة أو نقص.

٦- تأخير الختان إلى البلوغ: وكان هذا ساريًا عند بعض القبائل حيث يختن الولد قبل زواجه بطريقة وحشية على مرأى من الناس.

هذه بعض الأخطاء وغيرها كثير .

الاهتمام بالطفل في السنوات الست الأولى من حياته

إن المرحلة الأولى من حياة الطفل (السنوات الست الأولى) من أخطر المراحل وأهمها، حيث إن لها أبلغ الأثر في تكوين شخصيته فكل ما يطبع في ذهن الطفل في هذه المرحلة تظهر آثاره بوضوح علي شخصيته عندما يصبح راشدًا.

لذا يجب على المربين أن يهتموا كثيرا بتربية الطفل في هذه المرحلة.

ويمكن أن نلخص الجوانب الواجب مراعاتها من قبل الوالدين بما يلي:

أولا: منح الطفل ما يحتاجه من حب وحنان من قبل الوالدين وخاصة الأم، وهذا ضروري لتعلم الطفل محبة الآخرين، فإذا لم يشعر الطفل بهذه المحبة فسوف ينشأ محبًا لنفسه فقط كارها لكل من حوله (فالأم المسلمة عليها أن تدرك أنه لا شيء على الإطلاق ينبغي أن يحول بينها وبين منح الطفل حاجته الطبيعية من الحب والحنان والرعاية، وأنها تفسد كيانه كله إن هي حرمته من حقه في هذه المشاعر، التي أودعها الله برحمته وحكمته في كيانها بحيث تتفجر تلقائيا لتفي بحاجة الطفل).

فينبغي أن تحرص الأم على هذا الأمر، ولا تنشغل عنه بأي شاغل من عمل خارج المنزل أو خلافات مع الزوج أو غير ذلك.

ثانيًا: أن يعود الطفل الانضباط من أول حياته (منذ الأشهر الأولى) ولا نظن أن هذا أمر غير ممكن فقد ثبت أن تعويد الطفل على أوقات محددة وثابتة للرضاعة، وكذلك قضاء الحاجة في أوقات محددة أمر ممكن مع المحاولة المتكررة، حيث إن الجسم يتعود على هذا وينضبط به.

وينمو الانضباط ويزداد بنمو الطفل حتى يصبح قادرًا على التحكم في مطالبه واحتياجاته مستقبلًا.

ثالثًا: أن يمثل الوالدان قدوة صالحة للطفل من بداية حياته فيلتزمان منهج الإسلام في سلوكهما عامة وتعاملهما مع الطفل خاصة، ولا يظنان أن هذا الطفل صغير ولا يعي ما يحيط به فيتصرفان تصرفات خاطئة أمامه فإن لهذا أعظم الأثر على نفسيه الطفل (حيث إن قدرة الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي كبيرة جدًا أكبر مما نظن عادة ونحن ننظر

إليه على أنه كائن صغير لا يدرك ولا يعي. نعم حتى وهو لا يدرك كل ما يراه فإنه يتأثر به كله! فهناك جهازان شديدًا الحساسية في نفسه هما جهاز الالتقاط وجهاز المحاكاة، وقد يتأخر الوعي قليلًا أو كثيرًا.

ولكن هذا لا يغير شيئًا من الأمر. فهو يلتقط بغير وعي، أو بغير وعي كامل. وهو يقلد بغير وعي أو بغير وعي كامل كل ما يراه حوله أو يسمعه).

رابعا: يعود الطفل على آداب عامة يلزمها في تعامله منها:

* أن يعود الأخذ والإعطاء والأكل والشرب بيمينه فإذا أكل بشماله يذكر ويحول الأكل إلى يده اليمنى برفق.

* أن يعود التيامن في لبسه فعندما يلبس الثوب أو القميص أو غيرهما يبدأ باليمين وعندما ينزع ملابسه يبدأ بالشمال.

* أن ينهى عن النوم على بطنه ويعود النوم على شقه الأيمن.

* أن يجنب لبس القصير من الثياب والسراويل، لينشأ على ستر العورة والحياء من كشفها.

* أن يمنع من مص أصابعه وعض أظفاره.

* أن يعود الاعتدال في المأكل والمشرب ومجانبة الشره.

* أن ينهي عن اللعب بأنفه.

* أن يعود أن يسمى الله عند البدء بالطعام.

* أن يعود الأكل مما يليه وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره.

* ألا يحدق النظر إلى الطعام ولا إلى من يأكل.

* ويعود ألا يسرع في الأكل وأن يجيد مضغ الطعام.

* أن يعود أن يأكل من الطعام ما يجد ولا يتشهى ما لا يجد.

* أن يعود نظافة فمه باستعمال السواك أو باستعمال فرشة الأسنان المعروفة بعد الأكل وقبل النوم وبعد الاستيقاظ.

* أن يحبب إليه الإيثار بما يحب من المأكل والألعاب، فيعود إكرام إخوانه وأقاربه

الصغار، وأولاد الجيران إذا رأوه يتمتع بشيء منها.

* أن يعود النطق بالشهادتين وتكرارها في كل يوم مرات.
* أن يعود حمد الله بعد العطاس وتشميت العاطس بعد أن يحمد الله.
* أن يكظم فمه عند التثاؤب وأن يغطي فاه، ولا يحدث صوتًا عند التثاؤب.
* أن يعود الشكر على المعروف إذا أسدى إليه مهما كان يسيرًا.
* أن لا ينادي أمه وأباه باسميهما، بل يعود أن يناديهما بلفظ: أمي، وأبي.
* أن لا يمشي أمام أبويه أو من هو أكبر منه في الطريق ولا يدخل قبلهما إلى المكان تكريمًا لهما.
* أن يعود السير على الرصيف لا في وسط الطريق.
* أن لا يرمي الأوساخ في الطريق بل يميط الأذى عنه.
* أن يسلم بأدب على من لقيه بقوله: السلام عليكم ويرد السلام على من سلم.
* أن يلقن الألفاظ الصحيحة ويعود النطق باللغة الفصحى.
* أن يعود الطاعة إذا أمره أحد الأبوين أو من هو أكبر منه بأمر مباح.
* أن يعالج فيه العناد، ويرد إلى الحق طوعًا إن أمكن وإلا أكره على الحق، وهذا خير من البقاء على العناد والمكابرة.
* أن يشكره أبواه على امتثال الأمر واجتناب المنهي عنه، وأن يكافئاه أحيانًا على ذلك بما يحب من مأكل أو لعبة أو نزهة.
* ألا يحرم من اللعب مادام آمنًا فيمكن من اللعب بالرمال والألعاب المباحة حتى ولو اتسخت ملابسه، فإن اللعب في هذه المرحلة ضروري لتكوين الطفل جسميًا وعقليًا.
* أن يحبب إليه الألعاب المباحة مثل الكرة أو السيارة الصغيرة والطائرة الصغيرة وغيرها ويكره إليه الألعاب ذوات الصور المحرمة من إنسان وحيوان.
* أن يعود احترام ملكية غيره، فلا يمد يده إلى ما لغيره من ألعاب ومأكولات، ولو كانت لعبة أخيه.

الاهتمام بالطفل فيما بعد السنوات الست الأولى من حياته

في هذه المرحلة يصبح الطفل أكثر استعدادًا للتعلم المنظم فهو يتقبل التوجيه بشكل أكثر، ويكون أكثر انسجامًا مع أقرانه في اللعب، فيمكننا القول بأنه أكثر إدراكًا وحرصًا على التعلم واكتساب المهارات فيمكن توجيهه بشكل مباشر لذا فإن هذه الفترة من أهم الفترات في تعليم الطفل وتوجيهه.

وسوف نتحدث بمشيئة الله تعالى عن أهم الجوانب التي لابد للمربين من الحرص عليها في هذه المرحلة وهي:

أولا: تعريف الطفل بخالقه بشكل مبسط:

فيعرف الطفل بالله عز وجل بطريقة تناسب إدراكه ومستوى تفكيره.

- فيعلم أن الله واحد لا شريك له.

- ويعلم أنه الخالق لكل شيء فهو الخالق للأرض والسماء والناس والحيوانات والأشجار والأنهار وغيرها ويمكن أن يستغل المربي بعض المواقف فيسأل الطفل وهم في نزهة في بستان أو في البرية عن خالق الماء والأنهار والأرض والأشجار وغيرها ليلفت نظره إلى عظمة الله.

- ويعلم الطفل محبة الله ويرغبه فيها وذلك بلفت نظره إلى ما أسبغه الله عليه وعلى ذرية من النعم فيقال له مثلًا من الذي أعطاك السمع والبصر والعقل؟ من الذي أعطاك القوة والقدرة على الحركة؟ من الذي أعطاك وأسرتك الرزق والطعام؟ وهكذا يلفت نظره للنعم الظاهرة ويحث على محبة الله وشكره على هذه النعم الغامرة، وهذا الأسلوب ورد في القرآن حيث أن الله في آيات عديدة يلفت نظر العباد إلى نعمه عز وجل مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

وقوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ثانيًا: تعليم الطفل بعض الأحكام الواضحة ومن الحلال والحرام:

فيعلم الطفل ستر عورته والوضوء وأحكام الطهارة ويعلم أداء الصلاة، وينهي عن

المحرمات والكذب والنميمة والسرقة والنظر إلى ما حرم ألقه وبالجملة يؤمر بما يؤمر به الكبار من التزام شرع الله وينهي عما ينهي عنه الكبار مما لا يحل حتى يشب على ذلك ويألفه ومن شب على شيء شاب عليه.

ويحرص على تعليمه العلم فكما يقول سفيان الثوري: ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم فإنه مسئول عنه.

ثالثا: تعليم الطفل تلاوة القرآن:

فإن القرآن هو النهج القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالخير كل الخير أن يعود الطفل قراءة القرآن بصورة صحيحة ويبذل الجهد والطاقة في تحفيظه إياه أو جزء كبير منه ويشجع على ذلك بشتى الوسائل، فليحرص الوالدان على أن يلتحق الطفل ولدا كان أو بنتا بأحد مدارس تحفيظ القرآن، فإن لم يتيسر ذلك فليحرص على التحاقه بأحد حلقات تحفيظ القرآن المنتشرة- ولله الحمد- وقد روى أبو داود عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجًا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»(١).

وقد كان السلف يحرصون على تعليم أبنائهم القرآن وتحفيظهم إياه فهذا هو الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي يخبرنا عن الإمام النووي عليهم رحمة الله جميعًا فيقول: رأيته وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحالة، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه فوصيته به وقلت له: إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع به الناس، فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك. فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم .

رابعًا: تعليم الطفل حقوق الوالدين:

فيعود الطفل على احترام والديه وطاعتهما وبرهما فيشب على ذلك ويألفه، وكثيرًا من حالات العقوق وتعدي الأبناء على حقوق آبائهم إنما حصلت نتيجة لتقصير الآباء في تربيه

---

(١) ضعيف: أبو داود (١٤٥٣) .

الأبناء وتعويدهم على البر منذ الصغر قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة»[١].

وهذه قصة شاب بار بوالده أوردها صاحب (عيون الأخبار): قال المأمون رحمه الله: لم أر أحدًا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن، وهما في السجن فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة. فقام الفضل- حيث أخذ أبوه مضجعه- إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمًا وهو في يده حتى أصبح. فعل كل هذا برًا بأبيه ليتوضأ بالماء الساخن.

خامسًا: ربط الطفل بالقدوات العظيمة في الإسلام:

وقدوتنا الأولى رسول الله ﷺ ثم شخصيات الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ومن تبعهما بإحسان ممن ضربوا أروع الأمثلة في مناحي الحياة المختلفة، فيربط الطفل بهم ويعلم من أخبارهم وقصصهم ليقتدي بجميل فعالهم ويتأسى بصفاتهم الحسنة من شجاعة وفداء وصدق وصبر وعزة وثبات على الحق وغيرها من الصفات.

وينبغي أن تتناسب القصة أو الموقف الذي يروى للطفل مع إدراكه وأن لا تكون مملة وأن يركز فيها على الجوانب الحسنة فتبرز وتوضح ليسهل على الطفل استيعابها.

فمثلًا لو روي للطفل قصة الرسول ﷺ مع ذلك اليهودي الذي كان يطالب الرسول ﷺ بدين كمثال على حسن خلقه: يروى أن يهوديًا كان له عند رسول الله ﷺ دينًا فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجله. فاعترض رسول الله في طريق المدينة وقال: إنكم بني عبد المطلب قوم مطل(مماطلون). ورأى عمر ذلك فاشتد غضبه وقال: ليأذن لي رسول الله فأقطع عنقه. فقال النبي: «أنا وصاحبي أحوج إلى غير هذا يا عمر، مره بحسن التقاضي ومرني بحسن الأداء» ثم التفت إلى اليهودي وقال: «يا يهودي إنما يحل دينك غدًا».

---

(١) صحيح: مسلم (٢٥٥١).

وهذه قصة في الشجاعة وقوة التحمل عن معاذ بن عمرو قال: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلما أمكنني، حملت عليه، فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها.

وتاريخ المسلمين مليء بالشخصيات العظيمة والقصص الرائعة المعبرة أصدق تعبير عن الفضائل والمعاني الجميلة.

سادسًا: تعليم الطفل الآداب الاجتماعية العامة:

مثل آداب السلام والاستئذان وآداب البصر والأكل والشرب وآداب الحديث والمعاملة مع الآخرين فيعلم كيف يعامل والديه الكبار وأصدقاء والده ومعلميه وأقرانه ومن يلعب معهم.

ويعلم كذلك ترتيب غرفته والمحافظة على نظافة البيت، وترتيب ألعابه، وكيف يلعب دون أن يزعج الآخرين، وكيف سلوكه في المسجد وفي المدرسة.

وكل هذه الأمور وغيرها إنما يعتمد في أخذها على سنة المصطفى ﷺ في الدرجة الأولى ومن سيرة السلف الصالح رحمهم الله تعالى ثم من كتابات المتخصصين في التربية والسلوك.

سابعًا: تنمية جانب الثقة في النفس وتحمل المسئولية عند الطفل:

حيث إن أطفال اليوم هم رجال ونساء الغد فلابد من إعدادهم وتدريبهم على تحمل المسئوليات والقيام بالأعمال التي لابد لهم من القيام بها في المستقبل.

ويمكن أن تحقق ذلك في نفوس الأطفال عن طريق بناء ثقتهم في أنفسهم واحترام ذواتهم وإعطاء الطفل الفرصة للتعبير عن آرائه وما يدور في خلده وتشجيعه على القيام بشؤونه الخاصة بل وتكليفه بما يناسبه من أعمال البيت مثل أن يكلف بشراء بعض مستلزمات البيت من البقالة المجاورة للمنزل وتكليف البنت بتنظيف بعض الأواني أو العناية بأخيها الصغير، ويتدرج مع الأطفال في التكاليف شيئًا فشيئًا حتى يتعودوا على تحمل

المسؤوليات والقيام بالأعمال المناسبة لهم.

(ومن تحميل الطفل المسئولية) أن يتحمل تبعة ما يقوم به من أعمال فيعلم أنه هو المسئول عما يرتكبه من أخطاء ويطالب بإصلاح ما قد أفسده والاعتذار عن أخطائه.

انظر إلى هذه القصة التي تعبر عن الثقة بالنفس: روى الحافظ ابن عساكر أن عبد الله بن الزبير كان يلعب مع بعض أترابه من الصبيان، فمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، ففر الصبية خوفًا من الفاروق وبقي ابن الزبير لا يريم فأقبل عليه عمر وقال له: مالك لم تفر مع أصحابك يا غلام؟

فرد عليه عبد الله ببساطة وبراءة: يا أمير المؤمنين!... لست مذنبًا فأخافك.. وليست الطريق ضيقه فأوسع لك فيها!.

وإذا تربى الأطفال على الثقة بالنفس أمكنهم تحمل المسئوليات الجسام كما كان أبناء الصحابة يسعون جاهدين ليكونوا مع المجاهدين في سبيل الله ويبكي أحدهم لأن رسول الله ﷺ لم يجزه ليقاتل مع الجيش فيرق الرسول ﷺ لحاله ويجيزه فيكون في النهاية من شهداء المعركة، ويأمر الرسول ﷺ أسامة ابن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر مع صغر سنه لأنه كفؤ لهذه الإمارة. فأين أبناؤنا اليوم من هذه القمم الشامخة.

❊ ❊ ❊

الاهتمام بالناشئ في مرحلة المراهقة

في هذه المرحلة يسرع نمو الجسم ويأخذ العقل في الاتساع وتقوى عواطف الناشئ وتشتد اشتدادًا كبيرًا وتتيقظ الغريزة الجنسية. وتعتبر هذه المرحلة تمهيد لمرحلة البلوغ.

وعلى المربي أن يهتم بالأمور التالية في تعامله مع المراهق:

١- أن يشعر الناشئ أو المراهق بأنه قد أصبح كبيرًا سواء كان صبيًا أو فتاة لأنه يطالب بأن يعامل معاملة الكبار وأن لا يعامل على أنه صغير.

٢- يعلم الناشئ أحكام البلوغ ويروى له بعض القصص التي تنمي جانب التقوى والابتعاد عن الحرام في نفسه.

٣- يشجع الناشئ على أن يشارك في تحمل بعض أعباء البيت كممارسة عملية تشعره بأنه قد أصبح كبيرًا.

٤- يحرص المربي على مراقبة المراهق وإشغال وقته بما ينفع وربطه بأقران صالحين.

ما أهمية الحب في تربية الأولاد

حب الأبوين لأبنائهما عاطفة فطرية لا بد من إظهارها في العملية التربوية وبما أن الأطفال الصغار تغلب عليهم العاطفة لزم فيمن يتصدر لتربيتهم من الآباء والمربين أن يراعوا هذا الجانب ويغرسوا مفهوم الحب بينهم وبين أبنائهم وطلابهم وأن يكون هذا الحب عاطفة متبادلة بين الفريقين فإن الحب يثمر الحب كما يقولون وإذا وجد الحب تمت عملية التربية بسهولة لأن المحب لمن يحب مطيع ولهذه الحكمة أمر ﷺ بمعاملة الناس بالحب والشفقة واللين: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ فالمربي الغليظ القاسي يبغضه الأطفال ويبغضون معه كل فكرة وعلم وأخلاق ولا يقبلون منه أي نصح وتوجيه لفظاظته وشدته.

ولكي لا يخرج الحب عن حد الاعتدال والتوازن ويميل إلى الإفراط والدلال لابد للمربي من الوقوف عند هذه الضوابط:

الضابط الأول: الالتزام بشرع الله القاضي بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من نفسه

ووالده والناس أجمعين لقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[1].

الضابط الثاني: ألا يكون حب الولد مانعًا للخير أو صادًا عن سبيل الله وذلك فيما نبه عنه الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم: «إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة»[2].

والمعنى أن الولد والحرص عليه يصرف والديه عن الجود والكرم والإنفاق في أعمال الخير ويقصران المال للنفقة عليه ويحول الولد أحيانًا بين الوالدين وصفة الشجاعة والإقدام فيبعث فيهما روح الخوف والبقاء على رعايته.. وكذلك يفعل الولد فيساهم في تجهيل والديه يصرفهما عن طلب العلم وإنشغالهما بشؤونه ويبعث الولد أيضًا مشاعر الأسى والحزن عند والديه لضر يصيبه.. والمطلوب هو التوازن في المحبة وإيثار محبة الله ورسوله في حالة التعارض.

الضابط الثالث: الصبر على وفاة الطفل واحتسابه عند الله تعالى من غير جزع ولا عويل ولا صياح وقد جاء في الصحيح فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ «ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[3].

* * *

١- صحيح: البخاري (١٥) ومسلم (٤٤).

٢- صحيح: صحيح الجامع (١٩٩٠).

٣- حسن: الترميزي (٢٣٩٩).

كيف نعين أطفالنا على حب القرآن الكريم ؟!!

لماذا نحبِّب القرآن الكريم إلى أبنائنا؟!!

إن الأسباب في الحقيقة - كثيرة ... ولعل ما يلي هو بعضها:

١- لأن القرآن الكريم هو عقل المؤمن، ودستور حياته ، فهو كلام الله الذي تولَّى حفظه دون سائر ما نزل من كتب سماوية، لذا فإن أطفالنا إذا أحبوه تمسَّكوا بتعاليمه، ومن ثمَّ لم يضلِّوا أبدًا.

٢- لأن القرآن الكريم هو خير ما يثبِّت في النفس عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وخير ما يفسح أمام العقل آفاق العلوم والمعارف الإنسانية ، وخير ما يسكُب في القلب برد الطمأنينة والرضا ، وخير ما يمكن أن نُناجي به مولانا في هدأة الأسحار، فإذا ارتبط قلب الطفل بالقرآن وفتح عينيه على آياته فإنه لن يعرف مبدًا يعتقده سوى مبادىء القرآن ، ولن يعرف تشريعًا يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولن يعرف بلسمًا لروحه وشفاءً لنَفسِهِ سوى التخشُّع بآيات القرآن ... وعندئذٍ يصل الوالدان إلى غايتهما المرجوة في تكوين الطفل روحيًا، و إعداده إيمانيًا وخُلُقيًا.

٣. لأن القرآن الكريم هو الرسالة الإلهية الخالدة ، ومستودع الفِكر والوعي، ومنهج الاستقامة ، والهداية ، ومقياس النقاء و الأصالة ...فإذا أحبه الطفل كان ذلك ضمانًا - بإذن الله - لهدايته، واستقامته، وسِعة أفقه ، ونقاء سريرته ، وغزارة علمه .

٤--لأن القرآن الكريم إذا تبوَّأ مكانةً عظيمة في نفوس أطفالنا شبُّوا على ذلك، ولعل منهم مَن يصبح قاضيًا ، أو وزيرًا، أو رئيسًا ، فيجعل القرآن العظيم له دستورًا ومنهاجًا ، بعد أن ترسَّخ حبه في نفسه منذ الصِّغَر

٥- لأن حب الطفل للقرآن يعينه على حفظه ، ولعل هذا يحفظ الطفل ، ليس فقط من شرور الدنيا والآخرة ، وإنما أيضًا من بذاءات اللسان .... ففم ينطق بكلام الله ويحفظه يأنف ويستنكف عن أن ينطق بالشتائم والغيبة والكذب وسائر آفات اللسان .

٦-- لأن أبناءنا أمانةٌ في أعناقنا أوصانا الله تعالى ورسوله الكريم بهم ، وسوف نسألُ

عنهم يوم القيامة ، وكفانا حديث رسول الله ﷺ: « كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع مَن يعول»[(١)]؛ فالضياع قد يكون أخلاقيًا ، وقد يكون دينيًا ، وقد يكون نفسيًا ، وقد يكون ماديًا - كفانا الله وإيّاكم شر تضييع أبناءنا- ولن نجد أكثر أمانًا من القرآن نبثه في عقول وأرواح أطفالنا حِفظًا لهم من كل أنواع الضَّياع!

٧- لأن ذاكرة الطفل صفحة بيضاء، فإذا لم نملؤها بالمفيد فإنها ستمتلىء بما هو موجود!!!

فإذا أحب الطفل القرآن الكريم، أصبح فهمه يسيرًا عليه، مما يولِّد لديه ذخيرة من المفاهيم والمعلومات التي تمكِّنه من غربلة ، وتنقية الأفكار الهدامة التي تغزو فِكرَهُ من كل مكان.

٨- لأننا مُقبلون-أو أقبلنا بالفعل - على الزمن الذي أخبر عنه الحبيب ﷺ:أن فيه « تلدُ الأَمَة ربَّتها»[(٢)] أي تتعامل الإبنة مع أمها وكأنها هي الأم!!!

فلعل حب القرآن في قلوب الأبناء يخفِّف من حِدة عقوقهم لوالديهم في هذا الزمان .

٩- لأن أطفالنا إذا أحبوه وفهموه ، ثم عملوا به ، وتسببوا في أن يحبه غيرهم ...كان ذلك صدقة جارية في ميزان حسنات الوالدين إلى يوم الدين ، يوم يكون المسلم في أمس الحاجة لحسنة واحدة تثقِل ميزانه .

١٠- لأن هذا الصغير صغيرٌ في نظر الناس ، لكنه كبير عند الله ، فهو من عباده الصِّغار، لذا فمن حقه علينا أن نحترمه، وأن نعطيه حقه من الرعاية، والتأديب... ولقد قال ﷺ: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خِصال: حب نبيكم ، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن فإن حَمَلة القرآن في ظل عرش الرحمن يوم لا ظِل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه».

١١- لأن القرآن الكريم هو حبل الله المتين الذي يربط المسلمين بربهم، ويجمع بين قلوبهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، وما أحوج أطفالنا- حين يشبُّوا- لأن يرتبطوا بشتى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، في وقت اشتدت فيه الهجمات على الدين

---

(١) حسن لغيره: «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩٦٥) .

(٢)صحيح: البخاري(٤٧٧٧)، ومسلم(٨).

الإسلامي والمسلمين من كل مكان !!!!

كيف أغرس في قلب طفلي حب القرآن؟!!!

إن الهدف المرجو من هذا البحث هو مساعدة الطفل على حب القرآن الكريم، من أجل أن يسهُل عليه حِفظه، وفهمه، ومن ثمَّ تطبيقه .

ومن أجل ذلك علينا أن نبدأ من البداية ، وهي اختيار الزوج أو الزوجة الصالحة ،

فقبل أن ننثر البذور علينا أن نختار الأرض الصالحة للزراعة ، ثم المناخ المناسب لنمو هذه البذور ...حتى نضمن بإذن الله محصولًا سليمًا من الآفات ، يسُرُّ القلب والعين .

بعد ذلك تأتي المراحل التالية ، والله المستعان عليها:

أولا : مرحلة الأجنَّة :

في هذه المرحلة يكون الجنين في مرحلة تكوين من طَور إلى طَور ... ولك أن تتخيل جنينك وهو ينمو ويتكون على نغم القرآن المرتَّل !!!! ،

فلقد أثبتت البحوث والدراسات المتخصصة في علم الأجنة أن الجنين يتأثر بما يحيط بأمه، ويتأثر بحالتها النفسية ، حتى أنه يتذوق الطعام التي تأكله وهي تحمله، ويُقبل عليه أكثر مِمَّا يُقبل على غيره من الأطعمة !!!.

كما أثبتت الأبحاث أن هناك ما يسمَّى بذكاء الجنين .

أما أحدث هذه الأبحاث فقد أثبتت أن العوامل الوراثية ليست فقط هي المسئولة عن تحديد الطباع المزاجية للطفل ، ولكن الأهم هي البيئة التي توفرها الأم لجنينها وهو ما زال في رحمها ، فبالإضافة إلى الغذاء المتوازن الذي يحتوي على كل العناصر الغذائية والفيتامينات التي تحتاجها الأم وجنينها ، و حرص الأم على مزاولة المشي وتمرينات ما قبل الولادة ، فإن الحامل تحتاج أيضًا إلى العناية بحالتها النفسية، لأن التعرض للكثير من الضغوط يؤدي إلى إفراز هورمونات تمر إلى الجنين من خلال المشيمة، فإذا تعرض الجنين إلى ضغوط نفسية مستمرة ، فإنه سيكون في الأغلب طفلًا عصبيًا ، صعب التهدئة، ولا ينام بسهولة ... بل وربما يعاني من نشاط مُفرِط ، وَمن نوبات المغص .

إذن فالحالة النفسية للأم تنعكس – بدون أدنى شك- على الجنين ، لأنه جزء منها ...

لذا فإن ما تشعر به الأم من راحة وسكينة بسبب الاستماع إلى القرآن أو تلاوته ينتقل إلى الجنين ، مما يجعله أقل حركة في رحمها، وأكثر هدوءًا، بل ويتأثر بالقرآن الكريم ... ليس في هذه المرحلة فقط ،وإنما في حياته المستقبلية أيضًا!!

ولقد أوضحت الدراسات المختلفة أن الجنين يستمع إلى ما يدور حول الأم، ويؤكد هذا فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي-الحاصل على الدكتوراه في تربية الأولاد في الإسلام- في قوله: إن الأم الحامل التي تقرأ القرآن تلد طفلًا متعلقا بالقرآن .

كما أثبتت التجارب الشخصية للأمهات أن الأم الحامل التي تستمع كثيرًا إلى آيات القرآن الكريم ، أو تتلوه بصوت مسموع يكون طفلها أكثر إقبالًا على سماع القرآن وتلاوته وتعلُّمه فيما بعد ، بل إنه يميِّزه من بين الأصوات ، وينجذب نحوه كلما سمعه وهو لا يزال رضيعًا !

لذا فإن الإكثار من تلاوة القرآن والاستماع إليه في فترة الحمل يزيد من ارتباط الطفل عاطفيًا ووجدانيًا بالقرآن ، ما يزيد من فرصة الإقبال على تعلُّمه وحِفظه فيما بعد .

ثانيًا : مرحلة ما بعد الولادة حتى نهاية العام الأول :

تبدأ هذه المرحلة بخروج الجنين إلى الدنيا حيث أول محيط اجتماعي يحيط به ، لذا فإنها تعد الأساس في البناء الجسدي والعقلي والاجتماعي للطفل ، ولها تأثيرها الحاسم في تكوين التوازن الانفعالي والنضوج العاطفي، فلا عجب إذن أن يركز المنهج الاسلامي على إبداء عناية خاصة بالطفل في هذهِ المرحلة، فالطفل في أيامه الأولى، وبعد خروجه من محضنه الدافئ الذي اعتاد عليه فترة طويلة يحتاج إلى التغذية الجسمية والنفسية ليعوِّض ما اعتاده وألفه وهو في وعاء أمه .

لذا نرى المولى سبحانه يوصي الأم بأن ترضع طفلها حولين كاملين ، ويجعل هذا حقًا من حقوق الطفل ، كما نراه ﷻ كفل للأم في هذه الفترة الطعام والكساء هي ورضيعها، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٣٣]

ولقد فطن العرب منذ آلاف السنين إلى تأثير فترة الرضاعة على تكوين شخصية وطباع

الطفل فكانوا يختارون لأبنائهم المرضعة حسنة الخُلُق ، الودودة .

ولطالما عجبت كاتبة هذه السطور من السيدة آمنة بنت وهب التي ألقَت بوليدها الوحيد بين أحضان امرأة أخرى يلتقم ثديًا غير ثديها، وينهل من حنان غير حنانها، وهي التي مات عنها زوجها ، وهي بعد لم تزل عروسًا زُفت إليه منذ شهور... ولكن التفكير في مصلحة الوليد كان فوق كل هذه المشاعر والأحاسيس، فقد كانت مكة تعد بلاد حَضَر، وكان العرب يرجون لأبنائهم جوًّا بدويًّا ينشئون فيه لكي يبتعدوا عن أمراض الحواضر، و تقوى أجسامهم ، وتشتد أعصابهم، ويتقنون اللسان العربي في مهدهم .

كما كانت الصحابيات-رضوان الله عليهن- يُغنِّين لأطفالهن من الذكور أثناء الرضاعة أغاني تُحفِّز على البطولة والرجولة ، لترسخ هذه المعاني في أذهانهم منذ نعومة أظفارهم!!!

فما بالنا بالأم التي ترضع وليدها على نغمات القرآن المرتل بصوتٍ ندي .... ألا يعينه ذلك على حب القرآن الكريم؟!!

وفي عصرنا الحالي ، نرى علماء النفس -على اختلاف مشاربهم- يولون هذه المرحلة أهمية قصوى باعتبارها الهيكل الذي تُبنى الشخصية على أساسه، فنراهم يُجرون دراسات حول ما يسمى بذكاء الرضيع ، ثم يقومون بمحاولات تربوية لاستغلال هذه الفترة في تنشئة أطفال عباقرة .

ومن ثم ، فإن الأم التي تُرضع طفلها على صوت ندِيٍ يتلو القرآن الكريم ، فإن الراحة والسكينة والاطمئنان والحنان الذين يشعر بهم الطفل وهو بين أحضان أمه سيرتبطون في عقله اللاواعي بالقرآن الكريم... ومن ثَمّ يصبح القرآن بالنسبة للطفل- فيما بعد- مصدرًا للأمن والاطمئنان والسعادة ، ونوعًا آخر من الزاد الذي يشبع قلبه وروحه، كما كانت الرضاعة تشبع بطنه وتُسعد قلبه، فإذا كانت الأم هي التي تتلو القرآن مجوّدًا ، فإن ذلك يكون أقرب لوجدان الطفل وأشد تأثيرًا فيه ، وأهنأ له ولأمه .

ولنا أن نتخيل هل سيظل طفل كهذا يصرخ طوال الليل أو يكون نومه مضطربًا وهو محفوف بالملائكة بسبب القرآن الكريم ؟!

ولعل الفائدة ستعم أيضًا على الأم، حيث يعينها الاستماع إلى القرآن على هدوء النفس

وراحة الأعصاب في هذه الفترة، مما يجنِّبها ما يسمى باكتئاب ما بعد الولادة الذي تُصاب به معظم الوالدات .

ثالثًا: في العام الثاني من حياة الطفل:

تلعب القدوة -في هذه المرحلة- دورًا مهمًّا ورئيسًا في توجيه سلوك الطفل، لذا فإنه إذا شعر بحب والديه للقرآن من خلال تصرفاتهما فإن هذا الشعور سوف ينتقل إليه تلقائيًّا ، ودون جهد منهما ، فإذا سمع أباه يتلو القرآن وهو يصلي جماعة مع والدته ، أو رأى والديه – أو مَن يقوم مقامهما في تربيته – يتلوان القرآن بعد الصلاة ، أو في أثناء انتظار الصلاة ، أو اعتاد أن يراهما يجتمعان لقراءة سورة الكهف يوم الجمعة في جو عائلي هادئ.... فإنه سيتولد لديه شعور بالارتياح نحو هذا القرآن .

وإذا لاحظ أن والديه يفرحان بظهور شيخ يتلو القرآن وهما يقلِّبان القنوات والمحطات ، فيجلسا للاستماع إليه باهتمام وإنصات ، فإنه سيتعلم الاهتمام به وعدم تفضيل أشياء أخرى عليه.

وإذا رآهما يختاران أفضل الأماكن وأعلاها لوضع المصحف ، فلا يضعان فوقه شيئًا ، ولا يضعانه في مكان لا يليق به ، بل ويمسكانه باحترام وحُب ... فإن ذلك سيتسلل إلى عقله اللاواعي ... فيدرك مع مرور الزمن أن هذا المصحف شيءٌ عظيم ، جليل ، كريم ، يجب احترامه، وحُبه وتقديسه .

من ناحية أخرى ، إذا تضايق الطفل من انشغال والديه عنه بتلاوة القرآن و أقبل عليهما يقاطعهما ، فلم يزجراه ، أو ينهراه، بل يأخذه أحدهما في حضنه ، ويطلب من الطفل أن يعظم المصحف قائلًا له : هذا كتاب الله ، هل تقبِّله؟!! فإن الطفل سيشعر بالوِد تجاه هذا الكتاب. وإذا رأى الأم تستمتع بالإنصات لآيات القرآن الكريم وهي تطهو أو تنظف المنزل، ورأى نفس الشيء يحدث مع والده وهو يقوم بترتيب مكتبته مثلًا، أو رَيّ الحديقة... فإن ذلك يجعله يفضِّل أن يستمع إليه هو الآخر حين يكبر وهو يؤدِّي أعمالًا روتينية مشابهة .

رابعًا: منذ العام الثالث حتى نهاية الخامس:

يقول فضيلة الشيخ ، الدكتور محمد راتب النابلسي: من دراستي في التربية علمت أن

أخطر سن في تلقي العادات والتقاليد و المبادئ والقيم ، هو سن الحضانة، ثم سن التعليم الابتدائي .

ويستطرد شيخنا قائلًا: إن الطفل يستطيع أن يحفظ القرآن في سِنِي حياته الأولى ، فإذا كبر فهم معانيه، ولكن بعد أن يصبح لسانه مستقيمًا بالقرآن ، فيشب وقد تعلم الكثير من الآداب

كما يؤكد الدكتور يحيي الغوثاني- المتخصص في الدراسات القرآنية - أن الطفل إذا حفظ القرآن منذ صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه .

لذا ففي هذه السن-غالبًا - يمكننا أن نبدأ بأنفسنا تعليمه تلاوة القرآن تلاوة صحيحة، فإن لم يتيسر ذلك ، فلا بأس من اختيار معلمة أو معلم ، يكون طيب المعشر ، لين لجانب، حازمًا في رفق، ذا خُلُقٍ قويم، واسع الأُفُق ، وأن يكون مُحِبًا لمهنته... كي ينتقل هذا الحب إلى تلاميذه ، مع ملاحظة أننا لا ينبغي أبدًا أن نُجبر الطفل على حفظ القرآن أو نضربه إذا لم يحفظ، بل يجب أن تكون جلسة الاستماع إلى القرآن أو حفظه من أجمل الجلسات وأحبها إلى قلبه، وذلك من خلال تشجيعه بشتى الصور المحببة إلى قلبه، من مكافآت مادية ومعنوية ، وغير ذلك...

فإذا كان مَن يحفِّظه يتّبع أسلوبًا عنيفًا أو غير محبّب فلنستبدله على الفور إن نهيناه ولم ينته.

وهناك ملاحظة مهمة ، وهي مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال :

فإن كان طفلك غير متقبل للحفظ في هذا السن ، فعليك أن تُمهله حتى يصير مهيأً لذلك، مع الاستمرار في إسماعه القرآن مرتلاً .

أما إذا كان لدى طفلك القُدرة والاستعداد قبل هذا العمر ، فيجب أن تنتهز هذه الفرصة وتشكر الله على هذه النِّعمة ، فتشجعه وتعينه على حفظ القرآن الكريم، كما حدث مع زهراء الطفلة السعودية التي حفظت سورًا من القرآن الكريم مع إتقان كامل لمخارج الحروف..

وهي تبلغ من العمر عامًا ونصف العام !!!.

وكذلك الطفل الإيراني محمد حسين الذي كانت والدته تصطحبه معها في جلسات لحفظ القران الكريم ، وهو لم يتجاوز السنتين، وكانت وقتها تحفظ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، فلما عادت في إحدى الأيام للبيت، كان محمد يلعب ويردد شيئًا، اراد والده ان يسمع ما الذي يقوله بهذا الاهتمام، فاستغرب كثيرًا عندما علم انه يردد الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، فذهب الى زوجته متسائلًا منذ متى و أنتِ تحفِّظينه الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ؟!!

فاستغربت الزوجة قائلة: أنا لم أفعل على الإطلاق، فذهب الوالد إليه مرة أخرى وحاول أن يمتحنه بالجزء الثلاثين فوجد أنه يحفظه بشكل جيد . حينها علم أن لولده ذو السنتين قابليه لحفظ القرآن، ففرح كثيرًا وبدأ معه مشوار الحفظ، فلما بلغ محمد سن الخامسه كان قد أكمل حفظ القران الكريم!!!

وبعد ذلك حاز محمد على شهادة دكتوراه في العلوم القرآنية من جامعة لندن وكذلك حاز على شهادة الدكتوراه الافتخارية في علوم القرآن من جامعة الحجاز !!!!

و كم هي مفيدة ومؤثرة كلمات والده الذي قال : إن محمد حسين ليس إلا طفل عادي قد يفوق أقرانه بالقليل من الفطنه، لكن هناك الكثير من الأطفال الأذكياء الذين لم يفكر أحد باستغلال ذكائهم، فالذي ساعد ابني هو أنني في البيت مع زوجتي وأطفالي نردد القرآن في الصباح والمساء وإن سكتنا نَسمعه من المسجل أو التلفزيون فكيف لا يحفظ القرآن طفل مثل: علم الهدى؟ (هذا هو اللقب الذي يلقِّبه به أبوه) .

وينصح والده الآباء قائلًا: لكي يكون لديك طفل مثله عليك أنت أن تغير ما في نفسك كي يسير طفلك في مَسارك!!!

ويختم والده كلامه قائلًا: في النهاية أود أن أقول أنه كلما ردَّدَ ابنك أغنية، فاعلم أنه قادر على أن يحفظ ويردد القرآن كما حفظ تلك الأغنية!!!

وفي هذه المرحلة (ما بين العام الثالث والخامس) ينبغي أن نعلِّم الطفل الأدب مع كتاب الله ، فلا يقطع أوراقه، ولا يضعه على الأرض، ولا يضع فوقه شيئًا ، ولا يدخل به دورة المياه ، ولا يَخُط به بقلم وأن يستمع إليه بانتباه وإنصات حين يُتلى.

ومن معالم هذه المرحلة الولع بالاستماع إلى القصص، لذا يمكننا أن ننتقي للطفل من قصص القرآن ما يناسب فهمه وإدراكه ، مثل:قصة أصحاب الفيل، وقصة ميلاد ونشأة نبينا محمد ﷺ، وقصة موسى عليه السلام مع الخِضر، وقصته مع قارون ، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس والهدهد، وقصة أصحاب الكهف.

ومن المفيد أن نختم كل قصة بالعِبَر المستفادة منها.

كما أن رواية هذه القصص قبل النوم يجعل هذه القصص أكثر ثباتًا في ذاكرته ، ومن ثم أشد تأثيرًا في عقله ووجدانه.

وفي هذه المرحلة يمكننا أن نعلِّمه حب القرآن أيضًا من خلال الأناشيد التي تكون ممتعة بالنسبة له ، فيسهل عليه تذكُّر معانيها طوال حياته.

فقد ثبت علمياً أن الطفل يتذكر ما هو ممتع بالنسبة له بصورة أفضل ولمدة أطول، بالإضافة إلى أنه يستخدمه في نشاطه المستقبلي.

خامسًا: منذ العام السابع حتى العاشر

في هذه المرحلة يمكن أن نشجِّعه بأن تكون هدية نجاحه أو تصرُّفه بسلوك طيب هي مصحفٌ ناطقٌ للأطفال يسمح له بتكرار كل آية مرة على الأقل بعد القارئ ، أو أشرطة صوتية للمصحف المعلِّم كاملًا ، أو قرص كمبيوتر يحوي المصحف مرتلاً ، وبه إمكانية التحفيظ،

كما يمكن إلحاقه بحلقة قرآنية في مركز للتحفيظ يتم اختياره بعناية بحيث يكون موقعه قريبًا من البيت، كما يكون نظيفًا ، جيد التهوية ، جميل المظهر، حتى يُقبل عليه الطفل بحب ورضا، مع متابعة المحفِّظ لنتأكد من أن أسلوبه في التلقين والتحفيظ تربوي، أو على الأقل ليس بضارٍ من الناحية التربوية.

كما ينبغي أن نمدح الطفل ونُثني على سلوكه كلما تعامل مع المصحف بالشكل الذي يليق به .

ويمكن في هذه المرحلة أن نسمع معه بعض الأناشيد التي يسهُل عليه حفظها، كما نشجعه على أن يمنحها-مسجلة على شريط- كهدايا لأصحابه في الحلقة القرآنية، أو

جيرانه، أو أقاربه.

ومن الضروري أن نجعل للطفل كرامة من كرامة القرآن الذي يحفظه، كأن يقول له الأب : لولا أنك تحفظ القرآن لعاقبتُك.

كما ينبغي أن نشرح له أهمية القرآن الكريم للمسلم والعالَم، وكيف كانت البشرية تعيش قبل نزوله على النبي ﷺ .

ويظل دور القُدوة مستمرًا مع الطفل ، فإذا تردد على سمعه من والديه عبارات قرآنية مثل:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ،

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ،

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾،

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾،

﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ،

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ ،

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾،

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾،

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

فإن الطفل سيرددها دون أن يعلم معناها ، ولكنها مع مرور الوقت ستصبح مفهومة لديه ليس هذا فحسب، إنما ستكون له نبراسًا يضيء له ظلام حياته، ومنهاجا يعينه على ما يصادفه من مصاعب ومشكلات .

وينبغي أن نستمر معه في رواية قصص القرآن – بنفس الطريقة - فنروي له في هذه المرحلة مثلًا :

قصة الخلق منذ آدم، وقابيل وهابيل، ثم قصة نوح عليه السلام، قصة زكريا ويحيى

عليهما السلام ، وقصة مريم و عيسى عليهما السلام وهاروت وماروت ، وأصحاب القرية ، وأصحاب الكهف، أصحاب الجنة .

سادسًا: منذ العام الحادي عشر حتى الثالث عشر :

في هذه المرحلة تتسع دائرة الطفل الاجتماعية ويزداد حِرصًا على تكوين علاقات اجتماعية ، كما يزداد ارتباطًا بأصحابه وزملائه... ويمكن استغلال ذلك في إلحاقه- وأصحابه إن أمكن- بحلقة تعليم أحكام التجويد ، مع تشجيعه و مكافأته بشتى الطرق المادية والمعنوية، ومنها تعريفه بفضل تعلُّم القرآن وتجويده ، مثل الأحاديث الشريفة :

«أهلُ القُرآن هُم أهلُ اللهِ و خاصَّتُه»[١] ، و«الماهِرُ بالقُرآن مع السَّفَرَة الكِرام البرَرة، والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتَعُ فيه ، وهو عليه شاق ، فله أجران»[٢]، و«خيرُكُم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمَه»[٣]، و«من أراد الدنيا فعليه بالقرآن ، ومن أرد الآخرة فعليه بالقرآن، مَن أرادهما معاً فعليه بالقرآن»[٤]، «إن لله تعالى أهلين من الناس، أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[٥]، «يَؤمُّ الناس أقرؤهم لكتاب الله تعالى»[٦].

ويمكن أن نعرِّفه بذلك بطريقة غير مباشرة بحيث ندعو أصحابه المفضَّلين إلى المنزل، ونسألهم عدة أسئلة نعرف أنهم يعرفون إجابتها، ثم نسأل عن فضل تعلُّم القرآن وتجويده، فإن لم يعرفوا أقمنا بينهم مسابقة لمن يعثر على أكبر قدر من الأحاديث والآيات حول ذلك، مع توجيههم للاستعانة بمكتبة المدرسة أو أقرب مكتبة عامة، أو نعطيهم مما لدينا من كتب ومراجع.. فإذا وصلوا إلى المعلومة بأنفسهم كان ذلك أشد تأثيرًا في نفوسهم، وأيسر إيصالًا للمعلومة إلى قلوبهم قبل عقولهم.

كما يمكن أن نضع -في مكان بارز بالبيت- لوحة أو سبورة يمكن أن يكتب عليها

---

(١) صحيح: ابن ماجه(٢١٥).

(٢) صحيح: مسلم(١٨٩٨).

(٣) صحيح: البخاري(٥٠٢٧).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) صحيح: مسلم(٦٠٧٣).

الأولاد أحاديث شريفة عن فضل القرآن الكريم ، بحيث يتسابقون في البحث عنها ، ووضعها على هذه اللوحة ، بمعدل حديث كل أسبوع ، ليروه كلما مروا بها فيحفظونه ، ويتناقشون مع الأم أو الأب حول معناه، وبعد ذلك تكون هناك جائزة لمن وضع أكبر عدد من هذه الأحاديث.

كما يمكن إلحاق الطفل مع أصحابه بمعسكرات الأشبال الصيفية التي تهتم بتعليم أحكام التجويد .

وينبغي في هذه المرحلة أن نستمر في رواية قصص القرآن له ، أو إهدائه أشرطة فيديو ، أو أقراص مضغوطة، بها تسجيل مصوَّر لهذه القصص .

سابعًا: منذ العام الرابع عشر، حتى السادس عشر:

في هذه المرحلة يمكننا أن نناقشه حول فكرة : هل يمكن أن يكون القرآن كلام بشر؟!!

وأن نشجعه على أن يبحث عن المعلومات بنفسه ، ويتعاون مع أصحابه في عمل أبحاث حول إعجاز القرآن في شتى المجالات، وأن يتبادل معهم الأبحاث لتعم الفائدة بينهم، كما يمكن تشجيعهم جميعًا على نشر هذه الأبحاث عبر البريد الإلكتروني، وفي المنتديات المختلفة، ويا حبذا لو كانوا يتقنون اللغات الأجنبية، فعندئذٍ يمكنهم أن يترجمونها إلى هذه اللغات وينشروها أيضًا على شبكة الإنترنت ... ومما يشجعهم على ذلك أن نحيطهم علمًا بالأجر الذي سيحصلون عليه بسبب ما يفعلونه إن كانت النية خالصة لله تعالى .

كما يمكن أن نعقد جلسة أسبوعية تجمعه مع إخوته وأصحابه المقربين لنشرح لهم -في جو هادئ يسوده الود- الهدف من كل سورة من سور القرآن ، مع أسباب نزولها ، ويمكن الاستعانة في ذلك بأحد التفاسير .

وبعد ذلك يمكنهم أن يمارسوا أي نشاط ترفيهي يفضلونه، مع تقديم الحلوى والمرطبات ، لنجعل من هذه الجلسة الأسبوعية شبه احتفال!

ومن خلال هذه الجلسات يمكننا أيضًا أن نوضح لهم معنى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾؟!!

ومن أدلة هذا التيسير أن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يحفظه مئات الألوف من الناس صغارهم، وكبارهم؛ فالتوراة - على سبيل المثال - لم يستطع أن يحفظها سوى أربع: موسى، وهارون، وعُزير ، ويوشع ..حتى أن التوراة حين ضاعت في سَبي بابل لم يستطع كتابتها سوى عُزير !!!.

* * *

كيف نربي أبناءنا تربية صحية؟

الصحة وسيلة من وسائل القوة التي دعا إليها الإسلام لأن «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[1] كما أخبر الرسول ﷺ بذلك.

وقال أيضًا: «إن لجسدك عليك حقًا»[2] (رواه البخاري). والتربية الصحية المستوحاة من منهج الإسلام زاخرة بالتوجهات الحكيمة والنصائح المفيدة وحسبنا أن نشير إلى أهم السلوكيات والعادات الصحية التي ينبغي أن ينشأ عليها الأولاد:

من ذلك:

- **تعويدهم سنة السواك**: لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[3] وقد أثبت الطب الحديث مفعول السواك واحتوائه على كيميائية طبيعية تفيد الأسنان وتقوي اللثة بشكل فعال ولا مانع من إضافة الفرشاة الحديثة مع المعجون..

وعلى المربي أن ينبه ولده أو تلميذه إلى الطريقة المثلى لاستعمال السواك فلا يستعمله داخل المسجد ولا في مجالس العلم ولا في وجوه الناس وإنما يستعمله في المواضع المسنونة عند الوضوء وهو المعنى المقصود في الحديث الشريف: «عند كل صلاة»[4]- وعند تغير رائحة الفم- وعند دخول البيت والقدوم من السفر- ووقت الحاجة إليه.

- **تعويدهم تقليم الأظفار والاهتمام بالنظافة** وذلك من خلال المحافظة على الوضوء والاغتسال ورعاية السنن الإسلامية لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «خمس من الفطرة» وذكر منها: و«تقليم الأظفار»[5]

- **غرس الآداب النبوية فيهم**: فيعودهم آباؤهم ومربوهم على الاعتدال في الطعام

---

(١) صحيح: مسلم (٢٦٦٤).

(٢) صحيح: البخارى (١٩٧٥).

(٣) صحيح: البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) صحيح: أبو داود (٤١٩٨) والترمذي (٢٧٥٦) وغيرهما

لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(١).

- ويعودهم على آداب الشراب وهو التنفس خارج الإناء ثلاثًا لما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: «كان يتنفس إذا شرب ثلاثًا»(٢) وزاد الترمذي: «إنه أروأ وأبرأ وأمرأ»(٣).

- ويعودهم النوم على الشق الأيمن وقد روى البخاري ومسلم وصية الرسول ﷺ لأحد الصحابة: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن»(٤) ويذكرهم الأدعية الواردة في ذلك من آية الكرسي والمعوذات.

- تعويدهم النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر:

وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم: «إياكم والسمر بعد هدأة الليل فإنكم لا تدرون ما يأتي الله من خلقه»(٥).

وقد جاء في كتاب «زاد المعاد» لابن القيم قول ابن عباس عندما رأى ابنًا له نائمًا نومة الصبحة فقال له: «قم أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق».

* * *

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩).

(٢) البخاري (٥٦٣١) ومسلم (٢٠٢٨).

(٣) الترمذي (١٩٦٢).

(٤) صحيح: البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠).

(٥) حسن: صحيح الأدب المفردة (٩٣٨).

الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وعلاجها

كثيرًا ما يشتكي بعض الآباء والأمهات من جنوح أبنائهم ووقوعهم في المعاصي والدنايا وميلهم إلى الانحراف وعدم طاعة الوالدين والتمرد على القيم والأخلاق ورفض العادات الحسنة التي كان عليها آباؤهم.

والواقع أن هناك أسبابًا تدفع أمثال هؤلاء الأبناء للانحراف ومن أهم ذلك:

١- الفقر الذي يخيم على بعض البيوت إذ تدفع حاجة الأولاد الذين لا يجدون ما عليه أقرانهم وأصدقاؤهم من نعمة وغنى فيلجأون إلى البحث عن احتياجاتهم من خارج البيت إما عن طريق السرقة أو صحبة الأشرار فيقعون في طريق الانحراف.

والإسلام بتشريعه العادل قد عالج هذه المشكلة ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء ورسم للمجتمع الإسلامي مناهج عملية للقضاء على الفقر نهائيا كتأمين سبل العمل لكل مواطن وإعطاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز وسن قوانين للتعويض العائلي لكل أب له أسرة وأولاد وأمر برعاية اليتامى والأرامل والشيوخ بشكل يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية ويبعدهم عن أسباب الانحراف والتفكير فيه.

٢- إهمال النفقة على الأولاد أو التقتير عليهم وهذا من شأنه أن يدفع بالأولاد إلى استكمال هذا النقص لمحاكاة الآخرين فيلجأون إلى أسهل الطرق في تحصيل مرادهم وهو العدوان على غيرهم وارتكاب الجرائم والمخالفات في سبيل ذلك وهذا ما يسمى بجنوح الأولاد. والإسلام بأسلوبه الحكيم قد حذر أشد التحذير من تضييع الرجل من يعول لقول الرسول ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» في الحديث الذي رواه أبو داود[1].

٣- النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات أمام الأولاد ولا شك أن هذا الأمر مذموم شرعًا وعقلًا وعرفًا والفتنة نائمة تستيقظ بالإشاعة والإذاعة وفي الحديث الشريف: «كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع»[2].

---

(١) حسن: ابوداود (١٦٩٢).

(٢) صحيح: ابوداود (٤٩٩٢).

وقد نبه الإسلام إلى خطورة إشاعة مقالة السوء فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤- حالات الطلاق وما يصاحبها من ضياع الحقوق إذ أن الطلاق لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة وإذا توفرت الأسباب الداعية إليه وقد أساء البعض استخدام حق الطلاق حتى كثرت حالات المطلقات من النساء الأمر الذي يؤدي إلى تشرد الأبناء ووقوعهم في أوحال الرذيلة والجريمة.

والإسلام بمنهجه المتميز والفريد قد دعا إلى حسن العلاقة الزوجية وجعل المعاملة الحسنة السبيل الأمثل لاستقرار الأسرة وسعادتها لقول الرسول ﷺ: «خَيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

٥- الفراغ الذي يتحكم في الأطفال والمراهقين وهو سبب مهم في زيغ الأبناء وانحرافهم والطفل من طبيعته يحب اللهو واللعب فإذا لم تهيأ له فرصة اللهو المباح واللعب البريء فإنه في الغالب سيبحث عن بدائل أخرى وربما لا يجد هذه البدائل إلا عند رفقاء السوء الذين سيقعون به حتمًا إلى الانحراف والفساد.

والإسلام قد وجه إلى معالجة هذا الأمر في حياة الناشئين والناس فقال ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك»[١] .

٦- الخلطة الفاسدة ورفقاء السوء وهو عامل خطير في هدم أخلاق الناشئين وإفسادهم ويتحمل الوالدان المسؤولية الكبرى في ترك أبنائهم يصاحبون رفقاء الشر إذ من مسؤولية الأبوين اختيار الرفقة الصالحة لأبنائهم ليكتسبوا منهم كل خلق كريم وأدب رفيع. قال الله تعالى: محذرًا من رفقاء السوء: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقال ﷺ : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك أو تشتري منه أو تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن

(١) صحيح : صحيح الجامع (١٠٧٧) .

يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا منتنة»[١].

٧- ومن أسباب انحراف الأولاد سوء معاملة الأبوين للولد فينال منهما القسوة والتحقير والازدراء والسخرية ولهذه المعاملة الأثر السيئ على نفسية الولد وعلى سلوكه وتصرفاته مما قد ينشأ عنده ردود فعل تكون عواقبها وخيمة.

والإسلام بمنهجه الحكيم يدعو المربين ولا سيما الآباء والأمهات إلى أن يتحلوا بالأخلاق العالية والمعاملة الحسنة التي تفيض بالرحمة والشفقة والحنان حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية وبالتالي حتى يشعروا بكرامتهم واحترامهم عند آبائهم.

من حسن معاملة الأولاد مخاطبتهم بأطيب الكلام وملاطفتهم في الحديث. ومن حسن معاملتهم غرس الثقة في نفوسهم وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن رغباتهم وطموحاتهم وإشعارهم بأهميتهم كأعضاء صالحين في دائرة الأسرة والمجتمع.

* * *

(١) صحيح : البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨) .

كيف نحصن أبناءنا من الانحرافات الخلقية؟

من أخطر الانحرافات الخلقية عند المراهقين والشباب وقوعهم في رذيلة الزنا واللواط وقد أجمع الفقهاء على حرمة هاتين الفاحشتين تحريمًا قطعيًا وذلك للأدلة الشرعية الصريحة من الكتاب والسنة. أما دليل الكتاب فيما يتعلق بحرمة الزنا فلقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

ومن السنة: يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(١).

وفيما يتعلق بحرمة اللواط يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

ويقول الرسول ﷺ: «ملعون من عمِل عمل قوم لوط، ملعون من عمِل عمل قوم لوط، ملعون من عمِل عمل قوم لوط، ولخطورة»(٢) هذه الجرائم في الإسلام فقد جاءت عقوبة الزنى مائة جلدة مع التغريب للزاني غير المحصن أما الزاني المحصن فعقوبته الرجم حتى الموت.

أما عقوبة اللوطي فقد أجمع العلماء على أن اللواط زنى واختلفوا في تحديد العقوبة فجمهور الفقهاء والمجتهدين ذهبوا إلى قتل الفاعل والمفعول به ويرى آخرون أن حد الفاعل هو حد الزنى، وحكمة الإسلام ظاهرة في اتخاذ هذا الموقف المتشدد من هاتين الفاحشتين.

فالزنى واللواط لهما أضرار صحية وجسمية ونفسية واجتماعية من ذلك: يسبب الزنى واللواط مرض الزهري ومرض السيلان والأمراض المعدية الفتاكة ويؤدي الزنى إلى اختلاط الأنساب وكثرة أبناء الحرام وضياع النسل وفصم أواصر الزوجية وتفكك وحدة الأسرة والانطلاق في حمأة الرذيلة والفساد وقتل الشهامة والمروءة وفقدان الرجولة

---

(١) صحيح: البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

(٢) صحيح لغيره: صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦).

والكرامة.

وعلاج ظاهرة الزنى واللواط إنما تتم من خلال التربية الصحيحة التي تقوم على أساس الإيمان والأخلاق وتيسير سبل الزواج المبكر للشباب والبعد بهم عن مهيجات الشهوة من تبرج واختلاط.

حكم اللعب بالميسر واليانصيب:

ويدخل من ضمن المحرمات اللعب بالميسر واليانصيب لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

فقد نهى الله عن لعب الميسر وما شابهه من اليانصيب لأنه يؤدي للقمار والحكمة في تحريم هذا النوع من اللهو لأنه يؤدي إلى إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن سبيل الله وعن الصلاة كما يورث الشجار بين اللاعبين. وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك أشد تحذير فقال: «من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه»[1].

* * *

(١) صحيح: أبو داود (٤٩٣٩) وابن ماجه (٣٧٦٣).

الأولاد.. والعادات الخاطئة

من الأمراض المتفشية عند بعض الأولاد البالغين والمراهقين ظاهرة العادة السرية.. وهي سلوك خاطئ ومضر وأكثر ما تنتشر هذه العادة في الوسط المليء بالفتن والاختلاط والتبرج وخروج النساء سافرات في الطرقات والمنتزهات وأماكن العمل وتساهم المجلات الخليعة والأفلام الهابطة والقصص الغرامية في إثارة الشباب وتهييج الناحية الجنسية لديهم مما يلجئهم إلى إشباع شهواتهم عن طريق الحرام أو العادة السرية. ولخطورة استعمال العادة السرية فقد أكد العلماء والأطباء أنها تسبب أضرارا جسمية وجنسية وعقلية على صحة الإنسان.

من الأضرار الجسمية: إنهاك في القوى- ونحول في الجسم وارتعاش بالأطراف وخفقان بالقلب- وضعف بالبصر والذاكرة وإخلال بالجهاز الهضمي وإصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي إلى السل في أغلب الأحيان وقد تؤثر على الدورة الدموية في الجسم وتسبب فقر الدم.

ومن الأمراض الجنسية مرض العنة وهو عدم قدرة الشباب على الزواج. ومن الأمراض النفسية والعقلية: الذهول والنسيان وضعف الإرادة وضعف الذاكرة والميل إلى العزلة وكثرة الخجل والشعور بالخوف والكسل والكآبة والحزن والتفكير بارتكاب الجرائم والانتحار.

وقد استدل العلماء على حرمة ممارسة العادة السرية بقول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ كل تفريغ للشهوة عن غير طريق الزواج وملك اليمين كالزنى واللواط والاستمناء باليد (العادة السرية)، والعلاج الناجح في استئصال هذه الظاهرة هو الشروع في الزواج المبكر وتيسير أسبابه فإن لم يتيسر مبكرًا فيوجه الأبناء إلى صوم النفل للحديث المتفق عليه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع

فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[1](أي قاطع للشهوة).

ومن تمام العلاج إبعاد الأولاد عن المثيرات الجنسية وملء فراغهم بما ينفع وإيجاد الصحبة الصالحة لهم والحرص على ممارسة الأنشطة الثقافية والرياضية وتوجيههم لرحلات الحج والعمرة وتشجيعهم على ممارسة الهوايات النافعة.

تحصين الأبناء من خطر المخدرات

ظاهرة انتشار المسكرات والمخدرات بين الصغار والشباب والكبار ظاهرة خطيرة تنذر بشر كبير وهي تنتشر في الوسط الذي لا يهتم بالدين ولا بالأخلاق الإسلامية وأكثر من يتعرض لها الأولاد المشردون والعاقون لآبائهم وأمهاتهم والمبتلون برفقة السوء والذين فقدوا الرقابة والإشراف من أهليهم.

والمتعاطون للمخدرات والمسكرات واقعون في الإثم والمعصية لأن خطر هذه السموم على النفس والمجتمع واضح وبين وكل ما من شأنه الضرر بصحة الإنسان كان محرما في دين الله..

وقد أثبت الطب ضرر هذه السموم فهي: تسبب الجنون والأمراض العصبية والمعوية والمعدية وتشل حدة الفكر والذهن وتحدث آلامًا في الجهاز الهضمي وتفقد الشهية في الطعام وتسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي وتؤدي إلى تصلب الأنسجة والشرايين فضلًا عن الخسائر المادية التي يترتب عليها إفلاس المدمنين وخراب بيوتهم.

والدليل على حرمة هذه السموم من خمر ومخدرات بمختلف أنواعها ومسمياتها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

وأما السنة فيقول الرسول ﷺ في تحريم الخمر في الحديث الذي رواه أبو داود: «لعن

---

(١) تقدم تخريجه .

الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»[١].

وتحريم كل أنواع المخدرات يندرج في عموم قول الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

وفي السنة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر[٢].

والمنهج السليم للتخلص من ظاهرة انتشار المسكرات والمخدرات إنما يكون بمنع تداول هذه السموم وتجفيف أوكار بيعها وسن القوانين الصارمة للمخالفين وتوقيع العقوبات الزاجرة لمرتكبيها وتوجيه الأولاد لاستغلال أوقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع وتربيتهم التربية الصالحة القائمة على الدين والأخلاق لينالوا الحصانة التامة من هذه السموم.

الأبناء والعقوبات الهادفة

العقوبة في مفهوم التربية الإسلامية عقوبة هادفة وموجهه فليس المقصود منها الانتقام من المخطئ أو إلحاق الضرر به أو إقامة الحد عليه كما أنها ليست هي الوسيلة الوحيدة في تقويم اعوجاج الأبناء.. العقوبة وسيلة واحدة من وسائل التربية الإسلامية المتعددة وهي تستهدف خير الأبناء وصلاحهم وتكون مشفوعة بالرحمة والشفقة ومنضبطة بضوابط مشروعة لا تنفصل عنها وهي في حالة التطبيق تأخذ شكل التدرج والبدء بالعقوبة الأخف فالأشد. ومن هذه العقوبات:

١- **النصح والإرشاد والتنبيه** وقد مارس الرسول ﷺ هذا الأسلوب تجاه أحد الأبناء المخالفين فقد رأى الرسول ﷺ غلاما تطيش يده في الطعام فقال له يعلمه طريقة الأكل: «يا غلام سم الله تعالى وكل بيمينك وكل مما يليك »[٣] متفق عليه.

---

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٧٤) وابن ماجه (٣٣٨٠).

(٢) ضعيف: أبو داود (٣٦٨٦) ، والصحيح بدون لفظ: «ومغز»

(٣) البخارى: (٥٣٧٦ومسلم(٢٠٢٢).

٢- الإعراض: جاء في صحيح الجامع: كان رسول الله ﷺ إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة[١].

٣- التعبيس: قد يفيد بعض النفوس فيردعها عن أخطائها.

٤- الزجر: ومثاله زجر الرسول ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه بقوله: «كخ كخ أرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»[٢].

٥ - الكف عن العمل: فقد طلب الرسول المربي ﷺ من الشخص الذي تجشأ في حضرته قائلا له: «كف عنا جشاءك»[٣].

٦ - الهجر: إذا احتاج إليه المربي كأن يترك الولد الصلاة أو تصدر منه بعض الكلمات المخلة بالآداب وأكثر الهجر ثلاثة أيام لحديث الرسول ﷺ الوارد في صحيح الجامع: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٤].

٧ - التوبيخ وهو عبارة عن شدة في القول يفعله المربي لمن لا يقبل النصح.

٨ - تعليق العصا يستحب للمربي أبًا كان أو مدرسا أن يعلق السوط على الجدار ليراه الأولاد فينزجروا لقول الرسول ﷺ فيما ورد في صحيح الجامع: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم»[٥].

قال العلماء لم يرد به الضرب لأنه لم يأمر بذلك أحدًا وإنما أراد لا ترفع أدبك عنهم.

ولتنويع هذه الأساليب في العقوبة حكمة تتناسب مع اختلاف النفوس وتنوعها فنفس ينفع معها النصح ولا يجدي معها الزجر وأخرى يردعها الزجر ولا تقبل الهجر ونفس لا تنصاع للحق وترعوي عن الشر إلا بالتخويف والترهيب والضرب.. وهكذا الناس مشارب مختلفة.. وكل ميسر لما خلق له.

---

(١) (٤٦٧٥).

(٢) صحيح: البخارى (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩).

(٣) حسن: الترمذي (٢٤٧٨) وابن ماجه (٣٣٥٠).

(٤) صحيح: أبو داود (٤٩١٤) والترمذي (١٩٣٢).

(٥) (٤٠٢١).

عقوبة الضرب بين المؤيدين و المعارضين

التربويون على اختلاف شديد في مسألة عقوبة الضرب فهم بين الإفراط والتفريط بين المانعين للضرب والمعارضين له وبين الآخذين به على الإطلاق.

والمنهج التربوي الإسلامي وسط بين هؤلاء وهؤلاء فهو لا يقر ضرب الأولاد إلا في حدود ضيقة وبضوابط معلومة ويعطي المربي حق استخدام هذا الأسلوب عندما لا يغني غيره من الأساليب.

قال علماء التربية في الإسلام: يجوز للمربي أن يضرب ضربًا خفيفا إذ لم تنفع الوسائل الأخرى وذلك بعد سن العاشرة إذ لا ضرب للطفل قبل العاشرة قياسًا على الحديث الصحيح الذي رواه البزار: «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعًا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرًا وفرقوا بينهم في المضاجع»(١).

وللضرب في الإسلام ضوابط من ذلك:

١- استنفاذ الوسائل التربوية قبله من نصح وتوجيه وتعبيس وزجر وهجر وتوبيخ.

٢- أن يكون الضرب مساويًا للعقوبة.

٣- أن لا يزيد المربي في ضربه عن عشر ضربات.

لما ورد في البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله»(٢).

٤- ويجب في السوط كما يقول العلماء:

أ- أن يكون معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا.

ب- وأن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطبًا يشق الجلد لثقله ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته.

ج- ولا يتعين لذلك نوع بل يجوز بسوط وبعود وخشبة ونعل وطرف ثوب بعد فتله

---

(١) حسن: أبو داود (٤٩٥).

(٢) صحيح: البخاري (٦٨٤٨).

حتى يشتد.

٥- وقال العلماء في طريقة الضرب:

أ- أن يكون مفرقًا لا مجموعًا في محل واحد.

ب- أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول.

ج- أن يرفع الضارب ذراعه لينقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه فلا يرفعه أكثر من ذلك لئلا يعظم ألمه.

٦- أن يتقي المربي والأب ضرب الوجه والفرج والرأس والمقتل. وفي الحديث الذي رواه أبو داود إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه[١].

وأجمع أهل العلم أن أفضل مكان للضرب اليدان والرجلان.

٧- أن يتجنب الغضب عند الضرب للحديث الذي رواه الجماعة لا يقضين حاكم بين اثنين وهو غضبان[٢].

٨- أوصى العلماء عند الضرب بالابتعاد عن بذاءة اللسان في السب والشتم وتقبيح الولد كقول من يقول يا قرد- يا كلب.

٩- وعلى المربي أن يطيل النظر في شأن الولد قبل الإقدام على الضرب فلعل حالة التقصير والعناد عنده ناشئة من مرض عضوي أو مرض نفسي أو خطأ غير متعمد أو لعله واقع تحت تأثير سحر أو مس أو حسد أو عين.. ولكل حالة من هذه ما يناسبها من علاج.

* * *

---

(١) صحيح: ابو داود (٤٤٩٣).

(٢) صحيح: صحيح الجامع (٧٧٥٦).

أطفال المسلمين كيف رباهم الرسول ﷺ[١] ؟

أخي المربي يقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]

إن قدوتنا هو رسول الله ﷺ ، وقد كان عليه السلام أفضل مربي ، وقد خرج أجيالًا لم يعرف التأريخ مثلهم ، فها هو:

١- النبى ﷺ يدعو للأبناء وهم في أصلاب آبائهم:

لما أذى النبى من أهل الطائف ورموه بالحجارة عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين بمكة) عندها قال النبي المشفق الرحيم: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا »[٢] كذلك يرشدنا لما فيه صلاح الابن فى المستقبل حيث تكون البداية ربانية لا شيطانية حيث قال ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، يولد بينهما ولد فلا يصيبه الشيطان أبدا»[٣] .

ولقد أمرنا الله باختيار الصالحين والصالحات عند الزواج لتنشئة جيل صالح لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٢- ويدعو لهم وهم نطفة في رحم الأمهات:

لقد دعا دلأبي طلحة وزوجه فقال : « بارك الله لكما في ليلتكما »[٤] .

* ومن مظاهر عناية الإسلام بالطفل وهو في رحم أمه ما أمر به السلام من النفقة للمرأة المطلقة ثلاثا إذا كانت حاملًا وهذه النفقة لأجل جنينها وليست لأجلها حيث قد سقطت نفقتها بطلاقها ثلاثًا.

---

(١) بتصرف من كتاب أطفال المسلمين كيف رباهم الرسول؟ للأستاذ : جمال عبد الرحمن .

(٢) صحيح: البخارى (٣٢٣١) مسلم (١٧٩٥) .

(٣) صحيح: البخارى (١٤١) ومسلم (١٤٣٤) .

(٤) صحيح: البخارى (١٣٠١) ومسلم (٢١٤٤) .

* ومن العناية به وقايته مما قد يؤثر على صحته وهو في رحم أمه ولذا أبيح للحامل إذا خافت على جنينها أن تفطر في رمضان كالمريض والمسافر، ومن العناية بالطفل وهو في رحم أمه تأجيل العقوبة التي تستحقها إذا كان ذلك سوف يؤثر على الولد أو يقضى عليه مثل قصة جهينة وقصة المرأة الغامدية.

٣- ويعلمنا ﷺ اذكارًا لنزول أحدهم بالسلامة من رحم أمه:

إن لحظات الولادة من أشق اللحظات على الأم وجنينها لما فيها من المشقة والكرب وتكون الأم مكروبة فيها كربًا عظيمًا وقد علمنا الرسول ﷺ دعاء يقال في هذه الحالات حيث قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت(١).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس:٣].

٤- ويبين ﷺ منزلته عند الله إذا سقط من بطن أمه قبل تمامه:

لقد ورد بشأن السقط أحاديث تسر السامعين فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته»(٢) أي صبرت على فقده. رواه أحمد وابن ماجه .

٥- وبعد ولادتهم يؤذن في الأذن اليمنى للطفل:

عن أبى رافع قال: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة. وقال ابن القيم رحمه الله : وسر التأذين والإقامة أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام

---

(١) صحيح: أبو داود (٥٠٩٠) .

(٢) صحيح: ابن ماجه (١٦٠٩) .

ومعروف أن الشيطان يفر ويهرب من سماع كلمات الأذان فيسمع شيطانه ما يغيظه في أول لحظات حياته.

٦ - الإسلام يعد الأولاد من البشريات :

إن الأولاد نعمة من الله سبحانه وتعالى يهبها لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء ولما كانت هذه النعمة تسر الوالدين بشرت الملائكة بهم رسل الله من البشر وزوجاتهم قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم:٧] - وقال عن امرأة ابراهيم الخليل ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١] ولهذا ذم الله تعالى من تبرم من الأنثى واستقلها لأنه تعالى هو الذي وهبها كما وهب الذكر والحياة لا تستمر إلا بالذكر والأنثى معا فقال تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:٥٩].

٧- والنبي ﷺ يحنك المولود بالتمر ويدعو له ويبرك عليه :

والتحنيك هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به يصنع ذلك بالصبي ليتمرن على الأكل ويقوى عليه والمقصود من التحنيك أن يطمئن الطفل ويجعله آمنًا على استمرار غذائه والعناية به وبخاصة تحنيكه بالتمر الذي ترتفع فيه نسبة الحلاوة التي يتلذذ بها الطفل وفيه كذلك تمرين على استعمال وسيلة غذائه الجديدة وهى المص بالفم ليألفها.

* عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِاللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ قَالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ قُبَاءَ فَوَلَدْتُ بِقُبَاءٍ ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرَةِ ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَّكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ فَفَرِحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلَا يُولَدُ لَكُمْ(١)

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم(٢) . رواه مسلم.

---

(١) صحيح: البخاري (٥٤٦٩) ومسلم (٢١٤٦) .

(٢) صحيح: مسلم (٢٨٦) .

٨- ويرشد النبى محمد ﷺ الأبوين إلى تحصينه بالذكر من الآفات وشكر الله تعالى على موهبته:

لا شك أن الدعاء مجلبة لكل خير وفيه شكر الرحمن الذي يزيد من شكره قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] .

٩- ويقسم ﷺ للمولود ميراثه بمجرد ولادته:

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَرِثُ الصَّبِيُّ حَتَّى يَسْتَهِلَّ صَارِخًا»[١] قَالَ وَاسْتِهْلَالُهُ أَنْ يَبْكِيَ وَيَصِيحَ أَوْ يَعْطِسَ .

١٠- ويأمر بإخراج الزكاة عنه بمجرد الولادة أيضًا:

فعن ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ أَوْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[٢] .

١١- ويرحم ﷺ طفولته ولو كان ولد زنا:

من رحمة النبي بالطفل وحرصه على أن يشب راضعًا من ثدي أمه أنه لما جاءته المرأة الغامدية التي زنت ردها حتى تلد فلما وضعت ردها حتى ترضع طفلها ثم جاءت بالطفل بيده كسرة خبز دليلًا على فطامه فأقام ﷺ عليها الحد (الحديث رواه مسلم) والناظر في هذا الحديث يرى أمورًا عجيبة:

- لم يأمرها النبي أن تسقط هذا الحمل من الزنا بل على العكس أمرها أن تذهب حتى تلد.
- فلما ولدت أمرها أن تذهب حتى تفطمه فأرضعته ثم فطمته وقد أكل الخبز.
- أن النبي دفع بالصبي إلى أحد المسلمين ليقوم على رعايته وتربيته.

تلك رحمة نبي الرحمة على ولد الزنا من الضياع فما ذنبه أن يتحمل آثار جريمة غيره؟!!

١٢- ويحتفل بالأطفال فى صغرهم فيوصي بالعقيقة عنهم:

وللعقيقة فوائد كثيرة كما ذكر العلماء منهم ابن القيم فهي قربان من الله تعالى وفيها الكرم والتغلب على الشح وفيها إطعام الطعام وهو من القربات وهى تفك ارتهان المولود عن

---

(١) صحيح: ابن ماجه (٢٧٥١).

(٢) صحيح: البخاري (١٥٠٣) ومسلم (٩٨٤) .

عدم الشفاعة لوالديه أو شفاعة والديه له ومنها أنها ترسيخ للسنن الشرعية ومحاربة خرافات الجاهلية وفيها إشاعة نسب المولود وغيره.

* فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّى»(١) .

* وعن أم كُرْزٍ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ : «عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ وَعَنِ الْأُنْثَى وَاحِدَةٌ وَلَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَانًا كُنَّ أَمْ إِنَاثًا»(٢) .

١٣- يغير ﷺ عادات الجاهلية في الاحتفال بهم :

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِنَا غُلَامٌ ذَبَحَ شَاةً وَلَطَخَ رَأْسَهُ بِدَمِهَا فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ كُنَّا نَذْبَحُ شَاةً وَنَحْلِقُ رَأْسَهُ وَنُلَطِّخُهُ بِزَعْفَرَانٍ

١٤- ويسميهم بأحسن الأسماء :

إن الله جميل يحب الجمال ، ومن الجمال العناية باسم المولود ، وقد عني ﷺ بذلك وكان يحث على التسمية الجميلة ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وأصدقها : حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة»(٣) .

١٥- وينهي عن تسميتهم بأسماء قبيحة و غير جائزة شرعًا :

فعن سمرة بن جندب أن النبي ﷺ قال : «لا تسم غلامك أفلح ولا نجيحًا ولا يسارًا ولا رباحًا فإنك إذا قلت أثم هو أو أثم فلان قالوا: لا»(٤) .

١٦- يأمر ﷺ بحلق رأس الطفل يوم سابعه وتنظيفه وإزالة الأذي عنه:

فعن علي بن أبي طالب قال : عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال : «يا فاطمة

---

(١) صحيح: ابو داود (٢٨٣٨) والترمذي (١٥٢٢) وابن ماجه (٣١٦٥) .
(٢) صحيح: أبو داود (٢٨٣٥) والترمذي (١٥١٣) .
(٣) صحيح: أبو داود (٤٩٥٠) .
(٤) صحيح: أبو داود (٤٩٥٨) والترمذي (٢٨٣٦) .

احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة» قال فوزنته فكان وزنه درهمًا أو بعض[١] .

ففي حلق رأسه إيذانًا بالعناية بطهارته وحرصًا على سلامته ،

١٧- وينهي عن تشويه الرأس بحلق بعضه وترك بعضه (القزع) :

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن القزع . قال : قلت وما القزع ؟ قال : «يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعض»[٢] .

١٨- ويداعب الصبي بلسانه وفمه :

عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئًا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال: «أين لكاع» ادعوا لي لكاعًا «فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته فأدخل فمه في فمه ثم قال : «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[٣] ثلاثًا قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني .

ولَكَاعِ ولُكَع هو الصغير قليل الجسم . وتطلق أيضًا على قليل العلم الغبي الأحمق .

١٩- ويكني أهل الطفل باسمه :

عن أبي شريح أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال : «إن الله هو الحكم وإليه الحكم» فلم تكنى أبا الحكم فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله ﷺ : «ما أحسن هذا فما لك من الولد» قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال : «فمن أكبرهم ؟» قلت شريح قال : «فأنت أبو شريح» [٤]

٢٠- ويهتم بختان الطفل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط»[٥] رواه البخاري .

---

(١) حسن : الترمذي (١٥١٩) .

(٢) صحيح: ابن ماجه (٣٦٣٧) .

(٣) صحيح: البخاري (٥٨٨٤) ومسلم (٢٤٢١) .

(٤) صحيح: أبو داود (٤٩٥٥) .

(٥) صحيح: البخاري (٥٨٨٩) .

٢١- ويجلسهم على حجره وفخذه ويشفق على مرضاهم :

عن أم كرز الخزاعية قالت أتي النبي ﷺ بغلام فبال عليه فأمر به فنضح وأتي بجارية فبالت عليه فأمر به فغسل .[١]

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»[٢] .

٢٢- ويبشرهم ﷺ بالجنة إذا ماتوا صغاراً:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: «أوَ غير ذلك يا عائشة؟ إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[٣] .

وقال الله ﷺ : «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...» إلى أن قال: «قالا: انطلق، فانطلقتُ، فإذا روضة خضراء، وإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان» إلى أن قال: «إنكما طوفتماني منذ الليلة، فأخبِراني عما رأيت. قالا: نعم ... قال: وأما الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام، وأما الصبيان الذين رأيتَ فأولاد الناس»[٤] .

٢٣- ويبشّر بشفاعتهم لأبويهم إذا صبروا على فقْدِهِم:

عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: «نعم: صغارهم دعاميص الجنة - صغار أهل الجنة- يتلقَّى أحدهم أباه، أو قال: أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بِصَنِفَةِ - طرف - ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي - فلا يتركه - حتى يُدخِله الله وإيَّاه

---

(١)صحيح: ابن ماجه (٥٢٧) .

(٢) صحيح: البخاري (٦٠٠٣) .

(٣) صحيح: مسلم (٢٦٦٢) .

(٤)صحيح: البخاري (١٣٨٦) ومسلم (٢٤٨٤) .

الجنة»[١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، وقال: يقال لهم: ادخلوا الجنة، قال فيقولون: حتى يجيء أبوانا، قال: ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»[٢].

٢٤- وكان ﷺ يرحم بكاء الطفل في الصلاة فيخففها، ويحث أئمة المساجد على تخفيف الصلاة لأجلهم:

عن أنس رضي الله عنه قال: ما صليت وراء إمام قَط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف عنه مخافة أن تُفتَن أمهُ[٣] . ويؤكد ذلك بنفسه فيقول: «إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائه»[٤].

٢٥- ويناديهم ﷺ بكنيتهم تكريمًا لهم:

يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه فطيمًا، وكان إذا جاء – أي النبي- قال: يا أبا عمير... إن النداء للطفل بكنيته يرفع معنوياته، ويجعله أشد حبًا لمعلمه ومربيه، وكلما كانت العلاقة بين الطفل ومؤدبه حسنة كانت النتائج إيجابية وسريعة وعظيمة، فلنقتد بخير الخلق محمد ﷺ .

٢٦- ويُحسن النداء ﷺ للصغار حتى من الخدم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: عبدي، وأَمَتي كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، وليقل: غلامي، وجاريتي، وفتاي، وفتاتي»[٥] .

٢٧- ويَحمِلُهم ﷺ في صلاته:

عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء

---

(١) صحيح: مسلم (٢٦٣٥).
(٢) صحيح: البخاري (١٢٤٨).
(٣) صحيح: البخاري (٧٠٨) ومسلم (٤٧٠).
(٤) صحيح: البخاري (٧٠٧)
(٥) صحيح: مسلم (٢٢٤٩).

وهو حامل حسنًا أو حسينًا، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبّر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعتُ إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر وأنه يوحَى إليك، قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(١).

وعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل لأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها(٢).

٢٨- ويأمر ﷺ بتلقين الطفل كلمة التوحيد:

عن جندب بن عبد الله قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»(٣).

فعلمهم النبي ﷺ الإيمان قبل أن يعلمهم القرآن، والإيمان كما بالحديث: «بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٤).

٢٩- ويقطع ﷺ خطبته ويترك منبره ليرحم عثرتهم:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»(٥). صلى الله عليك يا رسول الله.

---

(١) صحيح: النسائي (٢/٢٢٩).

(٢) صحيح: البخاري (٥١٦) ومسلم (٥٤٣).

(٣) صحيح: ابن ماجه (٦١).

(٤) صحيح: البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٥) صحيح: أبو داود (١١٠٩) والترمذي (٣٧٧٤).

٣٠- ويهتم ﷺ بتهذيب مظهرهم وحلاقتهم:

عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ رأى صبيًا قد حُلق بعض شعر رأسه وتُرك بعضه، فنهاهم عند ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»[1].

إن رسولنا ﷺ لا يحب تشويه منظر الطفل، ولا تشبيه مظهره بمظهر أبناء الكفار، ولا أن يكون حبنًا لأطفالنا دافعًا لنا أن نفعل فيهم الأفاعيل، وإنما أراد لأبناء المسلمين أن يكون لهم مظهرٌ مميز وشخصية مستقلة، غير مقلدة ولا محاكية لشخصيات غير مسلمة كما يُرى في واقع كثير من الناس اليوم إلا من عافاه الله.

٣١- ويشرف بنفسه ﷺ على حلاقتهم:

عن عبد الله بن جعفر- رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم - يعني بعد موته - ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم» يريد إنهاء الحِدَاد عليه، ثم قال: «ادعوا لي بني أخي». فجيء بنا كأنا أفرخ، فقال: «ادعوا لي الحلاق». فأمره فحلق رءوسنا[2].

وهذا فيه هَدْيٌ وإرشاد للآباء أن يُشرفوا بأنفسهم على حلاقة أبنائهم، ويقرروا متى يحلقونه ومتى يتركونه، ولا يتركوا للأبناء الحرية في ذلك، فربما قلدوا أصحاب القُصة وصنعوا مثل أرباب الشوشة!! وتركوا هَدْي المصطفى ﷺ.

٣٢- ويحملهم ﷺ على عاتقه وعلى دابته:

عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسين على عاتقه وهو يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه»[3].

وعن عبد الله بن جعفر أيضًا قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته، قال: وإنه جاء من سفر فسُبِقَ بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما فأردفه خلفه، قال: فأُدخلنا المدينة ثلاثة على دابة[4].

---

(١) صحيح: ابو داود (٤١٩٥).

(٢) صحيح: ابو داود (٤١٩٢).

(٣) صحيح: الترمذي (٣٧٨٣) وابن ماجه (١٤٢).

(٤) صحيح: مسلم (٢٤٢٨).

وحمل ﷺ الحسن والحسين على عاتقيه (كتفيه)، وقال: «نِعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما»[١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ، فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي ﷺ: «ونِعم الفارسان»[٢].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين أو أحدهما، فركب على ظهره، فكان إذا سجد رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما وقال: «نِعم المطية مطيتكما»[٣]

إنه التواضع من سيد البشر، والاهتمام بالنشء لبناء شخصيتهم وربطهم بمعلِّمهم الأعظم وقُدوتهم الأكرم؛ محمد ﷺ.

٣٣- ويبحث عنهم ﷺ إذا فقدهم:

إن الأطفال نعمة من الله سبحانه وتعالى، والذي يعيش مع هذه النعمة ويحس بها ويرى أثرها يجد نفسه في لهفة لرؤية الأطفال ومداعبتهم، والبحث عنهم عند فقدهم، وهكذا كان سيد ولد آدم؛ محمد ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئًا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى (أي جلس على مقعدته وهو يشبِّك ذراعيه حول ركبتيه) في المسجد، وقال: «أين لَكَاع؟ ادعوا لي لكاع»، فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته، فأدخل ﷺ فمه في فمه، ثم قال: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[٤] (ثلاثًا).

قال أبو هريرة: ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني.

ولَكَاع وَلُكَع هو الصغير قليل الجسم، وتطلق على قليل العلم الغبي الأحمق.

٣٤- ويعلمهم أدب اللباس:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين – أي

---

(١) صحيح: ابن ماجه (١١٨).

(٢) «المجمع» (٩/١٨٢) فقال الهيثمي: رواه أبو يعلى «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

(٣) حسن: الطبراني في «الاوسط» (٣٩٨٧).

(٤) تقدم تخريجه.

مصبوغين لون أصفر – فقال : «أمك أمرتك بهذا ؟» قلت أغسلهما ؟

قال : «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»(١) رواه مسلم

٣٥- ويرحمهم بالبشاشة والقبلة ويرغب الآباء في رحمتهم:

عن أبي هريرة قال : قَبَّل النبي ﷺ الحسن والحسين وعنده الأقرع بن حابس فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا ، فقال النبي ﷺ : «من لا يرحم لا يرحم»(٢) .

٣٦- ويؤكد على الصدق معهم وعدم الكذب عليهم:

عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال ﷺ : «ما أردت أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: «أمَا إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبت عليك كذبة»(٣).

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم، فلا يجوز خداعهم بأي حال. قال أبو الطيب: وفي الحديث أن ما يتفوَّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلًا بكلمات هزلًا أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب.

كذلك يراعى الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، وينبغي ألا يدخل الكذب في هذا كله.

٣٧- ويترك للصغير فرصة يتلَهَّى معه ﷺ :

ربما يمزح الطفل الصغير مع الرجل الكبير، وربما يعبث في ثوبه أو في لحيته، وزجْرُه في هذه الحالة كسرٌ لنفسه وجَرْحٌ لشعوره، وتعويدٌ له على الانطواء والوحدة، لكن مقابلة ذلك بالابتسامة والإعجاب، يُدخل السرور على الطفل، ويشجعه على مخالطة الكبار والاستفادة منهم، كما يربي فيه الشجاعة الأدبية.

وقد حدث مثل هذا مع النبي ﷺ: فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أُتِيَ النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: «مَن ترون أن نكسوَ هذه؟» فسكت

---

(١) صحيح: مسلم (٢٠٧٧) .

(٢) صحيح: البخاري (٥٩٩٧) .

(٣) حسن: أبو داود (٤٩٩١).

القوم، قال: «ائتوني بأم خالد»، فأُتِيَ بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها(١).

وفي الرواية الأخرى: ثم قال ﷺ : سَنَه سَنَه. وهي باللغة الحبشية بمعنى: حَسَنة، قالت: فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة (بين كتفيه) فزبرني (فزجرني) أبي، قال رسول الله ﷺ: «دعها» ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلقي، ثم أبْلي وأخْلقي، ثم أبلي وأخلقي(٢)» .

قال عبد الله: فبقيت حتى ذَكَرَ، يعني من بقائها. يعني طال عمرها بدعوة النبي: «أبلي وأخلقي» ثلاث مرات، والثوب الخَلِق: هو البالي، وكانت الطفلة الصغيرة أم خالد مع أهلها في هجرة الحبشة، فلذلك داعبها النبي ﷺ بلهجة أهل الحبشة التي تفهمها: «سَنَه سنه».

٣٨- ويصحبهم ﷺ في الطريق واعظًا ومعلمًا على قدر عقولهم:

الطفل من حقه أن يصحب الكبار ليتعلم منهم، فتتغذى نفسه، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة، والمعرفة والتجربة، فتتهذب أخلاقه، وتتأصل عاداته.

وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك، فعلمنا أنه صحب أنسًا، وكذلكم صحب أبناء جعفر ابن عمه، والفضل ابن عمه. وها هو عبد الله بن عباس، ابن عمه ﷺ يسير بصحبة النبي ﷺ على دابته، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق، والذهن خالٍ، والقلب منفتح، فيعلِّمه كلمات، على قدر سنِّه واستيعابه، في خطاب مختصر ومباشر وسهل، مع ما يحمله من معان عظيمة يسهلُ على الطفل فهمها واستخلاصها.

يقول: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف»(٣) .

٣٩- ويستخدم ﷺ العبارات الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

من عوامل بناء الثقة في الطفل، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية؛ أن يُنادَى باسمه،

---

(١) صحيح: البخاري (٥٨٢٣) .

(٢) صحيح: البخاري (٣٠٧١) .

(٣) صحيح: الترمذي (٢٥١٦) .

بل بأحسن أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسنٍ فيه. وقد كان رسول الله ﷺ قدوةً في ذلك؛ فتارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغره، فيقول: «يا غلام، إني أعلمك كلمات». و«يا غلام سم الله، وكُلْ بيمينك». و«يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ؟» وهكذا.

وتارة يناديه بقوله: «يا بنيّ». كما قال لأنس لمّا نزلت آية الحجاب: «وراءك يا بني». وقال ﷺ عن أبناء جعفر ابن عمه أبي طالب: «ادعوا لي بني أخي». وسأل أمهم عن صحتهم فقال: «ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة؟».

وتارةً أخرى يناديهم ﷺ بالكُنية، فالكنية تكريم وتعظيم، فكان يقول للطفل الصغير الفطيم: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» لطائر صغير كان يلعب به فمات.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ ينادون مَن وُلِد في الإسلام من أب مسلم بقولهم: يا ابن أخي، فقد مدح المسيب البراء بن عازب بصحبة النبي ﷺ وبيعته فقال له: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده.

وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول للشاب الذي سأله عن أبي جهل: يا ابن أخي، وما تصنع به؟ وكان يريد أن يقتله في غزوة بدر، وقد كان.

٤٠- ويقدّر ﷺ للصغار لعبهم:

ماذا تقولي أيتها المربية حينما تعلمي أن الحسين بن عليّ وهو طفل؛ كان عنده جِرْو (كلب صغير) يتسلّى به، وأن أبا عمير بن أبي طلحة كان عنده عصفور يلعب به، وأن عائشة رضي الله عنها كان عندها لُعَب (بنات) تلعب بها؟

والجواب: أن هذا إقرار من النبي ﷺ لحاجة الطفل إلى اللعب والترفيه، والتسلية وإشباع الرغبة.

وماذا تقولي يا أخت أيضًا حينما تعلم أن النبي ﷺ لما تزوج عائشة حملت معها لعبها إلى بيت النبي ﷺ لتلعب بها عنده، بل كان هو يسرِّب إليها صديقاتها لتلعب معها، ولما امتنع جبريل عليه السلام عن دخول بيت النبي ﷺ بسبب وجود كلب (جرو الحسين)، ولم يكن النبي ﷺ عالمًا بوجوده في البيت، ومع هذا لم يعنف الحسين أو يزجره أو يحرمه من لعبته، وكذلك طائر أبي عمير؛ لم يمنعه النبي ﷺ من التلهِّي به مادام أنه لا يعذبه ولا يؤذيه،

ماذا تقولي يا أختي حين تعلمين هذا كله وأكثر منه في سلوك نبينا نحو احترام كيان الطفل؟!

والجواب: أن هذا تقرير منه ﷺ للعب الصبي؛ لأن اللعب ينمّي عقله، ويوسع مداركه، ويشغِّل حواسه وأحاسيسه. وأن توفير اللعبة المفيدة له يرفع عنه الحرمان، ويعينه على بر الأبوين، ويُدخِل السرور على نفسه، ويستجيب لميوله ويرضيه، فينشأ طفلًا سويًّا.

مضار منع الأطفال من اللعب:

وقد نصح العلماء رحمهم الله أن يُسمَح للطفل باللعب اليسير لا باللعب الشاق بعد الانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه، بشرط ألاَّ يُتعب نفسه. وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبًا جميلًا يستريح إليه من تعب المكتب، فإنَّ منْع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا. كما يعوَّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل.

إن اللعب للأطفال كالعمل للرجال، والطفل الصحيح الجسم لا يستطيع أن يجلس ساكنًا خمس دقائق؛ فتراه ينقب في كل شيء تقع عليه عينه، ويقلِّبه ويضعه في فمه، وقد يفكه ليبحث عما في داخله. وقد ثبت في علم النفس أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل، فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم، ولكي يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة يجب أن يكون قويًا في جسمه، سليمًا في عقله.

٤١- ولا يفرق ﷺ جماعتهم وهم يلعبون:

يقول أنس رضي الله عنه: خدمتُ رسول الله ﷺ يومًا حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قلت: يقيل رسول الله ﷺ فخرجت إلى صبيان يلعبون، فجئت أنظر إلى لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون، فدعاني فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها وجلس ﷺ في فيء (ظل) حتى أتيته الحديث.

والنبي ﷺ يراعي ظروف الطفل وتلبية رغباته النفسية بعيدًا عن الكبت الذي يُولد الانفجار، فسلَّم أولًا على الصبيان، وهذا تقدير منه لهم، وتعويد على إلقاء السلام وإفشائه، ثم جلس في الظل عندهم ينتظر أنسًا، وكلما رأوه وهو يتابعهم وينظر إليهم ويعجب

ببهجتهم وحركتهم؛ فيزدادون فرحًا وسرورًا، فينشأون على حبه، وهذا الذي يريد أن يغرسه فيهم ﷺ

٤٢- وينهى ﷺ عن التفريق بينهم وبين أهليهم:

عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي أن أيوب كان في جيش فَفُرِّق بين الصبيان وبين أمهاتهم، فرآهم يبكون، فجعل يرد الصبي إلى أمه ويقول: إن رسول الله ﷺ قال: «من فرَّق بين الوالدة وولدها فرَّق الله بينه وبين الأحباء يوم القيامة»[١].

وفي رواية ابن ماجه عن أبي موسى قال: لعن رسول الله ﷺ من فرَّق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخيه[٢]. بل إن النبي ﷺ يمنع الجلوس بين الطفل وأبيه في المجالس، وهذا لا شك أدب هام وعظيم من آداب مجالس الأطفال مع الكبار؛ لأن أهل الطفل هم أعرف الناس بميوله وعاداته، وإيجابياته وسلبياته، وخطئه وصوابه، وهم أقدر على توجيهه وإرشاده، كما أن الطفل إذا فرِّق بينه وبين أبيه في المجلس فإنه يشعر بالخجل والحرج ويظل شاردًا بذهنه، منتظرًا متى ينتهي هذا المجلس، فلا يستفيد من جلسته مع الكبار شيئًا، لذلك رحم الرسول ﷺ شعور الطفل ونفسيته من تلك المعاناة، فقال: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»[٣].

٤٣- ويبتعد عن لومهم وعتابهم:

إن كثرة الملامة تجر إلى الندامة ، والإسراف في التوبيخ والتأديب يزيد من فعل القبيح المعيب ، وقد كان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ذلك ، فما كان يكثر العتاب للطفل واللوم على تصرفات ما . وهو إنما يزرع في نفس الطفل روح الحياء وينمي فيه الانتماء والملاحظة ...

ويصف لنا أنس رضي الله عنه حاله مع رسول الله فيقول : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لي أف ولا : لِمَ صنعت ؟ ولا ألا صنعت ؟

---

(١) حسن: الترمذي (١٢٨) .

(٢) ضعيف: ابن ماجه (٢٢٥) .

(٣) صحيح: «الصحيحة مختصرة» (٣٥٥٦) .

ولعل قائلًا أن يقول لو فعلنا هذا الأسلوب لتجرأ الولد ولن نستطيع السيطرة عليه . فنقول لماذا لم يتجرأ أنس وابن عباس وأسامة وغيرهم ممن أصبحوا أئمة ؟؟

٤٤- ويرشدهم إلى مكارم الأخلاق :

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بني إذا قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل »[١] .

٤٥- وينهى الآباء عن الدعاء على أبنائهم :

عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم »[٢].

٤٦- ويستأذنهم فيما هو من حقهم :

إن إعطاء الولد حقه يشعره بقيمته في الحياة ، ويؤهله إلى أن يراعي حقوق الآخرين في المستقبل، فعن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ ، فقال : «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ » فقال الغلام : لا ، والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا ، قال : فتله (وضعه) رسول الله ﷺ في يده[٣] .

٤٧- ويعلمهم حفظ الأسرار :

عن عبد الله بن جعفر ﷺ قال : أردفني رسول الله ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس[٤] .

٤٨- ويؤكلهم معه ويعلمهم آداب الطعام :

الأكل مع الطفل فرصة لتعليمه آداب الأكل ، وتصحيح ما يقع فيه من أخطاء .

يقول عمر بن سلمة ﷺ : كنت غلامًا في حجر رسول الله فكانت يدي تطيش في

---

(١) ضعيف: الترمذي (٢٦٧٨) .

(٢) صحيح: مسلم (٣٠١٤) .

(٣) صحيح: البخاري (٢٤٥١) ومسلم (٢٠٣٠) .

(٤) صحيح: مسلم (٣٤٢) .

الصحفة فقال لي : « يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[١] .

٤٩- ويأمر بالعدل بين الأولاد :

قال ﷺ : «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» رواه مسلم

٥٠- ويفصل بين المتخاصمين من الأطفال

عن جابر قال اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون يال المهاجرين ونادى الأنصاري يال الأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال : «ما هذا دعوى أهل الجاهلية ؟» قالوا: لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر – أي: ضرب مؤخرته-قال : «فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصرًا وإن كان مظلومًا فلينصره) رواه مسلم.

٥١- ويحرك المنافسة فيهم

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي» فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال : «هي النخلة» رواه البخاري ومسلم.

٥٢- ويكافئ الفائز منهم ليشجعهم

عن عبدالله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثير بن العباس ثم يقول : «من سبق إلي فله كذا وكذا» قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. رواه أحمد وإسناده حسن.

٥٣- ويواسي اليتامى ويبكي من أجلهم

عن سهل قال رسول الله ﷺ : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا» رواه البخاري

ولما استشهد جعفر ت قام رسول الله ﷺ إلى أبناء جعفر وشمهم وبكى رحمة بهم .

---

(١) صحيح: البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢) .

٥٤- ويأمر بكفهم عن اللعب وقت انتشار الشياطين

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إذا استجنح الليل أو كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله وأوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئا» رواه البخاري .

٥٥- ويعوذهم من الشياطين والعين

عن ابن عباس ﷺ قال كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : «إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» رواه البخاري

٥٦- ويعلمهم الأذان والصلاة وما يحتاجون إليه

علم ﷺ أبا محظورة وغيره من المؤذنين الأذان ، وكذلك كان يعلم الصبيان الصلاة ويحث على تعليمهم ويقول : «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر» رواه الترمذي .

٥٧- ويأمر ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة من أجلهم

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إذا أم أحدكم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» رواه مسلم.

٥٨- ويفرق بينهم في المضاجع لسبع سنين

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا أنكح أحدكم عبده أو أجيره فلا ينظرن إلى شيء من عورته، فإنما أسفل من سرته إلى ركبتيه من عورته» رواه أبو داود .

٥٩- ويعودهم على غض البصر

عن ابن عباس ﷺ يقول كان فلان ردف رسول الله ﷺ يوم عرفة فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن فقال له رسول الله ﷺ :«ابن أخي إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره

ولسانه غفر له) رواه أحمد.

٦٠- ويخالطهم ويحثهم على مخالطة الكبار ، والعلماء

قال أنس ﷺ: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا . رواه البخاري في الأدب المفرد .

٦١- ويحذرهم من مجالسة رفقاء السوء ويبين لهم مثلهم

عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة» رواه البخاري ومسلم.

٦٢- ويعلمهم أدب الاستئذان

كان أنس ﷺ يخدم النبي صلى الله وسلم ويدخل عليه بغير إذن ، فجاء يومًا ليدخل، فقال له: (كما أنت يا بني فإنه قد حدث بعدك أمر ، لا تدخل إلا بإذن) رواه البخاري في الأدب المفرد.

٦٣- ويحثهم على الزواج ويبين فضله

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ رسول الله ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ....» روه البخاري .

* * *

صور مشرقة من تربية السلف لأولادهم

هذا الزبير بن العوام رضي الله عنه تربى في حجر أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ونشأ على طبعها وسجيتها، تلك المرأة الشجاعة الكريمة.

ومن صور شجاعتها ما كان منها في معركة أحد، عندما أغرت هند بنت عتبة رضي الله عنها بحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه مَنْ خالسه فصرعه، وكان قد قَتَل أهلها يوم بدر فنفذت إليه، فبقرت بطنَه، ونزعت كبدَه، وجدعت أنفه، وصَلَمَتْ أذنيه، وعندما انقضت المعركةُ كادت جثمان حمزة تحيل من فرط ما مُثِّل به، فلما وقف به رسول الله ﷺ اشتد حزنه لما أصاب عمّه البطلِ الكريمِ، ووقف بنجوة منه، ثم أبصر فوجد عمَّته صفية بنت عبد المطلب مقبلةً، لتنظر ما فعل القومِ بأخيها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: **دونك أمك فامنعها** وأكبر همه ألا يجدَّ بها الجزع لما ترى، فلما وقف ابنها يعترضها قالت: **دونك لا أرض لك لا أم لك**.

وهنالك ارتجفت أحناء بطل قريش، وزلزلت قدماه، واعتقل لسانه، وكر راجعًا إلى رسول الله ﷺ فحدثه حديث أمِه فقال: «**خلِّ سبيلها**».

ثم انفرجت صفوف الناس لعمة رسول الله ﷺ فسارت حتى أتت أخاها فنظرت إليه، فصلت واسترجعت، واستغفرت له، وقالت لابنها: **قل لرسول الله ما أرضانا بما كان في سبيل الله، لأحتسبن، ولأصبرن إن شاء الله**.

وهذا أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تَنَقَّل في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمةً، وأحفلها بجلال الخلال وكريم الخصال، فكان مغذاه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وهذا أمير المؤمنين، أريب العرب، وألمعِيُّها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من كان وراءه؟ لقد كان وراءه أمٌ عظيمة هي هند بنت عتبة رضي الله عنها وهي القائلة وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش ساد قومه. قالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه.

وكان معاوية إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

وهذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان وراءه أم كريمة شجاعة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي القائلة وقد نعي ابنها عبد الله: ما يمنعني وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

وهي القائلة أيضًا قبل ذلك عندما استشارها ابنها عبد الله بن الزبير في قتال الحجاج: اذهب والله لضربة بالسيف على عزٍّ أفضل من ضربة بالسوط على ذل.

وهذا أمير المؤمنين أعدل الملوك وأورعهم، وأزهدهم أبو حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من كان وراءه؟ إنها أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب أكملُ أهل دهرها كمالًا، وأكرمهم خلالًا.

وهذا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، ذلك الفتى الذي كملت مروءته، وتناهى سؤدده فكان مضرب المثل في العلم والشجاعة، والزهد والعبادة بالرغم من أنه توفي وهو في التاسعة عشرة من عمره.

فمن كان وراءه؟ لقد كان وراءه والده الزاهد عمر بن عبد العزيز، وأمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان[1].

وهذا سفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟

إنه فقيه العرب، ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث.

وما كان ذلك العلم الشامخ، والإمام الجليل إلا ثمرةَ أم صالحةٍ، حفظ لنا التاريخ مآثرها وفضائلها ومكانتها، وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

روى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قال: قالت أم سفيان لسفيان: يا بني: اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي.

فكانت رحمها الله تعمل وتقدم له؛ ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة؛

---

(١) انظر: سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: عِفْت وصال حمزة

قالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام أحمد : يا بني إن كتبت عشرة أحرفٍ فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم ترَ ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك.

وهذا الإمام الحبر، الفقيه البحر، العالم النحرير، الذي دَنَتْ له قطوف الحكمة، ودانت له نواصي البلاغة، إنه محمد بن إدريس الشافعي الذي ملأ أقطار الأرض علمًا وفقهًا وفضلًا كان ثمرة الأمّ العظيمة، فقد مات والده وهو جنين أو رضيع، فتولته أمه بعنايتها، وأشرقت عليه بحكمتها، وكانت امرأة من فضليات عقائل الأزد.

وهذا أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر: الذي ولي الأندلس، وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبث أن قرَّتْ له، وسكنت لهيبته، ثم خرج في طليعة من جنده، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى رَيَّض كل أولئك له.

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يُذْكر فيها الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها أصبحت مقر خلافته، يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم، وفلاسفتها.

أتدري ما سر هذه العظمة؟ وما مهبط وحيها؟ إنها المرأة وحدها؛ فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا قتل عمُّه أباه، فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال وروح السمو في نفسه، فكان من أمره ما علمت.

وأقول لك: إن الأمثلة في هذا السياق لا تكاد تنقضي؛ فالخير ولله الحمد موجود في هذه الأمة، وإليك هذا المثال لإمام من أئمة العلم، والفضل، والزهد، والتقى ولد عام ١٣٣٠هـ وتوفي عام ١٤٢٠هـ بعد أن خلَّف سيرة غرّاء، وذكرًا أطيب من ريح المسك، بعد أن ملأ الدنيا علمًا وفضلًا، وإصلاحًا؛ إنه سماحة الإمام العلامة الحبر البحر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله رحمة واسعة لقد مات والده وهو صغير؛ حيث إنه لا يذكر والده، وكان ضعيف البنية في صغره؛ حيث لم يستطع المشي إلا بعد أن بلغ الثالثة من عمره؛ فمن كان وراءه حتى صار إلى ما صار إليه؟

لقد تعهدته والدته بالتربية، والعناية؛ فكان منذ نعومة أظفاره سبّاقًا للخير، مواظبًا على

الطاعات، مبكرًا للصلوات، وكان معروفًا بالكرم منذ صغره، ومنذ أن كان يطلب العلم على المشايخ؛ فكان إذا سلم عليه أحد دعاه إلى غدائه أو عشائه، وكان يأخذ زملاءه في الضحى؛ ليطعمهم التمر وما تيسر، مع قلة ذات اليد، وشظف العيش آنذاك.

❊ ❊ ❊

أخطاء المربين

وهذه بعض الأخطاء التي تصدر عن كثير من المربين أسأل الله أن يعيننا على تجنبها ويهدينا للصواب:

١- مخالفة قول المربي لفعله:

وهي من أهم الأخطاء حيث يتعلم الطفل من أبويه أمورا ثم يجد أنهما يخالفان ما علماه وهذا السلوك له أثره السيئ على نفس الطفل وسلوكه ويكفينا قول الله عز وجل في إنكار هذا الأمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ فكيف يتعلم الصدق من يرى والده يكذب؟ وكيف يتعلم الأمانة من يرى والده يغش؟ وكيف يتعلم الطفل حسن الخلق وهو يرى من حوله يسب ويفحش في القول ويسيء خلقه؟

٢- عدم اتفاق الوالدين على منهج محدد في تربية الطفل:

فقد يتصرف الطفل أمام والديه تصرفا معينا فتكون النتيجة أن الأم تمدح وتشجع والأب يحذر ويتوعد فيحتار الطفل أيهما على صواب وأيهما على خطأ، فهو لا يستطيع بإدراكه المحدود أن يتعرف على الصواب من الخطأ فتكون نتيجة ذلك تذبذب الطفل وعدم وضوح الأمور بالنسبة له.

في حين أنه لو كان الوالدان متفقين على منهج موحد ولم يظهرا للطفل هذا الاختلاف لما كان هذا الخلل.

٣- ترك الأطفال فريسة لجهاز التلفاز:

إن لوسائل الإعلام تأثيرًا بالغًا في سلوكيات الطفل ومكتسباته ومن أخطر هذه الوسائل التلفاز الذي لا يكاد يخلو منه بيت وله تأثير واسع على الصغار والكبار والمثقفين ومحدودي الثقافة.

إن كثيرًا من المربين لا يكترثون لإدمان صغارهم مشاهدة التلفاز مع أن لهذا الأمر أثرًا بالغًا على أخلاقهم وفطرتهم حتى ما يسمى ببرامج الأطفال فإنها مليئة بالغث من الأفكار

التي يستقيها الطفل من خلال مشاهدتها (فإن كثيرًا من أفلام الرسوم المتحركة (الكارتون) تتضمن قصص الحب والغرام... حتى بين الكلاب أو الحيوانات الأخرى، ألم تر القطة- في تلك البرامج- على أعلى مستوى من الأناقة... تتزين برموش طويلة وعيون كحيلة جميلة .... وكعب عال... تتمايل لتخطف قلب القط).

والتركيز في إظهار الاقتتال لأجل أنثى، والسكر- أيضًا- والتدخين واللصوصية والاحتيال والكذب وغيرها من الصفات غير الأخلاقية... كل تلك العروض تقتحم عالم الصغار وتلطخ الفطرة البريئة تلطيخا بحجة أنها (برامج أطفال).

إذا فلابد من حماية أبنائنا من هذا الجهاز المدمر ولاشك أن هذا الأمر ليس سهلا ولكنه ليس مستحيلًا أيضًا إذا أردنا أن نحافظ على أخلاق أبنائنا ونعدهم لحمل رسالة دينهم وأمتهم، أعاننا الله على ذلك.

٤- ترك مسؤولية التربية للخادمة أو المربية:

إن من أخطر الأخطاء وأكثرها شيوعًا في مجتمعاتنا ظاهرة تشاغل الأم عن دورها الأساسي وهو رعاية بيتها وأطفالها واشتغالها بأمور هي لاشك أقل أهمية من أمر تربية الأولاد مثل اشتغالها بالعمل خارج المنزل أو الإسراف في الزيارات وحضور الحفلات أو مجرد التكاسل وعدم مباشرة شؤون الأطفال بنفسها مع أن لهذا أثرًا كبيرًا على نفسية الطفل والقيم التي يتلقاها إذ أن (الأطفال الصغار هم أول من يتضرر بخروج الأم للعمل خارج المنزل، إنهم يفقدون الحنان والعطف، فالأم إما أن تتركهم في رعاية امرأة أخرى كالخادمة وإما أن تذهب بهم إلى دور الحضانة، وفي جميع الحالات فهم يفقدون عطف الأمومة، وفي ذلك خطر كبير على نفسية الطفل وعلى مستقبله، إذ ينمو وهو فاقد للحنان، وفاقد الشيء لا يعطيه، فيقسو على أفراد مجتمعه فيعيش المجتمع الضياع والتفكك والقسوة، ولا يخفى أن الآخرين لا يهتمون بتهذيب الطفل وتعويده على الأخلاق الفاضلة كما يهتم به أهله، وفي ذلك ما فيه من البلاء على الطفل وعلى مجتمعه.

وقد تكون هذه الخادمة كافرة فيتلقى الطفل ما عندها من انحراف عقدي، أو أنها منحرفة أخلاقيًا فيتأثر الطفل كذلك.

فلنحرص إذا اضطررنا لجلب الخادمة على أن تكون مسلمة طيبة وأن نحرص على أن لا تمكث مع الطفل إلا فترات قصيرة جدًا عند الاضطرار.

٥- إظهار المربي عجزه عن تربية الطفل:

وهذا يقع كثيرًا عند الأمهات مع وقوعه عند الآباء أحيانًا. فتجد أن الأم مثلا تقول: إن هذا الولد أتعبني، أنا لا أقدر عليه، لا أدري ماذا أصنع معه، والطفل يستمع إلى هذا الكلام فيشعر بالفخر لإزعاجه والدته ويتمادى في هذا الأمر لأنه يشعر أنه يثبت وجوده بهذه الطريقة.

٦- الإسراف في العقاب والثواب:

أ- العقاب: إن العقاب أمر مشروع وهو من وسائل التربية الناجحة والتي قد يحتاجها المربي أحيانًا ولكن هناك من يصرف في استخدام هذه الوسيلة إسرافًا كبيرًا مما يجعل هذه الوسيلة ضارة تعطي نتائج عكسية فنسمع عمن يحبس أطفاله في غرفة مظلمة إذا أخلى والساعات طويلة، ومن الآباء من يربط أبناءه ويقيدهم إذا ارتكبوا ما يزعجه.

والعقوبة تتدرج من النظرة ذات المعنى إلى العقوبة بالضرب وقد لا يحتاج المربي إلى أكثر من نظرة فيها شيء من الاستياء أو كلمة عاتبة وقد يضطر إلى العقاب بالضرب ولكن هذا هو العلاج الأخير فلا يلجأ إليه إلا إذا استنفدت بقية الوسائل.

وهناك ضوابط لعملية العقاب بالضرب منها:

- أن لا يلجأ للضرب إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى.
- أن لا يضرب وهو في حالة غضب شديد مخافة الإضرار بالولد.
- أن يتجنب الضرب في الأماكن المؤذية كالوجه والرأس والصدر.
- أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم وأن لا يزيد على ثلاث ضربات إلا للضرورة وحيث لا تتجاوز عشر ضربات.
- أن لا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة.
- إذا كان الخطأ للمرة الأولى يعطى الطفل فرصة ليتوب ويعتذر عما فعل ويتاح المجال لتوسط الشفعاء ليحولوا- ظاهرًا- دون العقوبة مع أخذ العهد عليه.

- أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه ولا يترك، هذا الأمر لأحد الأخوة أو لأحد رفاق الولد لأن هذا يتسبب في كراهية الطفل لمن يتولى عقابه من الأطفال الآخرين وأن يحقد عليه.

- إذا ناهز الولد سن البلوغ والاحتلام، ورأى المربي أن العشر ضربات غير كافية لردعه فله أن يزيد عليها.

ب- الثواب: وهو كذلك من وسائل التربية ولكن ينبغي أن يكون بقدر أيضًا وأن لا يسرف في استخدامه لأن ذلك الطفل سيصبح ماديًا لا يفعل الأشياء الحسنة إلا بشرط المكافأة فينبغي أن يعود على فعل الخير لذاته ويشجع على ذلك أحيانًا.

٧- محاولة ضبط الطفل أكثر من اللازم:

بحيث لا تتاح له الفرصة للعب والمرح والحركة. وهذا يتعارض مع طبيعة الطفل وقد يضر بصحته إذ أن هذا اللعب مهم لنمو الطفل بصورة جيدة إذ أن (اللعب في المكان الطلق الفسيح من أهم الأمور التي تساعد على نمو جسم الطفل وحفظ صحته) فينبغي أن يتجنب الأب زجر الأولاد عند مبالغتهم في اللعب بالتراب أثناء النزهة على شاطئ البحر أو في الصحراء. وذلك لأن الوقت وقت ترفيه ولعب وليس وقت انضباط، وليس ثمة وقت ينطلق فيه الأولاد بلا قيود إلا في مثل هذه النزهات البريئة، فلابد من التغافل عنهم بعض الشيء.

٨- تربية الطفل على عدم الثقة بنفسه واحتقار ذاته:

وهذا حادث عند كثير من الآباء للأسف، مع أن له أثرًا سيئًا على مستقبل الطفل ونظرته للحياة فإن من يتربى على عدم الثقة بنفسه واحتقار ذاته سوف ينشأ على الجبن والخور وعدم القدرة على مواجهة أعباء الحياة وتحدياتها حتى بعد أن يصبح راشدًا.

فينبغي إذا أن نعد أبناءنا للقيام بأمور دينهم ودنياهم وذلك لن يكون إلا بتربيتهم على الثقة بالنفس والاعتزاز بالذات بدون غرور أو تكبر، والحرص على ربط الولد بمعالي الأمور وإبعاده عن سفاسفها.

من صور التقصير في تربية الأولاد

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»(١).

إن للدعاء أهمية بالغة جدًا في تربية الأولاد بل في جميع أمور الحياة والله عز وجل هو الموفق والهادي، فقد يبذل المسلم قصارى جهده في محاولة إصلاح أبنائه ولا يوفق إلى ذلك، وعلى العكس قد يصلح من الأبناء من تربى في وسط منحرف وبيئة سيئة، بل وقد يصلح منهم من ينشأ دون والدين يهتمان بتربيته، إذا فالهداية أولًا وأخيرًا من الله وهو القائل عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

فيجب علينا جميعًا أن لا نغفل هذا الجانب وأن نتضرع إلى الله ونبتهل إليه أن يصلحنا وذرياتنا فإنه الهادي إلى سواء السبيل. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فإن الأولاد أمانة في أعناق الوالدين،والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير في تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفي الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي المستقيم، كما أن أبويه مسؤولان إلى حد كبير عن انحرافه الخلقي(٢).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد

---

(١) صحيح: أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) انظر: نظرات في الأسرة المسلمة، د: محمد الصباغ، ص ١٥٤ وأخلاقنا الاجتماعية، د/مصطفى السباعي، ص ١٥٥

ظلمه، ففاته انتفاعُه بولده، وفوّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء [١].

كما أن للوالدين حقًا على الأولاد فكذلك للأولاد حق على الوالدين، وكما أن الله عز وجلّ أمرنا ببر الوالدين فكذلك أمرنا بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة.

ولقد تظاهرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة آمرةً بالإحسان إلى الأولاد وأداء الأمانة إليهم، محذرة من إهمالهم والتقصير في حقوقهم.

قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وقال النبي: «**كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته**» [٢].

وقال: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» [٣].

بالرغم من عظم مسؤولية تربية الأولاد إلا أن كثيرًا من الناس قد فرط بها، واستهان بأمرها، ولم يرعها حق رعايتها، فأضاعوا أولادهم، وأهملوا تربيتهم، فلا يسألون عنهم، ولا يوجهونهم.

---

(١) تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم، ص ١٤٦ ـ ١٤٧

(٢) البخاري مع الفتح (٨٥٣) ، ومسلم (١٨٢٩) .

(٣) رواه البخاري ١١٢/١٣ ومسلم (١٤٢) .

وإذا رأوا منهم تمردًا أو انحرافًا بدأوا يتذمرون ويَشْكُون من ذلك، وما علموا أنهم هم السبب الأول في ذلك التمرد والانحراف والتقصير في تربية الأولاد يأخذ صورًا شتى ومظاهر عديدة تتسبب في انحراف الأولاد وتمردهم، فمن ذلك ما يلي[1]:

١- **تنشئة الأولاد على الجبن والخوف والهلع والفزع**: فمما يلاحظ على أسلوبنا في التربية تخويف الأولاد حين يبكون ليسكتوا ؛ فنخوفهم بالغول، والبعبع، والحرامي، والعفريت، وصوت الريح، وغير ذلك.

وأسوأ ما في هذا أن نخوفهم بالأستاذ، أو المدرسة، أو الطبيب؛ فينشأ الولد جبانًا رعديدًا يَفْرَقُ من ظلِّه، ويخاف مما لا يخاف منه.

وأشد ما يغرس الخوف والجبن في نفس الطفل أن نجزَع إذا وقع على الأرض، وسال الدم من وجهه، أو يده، أو ركبته، فبدلًا من أن تبتسم الأم، وتهدِّئ من رَوْعِ ولدها وتشعره بأن الأمر يسير تجدها تهلع وتفزع، وتَلْطِم وجهها، وتضرب صدرها، وتطلب النجدة من أهل البيت، وتهول المصيبة، فيزداد الولد بكاءً، ويتعود الخوف من رؤية الدم، أو الشعور بالألم.

٢- **تربيتهم على التهور، وسلاطة اللسان والتطاول على الآخرين، وتسمية ذلك شجاعة**[2]: وهذا خلل في التربية، وهو نقيض الأول، والحق إنما هو في التوسط.

٣- **تربيتهم على الميوعة، والفوضى، وتعويدهم على الترف والنعيم والبذخ**: فينشأ الولد مترفًا مُنعَمًا، همُّه خاصة نفسه فحسب، فلا يهتم بالآخرين، ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم، ولا يشاطرهم أتراحهم؛ فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة، ويقضي على المروءة والشجاعة.

٤- **بسط اليد للأولاد، وإعطاؤهم كلَّ ما يريدون**: فبعض الوالدين يعطي أولاده كل ما سألوه، ولا يمنعهم شيئًا أرادوه، فتجد يدَه مبسوطة لهم بالعطاء، وهم يعبثون بالأموال،

---

(١) انظر: أخلاقنا الاجتماعية، د: مصطفى السباعي، ص ١٥٥_ ١٦١ وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٩_١١ والمسؤولية في الإسلام، د: عبد الله قادري، ص٩٩_١١٩ وأثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، د: عبد الله قادري، ص ١٦٨_ ١٩٢

(٢) انظر: وقفات مع الأسرة، صبري شاهين، ص١٢، ورسائل إلى ابنتي، لمحمد الأبشيهي، ص ٧٦

ويصرفونها في اللهو والباطل، مما يجعلهم لا يأبهون بقيمة المال، ولا يحسنون تصريفه.

٥- **إعطاؤهم ما يريدون إذا بكوا بحضرة الوالد، خصوصًا الصغار:** فيحصل كثيرًا أن يطلب الصغار من آبائهم أو أمهاتهم طلبًا ما، فإذا رفض الوالدان ذلك لجأ الصغار إلى البكاء؛ حتى يحصل لهم مطلوبهم، عندها ينصاع الوالدان للأمر، وينفذان الطلب، إما شفقة على الولد، أو رغبة في إسكاته والتخلص منه، أو غير ذلك؛ فهذا من الخلل بمكان، فهو يسبب الميوعة والضعف للأولاد.

٦- **شراء السيارات لهم وهم صغار:** فبعض الوالدين يشتري لأولاده السيارة وهم صغار، إما لأن الابن ألحَّ عليه في ذلك، أو لأن الأب يريد التخلص من كثرة طلبات المنزل، ويريد إلقاءها على ولده، أو أن الابن ألحّ على الأم، والأم ألحّت على الأب، أو لغير ذلك من الاعتبارات.

فإذا تمكن الولد من السيارة فإنه في الغالب يبدأ في سلوك طريق الانحراف، فتراه يسهر بالليل، وتراه يكثر الخروج من المنزل، وتراه يرتبط بصحبة سيئة، وربما آذى عباد الله بكثرة التفحيط، وربما بدأ في الغياب عن المدرسة، وهكذا يتمرد على والديه، فيصعب قياده، ويعز إرشاده.

٧- **الشدة والقسوة عليهم أكثر من اللازم:** إما بضربهم ضربًا مبرحًا إذا أخطأوا ولو للمرة الأولى أو بكثرة تقريعهم وتأنيبهم عند كل صغيرة وكبيرة، أو غير ذلك من ألوان الشدة والقسوة[1] .

٨- **شدَة التقتير عليهم:** فبعض الآباء يُقتِّر على أولاده أكثر من اللازم، مما يجعلهم يشعرون بالنقص، ويحسون بالحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال بطريقة أو بأخرى، إما بالسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء وأهل الإجرام.

٩- **حرمانهم من العطف والشفقة والحنان:** ما يجعلهم يبحثون عن ذلك خارج المنزل؛ لعلهم يجدون من يشعرهم بذلك.

---

(١) انظر: رسائل إلى ابنتي للأبشيهي، ص٧٦_ ٧٧ وأثر الأسرة في صلاح الأبناء وانحرافهم، لإبراهيم المشيقح، ص ٢٢_ ٢٣

١٠- **الاهتمام بالمظاهر فحسب:** فكثير من الناس يرى أن حسن التربية يقتصر على الطعام الطيب، والشراب الهنيء، والكسوة الفخمة، والدراسة المتفوقة، والظهور أمام الناس بالمظهر الحسن، ولا يدخل عندهم تنشئة الولد على التدين الصادق، والخلق الكريم [١].

١١- **المبالغة في إحسان الظن بالأولاد:** فبعض الآباء يبالغ في إحسان الظن بأولاده، فتجده لا يسأل عنهم، ولا يتفقد أحوالهم، ولا يعرف شيئًا عن أصحابهم ؛ وذلك لفرط ثقته بهم، فتراه لا يقبل عدلًا ولا صرفًا في أولاده، فإذا وقع أولاده أو أحد منهم في بلية، أو انحرف عن الجادة السوية، ثم نُبِه الأب عن ذلك بدأ يدافع عنهم، ويلتمس المعاذير لهم، ويتهم من نبهه أو نصحه بالتهويل، والتعجل، والتدخل فيما لا يعنيه.

١٢- **المبالغة في إساءة الظن بهم:** وهذا نقيض السابق، فهناك من يسيء الظن بأولاده، ويبالغ في ذلك مبالغة تخرجه عن طوره، فتجده يتهم نيَّاتهم، ولا يثق بهم البتة، ويشعرهم بأنه خلفهم في كل صغيرة وكبيرة، دون أن يتغاضى عن شيء من هفواتهم وزلاتهم.

١٣- **التفريق بينهم:** فتجد من الناس من يفرق بين أولاده، ولا يعدل بينهم بالسوية سواء كان ذلك ماديًا أو معنويًا.

فهناك من يُفَرِّق بين أولاده في العطايا والهدايا والهبات، وهناك من يفرق بينهم بالملاطفة والمزاح، وغير ذلك، مما يوغر صدور بعضهم على بعض، ويتسبب في شيوع البغضاء بينهم، ويبعث على نفورهم وتنافرهم.

ومن مظاهر التفريق بين الأولاد ما تجده عند بعض الآباء، حيث يخص أحد أبنائه الكبار بمبلغ من المال، ويشتري له قطعة أرض، وربما بناها له دون حاجة إلى ذلك، فإذا قيل له: وما نصيب الصغار والبنات قال: الصغار نعطيهم إذا كَبِروا، والبنات يتزوجن ويكفيهن الأزواج المؤونة!.

بل ربما أعطى بعض الأولاد، ومنع بعضهم الآخر، أو زوَّج بعضهم دون الآخر مع أن السن متقاربة، والحاجة واحدة، ولكنه يفرق بينهم لهوى في نفسه، أو لأن هذا من تلك الزوجة الأثيرة عنده، وذاك من الزوجة التي ليس لها ودٌ في قلبه.

---

(١) انظر: نظرات في الأسرة المسلمة، ص ١٥٠

ولا شك أن هذا التصرف باطل ينافي العدل بين الأولاد، فمن الذي يضمن لهذا الرجل أن يعيش حتى يكْبر أبناؤه الصغار؟ ومن الذي يضمن له أنهم سيعيشون حتى يكبروا ومن الذي يضمن له أنه سيستمر على غناه ويساره حتى يكْبروا.

ثم إن البناتِ لهن حقّ ولو تزوجن، فالذي يليق بالوالد إذا أعطى أحدًا من أولاده شيئًا أن يعطي الآخرين مثله أو أن يدخره لهم، أو أن يكتب على هذا المعطى أنه أخذ كذا وكذا، فإما أن يكون دينًا عليه، أو يُخْصَم من حقه من الميراث بعد وفاة الوالد، وهكذا؛ فذلك لا ينافي العدل. كما لا ينافي العدل أيضًا أن يعطي بعض الأولاد ما يحتاجه من علاج، أو نفقة دراسية، أو أن يشتري له سيارة إذا كان محتاجًا لها، وهكذا يعطي كل من احتاج إلى شيء من النفقة أو نحوها. ولا يلزمه إذا أعطى أحدًا من أولاده على نحو ما مضى أن يعطي الآخرين في الوقت نفسه. أما العطية والهبة التي تكون لغير حاجة؛ حيث يخص بها بعضهم دون بعض فذلك مما ينافي العدل.

١٤ التسخط بالبنات: وهذا قبل أن يكون خللًا في التربية هو خلل في العقيدة، فبعض الناس إذا رزقه الله بنتًا تسخط بها، وضاق ذرعًا بمقدمها، ولا شك أن هذا الصنيع من أعمال الجاهلية وأخلاق أهلها، الذين ذمهم الله عز وجل في قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[النحل: ٥٨، ٥٩] [١].

وما أشبه الليلة بالبارحة، فلو زرت أحد مستشفيات الولادة في بلاد المسلمين، وقلَّبت طرفك في وجوه الذين ولد لهم بنات، وراقبت كلامهم، وسبرت أحوالهم عند إخبارهم بذلك لوجدت توافقًا عجيبًا، وتطابقًا غريبًا بين حال كثير من هؤلاء، وحال الجاهليين الذي قصّ الله علينا أمرهم [٢].

وفي بعض المستشفيات قد يكتشفون ما برحم المرأة قبل الولادة عبر الأشعة الصوتية، فإذا كان ما في الرحم ذكرًا بشروا، وإن كان أنثى أقْصَرُوا، بل ربما عزَّوا عياذًا بالله.

---

(١) انظر: تحفة المودود، ص ١٦.

(٢) انظر: صون المكرمات برعاية البنات، للشيخ جاسم الفهيد الدوسري ص ١٦.

فتسخط البنات أمر خطير وفيه عدة محاذير، منها:

أنه اعتراض على قدر الله عز وجل .

أن فيه ردًا لهبة الله بدلًا من شكرها، وكفى بذلك تعرضًا لمقت الله.

أنه تشبه بأخلاق أهل الجاهلية.

أنه دليل على السَّفه والجهل والخلل في العقل.

أنه تحميل للمرأة ما لا تطيق؛ فبعضهم يغضب على المرأة بمجرد إتيانها بالأنثى، وما علم أنه هو السبب لو كان يعقل؛ إذ يعامل المرأة معاملة من لو كانت ولادة الذكور باختيارها فلماذا لا يحنق على نفسه؛ إذ يلقح امرأته بأنثى[1] .

أن فيه إهانةً للمرأة وحطًّا من قدرها.

١٥- ومن صور التقصير في تربية الأولاد تسميتهم بأسماء سيئة: فهذا خلل في التربية وجناية على الأولاد، قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد حفظه الله : إني تأملت عامة الذنوب والمعاصي، فوجدت الذنوب والمعاصي إذا تاب العبد منها تجذمها التوبة، وتقطع سيئ أثرها لِتَوِّها؛ فكما أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله وأكبره الشرك فإن التوبة تَجُبُّ ما قبلها متى اكتملت شروطُها المعتبرةُ شرعًا، وهي معلومة أو بحكم المعلومة.

لكن هناك معصية تتسلسل في الأصلاب، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد، ويتندر بها الرجال على الرجال، والولدان على الولدان، والنسوة على النسوان، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار؛ لأنها مسجلة في وثائق المعاش من حين استهلال المولود صارخًا في هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته، في شهادة الميلاد، وحفيظةِ النفوس، وبطاقة الأحوال، والشهادات الدراسية، ورخصة القيادة، والوثائق الشرعية

إنها تسمية المولود التي تَعَثَّر فيها الأب فلم يهتدِ لاسم يقره الشرع المطهر، ويستوعبه لسان العرب، وتستلهمه الفطرة السليمة.

وهذه واحدة من إفرازات التموجات الفكرية التي ذهبت ببعض الآباء كل مذهب، كل بقدر ما أثِّر به من ثقافة وافدة، وكان من أسوئها ما نفث به بعض المستغربين منها من عشقِ

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٧/ ١٨٤.

كَلِف، وظمأ شديد لأسماء الكافرين، والتقاط كل اسمٍ رخوٍ متخاذل وعزوف سادرٍ عن زينة المواليد الأسماء الشرعية (١).

فمن الأخطاء التي تقع في تسمية المولود ما يلي:

أ- **تسميتهم بالأسماء الممنوعة المحرمة:** كتسميتهم بأسماء الله المختصة به؛ مثل الأحد، الرحمن، الله، الخالق، ومن ذلك الأسماء المعبدة لغير الله تعالى مثل: عبد النبي، عبد الحسين، عبد علي، وكذلك تسميتهم بالأسماء الأجنبية الخاصة بأعدائنا من اليهود والنصارى وغيرهم؛ مثل: جورج، وديفيد، ومايكل، وجوزيف، وديانا، وجاكلين، لأن هذا يجر ولو على المدى البعيد إلى موالاتهم.

ب- **تسميتهم بالأسماء التي ينبغي تجنبها والتي قد تكون محرمة:** كتسميتهم بأسماء الجبابرة والطواغيت؛ أمثال: فرعون، وهامان، وقارون، ومن كان في قافلتهم وعلى شاكلتهم مثل ماركس، ولينين، وستالين، وفرويد؛ لأن التسمي بهم يَنِمُّ عن الرضا بأفعالهم، والمحبة لمناهجهم.

ج- **تسميتهم بالأسماء التي يُظن أنها من أسماء الله تعالى** : فهذه من الأسماء المكروهة شرعًا كالتسمية بـ: عبد المقصود، وعبد الستار، وعبد الموجود.

د- **تسميتهم بالأسماء المكروهة أدبًا وذوقًا:** وهي التي تحمل في ألفاظها تشاؤمًا، أو معانيَ تكرهها النفوس، كحرب، وحمار، وكلب، ومرة.

هـ- **تسمية الأولاد بالأسماء التي تسبب الضحك وتثير السخرية:** مثل: شحات، وفلفل، وخيشة، وجحش، وبغل، وفجل.

و- **التسمية بالأسماء التي توحي بالتميع والغرام وخدش الحياء:** مثل: هيام، ومعناه: الجنون في العشق، وكذلك وصال، وفاتن، وفتنة، وشادية.

ز- **التسمية بأسماء الملائكة:** خاصة للنساء، إذ يخشى أن يكون تشبهًا بالمشركين.

ح- **تسميتهم بالأسماء التي تتضمن تزكية دينية. مثل:** برة (٢).

---

(١) تسمية المولود، للشيخ بكر أبو زيد ص ٩-١٠.

(٢) انظر: آداب استقبال المولود في الإسلام، ليوسف العريفي، ص ٤٠-٤٢ وحق الآباء على الأبناء وحق

١٦- **مكث الوالد طويلا خارج المنزل:** فبعض الآباء يهمل منزله، ويمكث طويلًا خارجه، مما يعرض الأولاد للفتن، والمصائب، والضياع والانحراف.

ومن مظاهر ذلك ما يلي:

أ- الاشتغال عن الأولاد بالبيع والشراء والتجارة، ولو عوتب الأب على ذلك لقال: إنما أعمل لأجلهم.

ب- السفر الطويل خارج البلد للعمل أو النزهة.

ج- العكوف الساعات الطوال مع الأصحاب في الاستراحات والمتنزهات.

د- إهمال البيت الأول إذا بنى الأب بزوجة جديدة، وسكن معها بمسكن جديد ؛ فكم من الناس من يهمل بيته الأول إذا بنى بزوجة جديدة،فيضيع الأولاد، ويتشردون، بسبب انشغال والدهم، وبعده عنهم.

هـ- كثرة خروج الأم من المنزل إما للأسواق أو للزيارات.

هذه بعض مظاهر المكث خارج المنزل، فكم في هذا الصنيع من إهمال للأولاد، وكم فيه من تعريض لهم للفتنة، وكم فيه من حرمان لهم من الشفقة والرعاية والعناية.

١٧ - **الدعاء على الأولاد:** فكم من الوالدين وخصوصًا الأمهات من يدعو على أولاده، فتجد الأم لأدنى سبب تدعو على ولدها البريء بالحمى، أو أن يقتل بالرصاص، أو أن تدهسه سيارة، أو أن يصاب بالعمى أو الصمم، وتجد من الآباء من يدعو على أبنائه بمجرد أن يرى منهم عقوقًا أو تمردًا ربما كان هو السببَ فيه.

وما علم الوالدان أن هذا الدعاء ربما وافق ساعة إجابة،فتقع الدعوة موقعها، فيندمان ولات ساعة مندم.

ولهذا قال ﷺ : «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»[١] .

١٨- **التربية على سفاسف الأمور،وسيئ العبارات، ومرذول الأخلاق:** كتشجيع الأندية،

الأبناء على الآباء، د: طه العفيفي، ص ٨٤

(١) رواه مسلم، ٤/٢٣٠٤

وتقليد الكفار، وتعويد البنات على لبس القصير من الثياب، ومن ذلك تعويدهم على إطلاق العبارات النابية، والكلمات المقذعة، وذلك من خلال كثرة ترديد الوالدين لتلك العبارات،أو من خلال نبز الأولاد بالألقاب عند مناداتهم، مما يجعل الأولاد يألفون هذه العبارات، ولا يراعون آداب الكلام.

١٩- فعل المنكرات أمام الأولاد، أو إقرارهم عليها: كشرب الدخان، أو حلق اللحية، أو سماع الأغاني، أو مشاهدة الأفلام الساقطة، أو متابعة المسلسلات التليفزيونية، وكتبرج المرأة أمام بناتها، وكثرة خروجها من المنزل لغير حاجة، إلى غير ذلك، فهذا كله يجعل من الوالدين قدوةً سيئة للأولاد.

وكذلك قد يرى الوالد على أولاده بعض المنكرات، فلا تراه يحرك ساكنًا تجاههم؛ مما يجعلهم يستمرؤون المنكر.

٢٠- جلب المنكرات للمنزل: سواء كانت من المجلات الخليعة، أو من أجهزة الفساد المدمرة، أو الكتب التي تتحدث عن الجنس صراحة، أو غيرها من المنكرات.

فهذه وسائل تخريب، ومعاول هدم، وأدوات فساد وانحلال، ومدارس لهدم العقيدة وتمييع الأخلاق، والتدريب العملي على ارتكاب الفواحش [1]؛ فهذه الوسائل لها قدرة كبيرة على الإقناع، ولها تأثير بالغ في تنحية دور الأسرة في التربية.

٢١- كثرة المشكلات بين الوالدين: فهذا العمل له دوره السيىء على الأولاد، فما موقف الولد الذي يرى والده وهو يضرب والدته ويغلظ عليها بالقول وما موقفه إذا رأى أمه تسيئ معاملة والده

لا شك أن نوازع الشر ستتحرك في نفسه، ومراجل الحقد ستغلي في جوفه، فتزول

---

(١) انظر: الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتليفزيون، لمروان كجك، ص ١٩١ وأخطار تهدد البيوت، للشيخ محمد المنجد، ص ٢١ـ ٢٨ وبصمات على ولدي، لطيبة اليحيى، ص ٢٢ـ ٢٥ وحصوننا مهددة من داخلها، د: محمد محمد حسين، ص٤٥ـ ٤٧ والإسلام والمشكلة الجنسية، د: مصطفى عبد الواحد، والتليفزيون بين المنافع والأضرار، عوض منصور، ص١٥ـ ٣٦ والصحافة والأقلام المسمومة، لأنور الجندي، ص ٦٧ـ ٨٧ وتربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، د: محمد الزعبلاوي، ص ٤٢٢ وسموم على الهواء، لفريد التوني، ص ١٥ـ ٤٠

الرحمة من قلبه، وينزع إلى الشّرَّة والعدوانية.

٢٢- **التناقض**: كأن يأمر الوالد أولاده بالصدق وهو يكذب، ويأمرهم بالوفاء بالوعد وهو يخلف، ويأمرهم بالبر والصلة وهو عاق قاطع،أو ينهاهم عن شرب الدخان وهو يشرب، وهكذا

وليس معنى ذلك أن يترك الوالد نصحَ أولاده إذا كان مقصِرًا أو مُفَرِّطًا في بعض الأمور، بل ينبغي أن ينصح لهم، ولو لم يكن عاملًا بما يقول، وإنما المقصود بيان أن التناقض بين القول والفعل يفقد النصائح أثرها.

٢٣- **العهد للخادمات والمربيات بتربية الأولاد**: فهذا الأمر جد خطير، خصوصًا إذا كانت الخادمة أو المربية كافرة؛ فذلك مدعاة لانحراف الأولاد، وفساد عقائدهم وأخلاقهم.

٢٤- **ترك البنات يذهبن للسوق بلا محرم**: ولا شك أن هذا تفريط عظيم وإخلال بالأمانة، فمن الناس من يذهب بناته إلى السوق الذي يبيع فيه الرجال، فيمكثن فيه الساعات الطوال، يتجولن بين الباعة بدون محرم؛ مما يعرضهن للفتنة، ويجعلهن يَفْتِنَّ غيرهن.

ولو قيل لبعض هؤلاء: لِمَ لا تنزل معهم إلى السوق؟ لقال: أستحيي أن يراني أحد معهن! سبحان الله،أتستحيي من الناس ولا تستحيي من الله ؟! أما تخاف العقوبة؟! أما تخشى الفتنة؟! لو كان عندك غنم ما تركتها بلا راعٍ يرعاها،أَعِرْضُك أرخص عندك من غنمك؟! أما تخشى عليه من الذئاب الضارية؟!

وقد يقال لهذا: إذا كنت تستحيي من النزول مع محارمك فاذهب بهن إلى الأسواق الخاصة بالنساء، أو اذهب بهن إلى بلدة قريبة من بلدتك، وانزل معهن؛ حيث لا يعرفك أحد هناك.

٢٥ **إهمال الهاتف وترك مراقبته في المنزل**: فبعض الآباء هداه الله لا يلقي للهاتف بالًا، ولا يراقبه البتة، بل ربما أعطى كل واحدٍ من أبنائه وبناته هاتفًا خاصًا في غرفته، أو يعطيهم هاتفًا جوالًا ولو كانوا لا يدركون مخاطره، ولا يستفيدون منه على الوجه الصحيح. وما علم أن الهاتف إذا أسيء استخدامه أصبح معول هدم وخراب؛ فكم جر من بلايا ورزايا، وكم قاد إلى الشرور والمحن، وكم انتهك بسببه من عرض، وكم خَرِب لأجله من بيت.

٣٦- الغفلة عمَّا يقرؤه الأولاد: فالقراءة ولا شك تصوغ الفكر، وتؤثر في القارئ سلبًا أو إيجابًا.

وبعض الآباء لا يلقي لها بالًا، فلا يسأل عن قراءة أولاده، ولا يوجههم إلى القراءة النافعة، ولا يحذرهم من القراءة الضارة.

٣٧- احتقار الأولاد وقلة تشجيعهم: ومن مظاهر ذلك:

إسكاتهم إذا تكلموا، والسخرية بهم وبحديثهم؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

التشنيع عليهم إذا أخطأوا ولمزهم إذا أخفقوا في موقف، أو تعثروا في مناسبة، مما يولد لديهم الخجل والهزيمة، ويشعر الوالد بالعجب والكبرياء، فيتكون بذلك الحاجز النفسي بين الطرفين؛ فلا يمكن بعده للوالد أن يؤثر في أولاده [(١)].

ازدراؤهم إذا استقاموا: وهذا أشد الاحتقار وأعظم صوره، فتجد من الآباء من يحتقر أولاده إذا رأى منهم تقىً وصلاحًا واستقامةً وهدايةً، مما يجعلهم يضلون، وعلى أعقابهم ينكصون، فيصبحون بعد ذلك عالة عليه، وسببًا لجر البلايا إليه.

٣٨- قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسؤولية: فبعض الآباء لا يربي أولاده على تحمل المسؤولية؛ إما لإراحتهم، أو لعدم ثقته بهم، أو لعدم مبالاته في تربيتهم، فتجد من الآباء على سبيل المثال من لديه محلاتٌ تجارية كثيرة، وتجده يستقدم العمال من خارج بلاده، وربما كانوا من الكفار، وربما استعان بمن يعمل عنده من أهل بلده، وأولاده في المنزل لا عمل لهم، بل ربما عملوا عند غيره.

وقد يكون الأبناء مقصرين أو عاقين، ولكن ما دور الأب تجاههم؟

أما إذا كان الأولاد يشتغلون بطلب العلم، أو الدعوة إلى الله، أو نحو ذلك من معالي الأمور، وأراد الوالد أن يفرغهم لما توجهوا إليه من تلك الأعمال العظيمة - فلا بأس بذلك، بل إن الوالد يُحمد على صنيعه هذا.

وإنما اللوم يقع لمن تركهم عالة على غيرهم، وهو قادر على استصلاحهم، والأخذ

---

(١) انظر: المراهقون، د: عبد العزيز النغيمشي، ص٦٠

بأيديهم إلى ما ينفعهم.

٢٩- **عدم إعطائهم فرصة للتصحيح والتغيير للأفضل:** فبمجرد أدنى خطأ أو زلة تجد بعض الآباء يزري بولده، ولا يكاد ينسى هذا الخطأ له، فإذا سرق الولد ناداه باسم السارق، وإذا كذب ناداه باسم الكذَّاب، وكأن هذه الأخطاء ضربة لازب لا تزول، أو وصمة عار لا تنمحي، ومن هنا ينشأ الولد وفي نفسه أنه سارق أو كذاب، فلا يحاول التخلص من عيبه، ولا يجد من يعينه على ذلك.

٣٠- **سوء الفهم لنفسية الأولاد وطبائعهم:** فكثير من الآباء لا يفهم نفسية أولاده، ولا يعرف طبائعهم وأمزجتهم؛ فالأولاد تختلف أمزجتهم وطبائعهم؛ فمنهم من يغضب بسرعة، ومنهم من يتسم بالبرود، ومنهم من هو معتدل المزاج، فمعاملتهم بنمط واحد بالرغم من تباين نفسياتهم قد يتسبب في انحرافهم وميلهم.

٣١- **قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التي يمر بها الولد:** فتجد من الوالدين من يعامل الولد على أنه طفل صغير، بالرغم من أنه قد كَبِر، فهذه المعاملة تؤثر في نفس الولد وتشعره بالنقص، فلكل مرحلة من مراحل العمر معاملتها الخاصة التي يجدر بالوالد مراعاتها، والأخذ بها.

٣٢- **الشماتة بالمبتلين:** فبعض الآباء إذا رأى مبتلىً بدأ يشمت به، ويتهم أهله بالتقصير في تربيته، بدلًا مِنْ أن يسأل الله السلامة لنفسه، والعافية لهذا المبتلى؛ فكم من الناس من انحرف أبناؤه وضلوا؛ بسبب شماتته، وذرابة لسانه، وجرأته على الناس.

٣٣- **قلة الاهتمام باختيار مدارس الأولاد:** فكم من الآباء من لا يهتم بذلك، فتجده لا يسأل عن المدرسة التي سيدرس فيها ابنه، ولا عن المدرسين وسلوكهم وأخلاقهم، ولا عن المناهج الدراسية، ولا عن نوعية الطلاب الذين يدرسون في المدرسة مع ابنه.

٣٤- **إلحاقهم بالمدارس الأجنبية:** التي تفسد عقائدهم وأخلاقهم، خصوصًا إذا كانوا صغارًا، أو قليلي الحصانة من العلم والتقوى.

وقد لا يقتصر فسادهم على أنفسهم، بل يصبحون معاول هدم لأمتهم.

٣٥- **قلة التعاون مع مدارس الأولاد أو انعدامه بالكلية:** فكثير من الآباء لا يتعاون مع

المدارس التي يدرس فيها أولاده، بل ربما لا يعلم أين يدرسون.

٣٦- الدفاع عن الولد بحضرته خصوصًا في المدرسة: فقد يحدث أن يقوم أحد المدرسين أو المسؤولين في المدرسة بتأنيب طالب من الطلاب أو عقابه، ثم يأتي والده وقد غضب غضبةً مُضريَّةً، وبدلًا من الحوار الهادئ مع صاحب الشأن، وبدلًا من أن يكون ذلك بعيدًا عن ناظري الولد تجد ذلك الوالد يطلق العباراتِ النابيةَ على الأستاذ أو المسؤول، ويصب جام غضبه عليه، وينزله في الحضيض بحضور ولده، ومن هنا تقل قيمة المدرسة في نفس الولد، ويشعر بالزهو والتيه والإعجاب بالنفس، فلا يكاد بعد ذلك يصيخ السمع للمعلمين والمربين.

٣٧- ترك المبادرة في تزويج الأبناء مع الحاجة والمقدرة: فمن الآباء من لا يحفل بهذا الأمر؛ فتراه لا يبادر إلى تزويج أبنائه مع حاجاتهم إلى الزواج، ومع غنى الأب، واستطاعته أن يزوجهم.

وهذا خطأ فادح؛ حيث يترتب عليه مفاسد عظيمة تعود على الفرد والأمة؛ فبسببه تتعطل الشواب عن الزواج إلى سن متأخرة، وبسببه تضيع أعراض، وأخلاق.

وقد يصاب ذلك الابن الذي لم يُبادَر في تزويجه بمرض عضال، إما بسبب حادث سيارة أو غير ذلك، فلا يتمكن معه من الزواج، ولا يقبل أحد أن يزوجه بسببه؛ فمن يقوم على رعايته، خصوصًا إذا كان الوالدان كبيرين وليس عندهما من يقوم به، بل قد لا يجد من يلتفت إليه بعد فراق والديه الدنيا، كما أن المنية قد تفاجئ هذا الذي أُخر زواجه، فيُتوفَّى دون أن تكون له ذرية تدعو له، وتترحم عليه، وتحيي ذكره.

وإذا عاش ذلك الذي أُخِّر زواجه ربما عاش ممزقًا مشتتًا متعرضًا للفتن.

والذي يُؤخَّر زواجه يُحرم من سكون النفس، وطمأنينة القلب، وفضائل الزواج المتعددة.

ثم إن الزواج مشروع في دين الإسلام، وأقل درجات المشروعية الإباحة، بل إن المتأمل في أدلة الشرع يجدها لا تدل على الإباحة فحسب، بل تدل على الاستحباب، أو الوجوب[1].

(١) انظر: إلى بدائع الصنائع للكاساني ٢٢٨/٢ وبداية المجتهد لابن رشد ٣/٢.

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أن النكاح فرض عين يأثم تاركه مع القدرة عليه، قال بذلك أهل الظاهر(١).

والذي نص عليه ابن حزم أنه واجب على الرجال دون النساء(٢).

ونقل الكاساني عن بعض الحنفية أنه فرض كفاية كالجهاد، وصلاة الجنازة، ونقل عن آخرين أنه واجب.

والقائلون بالوجوب من الحنفية منهم من عدّه واجبًا كفائيًا كرد السلام، ومنهم من جعله واجبًا عَيْنِيًّا عملًا لا اعتقادًا على طريق التعيين كصدقة الفطر والأضحية(٣).

والقول بوجوبه رواية عن أحمد، وهو قول بعض الحنابلة(٤).

وذهب بعض شافعية العراق إلى القول بأنه فرض كفاية يقاتل أهل البلد الذي يمتنعون منه(٥).

وقد استدل القائلون بالفرضية، أو الوجوب العيني، أو الكفائي بالنصوص الآمرة بالنكاح كقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣] وقوله: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور:٣٢] وقوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»(٦).

فالأمر عندهم للوجوب، ولم يأتِ صارف يصرفه عن الوجوب، وقد تأكد الوجوب من إخبار الرسول ﷺ أن النكاح من سنته، ومن إنكار ﷺ على من ترك النكاح، وعزم على التبتّل(٧).

وذهب جمهور أهل العلم إلى استحباب النكاح للتائق إليه الذي لا يخشى على نفسه

(١) انظر: إلى بدائع الصنائع للكاساني ٢٢٨/٢ وبداية المجتهد لابن رشد ٣/٢.
(٢) انظر: المحلى لابن حزم ٤٤٠/٩ـ٤٤٤.
(٣) انظر: بدائع الصنائع ٢٢٨/٢.
(٤) انظر: المغني لابن قدامة ٣٤٠/٩ـ٣٤١.
(٥) انظر: روضة الطالبين للنووي ١٨/٧ ومغني المحتاج للشربيني ١٣٥/٣.
(٦) رواه البخاري (٥٠٦٦)
(٧) انظر: أحكام الزواج د. عمر الأشقر ص ٢٨.

الوقوع في الزنا؛ فإن كان توقانه شديدًا؛ بحيث يخشى على نفسه الوقوع في الزنا وجب عليه الزواج متى قدر على تكاليفه (١).

هذه نبذة يسيرة من أقوال أهل العلم في الزواج وأهميته ومع ذلك تجد بعض الآباء لا يلقي بالًا لهذا الأمر؛ مما ينذر سوء المنقلب، على الأبناء بخاصة، وعلى الأمة بعامة.

فحقيق على الآباء أن يعوا هذا الأمر، وأن يسعوا في تزويج أبنائهم عند حاجة الأبناء، ويسار الآباء.

٣٨ إجبار الابن على نكاح من لا يريد: كأن يقول الوالد لابنه تزوج بنت عمك، أو بنت خالك، أو بنت الوجيه الفلاني، أو التاجر الفلاني، أو نحو ذلك.

وإذا لم يتزوج غضب عليه الوالد أشد الغضب، بل ربما هجره.

وهذا الصنيع لا يجوز؛ فليس للوالد إجبار ابنه على الزواج من أسرة معينة، أو فتاة معينة؛ فقد يرى الابن ما لا يرى والده؛ فقد لا يجد ميلًا لمن أشار والده بها، وقد يكون طامحًا لأسرة أخرى؛ وهكذا

نعم للوالدين أن يشيرا عليه، ولهما أن يحاولا إقناعه، وفتح المجالات أمامه، وإبداء المسوغات له.

ولكن ليس لهما إجباره، فقد يضرانه من حيث أراد نفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ليس لأحد من الأبوين أن يُلْزِم الولد بنكاح من لا يريد، وأنه إذا امتنع لا يكون عاقًّا.

وإذا لم يكن لأحد أن يلزمه بأكل ما ينفر منه مع قدرته على أكل ما تشتهيه نفسه كان النكاح كذلك، وأولى؛ فإن أكل المكروه مرارة ساعة، وعشرة المكروه من الزوجين على طولٍ يؤذي صاحبه، ولا يمكن فراقه (٢).

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٣/٧، وبدائع الصنائع ٢/٢٢٨، وكفاية الأخيار للحسيني ٥/٦٧ وروضة الطالبين ٧/١٨ وصحيح مسلم بشرح النووي ٩/٥٢٢ ـ ٥٢٣ وشرح الزركشي على مختصر الخرقي للزركشي تحقيق الشيخ د. عبد الله بن جبرين ٥/٥ـ ٨ ومغني المحتاج ٣/١٢٥ ومختصر المزني ٣/٢٥٥ والكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ٢/٥١٩ وجواهر الإكليل للآمدي ١/٤٧٤ وأحكام الزواج ص٣٢

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/٣٠.

٣٩- تأخير زواج البنات بغير مسوغ شرعي: فمن الآباء من يؤخر زواج ابنته بلا مسوغ شرعي؛ فتراه يرد الخاطب الكفؤ، ويؤخر زواج ابنته إما لكونها وحيدته فلا يرغب في فراقها، أو لرغبته في أن تخدمه، أو لأنها موظفة ويرغب في مالها، أو لأنه ينتظر خاطبًا غنيًا يتقدم لموليته، أو لغير ذلك من الأسباب.

وهذا حرمان للفتاة من حقها في الزواج؛ فكيف تكون حالها وهي ترى أترابها من بنات عمها، أو بنات خالها، أو صديقاتها وهن يحملن الأطفال، ويسعدن بالأزواج؟

إنها تحترق كمدًا وغمًا، وحسرة؛ فتبعة ذلك التأخير يتحملها الأب؛ لأن الأصل أن يبادر إلى تزويجها متى تقدم لها الخاطب الصالح.

أمّا تأخير الزواج، ورد الخاطب بلا مسوغ فشذوذ، وخروج عن الأصل الشرعي والعرفي، وهو تمكين الفتاة من الزواج.

فإذا ارتضت المرأة رجلًا، وكان كفوًا فليس لوليها منعُها من التزوج به.

فيا أيها الأب الناصح لابنته، خَفِ الله، وارحم موليتك، وتذكر بأنك لست مخلدًا في هذه الدنيا، وتذكر بأن الأنثى لا بدَّ لها من رجل يحوطها برعايته أبًا كان، أو أخًا، أو عمًّا، أو خالًا.

فإذا انْتَقَلْتَ عن هذه الدنيا، ولم تَدْخُلِ ابنتُك عشَّ الزوجية، وأنت السبب فمعنى ذلك أنها ستكون عالةً على إخوانها، أو أحدِ أقاربها.

وقد تبتلى بمن لا يخاف الله فيها، سواء كان ذلك زوجَ أمِّها إذا تزوجت أمها بعد فراقك، أو زوجة أحد إخوانها، أو غير أولئك، فتتحول حياتها إلى جحيم لا يطاق.

٤٠- تزويج البنات بغير الأكفاء: فمن الآباء من لا يقصِّر في المبادرة إلى تزوج ابنته، ولكنه يقصر في اختيار الزوج المناسب، فتراه لا يتحرى الكفؤ الذي يُرضى دينُه وخلقُه، إما لقلة اهتمامه بأمر ابنته، أو لرغبته في التخلص من تبعتها وبقائها بلا زوج، وإما لعجلته وخرقه، وإما لطمعه في المال إذا تقدم إليه غني، أو لرغبته في الوجاهة والمنصب والسمعة إذا تقدم له من هو كذلك، أو يزوجها للقريب الذي يستحيي من رد طلبه.

أما الدين القويم، والخلق الكريم فلا يخطر بباله، ولا يدور في خياله.

ولهذا قد تبتلى بتارك للصلاة، أو مدمن للمخدرات، أو شرس الأخلاق، جافي الطبع.

ولا حرج أن يسأل الإنسان عن المنصب، والحسب، والنسب، ونحو ذلك من الاعتبارات.

لكن الحرج أن تكون هي المحكَّمةَ في المفاضلة، والترجيح دون اعتبار للدين والخلق، وهذا من الخلل والتفريط.

٤١- **إرغام البنت على الزواج بمن لا تريده:** فمن الآباء من إذا خطبت إليه ابنته، واقتنع بالخاطب أيًّا كانت دوافع الاقتناع أعطى الموافقة التامة دون أن تعلم البنت بشيء؛ فإذا قرُبَ موعد الزفاف همس الولي في أذنها؛ كي تهيئ نفسها لزوجها.

وهذا من الخلل؛ فقد لا ترضى البنت بالزوج؛ فإذا أجبرت على الزواج منه كانت حياتهما ضربًا من النكد.

ولهذا جاء الشرع الحكيم بمنع الولي من إكراه موليته على الزواج؛ لأن ذلك ليس من حقه، جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تُنْكَح الأيِّمُ حتى تستأمر، ولا تُنْكَح البكر حتى تستأذن».

قالوا: يا رسول الله! وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» (١).

وعلى هذا فلا يجوز تزويج المولية بغير إذنها، ولا يعني اشتراط إذنها أن الولي غير لازم في نكاحها؛ فالصواب من القول أن تتفق إرادتها وإرادة وليها في التزويج.

نعم لوليها أن يحاول إقناعها بالزواج إذا كانت ترفضه، وله إقناعها بالزوج الصالح إذا كان ترده، ولكن ليس له إجبارها.

ولا يعني ذلك أن تتعنَّت المرأة بحجة أنها لا تجبر (٢).

٤٢ **دخول الوالد في كل صغيرة وكبيرة من أمر ولده إذا تزوج:** فمن الوالدين أبًا كان أو أمًّا من يفرض وصاية عامة، ويضع سياجًا محكمًا على أولاده بنين وبناتٍ حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يتدخل في شؤونهم الخاصة، ويأتي بيوتهم على غِرَّة، ويفرض أراءه التي قد

---

(١) البخاري (٥١٣٦).

(٢) انظر في تفصيل ذلك إلى أخطاء في مفهوم الزواج ص ٢٦ ـ ٢٩.

تكون مجانبة للصواب.

وهذا من الخلل في التعامل مع الأولاد؛ فاللائق بالوالد أن يترك أولاده يعيشون حياتهم الخاصة بهم، وألا يكون حجر عثرة في طريق سعادتهم.

ولا يعني ذلك أن يترك مناصحتهم، ودلالتهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم، وإنما المقصود من ذلك لزوم الاعتدال في شتى الأحوال.

* * *

من الأخطاء الشائعة في تربية الأولاد

هناك أخطاء وممارسات شائعة في تربية البنين والبنات تقع أحيانا عن جهل وأحيانا عن غفلة وأحيانا عن عمد وإصرار ولهذه الممارسات الخاطئة آثار سلبية على استقامة الأبناء وصلاحهم من ذلك:

- تحقير الولد وتعنيفه على أي خطأ يقع فيه بصورة تشعره بالنقص والمهانة والصواب هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ.

- إذا أراد المربي زجر الولد وتأنيبه ينبغي ألا يكون ذلك أمام رفقائه وإنما ينصحه منفردًا عن زملائه.

- الدلال الزائد والتعلق المفرط بالولد وخاصة من الأم يؤدي إلى نتائج خطيرة على نفس الولد وتصرفاته وقد يكون من آثاره زيادة الخجل والانطواء وكثرة الخوف وضعف الثقة بالنفس والاتجاه نحو الميوعة والتخلف عن ا لأقران.

- فكرة استصغار الطفل وإهمال تربيته في الصغر فكرة باطلة والصواب أن تبدأ التربية ويبدأ التوجيه منذ الصغر من بداية الفطام حيث يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح.

- من مظاهر التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح لولدها بمزاولة الأعمال التي أصبح قادرًا عليها اعتقادًا منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد ولهذا السلوك آثار سلبية على الولد..

من هذه الآثار فقدان روح المشاركة مع الأسرة في صناعة الحياة وخدمات البيت ومنها الاعتماد على الغير وفقدان الثقة بالنفس ومنها تعود الكسل والتواكل.

- ومن مظاهر التربية الخاطئة ان لا تترك الأم وليدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء وهذا من الحب الزائد الذي يضر بشخصية الولد ولا ينفعه.

- ومن الأخطاء تفضيل بعض الأولاد على بعض سواء كان في العطاء أو المعاملة أو

المحبة والمطلوب العدل بين الأولاد وترك المفاضلة.

- ومن ذلك احتقار الأولاد وإسكاتهم إذا تكلموا والسخرية بهم وبحديثهم مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه كثير الخجل أمام الناس وفي المواقف الحرجة.

- ومن الأخطاء الشائعة فعل المنكرات أمام الأولاد كشرب الدخان أو سماع الأغاني أو مشاهدة الأفلام الساقطة مما يجعل من الوالدين والمربين قدوة سيئة.

* * *

أهم التوصيات المتعلقة بتربية الأولاد

يؤكد علماء الدين والتربية والسلوك بضرورة الأخذ بهذه التوصيات التي تمثل الأساس في العملية التربوية لدى الأولاد وبقدر الأخذ بهذه التوصيات تأتي نتائج التربية وأهم هذه التوصيات:

١- للقدوة الحسنة أثر كبير في نفس الطفل «فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»[1].

٢- للمنزل والأسرة الأثر البالغ في حياة الطفل فينبغي أن يحاط بكل ما يغرس في نفسه روح الدين والفضيلة.

٣- قيام المرأة بتربية أطفالها وقيامها على خدمة زوجها يعدل جهاد الرجل في المعركة وصلاة الجمعة في المساجد.

٤- الأبوان مفطوران على محبة الولد فلا يحرم الولد منها ومن أهم مظاهر المحبة: الرحمة بالولد والشفقة عليه والاهتمام بأمره.

٥- على المسلم أن يتقي الله في أولاده جميعًا فيسوي بينهم في الحقوق ويعاملهم على سواء ويعدل بينهم وليحذر من كراهية البنات فإنها جاهلية بغيضة حرمها الإسلام.

٦- للإسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيته فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب وإذا عجز عن جميع الوسائل الإصلاحية ملاطفة ووعظًا وزجرًا وهجرًا فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرح.

٧- يحرص الإسلام على نفسية الطفل حرصًا شديدًا فيطلب من الأبوين تسمية أبنائهم بالأسماء الحسنة حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم.

٨- من مسؤولية الآباء والمربين ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام وتعليمه من حين تميزه مبادئ الشريعة الغراء.

وحينما تكون تربية- الطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية مجردة من التوجيه الديني

---

(١) صحيح: البخاري (١٣٥٨)

والصلة بالله عز وجل فإن الطفل يترعرع على الفسوق والانحلال والانحراف.

٩- الصحبة الصالحة وسيلة فاعلة من وسائل تربية الأولاد لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ وبه آنس والقرين بالمقارن يقتدي فعلى الأبوين اختيار الرفقاء الصالحين لأبنائهم.

١٠- في غيبة التربية الإسلامية والتهذيب الأخلاقي تنشأ النفس البشرية لدى الأطفال وفق الأهواء والرغبات والأمزجة.

فمن كان مزاجه من النوع الهادي عاش في الحياة غافلًا بليدًا حيًا كميت وموجودًا كمفقود.

ومن كان يغلب على نفسه الجانب البهيمي جرى وراء الشهوات والملذات يطلبها بكل وسيلة.

ومن كان مزاجه من النوع العصبي جعل همه العلو في الأرض والاستكبار على الناس. وإن كان يغلب عليه الجانب الشيطاني دبر المكائد وفرق بين الأحبة ولا يصلح ذلك كله إلا التربية على الإيمان والأخلاق.

١١- التربية الإيمانية للأولاد بمثابة الأساس للبناء والتربية الأخلاقية هي ثمرة من ثمرات التربية الإيمانية الراسخة.

وقد أجمع علماء التربية على أن حياة الترف والنعيم والانغماس في الشهوات والملذات من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة وتحطيم الشخصية وتمييع الخلق وقتل الرجولة ونشر الأمراض والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف.

١٢- من واجب الآباء والأمهات العناية بأجسام الأولاد والنفقة عليهم بسخاء وأخذهم بالقواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم والتحرز من الأمراض السارية والمعدية ومعالجة الأمراض بالتداوي والعمل بمبدأ لا ضرر ولا ضرار.

وتعويد الأولاد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية وحملهم على حياة التقشف والخشونة وإبعادهم عن حياة الترف والميوعة وأن ينمي المربي فيهم الجرأة الأدبية والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية.

١٣- البعد بالأولاد عن الفراغ والخلوة لأن الفراغ يشغل النفس بالباطل والخلوة تجلب الهواجس وتستقبل خواطر الشيطان.

١٤- الأصل في تربية الأبناء اللين وحسن المعاملة فإن احتاج الأمر إلى عقوبة جاز استخدامها بشرط ألا تكون ناشئة عن سورة جهل أو ثورة غضب وألا يلجأ إليها إلا في أضيق الحدود وألا يؤدب الولد على خطأ ارتكبه للمرة الأولى وألا يؤدبه على خطأ أحدث له ألمًا وألا يكون أمام الآخرين.

ومن أنواع العقوبة العقاب النفسي كقطع المديح أو إشعار الولد بعدم الرضا أو توبيخه أو غير ذلك ومنها العقاب البدني الذي يؤلمه ولا يضره.

١٥- من الضروري أن يرسم الأبوان منهاجًا ثقافيًا تربويًا لأبنائهم منذ الصغر والطفولة يلقنونهم الآيات والمفاهيم الإسلامية كالشهادتين وشيء من سيرة الرسول ﷺ وسيرة أهله وأصحابه على شكل قصص وموضوعات مختصرة.

١٦- ومما يعين الأولاد على التربية تعويدهم على ذكر الله والتعلق به كالتسمية عند البدء بالطعام والشراب والحمد لله عند الانتهاء منهما والاستعانة به عند وصول الشدائد والشكر له عند قضاء الحوائج وحصول الخير والحرص على تعليمهم الصلاة واصطحابهم إلى المساجد وتعليمهم تلاوة القرآن الكريم وتعريفهم بالمناسبات الإسلامية. كليلة القدر والبعثة النبوية وتاريخ المعارك الإسلامية.

١٧- على الأبوين أن يحذرا سلوك التفريق في التعامل بين الأبناء فإن ذلك كثيرًا ما يدفعهم إلى الكراهية فيما بينهم وإلى النفور من الأبوين.

١٨- الحذر من سلوك الانطواء والعزلة في جو العائلة عن الأهل والجيران والمجتمع فإن ذلك يترك أثره السلبي في حياة الأبناء أما إذا وجد الأبناء آباءهم يعيشون علاقات طيبة مع الأرحام والأقارب والجيران والأصدقاء كالزيارات وتبادل الهدايا والضيافة والاهتمام بحوائجهم فإنهم يتلقون هذه الأخلاق والعادات الحسنة ويتأثرون بها.

١٩- على الأبوين أن يحرصا على تربية الطفل على مفهوم الاعتذار والتوبة إذا أخطأ وأساء فيطلب منه أن يقول: (أعتذر أو عفوًا أو استغفر الله.. إلخ) مع توجيهه وإرشاده.

٢٠- التركيز على تعليم الأولاد الأخلاق المتعلقة بالغير كالعناية بحسن المظهر وآداب التحية والحديث والمجلس واحترام الآخرين والصدق في القول وترك الضحك الكثير والمزاح الكثير.

٢١- توجيه الأولاد لاستثمار أوقات الفراغ والمساهمة في الأعمال العامة التي تضم أقرانهم كالألعاب الرياضية والتدريب على الخط والنجارة.

٢٢- تحبيب العلم إليهم وتوسيع أفق تفكيرهم في المستقبل وتوجيههم توجيها صحيحا في هذا المجال.

٢٣- إبعادهم عن أصدقاء السوء وتوجيههم لاختيار الأصدقاء الصالحين الذين يستفاد منهم ومراقبة سلوكهم وإسداء النصائح لهم عندما تظهر عليهم بعض الآثار غير السليمة.

٢٤- تعريفهم مفهوم الحلال والحرام وتدريبهم على الالتزام به.

٢٥- محاولة نقل التجارب الاجتماعية النافعة لهم من خلال الحديث العائلي وسرد الحكم والقصص التاريخية وتحذيرهم من الأخطاء والأخطار.

٢٦- أن يحرص الأبوان على تكوين علاقة طيبة بينهما فإن عدم الانسجام والخلاف أو التصرفات غير السليمة بين الأبوين في البيت تنعكس على سلوك الأطفال والأبناء.

والطفل الذي لا يشعر بالحب والحنان والرعاية من أبويه قد ينشأ طفلًا غير سوي عدواني السلوك والنزعة وربما ساقه ذلك التعامل إلى التشرد والكراهية أو أصيب بعقد نفسية سلبية.

وسوء المعاملة مع الطفل المراهق وعدم احترام شخصيته قد يقوده إلى الإساءة إلى والديه وإلى الآخرين وتتكون لديه عقدة النقص.

٢٧- من الخطأ تحقير الولد وتعنيفه على أي تصرف خاطئ بصورة تشعره بالنقص والمهانة.. والصواب هو تنبيه الولد على خطئه إذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ.

٢٨- إذا أراد المربي زجر الولد وتأنيبه ينبغي ألا يكون ذلك أمام رفقائه وإنما ينصحه منفردًا عن زملائه.

٢٩- الدلال الزائد والتعلق المفرط بالولد وخاصة من الأم يؤدي إلى نتائج خطيرة على نفس الولد وتصرفاته وقد يكون من آثاره زيادة الخجل والانطواء نحو الميوعة والتخلف عن الأقران.

٣٠- فكرة استصغار الطفل وإهمال تربيته في الصغر فكرة باطلة والصواب أن تبدأ التربية ويبدأ التوجيه منذ الصغر من بداية الفطام حيث يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح.

٣١- على الأبوين أن لا يستهينا بسن المراهقة لدى أبنائهما فإن لهذه السن خصوصية من المعاملة ومن هذه الخصوصية: القرب منهم ومراقبتهم بعناية وإشغالهم بشيء من المباح وإبعادهم عن أسباب الانحراف والصبر على بعض تصرفاتهم.

٣٢- إذا بلغ الناشئ سن الزواج وأظهر رغبة فيه فينبغي أن يختار له أبواه الزوجة الصالحة.. وإذا بلغت البنت سن النكاح واشتهت الرجال فينبغي أن يختار لها أبوها الزوج الصالح ولا ينتظر من يأتيها من الخاطبين فقد يغفل عنها الخاطب الصالح ويخطبها غير الصالح.

٣٣- وعلى الوالدين أن يرشدا أولادهم بعد الزواج إلى الخير ولا يتدخلا في شؤونهم الزوجية الخاصة وأن لا تضعف رابطة الأبوة بعد الزواج.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
أهمية بناء الأسرة	٧
دعائم بناء الأسرة المسلمة...................	٨
مقدمة عن السعادة وأنها هدف منشود....................	١٢
أهمية بناء الأسرة والألفة في بيت الزوجية....................	٢٨
معالم البيت السعيد....................	٢٨
ضمانات لاستقرار الأسرة....................	٣١
نصائح لإصلاح البيوت....................	٣٤
التكنولوجيا العصرية حطمت السعادة الأسرية..........	٦٥
نصائح للزوجة....................	٦٨
أختاه...أيتها الدرة المصونة والجوهرة الغالية !	٨٠
أي امرأة أنت بين النساء ؟!....................	٩٤
حول تحرير المرأة....................	٩٧
مؤتمرات أم مؤامرات....................	٩٩
بل شموخ الإيمان....................	١٠١
الوصايا العشر للسعادة الزوجية	١٠٣
صفات الزوجة النكدية....................	١٠٥

ستون نصيحة للزوجة المسلمة........................	١٠٨
حتى لا تزيغ عين زوجك........................	١١٣
غيري من نمط حياتكِ يا زوجتي........................	١١٦
خروج المـرأة للعمـل وتركيب المرأة الجسدي........................	١٢١
فـروق أخـرى جسديـة ونفسية بين الذكر والأنثى........................	١٢٥
الجدوى الاقتصادية لخـروج المــرأة........................	١٣٥
المكاسب الاقتصادية المزعومة لخروج المرأة في البلاد النامية:	١٣٩
نتائج خروج المرأة إلى العمل........................	١٤٥
حُكـم الإسلام في خروج المرأة........................	١٥٤
المرأة في ميدان القتال	١٦١
أخي الزوج لا تكن من هذه الأصناف........................	١٦٨
الاعتذار يحطم الأسوار........................	١٨٧
أيها الأزواج... رفقًا بالقوارير........................	١٨٩
أهمية الأسرة في الإسلام........................	١٩١
التعريف بالزواج وشرعيته وحكمة مشروعيته........................	١٩٦
مشروعية الزواج وحكمه	١٩٧
حكمة الزواج وأهدافه	٢٠٠

الزواج نعمة..	٢٠٩
السن المناسب للزواج..	٢١٢
الفحص الطبى قبل الزواج..	٢١٦
عقبات فى طريق الزواج..	٢٢٢
من آداب النكاح وسننه..	٢٣٢
الشروط في النكاح..	٢٣٣
الخيار في النكاح..	٢٣٤
الآثار المترتبة على عقد النكاح..	٢٣٦
الخِطبة: أحكامها وآدابها..	٢٤٥
النظر إلى المخطوبة..	٢٤٨
فسخ الخطبة..	٢٥٥
بدع ومنكرات عند الخطبة..	٢٦١
بدع ومنكرات ليلة البناء..	٢٦٥
وصية الشيخ الألباني : إلى الزوجين..	٢٨٠
فصل في هديه في النكاح ومعاشرته ﷺ أهله..	٢٨٣
المنهج النبوى فى التعامل مع النساء..	٢٨٦
هدي النبي ﷺ في تربية الزوجة..	٢٩٠

نصائح من القلب لكل عروسين........................	٢٩٧
الصفات التي يجب توافرها في الزوج المسلم........................	٣٠٧
الصفات التي يجب توافرها في الزوجة المسلمة........................	٣١١
صفات يحبها الرجل في زوجته........................	٣٣٥
العِشْرة بين الزوجين........................	٣٤٢
حقوق الزوج على زوجته........................	٣٤٢
حق الزوجة على زوجها........................	٣٤٦
الحقوق المشتركة بين الزوجين........................	٣٥١
خلافات الزوجين........................	٣٥٨
آداب وأحكام المعاشرة الزوجية........................	٣٦٣
آداب عامة ينبغي مراعاتها........................	٣٧٠
الاستعداد ليوم الزفاف........................	٣٧٣
التربية في المفهوم الإسلامي........................	٣٩٣
هدف تربية الناشئ في الإسلام........................	٣٩٤
السبل المعينة على تربية الأولاد........................	٣٩٤
مسؤولية الآباء نحو تربية أبنائهم........................	٤١٤
حقوق الولد على والديه........................	٤١٦

من صور تأديب الأولاد............	٤٢٥
صفات المربي..................	٤٢٨
الاهتمام بالولد قبل الحمل............	٤٣١
الاهتمام بالولد أثناء الحمل...............	٤٣١
الاهتمام بالمولود بعد الولادة.....................	٤٣١
الاهتمام بالطفل في السنوات الست الأولى من حياته.........	٤٣٧
الاهتمام بالطفل فيما بعد السنوات الست الأولى من حياته	٤٣٩
الاهتمام بالناشئ في مرحلة المراهقة..............	٤٤٥
ما أهمية الحب في تربية الأولاد..........	٤٤٥
كيف نُعين أطفالنا على حب القرآن الكريم	٤٤٧
كيف نربي أبناءنا تربية صحية؟.....................	٤٦٠
الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأولاد وعلاجها...........	٤٦٢
كيف نحصن أبناءنا من الانحرافات الخلقية؟..................	٤٦٥
الأولاد.. والعادات الخاطئة..............	٤٦٧
تحصين الأبناء من خطر المخدرات............	٤٦٨
الأبناء والعقوبات الهادفة...............	٤٦٩
عقوبة الضرب بين المؤيدين و المعارضين............	٤٧١

أطفال المسلمين كيف رباهم الرسول ﷺ..................	٤٧٣
صور مشرقة من تربية السلف لأولادهم..................	٤٩٣
أخطاء المربين..................	٤٩٧
من صور التقصير في تربية الأولاد..................	٥٠١
من الأخطاء الشائعة في تربية الأولاد..................	٥٢٠
أهم التوصيات المتعلقة بتربية الأولاد..................	٥٢٢

الكبير للطباعة
ت: ٠١٠٥٤٤٧٩٤٤